

# أدب الرحلات الأندلسية والمغربية

حتى نهاية القرن التاسع الهجري

د. نوال عبدالرحمن الشوايكة

تقديم  
أ.د. صلاح جزار



دار الفکر للطباعة والنشر  
بغداد - العراق

دار الفکر للطباعة والنشر  
بغداد - العراق

# أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري

د. نوال عبد الرحمن الشوابكة



دار المصنفون للنشر والتوزيع



مركز بحوث ودراسات التراث

الأرقام الواردة في هذا الكتاب  
لا تعبر عن رأي الجهة المانحة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م

المملكة الأردنية الهاشمية  
رقم الإبداع لدى مكتبة الوطنية  
(٢٠٠٧/٦/١٧٥٢)

٩١٠.٤

الشوايكة، نوال عبد الرحمن

أدب الرحلات الأدبسية والمغربية حتى القرن التاسع الهجري /  
نوال عبد الرحمن محمد الشوايكة. - عمان: وزارة الثقافة، ٢٠٠٧.  
(٣٣٥) ص.

و. أ. : (١٧٤٠ / ٦ / ٢٠٠٧).

المواصفات: أدب // الرحلات // التاريخ الإسلامي //  
السفر // الرحلة

تم إعداد بطاقة المكتبة الوطنية بآلات الحاسبة والتصنيف الأولية

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو ترجمته في  
نطاق إعادة الطبع أو نشره بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.



دار المشركون للنشر والتوزيع

العميل: - عمارة جوهرة الشمس

تلفون: ٤٤٤٧٧٧

ص. ب. ٩٧٨٠١ عمان ١١١٩٠ الأردن

E-mail: deralmashroun@maktoob.com

## مُقَدِّمَةٌ

أمضى الأندلسيون نحو ثمانية قرون بين عدوين: عدو من أسامهم يتمثل بأوروبا، وعدو من خلفهم يتمثل بالبحر، وهما أول عدوين واجها طارق بن زياد وهو يعبر إلى الأندلس وأمام هذا الانقطاع وراء البحار والأخطار المتتابعة التي كانت تهدد الوجود الإسلامي في الأندلس ظَلَّت الروح الأندلسية تتوق إلى الشرق الإسلامي وإلى مهد الإسلام في مكة المكرمة والمدينة المنورة كي تستمد من هناك روح الصبر والصمود، وكان حُلْم أي أندلسي، عالماً كان أو غير عالم، لا يتعدى أداء الرحلة إلى الشرق، وزيارة قبر الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه، وأداء فريضة الحج، ولقاء العلماء في حواضر العالم الإسلامي كله والافتias من علمهم ومعارفهم، والطواف بمنازل الأجداد... فكان ذلك كله أهم عامل من عوامل كثرة الرحلات الأندلسية حتى بلغ تعدادها المئات من خلال ما نقلته لنا المصادر الأندلسية، وكان بعض الرحالة يكتفي بالزيارة وأخذ العلم، وكان بعضهم يضيف إلى ذلك تدوين ما شاهده وما أعلته من أقطاب العلم في الشرق والمغرب. وقد خلف الأندلسيون لذلك عشرات كتب الرحلات ما زالت بعضها حبيس الخزائن وقد كثر منها ووصلنا بعضها مثل رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة ورحلة ابن رشيد ورحلة القلصادي وغيرها كثير.

وعندما تصنّت الباحثة النشيطة نوال الشوابكة لاستقصاء هذه الرحلات ودراستها فإنها تكون بذلك قد وقعت على موضوع مهم جدير بالدراسة والبحث، لما تحمله هذه الرحلات من قيمة علمية ومعرفية جمّة، إذ تمثل هذه الرحلات جزءاً مهماً من التاريخ الاجتماعي للشعوب العربية والإسلامية وغيرها خلال مراحل تاريخية مختلفة، كما أنها تمثل وسيلة من وسائل التواصل الثقافي والفكري والتبادل العلمي العربي بين الشعوب، وقد أدّى الرحالة دور السقراء والممثلين لبلدانهم وجمعاتهم في البلدان التي زاروها أو نزلوها. كما أنّ هذه الرحلات تعكس مجالات اهتمام الأندلسيين وقراءاتهم الحضارية لما كانت تقع عليه عيونهم خلال هذه الرحلات.



والذي بطالع هذا الكتاب فإنه يقف على الجهد الذي بذلته الدكتورة الشوابكة في استقصاء الرحلات الأندلسية من مصادرها المختلفة، والوقت الذي استغرقته في قراءة هذه الرحلات وتفحصها ونقدها وبيان قيمتها وموضوعاتها وخرائب أخبارها، فضلاً عن اللغة السليمة الناصعة والرصينة التي استخدمتها في إعداد هذا الكتاب، كما بدت الباحثة في هذا الكتاب نقادة اجتماعية بالإضافة إلى نقدها الأدبي لتصوص الرحلات التي درستها، وكانت في نقدها الاجتماعي تملك عيناً فاحصة دقيقة الملاحظة، وبرزت شخصيتها واضحة في ما كانت تصفيه على قراءتها من أحكام وتعليقات علمية.

لقد كان هذا الكتاب في أصله رسالة دكتوراه أعفتها المؤلفة، وقد سعدت بالإشراف على تلك الرسالة لما وجدته لدى الباحثة من تعاون واستجابة وسرعة فهم واستيعاب وحرص على أن تكون رسالتها متميزة ونافعة.

وفي الختام أدعو لمؤلفة هذا الكتاب بالتوفيق الدائم والنجاح الموصول في أبحاثها ودراساتها المقبلة، والله ولي التوفيق.

أ.د. صلاح جواكر

## المحتويات

المقدمة	٥
التمهيد	١٧
أ. بواعث الرحلة،	١٧
أولاً: الضرورة	٢١
ثانياً: العامل الديني	٢٦
ثالثاً: العامل الثقافي (طلب المعرفة)	٣٣
رابعاً: السقارة	٤٠
خامساً: العامل الاقتصادي	٤٦
سادساً: العامل السياحي	٥٠
سابعاً: العامل الشخصي	٥١
ب. أهمية الرحلة	٥٢
ج. من أبرز الرحلات	٥٥
- رحلة العثري	٥٥
- رحلة أبي عبيد البكري الأندلسي	٥٦
- رحلة الإدريسي	٥٦
- رحلة أبي حامد الغرناطي	٥٨



- رحلة بنيامين التيطلي ..... ٦١
- رحلة ابن جبير ..... ٦٢
- رحلة ابن سعيد المغربي ..... ٦٤
- رحلة أبي محمد التجاني ..... ٦٦
- رحلة ابن بطوطة ..... ٦٦
- رحلة ابن الحاج الغرناطي ..... ٦٨
- رحلة لسان الدين بن الخطيب ..... ٦٨
- رحلة الشريف بابن مخلدون ..... ٧٠
- رحلة القلصادي ..... ٧١
- رحلة أبي عصبدة البجائي ..... ٧١
- رحلة صالح بن يزيد الرندي ..... ٧٢
- الفصل الأول: السياقات المعرفية في الرحلات ..... ٧٥
- أ. السياقات الثقافية ..... ٧٧
- أولاً: المراكز التعليمية ودور الكتب ..... ٧٨
- ثانياً: اللغة والأدب ..... ٩٥
- ثالثاً: النشاط الاقتصادي ..... ١١١
- أ. الحاصلات الزراعية وموارد المياه ..... ١١٣
- ب. المعادن والصناعات ..... ١٢١
- أولاً: صناعة المنسوجات الكتانية والحريرية والقطنية والصوفية ..... ١٢٣

- ١٢٦ ----- ثانياً: صناعة السفن
- ١٢٨ ----- ثالثاً: صناعة الورق
- ١٢٩ ----- رابعاً: صناعة السكر
- ١٣٠ ----- خامساً: صناعة الأسلحة
- ١٣١ ----- سادساً: صناعات أخرى
- ١٣٣ ----- ج. التجارة ووسائل النقل :
- ١٣٦ ----- أولاً: الأسواق والسلع التجارية
- ١٤٢ ----- ثانياً: التنظيمات المالية
- ١٥١ ----- رابعاً: النشاط العمراني
- ١٥٩ ----- ب. السياق الاجتماعي والديني:
- ١٦٠ ----- أولاً: العادات والتقاليد والملابس
- ١٦٦ ----- ثانياً: الأطعمة والأشربة
- ١٦٨ ----- ثالثاً: صورة المرأة
- ١٧٢ ----- رابعاً: الأعياد والأعراس والاحتفالات الشعبية
- ١٧٧ ----- خامساً: صورة الآخر
- ١٨٥ ----- الفصل الثاني: الرحلات والتفاعل الثقافي
- ١٨٩ ----- أولاً: الحياة الاجتماعية والدينية:
- ١٨٩ ----- أ. المصاهرات
- ١٩١ ----- ب. الأعياد والاحتفالات





ج. الأملعة والأزياء	١٩٥
د. الحج وزيارة الأماكن المقدسة	١٩٩
ثانياً: الحياة الثقافية والسياسية:	٢٠٥
أ. التأثيرات اللغوية والترجمة	٢٠٥
ب. السفارات والاستفادة من ثقافة الآخر	٢١٦
ج. الحياة الاقتصادية والنشاط العمراني	٢٢٣
الفصل الثالث: الرحلة والسيرة الذاتية	٢٢٩
أ. السيرة الذاتية المفهوم والنشأة	٢٣١
ب. مميزات كتابة السيرة الذاتية	٢٤٢
ج. علاقة الرحلة بأنماط كتابة السيرة	٢٤٣
الفصل الرابع: الدراسة الفنية لأدب الرحلات	٢٥٩
أولاً: الأسلوب واللغة والمنهج	٢٦٢
ثانياً: الوصف	٢٨٤
ثالثاً: البناء الفني، والمصدر	٢٩٦
الخاتمة	٣١٧
المراجع	٣١٩

## أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري

تقوم هذه الدراسة على تتبع الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، وتتبع السياقات المعرفية والثقافية التي تضمثها الرحلات، كما تعنى بإبراز دور الرحلات في التفاعل الثقافي، وعلاقتها بالأشكال الأدبية الأخرى، وتحديد سماتها الفنية في ضوء ما يعرّفها. وجاءت الدراسة في تمهيد وأربعة فصول:

عرض التمهيد لتعريف الرحلة ونشأتها ودوافعها وأهميتها، ثم أشهر الرحالة ورحلاتهم، وإبراز الدور الذي قامت به في الحضارة العربية.

وتناول الفصل الأول، السياقات المعرفية والثقافية، والاجتماعية والدينية التي تضمثها الرحلات، كما أبرز صورة المرأة وصورة الآخر في مختلف المجتمعات التي زارها الرحالة.

أما الفصل الثاني، فقد تناول الرحلات والتفاعل الثقافي وبين عوامل ذلك التفاعل، وصور التبادل والترابط بين مختلف العناصر والطوائف.

وعرض الفصل الثالث، لعلاقة الرحلة بأنماط كتابة السيرة الذاتية: اليومية، والمذكرات، والاعترافات.

وأفرد الفصل الرابع، لدراسة البناء الفني، والأساليب التي استخدمها الرحالة في وصف مشاهداتهم، والتعبير عن مشاعرهم، ودراسة البناء القصصي لبعض تلك الرحلات.

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها، ما يلي:



كان خروج الرحالة الأندلسيين وامثلية أساساً للحج، وزيارة الأماكن المقدسة، وطيب العلم، فاشتهروا بداع صيتهم بما حققوا من علم، وما قاموا به من رحلات، فتأهلوا لشغل المنصب العلمية والدينية، وتصدروا عند عودتهم إلى موطنهم للتدريس وتولي القضاء أو الكفاية لدى بعض أمراء الأندلس أو المغرب.

رصدت الرحلات تنوع العالم الحضاري في مختلف الجوانب الحياتية في البلدان التي قصدت الرحالة، وعكست صورة واضحة عن أحوال الشعوب، مآكلهم وشربهم، ولباسهم، وخصائصهم النفسية والبدنية، والعادات والتقاليد، وصادراتهم، ووارداتهم، ومبانيهم المعمارية، ولعن ما نقله الرحالة من أخبار ومشاهدات وأوصاف، مهد لنشوء علوم تبحث في الدراسات الاجتماعية.

- مثلت بعض الرحلات سرداً، ذا طابع أدبي، مثل رحلات السفارات، أو اليومية، أو المذكرات، أو السير الذاتية، حيث ألقت هذه لأشكال عدد وصف السفر، ولا تزال من موضع إلى آخر، وما تقع عليه أبصار الرحالة من مشاهدات، وما نقلوه من أخبار وحكايات تحمل جذوراً قصصية.

- الكشف عن الانتماء إلى ثقافة الذات، والفهم بثقافة الآخر، والانتعاش عليه.

دور الرحلات في التفاعل الثقافي، والتبادل والتداخل والترابط بين كل العناصر البشرية وثقافية في البلدان التي زارها الرحالة، وتيسر مدى تفاعل الرحالة مع غيرهم في المجالس العلمية والمناظرات، والمعارض الأدبية.

## مُقَدِّمَةٌ

عرف الإنسان الرحلة منذ ولادته، وكان في ارتحال دشم حسب الظروف ومتطلبات الحياة والشكل الاجتماعي، واتسعت الرحلات على مر الزمان، فكان للعرب قبل الإسلام رحلتا الشتاء والصيف، وأما بعد الإسلام فقد مفتحو على العالم سرحلتهم وتنقلاتهم وفتوحاتهم حتى عدت لرحلة مظهراً من مظاهر الحركة العلمية والثقافية في مختلف عصور التاريخ الإسلامي، فقدّم الرّحالة مساهمات واضحة في التراث العلمي والثقافي الإسلامي، حيث رصدوا أحوال الناس، ووصفوا مدين صغيرة ما يزورون من بلدان، ومن هنا كانت لخصوصه التي تتجسد في التواصل بين شرق العالم الإسلامي وغربه، مما يضفي عليه سمة الشمول، فقد نقل الرّحالة جوايب مضيئة تصف باندية أحياناً عن بلدان المشرق والمغرب، لا سيما أن الأندلسيين كانوا أكثر شغفاً بالرحلة من غيرهم، الأمر الذي أتاح لهم أن يسجلوا اطباعاتهم، ووصفوا مشاهدتهم ويقولوها بصورة حنة لناس

إن الرّحلات لأندلسية والعربية كثيرة، غير أن ما وصلنا منها قليل، إذ م ليس بالإشارات الواردة في المصادر التي رصدت عظم الدور الذي قام به الرّحالة الأندلسيون والمعاربة، خدمة للعلم، وبعبارة المصباح الإنسانية والثقافية والاجتماعية والحضارية للأماكن التي حلّوا بها، فالرحلة تعكس النهضة والحضارة العربية، وهي إن جانب ذلك تعدّم لن صورة للأحر، لتبر هنا لشعور بالفاضة والرعة بالهوى

وغدب لرحلات غد، كلّ مادة عصبية للدراسة، فما أبحره الرحالة والجغرافيون الأندلسيون والمعاربة جدير بأن يلتقى الاهتمام، ويعدّ البحث فيه، فعلى الرغم من الدراسات العديدة للرحلة، فإن هذه الجهود ما تزال مسطّة ومحدودة، فيما يخص الرحلة باعتبارها فناً أدبياً يموي في أعماقه جدور البية السردية القصصية في أدنا العربي، ومصور الالتقاء الثقافي التي تشكّل داعياً للرحلة الأندلسية والعربية للتوجّه إلى المشرق، هذا



بالإضافة إلى العلاقة بين الرحلة والسيرة الذاتية، كما نجد أنها عند من حلدون في التعريف ومن لرحلات، أيضاً على سبيل المثال رحلة ابن جبير، وهي مكتوبة بشكل مذكرات يومية، فقد كان ابن جبير يسجل تاريخ دخوله أية مدينة وتاريخ خروجه منها باليوم ولشهر، وعلى الرغم من أن هذه الرحلة يغلب عليها الطبع الوصفي الجغرافي، فإنها قد كتبت بأسلوب أدبي رشيق ينم عن موهبة ابن جبير الأدبية.

ومنها أيضاً، رحلة ابن بطوطة التي تبرز تفاعله مع الأحداث، فضلاً عن الفائدة العلمية التي تزود القارئ بمعلومات عن طسعة لبلاد التي زارها وأحوالها وطوائع وعتات أهلها. لقد كان ابن بطوطة مدفوعاً بحب السفر والترحال، حيث قضى سبب طويلاً من عمره متجولاً بين مدن العالم متحلاً في سبيل ذلك للقاء من المشقة والصعاب.

ولأهمية الدور الذي قام به الرحالة، جاءت هذه الدراسة محاولة لاستيفاء بعض جوانب النقص في الدراسات السابقة، إذ لا توجد دراسة سابقة تصدت لأدب الرحلات بشكل تفصيلي، أو دراسة جامعة تكشف للقارئ والباحث عن السمات لعنية لها، ولأهم موضوعاتها، وأهميتها الأدبية والعلمية. فالدراسات الزائية السابقة كانت جزئية، اقتصت في الحديث عن جانب وأوجرته عن آخر، متناثرة في طيات تلك الكتب، مثل نفع الطيب من غصن لأندلس الرطيسب، للمصري، والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب، والمغرب في حلى لمغرب لابن سعيد لمعربي، وغيرها.

أما الدراسات الحديثة، فهي دراسات عامة، اهتمت بالرحلة، إلا أنها لا تمثل أكثر من محاولات محدودة، ومنها كتاب أدب الرحلة في التراث العربي لقزاد قسبيل، ومنه أبواب كثيرة، تحدث فيها عن تفالس السفر وأداب الرحلة، وأورد أنواعاً خاصة بالرحالة لعسرب، ورحلاتهم وفق الترتيب الزمني، وهو مع ذلك لم يقدم حديثاً مستفيضاً بل أوجز. ومنها أيضاً الرحلات الغربية والأندلسية لعواطف مواب، تحدثت فيه عن أنواع الرحلات، والخصائص العامة والخاصة لمرحلات المغربية والأندلسية، وترجمت لمجموعة من لرحالة الأندلسيين والمغاربة، إلا أنها أولت اهتماماً كبيراً للمضمون المتعلق بالحجاز.

وهناك دراسة لمليح عيسى حال الله بهوان أدب الرحلات عند العرب في المشرق، نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري، ناقش فيها موضوعات الرحلات، ولتعريف بأصحابها، وأفراد فصلاً لدراسة الأسلوب واللغة، إلا أنه دراسة سريعة لم يتبع فيها الباحث أدب الرحلات بالتفصيل، فجاءت إشارات عامة بحاجة إلى استقصاء وبحث يتم ما يتصور هذا النوع الأدبي من نقص في دراسة

ومن الدراسات الحديثة العامة التي تضمنت إشارات تزيد اعتبار أبحاثه ثراً أدبياً قصصياً، كتاب الرحلات المذكور شوقي صف ومجموعة من الأدباء، وكتاب حسن فهمي أدب الرحلات

ويمكن القول، إن إناجتي من الدراسات السابقة، تركزت في الاطلاع على نشأة الرحلة، وأنواعها، وموضوعاتها بشكل عام، إذ إنها لا تقدم صورة كاملة لهذا الأدب، ولأنه قدّمه الرحلة في الأدب والمغرب جدير بالاهتمام، بحيث يلقي الضوء على خبايا الرحلات، ويكشف عن أبعادها المختلفة وسياقاتها الفكرية والحضارية، ودورها في المجتمع الثقافي، وسماتها الفنية، وعلاقتها بالفنون، الفنية الحديثة للعمل القصصي، جاءت هذه الدراسة للإحاطة بمختلف الجوانب التي تحيط بالرحلات، من حيث هي فن أدبي له سماته وأصاليه، التي تشير إلى أصاليه أدب الرحلات وسماته العصر والمجتمعات، وعمدت العزم على أن أحاول لم شتات هذا البناء ودراسته دراسة تبرز الطاقة الأدبية والقصصية والإبداعية، وتتبع المساحات الواسعة للعديد من القصص النبوية والتقليدية، التي يمتلكها هذا الفن

ولعل من الصعوبات التي واجهت الدراسة، ندرة الدراسات التي ترى في الرحلات أدباً وفناً قصصياً، كما شكّلت بعض الرحلات التي حُققت حديثاً صعوبة أعاقَت مسار رحتي قليلاً لعدم توافرها في أثناء هذه الدراسة، إلى أن تمكنت من الحصول على بعضها أخيراً، ومنها رحلة أبي عصبية البجائي رسالة الغريب إلى الحبيب، تحقيق أبي القاسم سعد الله، أما رحلة عبد الله بن الصباح الأندلسي الموسومة بهوان ونشأت الأحبار وتذكرة الأحبار، فلم أستطع الوصول إليها، ولم ألق إلا على دراسة بسيطة نُشرت في



جملة دراسات أدبسية للذكور جمعة شبيحة، لدي ألسني من خلال لاتصال الشخصي به، أن رحلة ابن اصباح مخطوطة كبيرة الحجم، موجودة في دار الكتب الوطنية بتونس، ولم يتم تحقيقها حتى الآن.

وقد بذلت جهدي في سبيل تجاوز تلك الصعوبات، بالدروس والاستنتاج بما توافر لي من مصادر عربية في التاريخ والأدب والتراجم واللغة، ومراجع حديثة، إضافة إلى نصوص الرحلات نفسها، وكلّي أمل أن تسهم هذه الدراسة في إثراء المكتبة العربية، وبوسع معرفة لقراء أدب الرحلات الأدبسية والمعرفية

أما المنهج الذي اتبعته الدراسة، فقد كان ينبع من طبيعة مادة البحث، حيث اعتمدت منهج تصدري للمعارف، فالدراسة معنية بالكشف عن نشاط الرحلة ودراستها خلال مدة زمنية محددة، والمنهج التاريخي ضرورة لا غنى عنها عند تتبع هذا الجواب. أما المنهج التحليلي الوصفي، فقد استخدم لرصد الظواهر المختلفة في الرحلات وتفسيرها وتحليلها، لإدراك عناصر العمل الأدبي والقصصي.

وقد جاءت الدراسة في تمهيد وأربعة فصول :

ففي التمهيد، تناولت التعريف بالرحلة ونشأتها، ودوافعها وأهميتها، ثم أهم الرحالة ورحلاتهم، وإبراز الدور الذي قامت به في التعريف بالحضارة العربية. أما الفصل الأول، فقد عرضت فيه للسياقات الثقافية والمعرفية، والاجتماعية، ولدينية، وصورة المرأة، والآخر كما ظهرت في الرحلات.

وفي الفصل الثاني، بحثت أبعاد التفاعل الثقافي، ودور الرحلات في إبراز هذه الأبعاد وأثرها في مختلف السياقات الثقافية والمعرفية والاجتماعية والدينية. وخصصت الفصل الثالث، لدراسة علاقة الرحلة بأسيرة اذائية، والمذكرات وليوميات، والكشف عن نقاط التلاقي والاختلاف بين هذه الأنواع الأدبية.

وناول الفصل الرابع، دراسة جماليات التشكيل المعني لأدب الرحلات، في محاولة

لإثبات العلاقة بين الرحلة والفصاة

وفي نهاية رحبتي هذه ، فإن كل ما توصل إليه البحث، لا أذعي بوعه درجة  
الكمال ومخلوه من العزل، بل هو عمل قابل للزيادة والنقص في ضوء ما يستجد من آراء  
وافكار وما يكتشف من محطوفات وآثار، شأنه شأن أي عمل دراسي آخر، فإن أصبت  
الفصد من هذه الدراسة، ففصل الله أولاً ومفضل أستاذي الدكتور صلاح جرار ثانياً  
الذي أشرف عليها، وبدل لي من وقته وجهده، وسدد خطاي على الدرب الصحيح، فلم  
ألق عصا التيسار، وما حططت الرحى، وإن رأت قدمي فعمدي أنني ما رلت طالبة علم،  
وبلته من وراه انقصد، ياه أسأل الهدى والوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه أجمعين



## مَهَيِّدٌ

كانت الرحلة مجالاً رحباً، ينطوي على علاقات إنسانية، صارية في جذور التاريخ السحيق لهذا لكون، منذ المحاولات الأولى للكائن البشري في استهارة على الطبيعة، وهي محاولات نرى فيها صوراً صادقة لحياة الإنسان القديم، وصفحات من جهاده، إذ يمسح به ثياب الذعة ويرتدي ثوب الأرحام والتجوال، ليعبر عباب البحار، ويتحشم أعظم المشاسق، ويسر أخبار العرب والعجم، ويجمع أتيلد والطريف مما يدع عليه بصره من مشاهدات، ويسجل تراث أمة تشيد به صرح الحضارة

ومن خلال الرحلة، نرى العام، والعديد من مظاهر الحضارة الإنسانية، ونسافر مع الزخاف، والإنسان رحال بطبيعته، نواي أبداً إلى المعرفة، وريثاد المجهول، وحبب الاكتشاف، فالرحلة هدف يتماء العقل وتسعى إليه الروح، ولكن ليس من رأى واحذت الأسعار من عمره، كمن قرأ أو سمع فقط

والرحلة بعد كل هذا فهي من المعلومات ما يتمتع بها كل بحث، وهي مابع عينة بمختلف مظاهر حياة المجتمعات البشرية بما فيها من صور وأحبار ومغامرات، ومعارف وعموم، إنها حرائن تحمل بالمادة اشرية، لا في مجال الجغرافيا أو التاريخ وحسب، بل لئسم بالحضارة وتثقل قهوية تمكس صورة الإنسان حر العصور

### أ. بواعث الرحلة:

عرف العرب الرحلات منذ أزمنة قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام حيث كانت حياتهم تقوم على الحلق والترحال، إذ لا يكاد يستقر بهم المقام في منطقة حتى يرحلوا عنها إلى أخرى بحثاً عن الكلا والماء. وقد أشار القرآن الكريم إلى رحلتي قريش التجاريتين في الشتاء والصيف إلى الشام واليمن ﴿لَا يَلْبِثُ قَرْنَيْنِ﴾ ﴿يَلْبِثُهُمْ رَبُّهُ أَلْتَّيْنِ وَآلْتَّيْنِ﴾ ﴿٢٠﴾



مَلَبَسُهُ وَارِدٌ هَذَا الْيَتَرُ (٤) أَلْبَسَتْ أَلْفَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَنَاسَهُمْ مِنْ جُوعٍ (٥) فضلًا عن الحركة الدائنة للرعي والصّد فقد مارس الإنسان الصّد و تطوّر مدّدهور صحفة ناحشًا عن قوته، أو مدافعاً عن نفسه، أو ناشداً الرّياضة والمثبة<sup>(٦)</sup> لطبيعة المجتمع البدويّ الفائقة على الثقل والرعي وحاية مواطن العيش، وما يتصل بذلك من حروب تقطع وشائج الدّم والخلف ولحبّة، جعلت من الجاهليّ إنساناً عالمياً بالأرض في شؤون حياته جميعاً بما في ذلك الدّين فكانت شؤونهُ الاقتصاديّة صورة عن علاقته بالأرض أو نتيجة لها، وكانت علاقته الاجتماعيّة مدورها مرهونة شؤونهُ لاقصاديّة، وسرحي منها، وبما رحل وانفتح<sup>(٧)</sup>.

والى جانب ذلك أصبحت الرّحلة عَصراً أساساً من عناصر القصة الجاهليّة<sup>(٨)</sup> ونحنشاً كتب الشعر الجاهليّ، وتراجم لشعراء عن رحلات بعض الشعراء دخل الجزيرة العربيّة أو خارجها، إلا أنّها لم تدوّن على نحو أدب الرّحلة كما نعرفه، وإنّما وصلنا ضمن مصامير الشعر الجاهليّ، أو ضمن تراجم بعض الشعراء<sup>(٩)</sup>. وفي العديد من النصوص الجاهليّة نجد ذكراً للدّوّالّ المعسرة عن الرّحلة، يقول الأعشى<sup>(١٠)</sup>.

(١) سورة قريش، آية ١ - ٤.

(٢) الصالح، عباس مصطفى، (١٩٧٤) لمد والطرود في الشعر العربي حتى نهاية القرون الثامني اعجري، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص ١٤

(٣) رومية وهب، (١٩٧٩) الرّحله في القصيدة الجاهليّة، ط ٢، بيروت مؤسسة لرسالة، ص ١٩

(٤) انظر رأي بي قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ب ٢٧٦هـ) في بية القصيدة الجاهليّة الشعر والشعراء، مطبعة بريل، طبع في مطبعة ليند، ١٩٠٢، ص ١٤-١٦.

(٥) صحراوي، عبد السلام، (١٩٨٧) أمين الزبجاني، الأدب الرحالة، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، ص ٢٧٧

(٦) انظر ترجمته في، ديوان الأعشى، در صادر، بيروت، لبنان، ص ٥ ٦، وأكسهياني، أبو الصرح، (ت ٢٥٦هـ). لأعاني، دار الفكر، مع ٣، ج ١، ص ٧٤ ٨٤.

كَأَنِّي وَزَخْلِي وَالْهَيْثَانُ<sup>(١)</sup> وَتُسْرَقِي<sup>٢</sup> عَلَى ظَهْرِ طَدَوْ<sup>(٣)</sup> أَسْفَعُ<sup>(٤)</sup> أَخَذَ أَحْمَدُ<sup>(٥)</sup>  
ويقول النبعة الديني<sup>(٦)</sup>.

كَأَنِّي شَذَذْتُ الرَّحْلَ يَوْمَ تَشَلَّزْتُ<sup>(٧)</sup> عَلَى قَارِحِ<sup>(٨)</sup> عَمَّا تَضُنُّنْ عَائِلُ<sup>(٩)</sup>  
ونكثر مثل هذه الإشارات في النصوص الخاهنية النكاسة على حصور الرحلة  
ومستلزماتها وأدواتها ومحيطها، وليس هذا مجال التعرض لها

(١) البتة: عشه يكون للرحل من آدم، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ) لسان  
العرب، دار صادر، بيروت ٣٦١/١٢.

(٢) محرقى الوسانة، المصدر نفسه ٣٦١/١٠

(٣) طادو: بقصد التودد الوحشي، ديوان الأعرشي، ص ١٨٧

(٤) أسفع الذور: الوحشي الذي في حذيه سواد يصرب إلى الحمرة قليلاً، انظر، ابن منظور، لسان  
العرب: ١٥٧/٨

(٥) أحسنا أصح من مص لأوسه، وقل الحتم عطف الأص كذا، ومن مص في أص التودد انظر، المصطلح  
نفسه ١٦٥/١٢

(٦) ديوان الأعرشي، ص ١٨٧

(٧) انظر ترجمته، ديوان النبعة، حمد وشرحه، ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، الشركة التونسية  
للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٦، ص ١١، ٢٢، ولأصهاني، الأعاني، ١٦٢/٩،  
والمعاني، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ) حرفة لأص، ولأص لسان العرب، هي  
بشرة المطبعة السلفية ومكتبتها، وإدارة المطبعة النورية، القاهرة، ١٩٦٨: ١١٦/٧

(٨) تشلّزت تشلّزت الشاهد والسرعة في الأمر، وتشلّزت البتة إذا رأت وعي سره، فحركات برأسها  
مرحاً وفرحاً، انظر، ابن منظور، لسان العرب: ٣٩٩/٤

(٩) قارح: الفرس إذا تمّ حمها، أو البتة أول ما تحمّل، انظر، المصدر نفسه ٥٥٩/٢ وفي ديوان النبعة  
المفرد هو حمار وحشي في قوة من، ص ١٨٥

(١٠) عائل: اسم جبل يكثر فيه حر الرحش انظر، ابن منظور، لسان العرب ٤٦٥/١١

(١١) ديوان النبعة، ص ١٨٥.



ومما جاء الإسلام، وتوقع نور الدعوة الإسلامية، أخذ المسنون يحسبون البلاد، وسادحوا في أرجائها ومبديها، جهاداً في سبيل الله وإعلاء لكلمته، ففارق العرب الأمم التي سبقتهم فيما حلقوه من آثار في ميدان الرحلات، وساعدتهم على ذلك تساع رقعة الدولة الإسلامية، فلقد كانت رحلة العرب المسلمين في فتوحاتهم الكبرى، من الرحلات الهامة التي امتدت لتشمل أصقاعاً واسعة من الأرض، ليكون بعد ذلك هذا الاتساع في حدود العالم الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية من أكبر الدوافع إلى إمتلاء نفوس المسلمين على اختلاف طبقاتهم بحب الأسفار إلى الأمصار وامتداد أنظارهم إلى الأفاق البعيدة، والتوغل فيها، وشنّ قلب الصحراء، الأمر الذي يؤكد الحفرة البرية والبحرية والجغرافية للعرب وغيرهم من الشعوب المجاورة التي أسلمت، إذ تتطلب إدارة شؤون البلدان والمناطق، لقضوة معرفة تامة لأحوالها المختلفة، وبالتالي، فقد كان دور المؤرخين ولكتاب وصف تلك المملكات والبلدان ووضع المعاجم الخاصة بها

وقد أدرك لقرآن الكريم العزائم في مواطن مختلفة؛ ليحملها على فتحام القفار والبحار، والتوغل في الصحراء ولازخمال، واستطلاع للعجائب، وكشف الخدي

يقول الله عز وجل داعياً إلى السير والنسب في جوانب الأرض ﴿هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ لَكُمْ الْأَرْضَ وَلَوْلَا فَتَنَّا فِي مَائِكُمْ وَلَكُلْ مِنْ زَيْفَةٍ وَإِنَّكُمْ لَأَشْقَى﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى ﴿قُلْ يَبْدَأُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أُنْطَرُوا صَكَبٌ كَأَنَّ عَذِيقًا مَكْرُوبًا﴾<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى أبصا ﴿وَلَهُ الْخَازِنُ الْمُتَنَبَّأُ الْبَحْرُ كَالْأَخْيَارِ﴾<sup>(٣)</sup> وقد نشأت حاجة كذلك إلى تدوين السنة الشريفة، والرحلة من أجلها

وهكذا، فإن أفراض الرحلات تحتف باحتلاف الأعراض الإنسانية، التي رادت بعد مجيء الإسلام، الذي وسع بدوره آفاق الرحلة العربية، وعدد دوافعها، وبهذا بلغت

(١) سورة طه الآية ١٥

(٢) سورة الروم: الآية ٤٢

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٤

الرحلات ذروتها وارتفع شأنها، خاصة خلال فترة الفتوحات الإسلامية وما تلاها من عصر الاستقرار والمعرفة والحصار، مروراً بمرحل الخصوع والاستسلام لحنل قوي، وحسب ملية بالملق لسياسي ومشاط علمي وأديبي على الصعيد الثقافي وقد كتبت لرحلات الأسلية والمعرية إلى المشرق، إدرى بقولا زيادة أن رحلة المخرية إلى المشرق كانت على وجه العموم أكثر من رحلة المشاركة إلى الغرب، مرمو الخ في المشرق ومدد العلم الأولى فيه، فكان من الطبيعي أن يزور المعاربة المشرق أكثر من زيارة المشاركة لئلاهم<sup>(١)</sup> ولم تكن ارحلات مقصورة على جانب واحد أو طريق واحد، وإنما كانت تتم بين المدن الأدلسية بسها المعروفة بالشاط اعلمي والمخرية الثقافية الراسعة مثل قرطبة، وإشبيلية، وبلنسية، وخارج الأدلس والمغرب ويمكن أن توجز<sup>(٢)</sup> أسباب رحلة المعاربة والأدلسية في العومس التالية:

### أولاً: الضرورة:

عرف الإنسان ارحلة منذ أن عرف الحياة على الأرض، وحملته الياسة، وارتبط بها وأحبب لها وعرفته له من أس واستقرار. إلا أنه قد يعمرض لعارض يدفعه لمجر وطنه فيخادوه بحثاً عن الكلا والماء، وهرباً من مصيبة كظلم حاكم أو أمير، أو بأساً من المجتمع، وما قد حل به من حروب وبزعات محلية، وظروف اجتماعية قاسية، وويلات وبكيات.

(١) زياد، مولا، (١٩٦٢) المخرية والرحلات عهد العرب، بيروت: مكتبة المدرسه ودار لكتاب

اللساني، ص ١٦٧

(٢) انظر، تقسيم لرحلات عهد، لكلسي، محمد بن عثمان، لأكسبر في فكك الأسير، حقله وعس

عده، محمد نكاسي، مشوات الممر لحامسي للمحث العلمي، الرماط، ١٩٦٥، مقدمة، ص.خ،

د، د، ر، ونظر في تفصيل سباب، ارحلات عمومأ، صاف، حبيب، (١٩٩١) أدب الرحلة، ط١،

الشركة المصرية العالية للشر - لولجيدان: مكتبة لبنان، ص٩-٤٩، حيث يورد أسباباً عديدة، ديدة،

وقتصادية، واجتماعية، وعلمية .. إلخ



فانخرض أو اندفع لرحلة أبي بكر بن العربي<sup>(١)</sup>، يبدو واضحاً من خلال مواضع متفرقة وردت في نصّ الرحلة في قانون التأويل، قدعت الضرورة إلى الرحلة، وفخرنا

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الحارثي (٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ - ١١٤٨ م) ولد بإثنية، ولكن لم يلبث أن عادها إلى دمشق بحسبة والده بعد روال دولته آل حسان، تلقى على يد العراقي، ولقي أبا بكر الطرطوشي في بيت المقدس، وتلقى العلم عليه، وسرع في الفقه والحديث والأدب، وقد سجل أبو بكر بن العربي أحداث رحلته في كتاب معهود ترتيب الرحلة للعربي في الملة، وقد وردت الإشارة إلى هذا الكتاب في كلام لأبي العربي في فتح الطبيب عند الحديث عن المائدة في القدس، حيث يقول: وقد شرحت أرمها في كتاب ترتيب الرحلة بأكثر من مئة غير أن هذه الرحلة لم تصلنا، إنما وصلتنا بعض المتقطعات منها في كتابيه استحكام العراق وقانون التأويل، وهناك دراسة للدكتور عباس، إحسان، (١٩٨٦) عنوانها رحلة أبي بكر بن العربي كما صورها قانون التأويل، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، السنة ٢١، العدد (١)، ص ٦١ - ٩٢ ونظرة ترجمة ابن العربي ابن حلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، (ب ٦٨٦ هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢ - ٢٩٦ - ٢٩٧، ومس شكوار، أبو القاسم حلف بن عبد الملك، (ت ٥٧٨ هـ) الفصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩ - ٢٩٠ / ٢، ومس حماد الحلي، أبو الملاح عبد الحفيظ، (ت ١٠٨٩ هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط ١، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ - ٣٠٨ / ٤، ٢٠٩، ومس حافظان، الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الأنسلمي، (ت ٥٦٩ هـ) مطمح الأعصر وسرر التنس في ملح لعل الأسلم، ط ١، تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٩٧، ولقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التتائي، (ت ١٠٤١ هـ) أزهار الرياض في أخبار صباه، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرياض ١٩٧٨ - ٨٦ / ٣، ٩٥، والمصري، عن بعض المصادر في كتابه مع طبيب من غصن، لأندلس الزطبيب، ط ١، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ - ٢٥ / ٢، ٤٣، ومس سعيد، أبو الحسن علي بن موسى، (ت ١٨٥ هـ) الأقرب في حلى المغرب، ط ٣، تحقيق شوقي صيف، دار المعارف، مصر، لقاهرة، ١٩٥٣ - ١٩٥٥ / ٢، ٢١٩، وكراتشكودسكي، أساطيرس يوليوتوفس، (١٩٨٧) تاريخ الأدب المعرفي العربي، نقله عن الروسية، صلاح ندي عثمان هاشم، ط ٢، بيروت، لبنان، دار لوط الإسلامي، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

و لأعداء يشمتون بنا<sup>(١)</sup>، فخرجنا مكرمين أو قل مكرهين<sup>(٢)</sup>. وكلّ هذه العبارات تشير إلى أن الرحلة كانت وسيلة للمقاومة عندما تغيّرت الأحوال في الأندلس برؤال الدولة العباسية<sup>(٣)</sup>.

ويبدو جلياً أن أبا بكر بن العربي، من خلال رحلته ترتب الرحلة التي لم يعثر عليها حتى الآن، قد وضع حجر الأساس لأدب الرحلات<sup>(٤)</sup>، حيث استطاع أن يرسم مر حل تطور العقيدة الأندلسية شكلاً وروحاً على صفحات أسفار عظيمة، نسينا منها الآن الثر السير والإشارات الواردة في كتب التراجم، وقد صوّر مشاهداته في السلا التي زارها، وذكر من تفهم من العلماء والمقهاء والمحدثين في مصر والشام والقدس، فمكس لك صورة الحركة العلمية في تلك البلاد.

وقد نقل حسين مؤنس حطة أو رسالة لأبي العربي من مخطوط صوره محمود علي مكّي من مكتبة القرويين في فاس، يقول فيها ابن العربي: «لما سو حير الفضاء برحلي إلى تلك المشاهد الكريمة وحلولي في تلك المقامات العظيمة، دخلتها والممر في عتوانه، ولخصي مائس بأفئته والكتاب محترم». وفتقرت من كلّ فنّ فقرة حسبما فسّرت وأوصحت وشرحت وبيّنت، ومررت وبرلته في كتاب ترتب الرحلة للترعيب في المنة وذكر في لقاء الأعيان لئسا، وسير المصلا مما ولحظهم بلانسا سائر التعلّيب، ومقابلتهم... وأتبعناهم جملاً من طرائعهم...»<sup>(٥)</sup>.

(١) أبي العربي، قانون التأويل، ٢، تحقيق محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٩٩٠، ص ٧٥

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٧

(٣) عباس، إحسان، راحة أبي بكر بن العربي كما صوّرها قانون التأويل، مجلة لأبحاث، سنة ٢١،

العدد ٦١-٦٠، ص ٦١-٦٠

(٤) انظر، كراتشكوفسكي، تاريخ أدب المغرب العربي، ص ٣٣١

(٥) مؤنس، حسين، (١٩٦٧) تاريخ لخرافة وخرمير في الأندلس، ط١، مدريد، معهد الدراسات

الإسلامية، ص ٤٠٦-٤٠٧



وند عاني بعض الأدياء الأندلسيين كثيرهم من ظروف أحاطت بهم، وأرعبتهم على معاداة البلاد مكرهين، وهم يحملون وطنهم في قلوبهم، حيث لا يقرب عن البال ما للظروف السياسية الداخلية والخارجية من أثر في إقامة شخصيات مغربية وأندلسية في المشرق، بل وحتى للبلاد المسيحية عبر العصور، فهذه الانقلابات والدماسيس والحروب ولؤامرات داخل الأسرة الواحدة، وبين أسرة حاكمة وأخرى تطوع إلى الحكم، دفعتهم إلى الخروج من الديار، فأنقذ مرات واستعافات التي دبرها أعداء لسان الذين بن الخطيب<sup>(١)</sup> أتت أكلها، حين مجحوا في الإيقاع بين وبين مليكة المعني بالله<sup>(٢)</sup>، بعد ما كان بينهما من ود وصداقة، وبذلك لم يعد اللقاء في غرناطة أبداً وسط هد الجوار المشحون بالتحامل والكراهة. ولذا يتوخى ابن الخطيب إلى لمرب

(١) هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد الصمائي يكنى أبا عبد الله، ولسان الدين، وطاهر الصيب، ولد في لوشة قرب غرناطة ٧١٢هـ وتوفي في أوائل ٧٧٦هـ/ ١٣١٣م، ١٣٧٤م، أسس إليه الخليفة المعني بالله الكتاب والوزارة وسماه دار الوزارة، انظر ترجمته ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨هـ) تاريخ بن خلدون، المعبر وديوان الندا والحبر في أيام العرب والصالحين والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، ط ١، ج ١، مطبعة مطبعة، مطبع ترمكي مرسان الصنعتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ٣١٩/٧. ٣٢٤، وابن الخطيب، لإحاطة في أخبار غرناطة، بدون ط، تحقيق محمد عبد الله حان، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥، ١ مقدمة المحقق، ٤٣٨/٤، ٥٧، ولقري، أزهار الرياض ١٨٦/١، ٣٢٠، وفي مران متفرقة من الأجزاء ٣، ٤، ولقري، فتح الطيب ٧ أجزاء، وفي صفحات متفرقة وتاريخ الأدب المغربي العربي، ص ٤٩٣، ٤٧٤، ٤٦٠.

(٢) محمد الخامس بن يوسف الأول، ولي الملك بعد أبيه، وكان عفيف النفس، انظر ترجمته، ابن الخطيب، لإحاطة ٢، ١٤ وما بعدها، ودرج ابن خلدون ٣٧٨/٧، ولقري، فتح الطيب. ١/٣٢١، ٤٥٢، ٥٠٧، ٥١٣، والأجزاء ٣، ٤، ٥، ٦، ٧ في صفحات متفرقة، والسلاوي، أحمد بن خالد الناصري، (ت ١٣١٥هـ) لاصف لأخبار دول المغرب الأقصى، بدون ط، أشرف على النشر، محمد خيمي، وإبراهيم أبو خالص، وأحمد التوفيق، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المغرب، ٢٠٠١، ١٨٢/٤.



من ها يدرك أن لرحلة ضرورية في حياة الأندلسي والعربي، فرضتها عليهما مساحة الأندلس الواسعة، وبعلها الشاسع عن المشرق، وتكالب الأعداء عليها، لاحتلالها، وتعا لذلك تعددت دواعي الرحلة وأنواعها، وهذا ما أكدّه محمود سالم محمد في قوله "وكان لحسين المغاربة ونشوتهم للأماكن المقدسة، لون خاص نبع من بعد بلادهم عن الحجاز، وما يتجشموه في الرحلة إليها، فكان الوصول إلى الأماكن المقدسة عندهم غاية الإدراك وأمنية الأمانى".<sup>(١)</sup>

ولعلّ ما نلجده من مشهد الرداغ والموضوعات لوجدانية -فيما يكتبه الأدباء- وثيق الصلة بالإنسان الأندلسي الذي رحل عن وطنه، إذ تتجلى في رحلاتهم معاني الأغراب الفاسية. والتلحظات الحاصلة بين فرح اللقاء الطويل لم تمنح من العودة، ومرارة المراق المتدب لمن قصى ما بقى من حياته حالماً بالأيام

فقد ارتحل ابن سعيد لمعربي<sup>(٢)</sup> طلباً للعلم وبلحج إلى المشرق، ولكن عيها أن تسبه الرحلة الأندلس وأن يسلوها، فقد قل ولما قدمت مصر ولقاهرة أدركتني فيها

(١) محمد، سالم محمود، (١٩٨٧). للمناخ التنويري في نهاية العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، عم مشورة، جامعة دمشق، ص ٢١٤

(٢) أبو الحسن عيسى بن موسى بن سعيد لمعربي (٦٦٠هـ - ٦٧٢هـ / ١٢٧٤ - ١٢٧٤م الأديب، والرحالة، الإحصاري، العجيب الشأن في التجول في الأنظار، أحد عر أصلام إشبيلية كأي عيسى انشوين، رأي الحسن الدناح، وبوالبع كثيرة، منها لرقصات والمطربات والمغرب في حسي انعرب وشرق في حسي اشرق انظر ترجمته، ابن سعيد لمعربي، المغرب ١٧٢/٢، ١٧٩، وبس عبد الملك لراكشي محمد بن عبد الملك لأنصاري، لأوسي، (ت ٧٠٣هـ) الدليل والكنة لكتابي الوصول والفضلة، تحقيق إحسان حاس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥، السمر لحاس، القسم الأول، ص ١١١، والكني، محمد بن شاهر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ) قناب الزباج، حققه وهبط وحسن عليه محمد عي الذي عبد الحميد، مكتبة السعادة، مصر، ١٩٥١، ١٧٨/٢ - ١٨١، والسويطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت ٩١١هـ) نعة الوعالة في شعاع المصوبين والحاة ط ٢، لمحقق محمد أم الفصير لإبراهيم، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٩، ٤٠٩/٢، والمصري، صبح الطيب ٢٦٢/٢، ٢٩٢، والسلاوي الاستنسا ١٦٠/٣، ريلنيا أنخل جيتالث، (١٩٥٥) تاريخ الفكر لأندلسي نقله عي الإسبانية، حسن موسى، ط القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ص ١٣٥ - ١٣٦



وحشة، وأثر لي تذكر ما كنت أعهده بجزيرة الأندلس من المواضع لمهجة، التي قطعت بها لعش عصاً حصاً وصحبت بها الزمان غلاماً ولست الشباب قسماً، فقلت<sup>(١)</sup>

هذه مصر فأتيت المغرب<sup>٢</sup>      فلما نأى عني ذووعي نسكسب  
مع شمس طلعت في عاصري      ثم صارت في فؤادي ثقبوب  
هذه حالي وأب حائسي      في در مصر ههكر فتعصب

فهو في مرثته يحول رسم صورة لوطه في تحيكت ليظل قريباً منه

ويمكن القول إن من أهم الأسباب التي أحرقت الأندلسيين على الزوج عن أرضهم، هي العنق والحروب الداخلية والخارجية، فقد أصيب المجتمع بتموجات متحركة كدت أحياناً تحل من تواريه، ويرك فيه آثاراً نفسية عميقة، وقد بدأ هذا الحلاء الذي يصرب على المستقرين بيد الشتات في حافة الفتنة الأمازيغية أولاً، واسياح كثير من أهل قرطبة فراراً بأرواحهم في وادي لأندلس المحتلة، ثم تزايدت حركة الحلاء إثر سقوط بعض المدن في الحروب الداخلية، وكان على أشد أحواله عندما تسقط مدينة في يد العدو الأجنبي<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: تعامل الديني:

يمثل هذا التعامل السبب الرئيسي والأول لأغلبة التوجهين إلى المشرق الإسلامي<sup>(٤)</sup>، فهو العمل الذي يقضي بشد الرجال من كل حذب وصوب إلى الحجاز والأماكن المقدسة،

(١) القري، مع الطيب ٨٢١/٢ - ٨٢٣، وبالشيا تلويح الفكر الأندلسي، ص ١٣٦ - ١٣٧

(٢) صان إسحاق (١٩٦٢) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطيين، ط ١، بيروت، لبنان دار الثقافة، ص ٣٢

(٣) هناك إشارة لرحلة عظيمة لمد الجيد بن علي الريادي الشافعي، (ب ٢٠٩ هـ - ١٧٩٤ م) سنده (نوع الحرم بالرحلة إلى بيت الله الحرام)، وتوجد منها نسخة في المكتبة العامة بالرياض. رقم ١٨٠٨. في ١٨٤ ورقة تضمنت نصيدة رالية في ١٢٩ بيتاً جامعة لمراحل الرحلة من مصر إلى مكة مع مباحث ملح عليها شرح اسمه ألقاب المسكين التائب بيان لمراحل الرحلة والفتنة البهوية، خالد بن عيسى، (ب ٧٦٥ هـ) تاج المرق في تحلة عماء المشرق، بدون ط، تحقيق لحسن السامع، مطبعة فضالة بمدينة، المغرب، ص ٧٦/١

لأداء فريضة الحج، لواجبة على المسلم ما لم يمتنع عائق من صعب أو قلّة مال قال تعالى ﴿وَأَيُّدِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(١)</sup> ويقتضي هذه العائل أيضاً زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، والمزارات الدينيّة الأخرى، كنسجده الأقصى أوّل لقبليّين، وثالث الحرمين وقبور الأبياء والصّحابة والأولياء، في كلّ من بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها، ويعدّ هذا العائل من أقوى البواعث على الرّحلة فهو يبعث الحزين في عوم الأندلسيّين والمغاربيّة على ارتداد البلد الحرام، فالخروج من أهمّ الشّواحيح التي تربط بين المشرق والمغرب، وعملت على توحيد لثقافة في مدثر أنحاء البلاد الإسلاميّة، على سرّغم من المسافات الشاسعة التي تفصلها عن الحجاز، ولم تستطع هذه المسافات أن تحول دون توجّه الأندلسيّين والمغاربيّة للحجّ وزيارة البقعة المقدّسة، حيث يدفعهم الشوق إليها، وإلى منتهى الأصيلي في المشرق، فما أن يصل أحدهم هذه الدّيار حتى يطفح قلبه فرحاً وتفضّض مشاعره، كما رأوا وحلاّلاً، كما هو حال ابن جبير<sup>(٢)</sup> حين شارف لغنيّة النّوّة التي أصاب مور الإيمان غمة الليل فيها

(١) سورة الحجّ الآية ٢٧

(٢) أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكتاني البلسي، (٥٤٠ هـ - ٦١٢ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٧ م) كان أحد فرسان البلاغة بارعاً بليغاً، شاعراً مجيداً، قام بثلاث رحلات، وعن سبب رحلته الأولى هناك حاكم قرطاطة أبو عثمان سعيد بن عبد الواسع سمع بابن جبير فأمر أن ينضمّ إلى كتّاب ديوانه، ولما جلس إليه أحبّه وقربه، وكان يدعوّه إلى مجلس شربه فيليّ أبو الحسن وفي إحدى المرات، طلب إليه الحاكم أن يشرب معهم، فاعتذر ابن جبير، فالتزم الأمير أن يشرب أبو الحسن سبعة كؤوس، فاضطر ابن جبير أن يشرب على مضض كما شاء كاساً - ولما لا الأمير الكأس التي شرب فيها بالذّائبر الذهبيّة، وأمره أن يشرب منها - ومع ذلك ظلّ من جبير عامداً بسبب ما فعله، فقرر أن يمتنع هذه الذّائبر عن رحلته حجّ إلى بيت الله الحرام، فيجعلها كعاره شرّبه أمضى أكثر سنوات حياته متعلّقاً في الدّيار الإسلاميّة بين مكة وبيت المقدس والقاهرة إلى أن وافته النّية بالإسكندرية انظر ترجمته، المقرئ، مع الطّيب ٢/ ٣٨١-٣٨٨، والقمي، القاسم من يوسف، (ب ٧٣٠ هـ) مستعاد الرّحلة والاعترا، تحقيق عبد الحفيظ منصور، اندلس العربيّة للكتاب، لبيد، بوس، ١٩٧٥، ص ٢٤٣، وابن سعيد المغربي، المغرب ٢/ ٣٨٣، وكوتشكوفسكي، تاريخ الأدب المغاربي العربي، ص ٣٣٥، الأصمري، حد القدس (١٩٧٧) مع ابن جبير في رحلته، بدون ط، القاهرة المطبعة العربيّة الحديثة، ص ١٦.



أَقُولُ وَأَنْتَ بِالْبَيْلِ نَارٌ لَمَنْ سَبَّاحُ الْهُدَى قَدْ أَثَارُ<sup>(١)</sup>

ويصف ابن جبير رحلته الطويلة الشاقة إلى هذه القلعة المباركة:

إِلَيْكَ إِلَيْكَ نَيْيْ هُجْدَى وَكَيْتُ الْبَحَارِ وَجَيْتُ الْبَيْفَارَا

وَفَارَتْ أَغْلَى وَلَا مَيْسُ وَزُبَّ كَلَامٍ يَمْرُؤُ اخْتِلَارُ<sup>(٢)</sup>

بعد كل أساس خروج ابن جبير ورحلته إلى المشرق، أداء فريضة الحج، فحج وسمع من بعض علماء الشام ثم عاد إلى المغرب، وكان به أكثر من رحلة إلى المشرق.

أما البغدادي<sup>(٣)</sup>، صاحب الرحلة المغربية، وهي رحلة حجازية قيسية، تنحصر بأهها تحت عبر البرية، فلم يركب البحر كما فعل غيره من الرحالة، وهذا يعطيا صورة حية عن قوائم الحج ابرية، وكيف كانت سير عبر الطريق والمخططات التي كانت على امتداد الطريق، ويتوقف فيها الركب طلباً للرأسة، أو للتزود بالماء والمؤن، كما وصف البلاد التي

(١) ابن الخطيب، الإحاطة ٢/ ٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٣٦.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود البغدادي، حاد الطبع، وقوي الشهامة، أصله من بلسية، وكان من سكان حاحة الواقعة على شاطئ المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى، وكان حرواح من مائة سنة ٦٨٨ هـ فمّر على مملكة سوس فاطماً الجيوب العربي من المغرب إلى الشرق إلى تلمسان، وبوس، والقروان، ثم فاس، وطرابلس، وبرقة و لاسكندرية، ثم القاهرة ومنها قصد مكة المكرمة لقضاء فريضة الحج، ووجه بعد ذلك إلى المدينة المنورة ثم مدينة الخليل وبیت صلدس، ومنها إلى القاهرة، ثم شرع في الرجوع إلى بلاده عن طريق تونس والمغرب، ووصل إلى مدينة تار في فاس، ثم رحل منها إلى أن وصل إلى مدينة لزمور ثم إلى مدينة اسمي لا يعرف ميلاده، ومو في عو (٧٠٠ هـ) وقد شرب رحلته في المغرب عام ١٩٦٨م بمقدمة محمد القاسي انظر ترجمته، القرني، معج الطيب ٢/ ٤٨٢، ٥٨٩، والروكسي، حج السنين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بدون ط، دار الأعظم للكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٨٤، ٧/ ٣٢، وبالتياء، تريح الفكر الأندلسي، ص ٣١٨، وكراتشكوفسكي، تزيخ الأدب الحضاري العربي، ص ٩٣٧



مرَّ بها موضعاً الحالة الاجتماعية والعنمية والثقافية السائدة في تلك البلدان في القرن السابع الهجري.

ويذكر ابن بطوطة<sup>(١)</sup> في فتح رحلته سبب خروجه من وطنه إلى المشرق كان خروجه من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب القرد عام خمسة وعشرين وسبع مائة، معتمداً حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup>.

ولعلَّ هذا العامل يطوي على عامل نفسي، نلاحظه في شدة تعلق الأندلسيين ولعازبه بزيارة الأماكن المقدسة والمجاورة بها، إلى أن تحضرهم الوفاة، فيدفنون في أرض طيبة يجرار لصحابة والتابعين وأرض الأنبياء، فأبو عبيدة ابيجالي<sup>(٣)</sup> في رحلته السَّماة

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم السواني الطنجي (٧٠٢هـ - ٧٧٩هـ / ١٣٠٤-١٣٧٤م) تنسب أسرته إلى قبيلة كوانه وهو رحالة مؤرخ، ولد وشأ في طنجة ما يقرب الأقصى. وطاف مختلف البلاد واتصل بكثير من الملوك والأمراء، وعاد إلى المغرب فائقع إلى السلطان أبي عباد من صوك بني مرين، فأقام في بلانه ترجمت رحلته إلى لغات عديدة منها: البرمالية والفارسية والإنجليزية، ومات في مراكش انظر ترجمته، مقتطفات ابن خلدون ١٤٣-١٤٤، والنزركلي، الأعلام ٦/ ٢٣٥-٢٣٦، وكراشكوسكي، تاريخ الأدب المغربي العربي، ص ١٥٦-١٧٧.

(٢) رحله ابن بطوطة تسماء تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. تحقيق دويرش الجويندي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٤-٢٠/١.

(٣) أبو عبيدة أحمد بن أحمد البجاني النشأ والدار، الفسائي الأصل (ت ٨٦٥هـ)، عاش في القرن التاسع الهجري في الجزائر وتونس أثناء العهد الحفصي، وكان زاهداً في الدنيا، ولم يعثر على ترجمة له في كتب التراجم سوى السدة التي مساهم أبو عبيدة منه في رسالته إلى صديقه أبي الفضل الشاذلي، انظر ترجمته، رسالة العريب إلى الحبيب، ط ١، عرّفها وعلّق عليها أبو القاسم سعد الله، در العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، ص ١٨-٢٥.



رسالة الغريب إلى الحبيب، نحمده وقد حقق ما كان يصبو إليه نزوله بالحجار، وبالحجارة في الحرم المدني، وأنه حقق الراحة النفسية وطمان البال، وقضى أوقاته في التدريس<sup>(١)</sup> التدريس<sup>(٢)</sup>

ومن اللافت للانتباه أن بعض الرحلات اتحد رحلته الحجازية لمائة الوعظ والتعظيم، فالرحلات أكثر المدارس تنقعا للإنسان وإغناء لفكره، وأملانه عن نفسه وعن الآخرين، مهما احتلقت دوافعها وتبعث وسائل السفر وتنوعت مآدتها فسد الله بن لفتاح الأندلسي<sup>(٣)</sup>، يسرد أخبار رحلاته في رحلته المسماة مشاب<sup>(٤)</sup> للمسلمين الذين بقوا في الأندلس بعد سقوطها في يد الصاري (الإسبان)، فالتزم به بأرض

(١) انظر: رسالة الغريب إلى الحبيب، ص ٦٠٦، دراسة أبي العباس محمد العبد، ١٩٩٠. رحلته التي

عصيدة البحاني من نهاية إلى الحجار، مجلة العرب ج(١٠)، ص ٦٢٣-٦٢٧

(٢) لم يطر على ترجمة له في كتب التراجم، ويقول جمعة شيعة في بحث له بعنوان بعض المظاهر الأدبية في رحلة عبد الله بن الصباغ الأندلسي إنه لم يجد ذكراً له في كتب التراجم لأنه لا يسبب إلى طبقة العلماء أو لبقائها، أو لأديبه، وكل ما يعرفه مقتبس من رحلته، فهو من سكان إفريقية، واستمر في الإقامة بها حتى سقوطها في يد فرديناند الأراغوني سنة ٨٩٥هـ وهو ينتمي إلى قبيلة عربية قحطانية من الجنوب، هي قبيلة العنابيين ليمانية، وهي إحدى القبائل التي دخلت الأندلس عند فتحها في نهاية القرن ١١هـ، انظر: مجلة دراسات أندلسية، العدد (١٢)، ص ٢٥.

(٣) بين أن من خلال مراسله مع الكسب جمعة شيعة أن الرحلة مخطوطة موجودة في المكتبة الوطنية بتونس، ولا يتوفر عنها سوى ما ورد في المرجع السابق، حيث يذكر جمعة شيعة أنه قد بدأ في تحقيقها منذ عام ١٩٩٤م، وهي رحلة جعلها ابن الصباغ بمسود مشاب الأخبار وذكره الأخبار ويقول كلمة مشاب من تشب يشب وشبه الشيء في الشيء أي غش، والصيغة التي جاءت عليه الكلمة صيغة بالغة معناه لقد قصد المؤلف أن تكون رحلته كالأدلة التي يعلى بها كل شيء، وبالتالي نلغظ كل الأخبار، وقد أملأها من ذاكرته، وهو بين الستين والسبعين من عمره، وقد صعب بصوره، ويوح أنه قام بهذه الرحلة في أواخر النصف الأول من القرن التاسع الهجري، وذلكة النصف الثاني منه بالاعتماد على لمائة من الرحلة، والاعتماد على بعض أسماء السلاطين لأتراك كمراد الثاني (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥٢م) وأسماء بعض العلماء كسيد الدين البلخي (ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) انظر:

المرجع السابق، ص ٣٧ وفي معنى مشاب انظر، من مخطوطات سائر العرب ٧٥٧/١

الإسلام الثرائية لأطراف لتعريف لروح الدينية في نعوس المدينتين بالأندلس. غاية قصد المؤلف بلوغها، لذا فقد عمد صاحب الرحلة إلى التأكيد على بعض المظاهر الدينية، لتمجيد الإسلام وتعريزه في نفوس أهله من (المدينتين) <sup>(١)</sup> بالإنصاف مع مذهب تلقيني تعليمي، يظهر من خلال كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية والسنة النبوية، والتذكير بواجبات المسلم الدينية كالصلاة والركعة والحج، وكان ابن الصبّاح أثناء وضعه لرحلته يتعرض إلى بعض القضايا الدينية، ومن هذه القضايا قضية الجهاد والعبادة، أيهما أفضل ؟ وقضية بقاء المسلم تحت حكم لخصاري بالأندلس . . . <sup>(٢)</sup>

وتبدو النزعة التقييمية في رحلة ابن الصبّاح من الصور التي رسمها للأماكن المقدسة مكة المكرمة، ومسجد الرسول بالمدينة، والمسجد الأقصى بيت المقدس، وحرم الخليل، ولا تخلو الرحلة من فوائد كثيرة تتعلق بالعمارة والافتتاح، وتقدم لنا كذلك صورة عن المستوى الثقافي السائد في لقرن التاسع الهجري

ويبرز حضور المكان المقدس، كذلك، في رحلة يحيى الذين من عربي <sup>(٣)</sup>، التي يصف فيها رحلته الوحيدة وحروجه من الأندلس قصداً بيت المقدس، فيقول وقال السالك

(١) هم الأندلسيون الذين عاشوا في ظل الحكم الإسلامي بعد سقوط مدينتهم، وكذلك الأسرى، النعمان والسبيل الأندلسية في تصور لثوبك وأنبلاء الأوربيين، نظراً إلى الخطيب، الإحاحة ١٤٠ / ٢، وأعمال الأعلام في من بوبع قل الإحلام من مذكور الإسلام، ط ٢، لخص | لعي بروسنا، دار المكتوب، بيروت، ص ٢٢١، والمقري، فتح الطيب ١ / ٢٩٠-٢٩٨.

(٢) انظر، شجرة، جمع، بعض لمظاهر الدينية في رحلة عبد الله بن الصبّاح الأندلسي، مجلة دراسات، العدد (١٢)، ص ٣٧-٣٩

(٣) هو يحيى الذين بن عربي، محمد بن علي بن عبد الله ولد في قرطبة سنة ٥٦٠ هـ، وعاش معه إلى قبله حاتم لطاني من مؤلفاته الفتوحات المكية ونصوص الحكم رجون شعره ترجمان الأتواق «تحس إلى الشرق ودخل مصر، وأقام بالبحر مئة، ودخل بغداد، وأوصل ببلاد الروم، ومات بدمشق سنة ٦٣٨ هـ ولم يقدم الدراسات صورته جلية وصحيحة شافية عن رحلة ابن عربي، غير أن هناك إشارات لابن عربي عنها ألبه في مراجع الموسوم بكتاب الإسراء إلى مقام الأسرى ضمن رسائل ابن عربي، وإشارات أخرى له عن رحلته في كتابه الفتوحات المكية انظر، ترجمته، ابن الأثير، الكعبة، ص ٦٥٢، وشذرات الذهب ٥ / ١٩٠-٢٠٢، والمقري، فتح الطيب ٢، ١٦١-١٧٠، وبلاطوس، أمين، (١٩٧٩) من عربي حياته ومذهبه، ترجمه عن الأسباني، عبد الرحمن بدوي، الكويت، بيروت وكالة مطبوعات، ودار القلم، ص ٥



خرجت من بلاد الأندلس لريد بيت المقدس. وقد اتخذت الإسلام جواداً. والجاهلية مهاداً، والتوكل راداً<sup>(١)</sup>، ويشير ابن عربي إلى غايته من رحلته إلى بيت المقدس فقال السائل وسرت على سراء الطريق، أبحث عن أهل الوجود والتحقيق، رجاء أن أتبرر في صدر ذلك الفريق ..<sup>(٢)</sup>

والقدس بعد ذلك ومر الارتواء عند ابن عربي. إذ يقول

فَعَانَيْتُ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ عَجَالًا      نُصَانُ عَنْ التَّلَافُوتِ فِي رَأْيٍ مِنْ وَعَى  
وَمَنْ قَامَ بِالْحُلِّ فِي بَيْتِ مُقَدَّسٍ      فَلَا نَفْسَ نَظْمًا وَلَا مِرَّةَ اِرْتَوَى<sup>(٣)</sup>

أما مكة المكرمة، فقد ختم بين عربي رحلته بهذه، وكان كتابه الفتوحات المكية تنويعاً لرحلته إلى القدس، وتأكيداً على قيامه بتلك الرحلة، إذ يقول «إني وصلت أم القرى، بعد زيارتي الخليل الذي من القرى»<sup>(٤)</sup>

ويبدو جلياً أن رحلة ابن عربي لم تكن مجرد رحلة بل جاءت سياسة صوفية ورحلة بحث وكشف عن أهل الوجود والتحقيق، وهم كبار المتصوفة الذين أفتنوا حياتهم في العرفان<sup>(٥)</sup>. وكان سفره، سفرأ في الحزن جلّ وعلا، بقوة إلهية لا يدركها العقل، وفي ذلك يقول وأنا المسافرون فيه فطفتان، طائفة سافرت فيه بأنكارها وعقولها، فصلت عن الطريق وهم الفلاسفة، ومن لحا نحوهم، وطائفة سوفر به فيه وهم الرسل والأنبياء ولصطفون من الأولياء كالحقّقين من رجال الصوفية ..<sup>(٦)</sup>

(١) كتاب الإسراء إلى مقام لأسرى. ضمن رسائل ابن عربي، مطبعة دائرة المعارف لشامية، حيدر

آباد، ج ١، ١٩٤٨، ٣ / ١

(٢) المصدر نفسه ٣ / ١

(٣) المصدر نفسه ٤٦ / ١.

(٤) الفتوحات المكية، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١ ٤٣

(٥) انظر. بلاطيس آسين ابن عربي حياته ومذهبه من ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦

(٦) كتاب الإسفار من نتائج الأسماء، ضمن رسائل ابن عربي ٧ / ٢.



وقد استطاع ابن عربي، من خلال رحلته، أن يقدم عطافاً بالمعرفة الصوفية، وكثيراً من الجوانب المعرفية والدينية للشرق الإسلامي، ونصاً مفتوحاً لم يعلق<sup>(١)</sup> وكذلك جاءت رحلة أبي مروان الحانسي<sup>(٢)</sup>، رحلة بحث وكشف للحقيقة، وقد درّتها تلميذه العشالي<sup>(٣)</sup> الذي رافقه مراحلها، حيث تحدّث عن سلوك شيعه الحياة الرهد والتقصّف، وحوبه أنهاء العالم الإسلامي، وتاديبه برفضه الحجّ غير مرة، كما تحدّث عن كرامات ومكاشفات أبي مروان، وآرائه في للشرق الإسلامي وملوكه وشيوخه، وعرض كذلك تجرّبات الحياة اليومية في عصرهما ويرى عبق رحه تاج المرقّ أن الإقبال على الرحلة الحجازية كان قد قلّ في أواخر العصور الوسطى (القرن الثامن والتاسع الهجريين)، بسبب دعوة العلماء إلى للجهاد وإثاره على الحجّ<sup>(٤)</sup>.

### ثالثاً: العامل الثقافي (طلب المعرفة):

إن أسباب الرحلة متعدّدة، وما صله وثيقه بطابع الخصارة العربية الإسلامية، التي امتدت سيادتها على ديا المشارق والمغارب وطبيعي أن تكون الرحلات والأسفار من أول استل لطلب العلم في تلك العصور<sup>(٥)</sup>، ويلحظ أبصاً أن تعامل لتقافي مرسط بالعامل الديني، فالذين عسه يدعو إلى العلم والعرفه، فقد حتّ الرسول عليه لصلاة

(١) مقابلة، جمال، (١٩٩٦)، حدة الإسراء والمغراع وتجليتها في الشر العربي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص ٤٢

(٢) هو أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم بن بشر الفيسي البجاسي، سبه إلى بلده بجاس من ولاية المري بالأندلس، وقيل البجاسي سبه إلى بجاس، فريه من فري وادي آشي. انظرو، تحفه العترب بلاد المغرب، مر له من الإخوان، في كرامات الشيخ أبي مروان، تحقيق، فرماند ودي لأجرائند مشورات المعهد لمصري لدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧٤، ص ٧٠٦

(٣) هو أحد بن إبراهيم يحيى الأزدي العشالي وقيل العشاني، سبه إلى قشال، التي قد تكون بلد، في ولاية عرماطة، سطر. صدر نسبه، ص ١٠٦، وسطر، المري، بح الطيب ١٩٠/٢

(٤) البلوي، عتاف تاج المرقّ، ٥٥/١

(٥) حسن، وكبي عمت (١٩٤٥) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، القاهرة دار المعارف، ص ٦.



و لسلام على قلب العلم والرحلة في سبيله، ومن ذلك قوله <sup>(١)</sup> ... ومن سلك طريقها يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا فرأت عليهم السمكة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده <sup>(٢)</sup>.

وموسم الحج، وإن كان موسماً دينياً، إلا أنه بعد ذلك ملتقى ثقافياً إسلامياً يجمع العشرات المنفعة من العلماء، بل يشمل أيضاً غير المتعلمين الذين أتوا لأداء فريضة الحج. إذ إن حلقات الوعظ والإرشاد والحديث، وجلسات العلم والأدب، كانت ولا تزال تعقد في رحاب المسجد أحرام والمسجد النبوي، ويحضرها كل من يرغب في التثقف في دينه، ولأخذ عن الشيوخ والخموس إليهم، ما في ذلك من أهمية كبرى في التعليم الإسلامي <sup>(٣)</sup>، فالحج جامعة ثقافية موسمية، كما يرى البعض <sup>(٤)</sup>، وقد كثرت رحلة الأندلسيين إلى المشرق في طلب العلم، وكان الواحد منهم يشرف بين سي قومه حين يروي عن شيخ مصر وبغداد وغيرهما من بلدان المشرق <sup>(٥)</sup>.

لذا لم تعد الرحلة العلمية أمر متوهجاً بالنسبة للعلماء بل أصبحت هي نفسها ضرورة لازمة <sup>(٦)</sup>، وقد كان الشعب الأندلسي ولعربي يتزدد للإقبال على العلم

(١) مسلم، أبو الحسین مسلم بن الحجاج القشيري، (ت ٢٦١هـ) صحيح مسلم بشرح النووي، بدون ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٧، ٢١، وابن ماجه، أبو عبد الله بن يزيد القزويني، ت ٢٧٣هـ، سنن ابن ماجه، بدون ط، حفصه بن عمر بن عمرو، دار الفجل، بيروت، ١٩٩٨، ٨٢/١، وهو جزء من حديث شريف طويل في أهمية العلم وطلبه.

(٢) انظر، المصداقي، حسن، (١٩٨٩)، الوجود الغربي في المشرق من خلال كتب الترجمة الشرقية، مجلة انتاعل العدد (٢٨) السنة ١٥، ص ٢٩٩.

(٣) عيمه، محمد عبد الرحيم، (١٩٥٣) تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تطوان، معهد مولاي حسن دار الطباعة المغربية، ص ٢١٢.

(٤) عباس إحصان، (١٩٨٥) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيده قرطبة، ط ٧، بيروت، بيسان، دار الثقافة، ٣٨/١.

(٥) هناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تحث على العلم ولا رغبة بالإكثار من سواد، صهي الكثير عما ينفي من الاستشهاد

للعلم ذاته، فقد كان قلب أبي بكر بن العربي معلقاً بشيء آخر يقدمه على الحق، وذلك هو الاستمرار في طلب العلم، ولذلك فإنه لما وجد في أثناء ابرحلة أن الحق قد بقوت عليه النصي في الطلب قال لأبيه<sup>(١)</sup> إن كانت لك نية في الحق فامض لعزمك، فإنني لست برائم من هذه البلدة<sup>(٢)</sup>، حتى أعلم علم من فيها، واجس ذلك دستوراً للعلم وسلباً إلى مراقبها<sup>(٣)</sup>، فالعرص لأصلي من رحلة ابن العربي، هو تلقي العلم والاتصال بالشيوخ، يسماً كان قرص والده أداء فريضة الحق.

أمّا ابن تومرت<sup>(٤)</sup>، فقد اشتهر عند طفولته بميله إلى الذراسة، وملازمته للمسجد، فكتب قارئاً محمداً للعلم، ولأن المشرق محط آمال الراغبين في العلم رحل ابن تومرت إليه طلباً للعلم وأداء فريضة الحق

(١) انظر، عيس، إحسان، رحلة أبي بكر بن العربي كما صورها قانون التاويل، مجلة الأبحاث، السنة

٢١، اعدد ١-٤، ١٩٦٨، ص ٦١

(٢) يقص بيت المقدس

(٣) ابن عربي، قانون التاويل، ص ٩٢

(٤) هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن قدام بن عثمان، ويعد منبه إلى الحسن بن

علي بن أبي طالب، وقيل ولد سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م أو ٤٧١هـ / ١٠٨٧م، غادر بلاد السوس

الأقصى لي شأ فيها حوالي سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م موجهاً نحو المشرق طلباً للعلم. وعاد إلى

قرنته إيجي التي ولد فيها، وأعلن أنه المهدي في سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م وأسس مذهباً جديداً يعتمد

خصوصاً على نظرية التوحيد وأطلق على أصحابه اسم لوحدين. توفي سنة ٥٣٤هـ / ١١٤٠م،

وقيل سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م، انظر، يوريت، رشيد، (١٩٨٢) بس تومرت، ترجمة عبد الحميد

حاجيات، الحرات ديوان الطوعات الجامعية، ص ٦١، وصحفت أخرى معترقة، وانظر، ابن

الغضائ، أبو الحسن علي (ت ٦٢٨هـ) نظم الحمان، تحقيق محمود علي مكري، المركز الجامعي

لبحث العلمي، جامعة محمد الخامس الرباط، ص ٣٨، ٣٤، والحلل الرشيد تحقيق سهل ركاز

وعبد القادر رمد، در الرشاد الحديثة، صدر البيضاء، ١٩٧٩، ص ٩٨-١١٧، وابن حلكان،



وكان بن تومرت أينما حلّ يبادر بالحضور إلى دروس أشهر العلماء والفقهاء، فقد أخذ العلم عن أبي بكر الطرطوشي<sup>(١)</sup> في الإسكندرية<sup>(٢)</sup>، وقرأ على يد أبي بكر الشاشي<sup>(٣)</sup>، وغيرهما، وكان ابن تومرت يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويريق الحمر، ويكسر آلات الطرب، في كلّ مدينة يزورها<sup>(٤)</sup>، وقد ذكر ابن القفطان أنّ ابن تومرت حين كان بجاية لقي بها لصبيان في رأي النساء فعبر المنكر جهه ثم حضر عنده، فرأى فيه من حلاط الرجال بالنساء والصبيان لثرتين المسكنتين لا يحمل، مرجهم وغير ذلك عليهم<sup>(٥)</sup>. وقد دون ابن تومرت الكثير من مشاهداته وآرائه في رسائله وكنهه لمختلفة<sup>(٦)</sup>

ويجد بعض الرحالة المعاصرة ولأندلسي<sup>(٧)</sup> يتقنون دخول بلادهم أو يتفهمون فرصة فرصة أدائهم مريضة الحق، للقاء العلماء والفقهاء، وزيارة المراكز العلمية، وتسجيل

(١) هو، أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد القرشي، البهري، المعروف بابن أبي رندة، «نظر، ترجمته، ابن حلكان، وفيات الأعيان ٢٦٦/٤-٢٦٥.

(٢) القرشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم تاريخ الدولتين الوحدية والخمسة، ط٢، تحقيق محمد ماصور، المكتبة المتينة، تونس، ١٩٦٦، ص٤.

(٣) هو، أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، انعمه الشافعي، «نظر، ترجمته، ابن حلكان، وفيات الأعيان ٢٠١/٢٠٠-٢٠١.

(٤) «نظر، بن أبي رندة العاصي، الأسس المطرب بروض الفطاس في أحجار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، در لتصور لتساعة والوراثة الرباط، ١٩٧٢، ص١٢١-١٢٢.

(٥) ابن القفطان، نظم الجمان، ص٤١-٤٢.

(٦) من رسائله وكتبه أخر ما يطلب، رسالة في العلم، وكتاب تحريم الحمر.

(٧) منهم، الرعي، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعي، الإشبيلي يعرف بابن الفخر، ولد في شعبان ٥٩٢هـ، نقل في داخل لأندلس والمغرب، وتوفي سنة ٦٦٦هـ، «نظر، برنامج سيرخ ابن الفخر الرعي، تحقيق إبراهيم شيوخ، مجلة معهد المحفوظات العربية، ورة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٢، مجلد ٥، الجزء ١، ص١٠٣.

وبن جابر الوندي أقني، وهو محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن محمد القيسي البوادي أقني، ولد سنة ٦٧٣هـ وتوفي ٧٥٢هـ، «نظر ترجمته، ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، (ب ٨٥٢هـ) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط١، ضبطه وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧، ٣/ ٢٥١، ٢٥٢، واسم الحبيب،

الإحاطة ٤٩٨/٣، ولفظي، مع الطيب: ٢/ ٦٦٤، ٦٦٦.

أسماء مشايخهم، ومروياتهم، والترجمة لعدد كبير منهم، فما أصعب المهمة العسيرة على رحلاتهم، فقدت كتباً علمية يعلب عليها الحبيب الشافعي أكثر منها رحلة أدبية، وقد سميت بالبرامج أو الفهارس<sup>(١)</sup>

وجاءت رحلة النحاس بن يوسف بن محمد بن علي التنجي<sup>(٢)</sup> مستعاد الرحلة ولاغتراب، ورحلة ابن رشيد لسبي<sup>(٣)</sup> ملء انمية في ما جمع بطول الغيبة في الوجهة الواجبة إلى الحرمين مكة وطينة، لتأدية فريضة الحج وزيارة قبر لرسول عليه السلام، والاتصال بالضيوف والأساتذة، وملاقة الرجال والرواة، وذكر أئمتهم

(١) البرنامج يدرب معنى المهرسة، فهو كتاب يجمع فيه الشيخ أسماء شيوخه وأساتذته من مروياته وقراءته على أشيائه والمصنفات وعو ذلك، فليظ البرنامج يستعمله أهل الأندلس كثيراً والبرامج يرادف المهرسة والمجمع والتبث والشيعة، انظر الكتاني، عبد الحفي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس ومجموع المساجم والتبثات والسجلات، ط٢، باعضاء، إحصاء عباس، دار العرب الإسلامي، ١٩٨٢، ١، ٦٧، ٧١

(٢) قيل هو أبو القاسم (١٢٧٠هـ-١٦٦٦هـ - ٧٣٠هـ، ١٢٧١، ١٢٦٦-١٣٣٩م)، وهو من أهل مكنة من بني نجيب الدين استقر في الأندلس مع أهل الفتح الإسلامي وبدأ رحلته إلى المشرق مع ٦٩٦هـ ورحلته مستعد الرحلة والاعتراف ثلاثة مبعثات صحيفة كتب أنصار صاحب الدور الكاسية، يتصل آخره الأول خروجه من سنة إلى مصر أو من الأندلس إلى مصر، أما الجزء الثاني الذي حققه عبد الحفي بن يوسف ومصره الدار العربية في ليبيا مع ١٩٧٥م، فقد انشا فيه يذكر عنده القاهرة، وصفه بقية أخبار الحجاز وبيت المقدس ولشام في الجزء الثالث، رافقه في رحلته الكاتب خديف العاصمي القنوي الإشبيلي، نظر ترجمته التنجي، مستعاد الرحلة، مقدمة المحقق، ص، ب، ج، وبس حجر الاستقلاي، الدور الكاسية ٣٢٤/٣-٣٢٥، وإسلاوي، الاستقلاي ٣/٧٧

(٣) محمد بن عمر بن محمد بن رشيد النهري لسبي (١٢٥٧هـ - ٧٢١هـ / ١٢٥٩ - ١٣٢١م)، بدأ رحلته سنة ٦٨٣هـ خرج من قاصر وأتته شعلاً إلى مدينة مكنة وسافر إلى الزينة ومهد إلى حماية ومهد إلى مدن أخرى لإسكندرية، ولطيط و القاهرة، دمشق، وأخبار والحجرات، وألفه صليقة الأديب، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمي، انظر ترجمته القنوي، صج الطيط ٢٧٥/٥ وابن الخطيب، الإحاطة ٤٤٥/٢ وما بعده، وإسلاوي، الاستقلاي ٣/٧٨،



وعنوتهم ومؤلفاتهم، والترجمة للعلماء ابرزين من الضيا بهم في رحلتيهما المنين كاننا اقرب إلى كسمة المهارس العلميّة، ومع ذلك فهناك ما يفيدنا عن أحوال الأنظار الإسلاميّة، وأوضاعها العلميّة والأدبيّة والاقتصاديّة والعمرانيّة، وهم في هذا الجهد يتبحران بعض مخطوطات الرّحالة ابن جبير، فالتّحقيق<sup>(١)</sup> مثلاً، استعاد من رحلة ابن جبير فيما كتبه ابن جبير<sup>(٢)</sup> عن صحراء عيذاب، وساحل البحر الأحمر والحركة التجاريّة بين قورص وحيذاب

أمّا خالد بن عيسى اللّوي<sup>(٣)</sup>، فقد كان في شرق دائم إلى لقاء العلماء حيثما حلّ، فيسرع بالبحث عنهم، وقد عبّر عن ذلك فيما ذكره عند دخوله قسطنطينة، فقال: ويأذرت

(١) التّحقيق، مستعاد الرحلة، ص ٢٠٥

(٢) رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ص ٤٢

(٣) هو أبو إسماعيل خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي القنوري، ولد بقنورية، من حمى الزّوية بالأندلس (٢١٢هـ / ٨٢١م) تلقى العلم بمسقط رأسه، فصرّ الصّوت، سمّ درس القراءات السّبع عن أبي عشر شهاب، ثم أخذ بحبّ عوالم الأندلس بحث عن الشّيوخ والعلماء، فالتقى بين غرناطة ومالقة، كما دخل إلى تونس والإسكندرية والقاهرة، والقدس، وكان ذلك أثناء توجهه إلى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحجّ، وبعد هذه الرحلة الطّويلة عاد إلى قنورية، فأصبح مسؤولاً عن رجاى الفكر والنّقد والأدب وتولّى التّمسك ثم انتقل إلى القضاء بربشانة، وهناك أمّ كسمة رحلته تاج الفرق في تحلية أهل المشرق لنا ومانه فقد جعلها بعضهم سنة (٢١٦هـ / ١٢٦٤م)، ويعلم من حسن استنتاج محقق الرحلة هذا الرّأي ميّناً أنّ المؤلّف أمّ كتابة رحلته في اليوم الأخير من شهر ربيع الأوّل عام ٢٢٧هـ بربشانة، وإنّ فقد عاش بعد هذه التّقدير وقد طبع الرحلة في الرّباط أنظر ترجمته، البلوي، تاج لفرق ٢٥٠/٦٠، والتّحقيق، أبو العباس، أحمد بن أحمد بن عمر، (مت ٣٦٠هـ) بيل الإنهاج بتفسير الشّيح، فاس (د.ر)، ١٨٩٩، ص ٩٩، وابن خلدون، الكتّبة لكاتبه في من لقاء بالأندلس من شعراء، بلّاه التّمسك، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٣ من ١٢٤ ١٢٥، ولقري، تاج الطب ٥٣٢، ٥٣٤

إلى لقاء القمصاء، ومحاولة تلياء، اجتلي واجتلي ولا اجتب وثنا والطرس في ملا أتنقي  
مهم وأنتخب.<sup>(١)</sup>

وفي ذلك يقول ابن خلدون<sup>(٢)</sup> إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مراد كمال  
في التعليم، وذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأحلافهم وما ينحلون به من المذاهب  
ولعصائل تارة عدماً وتعلماً وإلقاء، ونارة محاكاة، وتلقياً بالمباشرة، إلا أن حصول  
الملكات عن المباشرة والتقليد أشد استحكاماً، وتقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشرح  
يكون حصول الملكات ورسوخها. فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفرائد  
ولكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال<sup>(٣)</sup>

ومما كان يشجع الراغب في طلب العلم وبعيظه وبعظه ورحلته إلى المشرق،  
وجود المكان الذي يأوي إليه في المساحد والمدارس والروايا، وتوافر مصادر المعيشة  
واسبابها هذه المشرق به معتبر لذلك، فادخل إليها المجتهد بسلام، وتنضم الفراغ  
ولا تفرد قبل علق الأهل والأولاد، وتقرع من التمدد على ومن التصنيع، والله يوفق

(١) البلوي، تاج الفرق ١/ ١٦٦

(٢) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن حابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن  
بن خلدون (٧٣٢هـ - ٨٠٨هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦م) وهو الفقيه، والأديب، والفيلسوف الموزج  
و لرحله مشهور له إسهامات بارزة في كافة آداب الفكر والمعرفة، حلف عدة مؤلفات من أهمها  
مقدمته، وتاريخه، والتعريف بابن خلدون ورحلته عربياً وشرقاً وعن مؤلفته انظر، بدوي، عبد  
الرحمن (١٩٦٢) مؤلفات ابن خلدون، القاهرة دار المعارف، انظر ترجمته، رحلة ابن خلدون،  
التعريف، ط١، علق عليها، محمد ابن ثاوي الطنجي، وقدم لها، سوري الجبراج، دار السويدي  
لنشر، أبو ظبي، ودان للمدري، عمان، ص ٤٩، ٦٥، ٩٩، وصحف كثيرة مفرقة، والسحراوي،  
شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصورة التامع لأهل القرن التاسع، بدون ط، مكتب القدس،  
القاهرة، ١٣٥٥ / ١٤٥٤، ولخفري، مصحح الطيب مصلاً عن الإحاطة ١/ ١٨٠ - ١٩٠،  
وكراتشكوفسكي تاريخ الأدب المغربي لعربي، ص ١٧٣ - ١٧٦

(٣) مقدمة ابن خلدون: ١/ ٤٤١



ويرشد ...<sup>(١)</sup> ووصف ابن بطوطة حسن معاملة أهل دمشق للفرس، فقال: .. وهم يحسون الظلم بالعارية، ويعطونهم بالإهم بالأموال والأهلين والأولاد، وكل من انتفع بجهه من جهات دمشق، لا بد أن يتأني له وجه من العيش من إمامة مسجد، أو قراءة لدرسة، أو ملازمة مسجد يجيء إليه فيه رزقه، أو قراءة القرآن، أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة<sup>(٢)</sup> ويشيد كذلك بموقف أهل البصرة من الغرباء وأهل البصرة لهم مكارم أخلاق، وينامون لغريب ويأمنون بجهه<sup>(٣)</sup>.

إن الرحلة في طلب العلم تمثل أهمية كبيرة، وتشكل سمة بارزة في حياة المجتمع الأندلسي والغربي، وتؤكد على التواصل العلمي والفكري والثقافي والاجتماعي، فالصدر لأندلسية ولعربية والشرقية ترخر بأخبار هذه الرحلات، وأسماء العدد الكبير من الزاحلين إلى المشرق، يطلعون العلم وجل أمتهم أن يجلسوا إلى عالم مشرف مشهور يشرفون به بين بني قومهم وقد لاحظ كراتشكوسكي، أن طلب العلم يطفى على غمط الرحلة، ابتداء من القرن السابع الهجري، ليُشع على مر العصور<sup>(٤)</sup>.

### رابعاً - السفارة:

إن السفارة نوع من الرحلات الرسمية، يُؤكل بها الرخالة من قتل الحكام، ورسالة يتناس في أدائها من يكلفون بها، مهما كلفهم الأمر من مصحبات، إذ كانت تقترب في عومهم برفعه وعلو شأن الدولة الإسلامية، فالسفير عنوان دولته

وكانت السقراطية لا تقطع بين الدول العربية وما جاورها من الدول غير العربية، بقصد الصلح وفك الأمر، أو تصفية لأجواء السياسة. وقد تكون وليدة علاقات دبلوماسية أو تقليد لربط العلاقات السياسية، وليس هذا وحسب، بل لعبت

(١) رحلة ابن جبر، ص ٢٥٩

(٢) رحلة ابن بطوطة ٩٦/١ ص ٩٧

(٣) المصدر ص ١٦٩/١-١٧٠

(٤) كراتشكوسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٠١



درراً ملحوظاً في توسيع نطاق المعلومات الجغرافية<sup>(١)</sup>. وقد نشطت حركة الشعراء بين الأندلس ودول أوروبا طوال مدة الوجود الإسلامي في الأندلس، فكان الأندلسيون يتبادلون السقراء مع لفسططينية وروما وفرنسا وإيطاليا وألمانيا ولسويج واسداعارك ولسويد وقشتالة وخليسية وأراغون والبرتغال وغيرها، وكان كلا الطرفين حريصاً على اختيار سقراء ذوي ثقافة عالية، وحكمة، ودهاء وذكاء، وقطنة، وكان عملاً مهناً من العوامل التي تساعد على إنجاز المساعي التي يقومون بها، إلى جانب التقارب الثقافي بين الطرفين من خلال إصحاب الملوك بثقافة من يقد إليهم من هؤلاء السقراء، وخاصة أن بعض هؤلاء السقراء كان يقيم عدة أشهر وربما سنة أو أكثر في ملاط الملك الذي يتدب إليه<sup>(٢)</sup>.

ولعل أكثر هذه السقراءات شهرة وإثارة للجدل، تلك التي قام بها شاعر الأندلس يحيى العرالي<sup>(٣)</sup>، ولقب بالفراجل الجمال، فقد كان جيللاً في صباه وسيماً في كهولته، وكان شاعراً متبكناً ذا مقدرة تعبيرية أدبية عالية، ألصق به حدة الحائط، وبديهة الرأي، وحسن الحساب، والتجدة والإقدام، والتحول والخروج من كل باب<sup>(٤)</sup>.

(١) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٥١

(٢) جركز، صلاح، (٢٠٠٤) رجال الوصل، ط ١، عماد المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر، ص ٢٣ - ٢٤

(٣) يحيى بن الحكم الجبالي البكري (١٥٠ هـ - وقيل ١٥٦ هـ - ٢٥٠ هـ / ٧٦٤ - ٧٧٣ - ٨٦٤ م) أصله من جبال، حضر أربماً وتسمين سنة، انظر ترجمته، ابن دحية، أبو الخطاب، مجد الدين عمر بن الحسن بن صبي، اب ٦٣٣ هـ المطبوع في أشتار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأساري، وحامد عبد الحميد، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٣٠ - ١٣٩، والحميدي، أبو عبد الله محمد بن فوح، (ت ٨٨٨ هـ - حسنة نفيس في تاريخ علماء الأندلس، ط ٣، تحقيق إبراهيم الأساري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩ / ٢٠٩٧ هـ وابن سعيد المقرئ، لمغرب ٥٧٢ / ٢، والقصري، صبح الطيب ٢٥٤ / ٢ - ٢٦٢، وكراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٥١

(٤) ابن دحية، لمغرب، ص ١٣٩



وسب هذه الصّعدت التي كن يتعلّى بها أوفده عبد الرحى الأوسط<sup>(١)</sup>، في سفارة له إلى إمبراطور القسطنطينية ومثلث الرومان، وقد استطاع العرّال أن يستميل القلوب في بلاط ملك الرومان، حيث ذكر ابن حيان القرطبي أنّ العرّال حكيم الأندلس وشاعرها وعرفائها<sup>(٢)</sup> وقد رفض أن يسجد لملك النجوس<sup>(٣)</sup> الذي أعجب به وبمكتمته، ولما سمعت روعة ملك النجوس بذكر العرّال وظرفه، أرسلت إليه تطلب أن يوجهها، فلما قالته أعجبت به كثيراً، واستطاع بإطرائه لها رباطها في وصف جمالها أن يجلب محبتها، وبلغ من ولعها به أنها كانت لا تصبر عنه يوماً حتى توحه فيه، وهم عندها بمختلفها مسير المسلمين وأنيلهم ويلاهم...<sup>(٤)</sup>

واختلعت المصادر القديمة والنراسات الحديث، فيما يتعلّى سفارة العرّال أكانت للقسطنطينية، أم إلى بلاد النجوس<sup>(٥)</sup>، وسهم من أودعها إلى القسطنطينية وبلاد

(١) عبد الرحى بن الحكم بن هشام بن عبد الرحى الأسوي أبو المطرف، رابع ملوك بني أمية في الأندلس، ولد في طيطلة وتوفي بقرطبة سنة ٢٠٦هـ وكان عالمي الهمة، له غزوات كثيرة، أديباً ينظم الشعر. انظر ترجمته، تاريخ ابن خلدون ١٣٢/٤-١٣٥، والصفي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، (ت ٥٩٩هـ) بغية الخليل في تاريخ رجال أهل الأندلس، ط ١، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٩، ٣٥/١، وتاريخ ابن خلدون ١٣٢/٤، ١٣٥، ولقري، مع الطيب: ٣٤٤/١-٣٥٠

(٢) ابن دحية، الخطوب، حاشية ص ١٢٦، لقري، مع الطيب نقلاً عن القس ٢٥٤/٢  
(٣) النجوس يقصد بهم الرومان الذين أو اللاتينيين أي أهل الشمال سكان البتاروك وشبه جزيرة إسكندرية، أسطر، البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو، (٢٢٢هـ- ٤٨٧هـ)، جغرافية الأندلس وأرواح من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٥٨، حاشية رقم ٢

(٤) ابن دحية، الخطوب، ص ١٣٢، ١٤٢، وبالشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٥٦، وحيدة، عبد الرحى، (١٩٦٩) اعلام الجغرافيين العرب ومقطعات من آثارهم، دمشق، ص ١٣٨

(٥) الحميدي، حدود الخليل ٥٩٧/٢، والصفي، بغية الخليل ٦٧٣/٢، واعلام الجغرافيين العرب ومقطعات من آثارهم ص ١٣٨، الأسوي، حكمة علي (١٩٧١) يحيى بن الحكم العرّال سفير الأندلس وشاعر الرابعي، مجلة اجمع العلمي العربي، ص ٢١، ١٩٧، ١٩٨

المجوس<sup>(١)</sup>، ومهم من نظر إليها بشك كبير<sup>(٢)</sup>، في حين أيدها آخرون<sup>(٣)</sup> وسواء أكانت إلى الفلسطينية أم إلى بلاد المجوس، فلن يغير هذا من الواقع شيئاً فالرحلة وقعت، ووصلنا نصّ يؤكدها أورد ابن دحية<sup>(٤)</sup>، والمقري<sup>(٥)</sup>، وهو نصّ مختصر بأسلوبهما، لا بأسلوب الغرال باستثناء بعض القول الصغيرة التي سجّنت فيها مشاهداته لكلّ ما مرّ به، والواردة في بعض أشعاره<sup>(٦)</sup>.

إن ضياع هذه الرّحلة يشكّل خسارة كبيرة للأدب، إذ جعل الغرال نفسه واقتنائه بزوجته ملك، موضوعاً كان يمكن اعتماده لجعل الرّحلة أدباً خالصاً، لكنّها رغم ذلك خطوة في أدب الرّحلة العربي.

ومن الرّحلات الأخرى: رحلة إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي<sup>(٧)</sup> (٣٤٧هـ)، هو يهودي من أهل طرطوش<sup>(٨)</sup>، وكان يشتغل بتجارة الرقيق، وقد جال في جوب ألمانيا،

(١) المقري، فتح الطيب (١/٣٤٦، ٢/٢٥٧)، والخطي، عبد الرحمن علي (١٩٩٤) التاريخ لأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط١، دمشق: دار فلكل، ص ٢٢٣-٢٢٤  
(٢) العبادي، أحمد مختار، (١٩٧١) التاريخ لمباني والأندلسي، بدون ط، بيروت: دار النهضة العربية، ص ٣٥٣-٣٥٤

(٣) كراتشكوفسكي، تاريخ لأدب العصور في العربي، ص ١٥١-١٥٢ ومؤس. حسين، (١٩٨٠) معام تاريخ العرب والأندلس، القاهرة: دار ومطابع لمستقبل، ص ٢٩١-٢٩٢

(٤) ابن دحية، لطوب، ص ١٣٠-١٣١

(٥) المقري، فتح الطيب ٢/٢٥٤-٢٥٩.

(٦) نظري. بن الكتاني، أبو عبد الله محمد، (ت ٤٢٠هـ) التّشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان إحسان عاصي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٦، ص ١٢١، ١٢٣، ١٨١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٦

(٧) انظر ترجمته، ترجم الأخبار، وتوزيع الآثار و ليستان في غرب البلد و لمساك إلى جميع أعماله، اسماك، تحقيق عبد العزيز الأحواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥، ص ٣

(٨) طرطوشة مدينة بالأندلس تتصل بكونة بيسية، وهي شرقي قرطبة، قريبة من البحر، متصلة للمارّة، اشترى عنها لأمان سنة ٥٤٣هـ نظري. يعقوب الحموي، معجم البلدان ٤، ٣٠٠، و الحميري. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحميد (ت ٩١٠هـ) صفة جزيرة لأندلس، متبعة من الرّوض المطار، ط١، تحقيق إ. ليمي بروفيسال، مطبعة لجنة التّأليف والترجمة، القاهرة،



وقابل الإمبراطور أوتو الأول، وحفظ لك معلومات واسعة عن إسرات (انصتالة) في أوروبا الوسطى في ذلك العصر، أما وصف رحلته، فلم يبق منه سوى شذرات غرقت منه الأقسام خاصة بألمانيا وبلاد الصقالية. وهي التي جعلها لك المغربي<sup>(١)</sup> والكبري<sup>(٢)</sup> ولبكري<sup>(٣)</sup> الذي اعتمد على جزء كبير منها في كتابه المسالك والممالك، وانتقلت منهما إلى مؤلفين متأخرين مثل: ابن سعيد المرناطي<sup>(٤)</sup>

وذكر إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي لقاءه برسل ملك اللعاز، حين وفدوا على هوتو. ووصفهم فقال مشير: إلى ما ساء ملك البشتارين لم أدخل بلد، ولكنني رأيت دسه، وهم معرفة بالأسن، ويترحمون الإنجيل بالنسان الصقلي، وهم نصاري<sup>(٥)</sup> وقد وجدت رحلات سفارمة داخل رحلات حاصنة متعددة الأغراض. فابن بطوطة بدأ رحلاته بعرض أحج، ثم دعه حب السفر ليستمر في سلسلة رحلاته في مختلف النفاخ

(١) بلاد الصقالية بلاد بين النمار والتشطنية اعظم، اخموي، مجمع البلدان ١/ ٣٩، ٣٧، وابن الخطيب، أعمال الأعلا، ص ٤٠

(٢) هو أحمد بن عمر بن أسن الأندلسي، (٣٩٣هـ - ٤٧٨هـ / ١٠٠٣ - ١٠٨٥م) وكان تلميذاً لأبى حمز، وحل مع ولده إلى مكة، وسمع من شيوخها، وعاش فيها تسعة أعوام، اعظم برعة، ترصيع الأخبار، ص ٢، والمغربي، فتح الطيب ٢/ ٢٢٣ و ٣/ ٦٧.

(٣) هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو المشهور بكيبه (أبو سعيد)، (٤٣٢هـ - ٤٨٧هـ / ١٠٤٠ - ١٠٩٤م) ويرجع حين مؤسس في الفصل الذي خصصه من كتابه تاريخ الجغرافية واجترابين في الأندلس أنه قد تجاور العشرين عبد انتقله إلى قرطبة ويرجع أنه ولد عام ٤٥٥هـ / ١٠١٤م تقريباً وقد بطرقة وتوفي فيها، عرف باسم الثرططي وقام بمهمة دبلوماسية لدى ملأ لأمر الشاهر المنصور من عبد يوسف، وبعد هزيمة المعصود على أيدي المرابطي رجع البكري إلى قرطبة، وظل يراول مشاطة الأندلس بها إلى وفاته، اعظم ترجمه، ابن سعيد المغربي، المغرب ١/ ٢٦٧، والمغربي، فتح الطيب ١/ ٢٩٢. وكراتشكوفسكي، تاريخ الأدب المغربي العربي، ص ٢٩٦ ٢ ٣، والناش، تاريخ اعظم الأندلسي، ص ٣٠٩ ٣١١

(٤) اعظم البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسلك والممالك، ص ٨٠ ٨١، ١٠٤ ١٠٧، ١٠٧، وكراتشكوفسكي، تاريخ الأدب المغربي العربي، ص ٢٠٧ - ٢١٠

(٥) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، ص ١٧٥ ١٧٧

و لأصقاع، وعندما أراد سلطان الهند محمد شاه يس تفنن أن يرسل سفارة إلى الصين، اختار ابن بطوطة، ليكون سفيره، ويقول ابن بطوطة في ذلك: بعث إليّ السلطان حيلةً مسرحية وجواري وغلاماً وثياباً وبغلة، فلبست ثيابه وقصدته. ولما وصلت إلى السلطان زاد في إكرامي على ما كنت أعهد، وقال لي: إنما بعثت إليك لتتوجه عني رسولاً إلى ملك الصين، فإني أعلم حيك في الأسفار والحولان، فجهزي بما أحتاج له<sup>(١)</sup>

ومن الرحالة الأندلسيين والمغاربة أيضاً لسان الذين بن خطيب وعبد اسرحي بن حلدون، وقد نالا قدراً كبيراً عند ملوك الأندلس، حيث اعتمدوا عليهما في السفارة بهم وبين ملوك الدول لأخرى. فقد أرسل الخليفة العتيبي<sup>(٢)</sup> ابن الخطيب سفيراً إلى المغرب، يستجده بأبي عنان المريني<sup>(٣)</sup> طائفاً منه مدداً لحرب لىصارى في الأندلس. فأنشد لسان الدين قصيدته التي مطلعها<sup>(٤)</sup>

حيضةً لله مساعد القـدر عـلاك ما لاح في الدجى قمـر

فما كان من سلطان المغرب إلا أن قال له: ما ترجع إليهم إلا بمصيح طياتهم<sup>(٥)</sup>.

أمّا ابن خلدون، فقد علا صيته في لأفاق، وطلعت بذكره الأوراق، وجاب اسمه البقاع، وطوى البلاد. وبشير ابن خلدون إلى سفارته عن العتيبي بالله سنة ٧٦٥هـ إلى ملك قشتالة بطرقة بن أرنشيه بن أدفونش قائلاً: وسفرت عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية ملك قشتالة يؤمد، بطرقة بن أرنشيه بن أدفونش، لإتمام عقد الصلح م بينه وبين ملوك الغدرة، بهدية فخرة من ثياب الحرير وولجيات المقربات بمراكب الذهب الثقيلة، فلقبت العذحية

(١) رحلة ابن بطوطة ١٣٥/٢

(٢) وردت ترجمته، التداية ما ص ١

(٣) أبو عنان، فارس بن أبي الحسن المريني، (٧٦٩هـ - ٧٥٩هـ / ١٣٢٩ - ٣٥٨ م) كان ممبها عن إخوانه لبعضه وعفائه انظر ترجمته، لقصري، مع الطب ١، ٤٥٢، ٦٨١، ٧٩/٥، ٩٨، ٩٩.

وصفحات معرقه، ر اللاي، الامتضا ١/ ١٢٥، ١٧٧

(٤) القرني مع الطب ٥/ ٩٨، ٩٩، والنتيا، تاريخ لعكر الأندلسي ص ٢٥٣

(٥) القرني مع الطب ٥/ ٩٨، ٩٩



باشبيلية، وعانت آثار سعيها وعاملها من الكرامة بما لا مزيد عليه، وأظهر الاعتباط بمكائنها، وعدم أولية سلمها باشبيلية، وأثنى عليّ عنده طيبة إبراهيم بن رزق اليهودي، المقدم في الطب والنجامة، وكان لقيني بمجلس السلطان أبي عمار، وقد استدعاه يستظنه، وهو يومئذ نادر ابن الأحمر بالأندلس، ثم نزع بعد مهلة وضوان القافم بدولتهم، إلى الطاعية، فأقام عنده، وطمه في أحبائه فلما قدمت أنا عليه، أثنى عليّ عنده، فطلب الطاعية مني حيثئذ المقام عنده، وأن يرد عليّ تراث سلمي باشبيلية، وكان بيد زعماء دولته، فتحدثت من ذلك بما قبله ولم يزل عليّ اعتباطه إلى أن انصرفت عنه، فرودني وحلني واختصني بعملة مازعة، بمركب ثخين ولحام ذهبيين، أهديتهما إلى السلطان فأعطاني فريه البيرة من أراضي السقي بمرح عراطة، وكتب بها منشوراً<sup>(١)</sup>

#### خامساً: العامل الاقتصادي:

كاتب التجارة منذ قدیم الزمان أمراً يقتضي القيام بالرحلة والسفر البعيد والسعي في سبيل المكسب برأً ومحرماً، فالعالم العربيّ يحكم توسط موقعه بين قارات العالم القديم، مركزاً لانقواء الطرق التجارية بين هذه القارات، كما أنّ انقصال الماء وتداخله في اليابسة في المنطقة العربية، جعلها تحتلّ موقعاً تجارياً هاماً في تطوّر اخضارة العربية في العصور الوسطى، وحسراً نعب منه الثقافة والفكر وليس فقط لنقل السلع والبضائع فمازس العرب الترحال، واماوا برحلتهم لشتاء والصيف اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم، وأبحرت سفهم في مياه المحيطات الكبرى ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَىٰ السَّمَاوَاتِ أَلَمْ تَكُنْ فِي الْبَحْرِ مَوْجًا﴾<sup>(٢)</sup>

ومجد حديثاً في الروض المعطار<sup>(٣)</sup> عن خشخاش بن سعيد بن أسود الذي عاظم مع جماعة من الفتيان، مركبوا البحر، وعلوا فيه مدة ثم عادوا بقسام واسعة، وأخبار

(١) التبريد بامر غلغول ورحلته غرباً وشرقاً، ص ١٢٨

(٢) سورة الإسراء، الآية ٦٦

مشهورة وقد ظهر اسم عشمشاش ووالده سعيد بن أسود ضمن قادة الأساطيل التي قابلت النورمانديين، في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط في منتصف القرن الثالث الهجري. وحديث عشمشاش وأصحابه يذكر بالحديث عن رحلة الفتية المعزوين<sup>(١)</sup> من أهل لشونة، الذين توغلوا كذلك في المحيط الأطلسي في منتصف القرن الرابع الهجري أيضاً، وكان لرحلتهم أهمية كبرى، حيث كانت قطعاً أتاح الفرصة ومهد السبل لركوب المحيط الأطلسي.

وكانت تجارة من أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين الرحلات لمعرفة طرق التجارة البرية والبحرية، ولعل أول ما ارتبطت به الرحلات، علم تقويم البلدان ووسائله ولما ملك، لوصف الطرق، والملاح، والعديد من الأمور الأخرى، وذلك لمعرفه انطرق إلى مكة للقيام بعرضه الحج، وتسهيل عمله لتجارة في مختلف البلدان، ولقباق. وكانت التجارة في موسم لحج ضرورة من ضرورات الحاج والمسافر، إذ لا بد من الحصول على مورد مالية لتغطية نفقات الرحلة، فقد تتجاوز الرحلة المدة المحددة لها وتنفق رحلات ابن جبير في القرن السادس الهجري، وابن بطوطة في القرن الثامن الهجري، وغيرهما، ضوءاً هاماً على النشاط التجاري الإسلامي في البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر، والمحيط الهندي في ذلك الوقت.

- 
- (١) انظر، الحميري، الروض المطار في حبر الأقطار، تحقيق إحسان عاصي، دار الفلم للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٧٥، ص ٢٨، ٥٧، ٥٩، وكراتشكوفسكي، تاريخ الأدب المغربي العربي، ص ١٥٢.
- (٢) انظر، الحميري، الروض المطار، ص ٥٧، ٥٩، ولإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسين، (ت ٤٦٠ هـ) مرة الشقاق في احترق الأمان، مطبعة بريل، ليندن، ١٩٦٨، ص ١٨٤-١٨٥، وأرسلان شكيب، (١٩٣٦) الحلال السمنية في الأحبار ولائار الأندلسية، ط١، فاس النكية التجارية الكبرى ١/ ٩٢-٩٨، وللسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٦ هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢، باعتد الأستاذين مازة دسار وناوه دكورتل، مؤسسة مطوعاتي اسماعيليان، طهران، إيران، ١٩٧٠ ١ ٢٥٨ ٢٥٩، وكراتشكوفسكي، تاريخ الأدب المغربي العربي، ص ١٥٢-١٥٤، وصيف، شوقي، وبلقة من أدباء الأقطار العربية، ١٩٥٦) أسرخلات، القاهرة: دار المعارف، ص ١٢ ٤٤.



فقد قام ابن جبر برحلة من لأندلس إلى مصر على مركب صليبي، وفي الوقت الذي كنت فيه بلاد الشام تحت قبضة الصليبيين، ثم أهر من عيذاب على البحر الأحمر في مصر إلى جنة للحج. وكان ابن جبر، دقيق الملاحظة فيما احتوته رحلته من مادة غنية عن التجارة، وإحراءات الجمارك، والضرائب، وأحوال البحر، وعن أنواع السفن وطريقة صيانتها.

وفد أهدى ابن جبر استباه من الطريقة التي عوملوا بها من أصحاب الجمارك الذين أرلوه من مراكبهم مع أمتعتهم وأخضعوهم للفتيش، فوقع النصير لجمع الأسباب، ما دق منها وما جن، واحتلط بعضها ببعض، وأدخت الأيدي إلى أوساطهم بحثاً عما عسى أن يكون فيها، ثم استحلوا بعد ذلك، هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا<sup>(١)</sup> ويقول أيضاً فلما كان عشي يوم السبت دحسا عيذاب، وهي مدينة على ساحل بحر جنة غير مسورة، أكثر بيوتها الأحصاص، وفيها الآن بناء مستحدث بالجنس.

وهي من أسفل مراسي الدنيا بسبب أن مراكب المد ولين تمط فيها وتنقع منها رائداً إلى مراكب الحجاج الصادرة وانواردة وهي في صحراء لا نبات فيها ولا يؤكل فيها شيء إلا مختوب، لكن أهلها بسبب الحجاج تحت مرقق كثير ولا سيما مع الحجاج، لأن لهم على كل جمل طعام يحسونه ضريبة معلومة خفيفة المؤونة بالإضافة إلى الوقلات المكونية التي كانت قبل اليوم التي ذكرنا رفع صلاح الدين لها<sup>(٢)</sup>.

ويحدثنا من بطوطة عن مركز مهم للجمارك على الحدود بين مصر والشام بعد العريش، هو مركز قطيا الذي كان يجري فيه مثل هذا الفتيش، ويقول: فيها تؤخذ الزكاة من التجار، ويغس أمتعتهم، ويبحث عما لديهم أثناء البحث، وقها الدراويش، والعمال، ولكتاب والشهود، وعيابها<sup>(٣)</sup> في كل يوم ألف دينار من الذهب، ولا يجوز عليها أسد إلى

(١) رحلة ابن جبر، ص ١٣

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥

(٣) مجامعاً مقدراً ما تحصل من شرائب، ابن منظور، لسان العرب ١٢٩/١٤



الشام إلا براءة من مصر، ولا إلى مصر إلا براءة من الشام، احتياطاً على أحوال أساس، ونوقياً من الخو سيم العراقيين وطريقها في صمان العرب، قد وكلوا بحفظه فإذا كان الليل مسحوا على الرَّمْل حتى لا يبقى به أثر، ثم يأتي الأمير صباحاً فيظفر إلى الرَّمْل، فإن وجد به أثراً طالب العرب بإحضار مؤثره، فيدهون في طلبه، فلا يمتنعون به الأمير، فيعاقبه بما شاء<sup>(١)</sup>

وقال ركني محمد حسن والحق أن ازدهار الحضارة الإسلامية، وسيادة المسلمين في البرّ والبحر، وطبيعة الدين الإسلامي، كل ذلك من شأنه أن يشجّع على الأسفار ولرحلات<sup>(٢)</sup> فالرحلات الحرة كانت سبيل العلماء إلى معرفة الأرض وشعوبها وجغرافيتها

لقد عانت الأندلس والمغرب من ازيمات، الاضطراب والقلق، التي أدت إلى تأخر التجارة وضعفها، لذا فأنه من المؤكد أن قسماً من الرحالة خرج متعباً من العيش في جو أكثر استقراراً ولأن الرحلة قد تطول، فيحتاج المرء حل لمصدر رزق يساعده في متابعة رحته، فقد كان يبحث دائماً عن تجارة أو عمل ينفلي مفااته، فابن بطوطة تولي انقصاء مرة في دهلي أما لورارة والكتبة فليست شعلي، وأنا انقصاء والمشبهه شعلي وشعل آثاني<sup>(٣)</sup> وأخرى بحيرة ذببة المهل، ولقيت بها رجلاً اسمه محمد من أهل طلمار الحموص، فأصافني، وقال لي إن دخلت جزيرة المهل أمسكك لورير بها، فإنهم لا قاضي عندهم<sup>(٤)</sup>.

ولعل بعض الإشارات الواردة في الرحلات عن وجود القساق بكثرة في البلاد التي يوردها الرحالة، تدل على أنه قد هيء سكن للتجار والحجاج وأعد لسرول المسافرين بها

(١) رحلة ابن بطوطة، ص ٥٢-٥٣

(٢) حسن. ركني محمد الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ٦

(٣) رحلة ابن بطوطة ١١٧/٢

(٤) المصدر نفسه ١٨١/٢



فهذه ابن حبر يصف أحد فنادق مدينة جدة، فيقول "وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطين وفي أعلاها بيوت من الأشخاص كاعرف، وبها مطوح يستراح فيها بالليل من أدنى الحر"<sup>(١)</sup>

### سادساً: العامل السياحي:

كان هدف بعض الرحلات لبحث عن الحرية، واشتد إلى ما وراء البحر المكاسي، حيث المهم هو السفر لا البلد الذي يرحل إليه، وحب الأطلاع والرغبة في اكتشاف الغامض ولأصقاع، والتمسك في الانطلاق من تلك الأصقاع إلى مجاميل أخرى وأصقاع جديدة ولا تبتعد عن التألف إلى الانطلاق إلى لأوسع وكل جديد لذا جاءت بعض الرحلات لجلب الأفاق والسعي إلى ارتياد البعيد، وامتطاء أجحة الرياح حناً في المغامرة والترويح عن النفس، وقد امتدت الرحلة لتجاوز ركب الحجاج أو المهام الرسمية أو طلب العلم، فيستمر الرحل الفرصة مدفوعاً بروح المغامرة والاستكشاف، والشوق إلى المجهول، ليحول في البلاد التي اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فيها وشاع الأمن في أكثر أركانها، يريد أن يرى كل شيء، ويحرب كل شيء، فتسفر نتائج هذه الرحلات عن رده المعرفة التي تحققها في سبيل حبر الإنسان، فتكون ذات فائدة تتجاوز حدود التشويق والتسلية

وعليه فقد تجتمع عدة أسباب لرحلة ما، كرحلة ابن بطوطة التي كانت حجاً زيارية، وسياحية وسفارية، زار خلالها لمشرق وجمال البلاد وقوغل في عراق العجم ثم دخل الهند والسند والصين<sup>(٢)</sup>، لاعت على لتقس شديد العرايم<sup>(٣)</sup>، وما ذلك إلا لإيمان الرحالة إيماناً عميقاً بالثواب الأثر الذي تمنحها الرحلات للقاتمين بها<sup>(٤)</sup>

### سابعاً: العامل الشخصي:

(١) رحلة ابن حبر، ص ٥٣

(٢) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ١٠٠/٤.

(٣) رحلة ابن بطوطة ٢٠١

(٤) انظر في فوائد السفر العربي أبو حامد محمد بن محمد، (ت ٥٠٥ هـ) تهذيب إحياء علوم الدين،

ربما يرتبط هذا العامل بالعامل الديني، فقد زُداد تدفق الرحالة إلى بيت المقدس، بمرور عن مشاعر التأيد لصلاح الدين الأيوبي، وبهشوة بتحرير بيت المقدس من الأُمّة الفُتُتاة، ولعلّ رحلة ابن جبير الثانية للمشرق أدلّة على ذلك. فقد أجمل سببها لسدّ الدين بن الخطيب في قوله: «ولما شاع الخبر، لمهج يعنح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من شادي، قوي عزمه على عمل الرحلة الثانية، فتحرّك إليها من عرماطة يوم الخميس لتسع حلون من ربيع الأوّل من سنة خمس وثمانين وخمسمائة ثمّ آب إلى غرماطة يوم الخميس ثلاث عشر حنّ من شعبان سبع وثمانين وخمسمائة»<sup>(١)</sup>

وفي إطار النوازع التي دعت إلى القيام بالرحلة، فإنّ هناك عوامل أخرى يمكن إصافتها إليها، وإن كانت لا تقدّم إشارات واضحة ومباشرة، لا من بعض التلميحات، فقد تدفع الاضطرابات والمحنّ والغروب أو، الثراء في بعض المجتمعات إلى رحيل السحب هرباً من كلّ ذلك، ورهناً ومجارة للأماكن المقدّسة والباع طرق النصف<sup>(٢)</sup>

وهكذا عرّضت الدراسة بعضاً للمواقع الموجهة والمسبة للرحلة عند العرب والمسلمين الأندلسيين والمغاربة للمشرق وبعض الأقطار الأخرى، إنان الفترة من منتصف القرن الثالث الهجريّ حتى نهاية القرن التاسع الهجريّ. وقد تعددت هذه الدوافع، ونذكر ثلثي جملة متكامة من العوامل، تألّب ليجتمع بعضها، كجتماع العامل الدينيّ و الثقافيّ، أو الدينيّ والاقتصاديّ، أو الدينيّ والعامل الشخصي، وهي إن تعددت، فإنها لم تخرج في معظمها عن الجمع بين أداء فريضة الحجّ وطلب العلم والمعرفة الدينيّة، فجاوت سقاً مكاملاً يلتقي مع كلّ الشطوط الإنسانيّة، التي تشكّل الحضرة الإنسانيّة بكلّ أبعادها، وتساهم في فرار الرحلة، لأندلسيّة والمغربيّة على مرّ العصور

## ب. أهمية الرحلة؛

(١) ابن الخطيب، الإحاطة ٢/ ٢٢٢، والأوصي، لذيّل والكلمة ق. ٢، سفره ص ٦٠٥-٦٠٦

(٢) كما فعل البجليّ قد كانت رحلته هروباً وابتداء من عوصى السياسة، والتنافس الكبيرة

واضطراب الأحوال الاجتماعيّة، نظر البجليّ، رساله القريب إلى خبيب، ص ٦



بأن فنّ الرّحلات من الصنّ العنّون بمهارة الأفراد والأسم، ويقول حسني محمود حسين: إنّ لمط الرّحلات يتعرّض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفّر فيه مادة وفيرة ممّا بهم المؤرّج والمعرفي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرّحي الأدب والأديان ولأساطير. فالرّحلات مابع ثروة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجلّ حقيقيّ لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور<sup>(١)</sup>

وهكذا كان أدب الرّحلة في الأندلس والمغرب، تصويراً للحصارة، بما تحوي من طريف الأحبار، ودرر الحكايات، وعجائب المخلوقات وعادات لأسم وأخلاقهم، ومما فيها من فوائد تاريخيّة، وجغرافيّة، وعموماً للثروة الأدبيّة، ووصف للحوادث والبلاد ولأصقاع، فرحلة ابن بطوطّة أعادت الجغرافيّة الطبيعيّة والبشريّة والعادات والتقاليد الاجتماعيّة، وأثارت الشّعبيّة، وليس أدلّ على ذلك من قول ابن جزي<sup>(٢)</sup>: «ولا يحصى على دي عقل أنّ هذا الشيخ هو رّحال العصر ومن قال رّحال هذه لمّة لم يبعد»<sup>(٣)</sup>

والرّحلات تكشف ما لا يكشفه للتاريخ، فالتاريخ هم يشتمل على تصوير لحياة البلدان الاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة، ونظم الحكم شعب من الشعوب، وهذا ما حققت الرّحلات غير أنّها أعطت كل ذلك بعده المناسب، وتطوّرت إلى تحليل جوسب ثم تتطرق إلى تحليلها الوثائق التاريخيّة، فقامت الرّحلات بوضع كلّ ذلك في دائرة للإشعاع التي توخه إليها لاستجلاء الواقع، وإخراج التاريخ عن حدوده الضيّق

(١) حسين، حسني محمود، أدب الرّحلة عند العرب، القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ص ٥

(٢) هو محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكوفي من أهل غرناطة، وأخيهما يكنى أبا عبد الله، برز في الأدب واصططلع بمعدّات الشعر وإحدى الخطب مشاً بمرابطة، وانتقل إلى المغرب، توفي بماس في أول سنة ٢٥٨هـ/١٢٥٦م انظر: ابن الخطيب، الكتبة الكائنّة، ص ٢٢٣، ابن الخطيب، الإحاطة ٢/١٨٦، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٥، والتفري. أثره

الرائس: ١٨٩/٣، والتفري، نصح الطيّب: ١٧٠/٢

(٣) رحلة ابن بطوطّة ٣١٢/٢

إن أهمية الرحلات تكمن في قيمتها العلمية والعينية، فالقيمة العلمية، تكثرت بتزويد أهل التاريخ والجغرافيا والآثار والأدب وغيرهم بمعلومات قيمة عن وصف المدن وطرق العمران والهندسة وأحجار الناس وعاداتهم وتقاليدهم والحوادث الغريبة، بل إن الرحالة أنفسهم يحصلون على علم واخر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين في التربية وأساليب التعليم ولتهديب، نظراً لما يصادفهم من انصاع وتعدد من يقابلونه وما يؤكد ذلك أن الرحال حين يعود إلى الأندلس يعمل في التدريس وكان يكلف بانقصاء ومهام أخرى

أما القيمة الفنية، فتزود القراء بمعلومات، وصور ممتعة، وأخبار تليق وتفتح، وتستعرض الأحداث بصورة أدبية، تتسق مع النفس البشرية، فتشكل رائداً ثراً من روافد الفن والتمثيلية الأدبية

يقول خالد بن عيسى الطوسي في المصنفات لأولى من رحلاته "أهدت قتيبة أطلعه عون من الله وتأيد، قصدت به صعد موارد الرحلة الحجازية، وذكر معاهد الوجهة المشرقية جعلها الله تعالى في ذاته واتصاء مرضاته بمنه وكرمه، وألمعت مع ذلك بذكر بعض لشيوخ من العلماء الفضلاء الذين يطؤون ذيل البلاغة، ويمرّون فضول البلاغة، ولهم كلام يتألف منه شعاع الشرق وترقرق عليه صفاء العقل وينبت فيه فرد الحكمة، ويعرض على حلى البيان وينقش في فصح الزمان" وللمت بذكر بلد من فوائدهم واختيار طرف من أناسيدهم، ومرجها بما جرت إليه العبارة وحسب فيه الإشارة من قطع الشجر المناسة، قطع الثور المتظمة من جواهر العظم البعيدة الضور القريبة الحفظ. (١١)



تمثلت قيمة الرحلة في الجانب التاريخي والجانب الأدبي ثم الجانب الجغرافي والجانب الوثائقي، وهذا ما يجعل الرحلة جيدة، فالرواية الصادقة والملاحظة الدقيقة ولإلقاء بالعلماء والشيوخ والأخذ عنهم، له الأثر الكبير في الوثوق بالرحلة، حين يتحدث عن مشاهداته وقد شعر كثير من رجال الفكر والأدب بقيمة ما دونه هؤلاء الرحالة في كتبهم، فعمدوا إلى إخراجها وتحقيقه، للاستفادة من الماضي وتوظيفه في اشغالات العلمية والأدبية والاجتماعية واستغلال معطياته لخدمة المستقبل.

ولعل أبرز ما يميز أدب الرحلات تنوع الأسلوب من السرد القصصي للمغامرات، والمواظف المحركة للبشر إلى الحوار والوصف لطريف وغيره، وما فيه من منعة ذهنية، مما حد، بالدكتور شوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرحلة عند العرب حبر رذ على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي تهمة قصوره في فن القصة<sup>١</sup>

وانطلاقاً من ذلك كله نبيء هذه الدراسة لتتأول الرحلات وأساليب الرحالة المتحررة، وتعمل على بيان الطائفة القصصية للإنسان العربي.

وبعد، فمن عدد الرحلات التي استطاعت هذه الدراسة الوقوف عليها ودراستها، قد بلغت ثلاثين رحلة مثلت النماذج المختلفة واقعية، ووصفية، وسردية، وخرائية

وكانت هذه الرحلات من أهم المصادر التي نقل عنها المؤرخون والجغرافيون الكثير من أوصاف البلاد البائية، وخاصة أن بعض الرحالة ارتحلوا عبر مررة من أضفى على رحلاتهم الدقة، والواقعية، والصدق، والأمانة فيما نقلوه من مشاهدات وانطباعات

## ج من أجزء الرحلات<sup>(١)</sup>:

رحلة العذري<sup>(٢)</sup>. وهي رحلة بموان ترصيع الأحبار وتنويع الأسطر والستن في غرائب البلدان ومسالك إلى جميع الممالك<sup>(٣)</sup> وقد ورد له اسم آخر هو نظام لمربى في المسالك والممالك<sup>(٤)</sup>

ويدعو من بعض الرحلة، ميل العذري الشديد إلى تصديق لعجائب، حيث أفرد قطعاً لمختلف أنواع العجائب في رحلته، ويرى كراتشكوفسكي أن الرحلة لم تقتصر على الأندلس ومدها، تسير وينسية، وسرقطة، وكورة إشبيلية وغيرها، فالقطع لي نقلها عنها بأقوت مثلاً خمس في الواقع مدينة مكة<sup>(٥)</sup>

وقد كان العذري أستاذاً للبكري، لذا فليس من العرب أن يمثل مصنفه مصدراً من المصادر الأساسية لمصنفات البكري في ميدان الجغرافيا، كما رجع إليه الإدريسي أيضاً<sup>(٦)</sup>

(١) وقد ترجم صالح محمد أبو ديانك لعدد كبير من الأندلسيين والمغاربة من رحل إلى الشرق في بحث له بعنوان تبادل الفكري بين العرب والأندلس وشبه الجزيرة العربية عند الدار، العدد الثاني، السنة الثالثة عشرة، ١٩٨٧، ص ١٠٣-١٢٤

(٢) ورجعت الترجمة، للدراسة من، ص ٢٥، حاشية رقم ٢

(٣) هو لمعروف لحقني للكتاب وأشارت إليه إحدى الأوراق التي تألفت منها النص، والخاصة بالسفر السابع، وقد حصى عدد النسخ الأهمي موصفاً من هذا النسخة في كتاب حمل العنوان ذاته، وطبع بمعهد الدراسات الإسلامية بمadrid، ١٩٦٥م، ولا توجد إشارة تدل على عدد أجزاء ترصيع الأحبار، وقد كان يرجح أنها بلغت سبعة، فقد انتهى الحديث عن الأندلس في السبع السابع، فهل كان اسمه لسبع مائة الف حيث عن الأندلس؟ سفر، ترصيع الأحبار، مقدمة المحقق، ص ١٠٤ ط وانظر، آبه البديوي في دراسة قام بتشر بعد يعون تبع رحلات الأندلسيين والمغاربة النطووعة والمخطوطة من القرن لتالث العجري وحتى القرن التاسع الهجري، ص ٣-٤

- (٤) سفر، الحموي معجم البلدان ٢ ٤٦٠، وكراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٢٩٥  
(٥) انظر، ترصيع الأحبار، وتنويع الآثار، ١٩٦٥، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ١٠٩  
(٦) وكراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٢٩٥-٢٩٦  
(٧) انظر، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي



رحلة أبي عبد السكري الأندلسي<sup>(١)</sup>، عاش خلال القرن الخامس الهجري، أكبر جغرافي عرفه الأندلس، ويسود في رحلته جغرافياً واقتصادياً غيراً - رغم أنه لم يترك الأندلس، وكان يتنقل في مدينتها فقط -<sup>(٢)</sup> إذ يبدأ بالوصف والحدود والتاريخ، ثم عادات أهل المكان، وخصائص الناس وديارهم، كذلك الموارد والمخاض والمعادن والنباتات الخ. ويخصص فصلاً للأهوار وجبلات واهرات، والليل، وأهوار الأندلس، ويخصص فصلاً لموانئ ساحل البحر المتوسط ابتداء من المغرب حتى الشام و الأناضول، والأندلس، وهو أشاء ذلك يذكر قيمة كل ميناء ويصف المسالك البحرية إلى جانب البرية.

وحالف ابن السكري مؤلفات مهمة في مجال الجغرافيا المسالك والمعالم<sup>(٣)</sup> ومعجم ما استعجم، وقد وصف الإفرنجية والصقالبة والأسيان والخرور والروم وغيرهم رحلة الإدريسي<sup>(٤)</sup>، في القرن السادس الهجري، وقد بدأ الإدريسي أسفاره من مدينة مكنة، فزار أماكن لم تكن مأهولة في ذلك العصر، كما أن معرفته الواسعة بالأماكن

(١) ورثت ترجمته في هذه الدراسة، ص ٢٥، حاشية رقم ٣

(٢) انظر، كراشكوفسكي تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٢٩٦ ٢٩٧

(٣) ذكر كراشكوفسكي أن هذا الكتاب لم يحفظ كاملاً، وكل ما تبقى منه هو أوصاف لقرى في الشمال ومصر والعراق، وسكاد نواحي بحر قزوين، وبعض أجزاء أسبانيا، ومن أكثر أوصافه تفصيلاً، وصفه لأفريقيا الشمالية الذي أصبح في متناول اليد بفضل طبعة وترجمة دي سلال انظر كراشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٢٩٨

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس، وينسب إلى بيت الأندلس العلويين الذين طلبوا وقفاً ما يخصهم في الخلافة، ولد ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م، تلقى العلم بقرطبة، وتوفي ٥٦٠هـ/ ١١٦٠م على أرجح الأقوال، انظر ترجمته، الإدريسي، مرآة المشتاق، المغرب العربي، طرابلس، ١٩٨٣، ص ١٣، كراشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٣٠٤-٣٠٥، وبالطبع، تاريخ الفكر الأندلسي،



ومراكش ليست أمراً خريفاً، ويدو من مواضع مختلفة من كتبه نُرَهِة اشتاق في إحتراف الأفاق، أنه رار لشبونة وسواحل فرنسا، وإجلترا، وإدربيا الشمالية وآسيا الصغرى، ثم اتصل الإدريسي بروجر الثاني في صقلية، ثم رجع إلى مسقط رأسه سيرة

وفد رحل الإدريسي لتأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، فمر مصر والحجاز ودون مشاهدته في رحلته التي حملت صوائع آخر كتاب رجّار أو الكتاب الرجّاري<sup>(١)</sup> نسبة إلى راعيه الملك رجّار ملك صقلية، الذي وضع تحت إشراف الإدريسي مجموعة من العارفين والمتجولين في البلاد الثانية، وأمر أن يصرع له من لفصة الخليفة دشرة مفصلة عظيمة الحرم ضخمة الجسم في وزن أربع مائة رطل بالرومي في كلّ رطل منها درهم وثنا عشر درهماً، يصبغ منها الإدريسي كرة ينقش عليها المسوّرون البلدان والأقطار والبحار .. الخ<sup>(٢)</sup>

فأثره، استنّ التصريحي للخريطة الجسميّة للعالم، وهيئة الأرض، فقد تسم الإدريسي أعلم المعمور إلى سبعة أقاليم، ومع هذه الخريطة قدّم الإدريسي إلى روجر الثاني كتابه نُرَهِة المشتاق كمصدر للجغرافية الطبيعية والبشرية، فوصف أحوال البلاد وخلقها ويقاعها، مستعيناً بما أفاده من رحلاته التي قدّم بها، كما أفاد من المعلومات التي جمعها الرواد لئدين أرسلهم روجر الثاني إلى البلاد الثانية، وبما قيده من أحداث الرحالة ولتجار والحجاج<sup>(٣)</sup>.

(١) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٣٠٨، وأحمد ومصدر أحمد (١٩٨٠) الرحلة

والرحالة المسلمون، ج ١، دار البيان العربية، ص ١٦٢

(٢) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٣١٨

(٣) انظر، صفة العرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص ١٤، ٢٢، ٥٠، ١٦٦، ١٩٧



وقد جمعت الخريطة والكتاب في مخطوطات عديدة<sup>(١)</sup>، ولكنها ليست كاملة دائماً، إلا أنها في مجموعها تمكن من بناء متن الكتاب والخارطة معاً.  
رحلة أبي حامد العرماطي<sup>(٢)</sup>، في لقرن السدس الهجري، الذي يمثل إضافة حقيقية للجعرايين وأدب الرحلات، يقول جمال حمدان: «ويجوز أن تعدّه سدياد بحر وسر معاً أو

(١) ينسج كراتشكوفسكي إلى مخطوطتين لقرنيتين من الصف الأول للقرن ثامن عشر، وهما مخطوطتا باريس وأكسفورد وأنه قد ضم إليهما أيضاً مخطوطات استنبول، ومخطوطة القاهرة، ويبدو أن الأمر في العثور على نسخ من كتاب الإدريسي لا يزال يراود الكثيرين حتى الأونة الأخيرة، فضلاً عن عدم تقرياً تواترت الأبياء بالكشف عن مخطوطه له في شومين ببلغاريا، إلا أن نقصني صحة هذا لرغم أن يتم، وخلال نفسه في الرعم القائل بوجود كتاب الإدريسي في إحدى مجموعات المخطوطات بمدة الوصول وحلثا نشرت قطع من كتاب الإدريسي صفة المسد وما يجاورها من البلاد ١٩٥٤م، و صفة غرب وأرض السودان ومصر والأندلس ١٩٦٨م، و القارة الإفريقية وجريدة الأندلس ١٩٨٣م والمغرب العربي من كتاب ترعة المشتاق باللعنن العربية و لغربية ١٩٨٣م، وأعداد سر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢م، انظر: مريداً من، تحقيق عن هذه المخطوطات، تاريخ الأدب الجعراي، العربي، ص ٣٠٩ ٣١١ وتاريخ الفكر الأندلسي، ص ٣١٣، وقد تناولت أمة ليدوي ترجمات كتاب الإدريسي بشيء من العصيل في دراسة عالم نشر بعد، وهي بعنوان تتبع رحلات الأندلسيين والعبارة للطبوعة والمخطوطة من القرن الثالث الهجري وحتى لقرن التاسع الهجري، الجامعة الأردنية، ص ٦٧

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد ارحيم بن سليمان القيسي، يكنى ألياً محمد، وأبا بكر، ولد عام ٤٧٣ هـ ١٠٨٠م رحالة جوايا، مدمراً قصى حياته في الرحلات داخل وخارج دار الإسلام، رار صيفية سنة ٥١١ هـ وسها ذهب إلى مصر ثم دار بغداد، وإيرن، ووصل إلى هساف نهر الفولجا ورر هناريا، وهاك كان يملك مراً، بل إن به الأكبر قد تزوج سيدتين من أهل تلك البلاد، وأنتم به نهاية، ثم عاد إلى بغداد والوصول، وتوفي سمشق عام ٥٦٥ هـ/ ١١٧٠م انظر ترجمته رحلته المعروف عن بعض عجائب المغرب، مقدمه لمحقق، ص ١٠، لغري، ص ٢٣٥/٢، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجعراي، العربي، ص ٣٢٦

ابن الأندلس، فهو ليس كاتب رحلة، ولا جامع عجائب وخرائب، ولا جنترافياً خالصاً بالطبع، بل الثلاثة معاً<sup>(١)</sup>

وجد سجل أبو حامد العرناطي كل مشاهداته وخبراته في كتابين تحفة الألباب وخبية الإعجاب<sup>(٢)</sup> و المعروف عن بعض عجائب المغرب، حيث اتجه النجاشاً حظيراً، نحو تصوّر المعجائب و لمرائب بطريقة خرافية غير معقولة، غير أن بعضها اليوم يُرى معقولاً

فانتحفة ألفتها صاحبها بعد أن طوّف في أصقاع كثيرة من بلدان المغرب والشرق ليجمع فيها ما شاهد وسمع من عجائب الدنيا، قسم كتابه إلى أربعة أبواب ذكر في الأول منها نصف الدنيا وسكانها من إنسها وجانها، وحصر الباب الثاني في نصف عجائب المدن وخرائب النيان، أما الباب الثالث، فيشمل نصف الحار وعجائب حيواناتها وما يخرج منها من لعنر والقار وما في جزائرها من أترار النقط والآثار، بينما تحدث في الباب الأخير عن صفات الحفائر و لقصور وما نضمت من العظام إلى يوم البحث والتشور.

وقد جاء الكتاب حافلاً بأملّة المعجائب التي جمعها المؤلف ليبر من خلالها عظمة الخالق، فلأمساخير والخرافات تظلّ أمتع ما يوجد في التحفة، حيث تأخذ القارئ وتشده

(١) مفاتيح تاريخ الجغرافية و الجغرافيين في الأندلس، تأليف د حسين مؤنس، مجلة المجلد، العدد ١٤٥، السنة ١٩٦٩، ص ١٢

(٢) وقد تداول السّاح التحفة وتصرفو بها، فتعدّدت متونها واختلعت بصورها، فاعتمد بعض النادرين مطبوعة ميريل بيران الفرنسية التي نشرها في المجلد الأسبوعية سنة ١٩٢٥م وحققها إسحاق الميري، وصدرت عن دار الخليل (بيروت)، ودار الآفاق الجديدة (المغرب) وبعضهم اعتمد مطبوعة المشرق الإسباني صيرار دولر التي نشرها سنة ١٩٥٣م. بمران رحلة أبي حامد إلى بلاد آسة وأورونة وعن مطبوعة دولر إحدى نسخ التحفة الأولى لتحفة أبي حامد العرناطي، التي قام فيما بعد بتفصيلها وتزيينها، وإضافة موضوعات أخرى إليها، انظر، ابن عرناطي، سير حامد، تحفة الألباب وخبية الإعجاب، ط ١، حرّرها، قاسم وهب، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣، ص ١٧-١٨.



إليها شدد، فلا يجد حناصاً من متاعه انقضاء والاستمتاع بالحكايات التي تنأى عن الواقع اليومي. بل إن المفارقة الكبرى في تحفة أبي حامد الغرناطي، أن يصعب من خلال هذا الحجاب على القارئ حتى يلتزم بواقعية ما يروى، فالجانب الأسطوري والخرافي يطغى على الواقعي.

ولعل قيمة رحلة الغرناطي مرتبطة إلى حد كبير بجانب الأسطوري والخرافي الذي يأتي الرحالة أن يتعته بهاتين الصفتين: إذ يحاول أن يقنع المتقبل بصحة ما يرويه له، فيذهب إلى أن عدم التصديق لما يرويه يجرى إلى ضعف في نسبة العقل لدى المتقبل من جهة، وإلى الجهل من ناحية ثانية لأن الذي يعرف الجائر والمستحيل يعلم أن كل مقدور بالإضافة إلى قدرة الله تعالى قليل، فالعاقل إذا سمع عجباً جائزاً استحسسه ولم يكذب قائله ولا هجته، والجاهل إذا سمع ما لم يشاهد قطع بتكذيب وتزييف ناقله. وذلك لفكرة بضاعة عقله، وضيق باع فضله<sup>(١)</sup>

لهذا، فإن التحفة تحفة فنية أتم الرحالة تصنيفها في عام ٥٥٧هـ / ١١٦٢م بالموصل عروسية من عالم متصرف هو الأردبيلي<sup>٢</sup>. وهي تحفة تزد بها إلى الوراء. لتصور عرافات البلاد والشعوب. ابتداءً من أاجوج وماجوج إلى أمم السودان وإلى الهند والصين، وتصور الحيوانات الأسطورية.. إلخ

ويصل بتلك العجائب إلى علوم الكون، ويصف ظواهر الكون وحركاته، وهو مع ذلك لا تغلو عجبته من حقائق صحيحة ومعلومات حقيقية، جبل السار بصقية<sup>(٣)</sup>

(١) أبو حامد الغرناطي، رحلة التحفة، ص ٢٤

(٢) هو معين الدين أبي حمص عمر بن خضر الأردبيلي، وهو مؤلف معروف ذكره بركلمان وسب إليه كتاب وسعة المتعدين، انظر ترجمته، أبو حامد الغرناطي، تحفة الأناضول، مقدمه المحقق، ص ١٢، ومن الرحلة، ص ٢٢، ومؤنس، حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ص ٣٢٣، وكركاشكوسكي، تزيح الأدب الجغرافي العربي، ص ٣٢٦-٣٢٧

(٣) أبو حامد الغرناطي، رحلة التحفة، ص ٩٠، ١٥٥

(بركان أتنا) والبحر الداخلي التي تتصل بإعيط الأعظم وتخلو من امد والجسر<sup>(١)</sup>، وحكايته عن هغاريا تاقى صوماً على أصل المسلمين الهغار وأوضاعهم ومعلوماته عن شعوب القوقاز نالت أهمية كبرى<sup>(٢)</sup>، وكذلك ملاحظاته التي سجلها عن الأقليات المسلمة من المغاربة أو الخزرانيين، حيث يصف وضعهم السياسي، وكيف يتظاهر البعض بالانصرانية ويكتم الإسلام<sup>(٣)</sup> الخ.

والمغرب<sup>(٤)</sup>، رحلة تعد وثيقة تاريخية وجغرافية نادرة عن مختلف البلدان التي زارها، حيث يرسم صورة دقيقة لثلاثة الطسعة ولط الحاة في ثلث الأصقاع. فيصف قصر النهار وطول الليل في الشتاء في مناطق جنوب روسيا<sup>(٥)</sup>، ويذكر أسماء العديد من أصناف الأسماك، كاسماك الحطاف ولرغاد، إلخ<sup>(٦)</sup> وخلال ذلك كله يحدد آخر حدود الإسلام تحت تلوح العروض الشمالية المطمة<sup>(٧)</sup>.

رحلة بنيامين بن بونة التطيلي الناري الأندلسي (ت ٥٦٩هـ) في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وهو تاجر أخذ يتجول في بلدان المشرق الإسلامي وأوروبا

(١) المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ١٥٣، ١٥٥، وتاريخ الجعر في المغرب، ص ٣٢٦ ٣٢٩.

(٣) أبو حامد الغرناطي، رحلة التفتة، ص ١٣٨.

(٤) ومن التسميات الأخرى للمغرب بحية الأدهن في عجائب البلدان، الذي أخذ من مخطوطة أكاديمية التاريخ بباريس، وللهذه المخطوطة نسخة أخرى في مكتبة جوتنا تحت رقم (١٥٣٥)، وقد درسها هارتموتج ديربور، وكتب عنها مقالاً وجم فيه للمخطوط ما هو صميم التحقيق، عند أرائه (١١١) ورقة. وسما أيضاً المغرب من بعض عجائب البلدان انظر، مؤسس، حسين، تاريخ المغرب، والجغرافيين في الأندلس، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٥) الغرناطي، أبو حامد، المغرب عن بعض عجائب المغرب تحقيق، إسماعيل بحار، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٦١، ص ٢٩ ٣٠.

(٦) أبو حامد الغرناطي، المغرب، ص ٧٦-٧٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ١١٥-١١٦.



بدافع الاطلاع الشخصي على أصول اليهود، ورحلته مدونة بالعبدية، وترجمها إلى العربية  
عزرا حنك وبشرت في بغداد عام ١٩٤٥م

قام برحلته سنة ٥٦١هـ-٥٦٩هـ/١١٦٥م-١١٧٣م، حيث انطلق من قطيف ليبدأ  
بعد ذلك جوفته في يروشلم، وسواحل فرنسا، ثم يتجول بعدها في سوريا ولسان ودجلة  
والسرات، ويست المقدس، حيث يصعب وضع ايهود تحت لاحتلال السليبي، ويقدم  
معلومات عن ايهود، وعدهم وأحوالهم وأوضاعهم ومراكزهم العسية والاجتماعية<sup>(١)</sup>،  
ثم يتابع رحلته إلى جزيرة العرب، ويروي لنا بعض الأساطير والحكايات التي كان  
يسمعا أو كانت تروى له ثم يقص أحبار محار الصين وأحوالها ومهالكها<sup>(٢)</sup>

رحلة ابن جبر<sup>(٣)</sup> في أواخر القرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع الهجري  
وهي حفة عرضت الدراسات لبعثها الجغرافيه والتاريخيه والاجتماعيه، إذ إنها كثر  
حامل لمعلومات، بل هي غير ما أتى به شاهد عيان من كتبنا من الحروب الصليبية  
على لا إطلاق<sup>(٤)</sup> ويبحثها كراشكوفسكي بحق دروة من بلغته منط الأرحسة في الأدب  
العربي<sup>(٥)</sup>، فمن الأندلس إلى مصر صعداً في النيل إلى عباد إلى الحجار إلى العراق  
فالشام، ثم عودة بالبحر عن طريق صقلية، ويقدم لنا ابن جبر رسالة ثاقبة في اللاحه  
البحرية المقارنة بين البحرين المتوسط والأحمر

ولم هم من جبر برحلة واحدة، بل قدم ثلاث رحلات أشهرها الرحلة لمشورة  
تذكرو بالأخبار عن اتفاقات الأمصار، التي استغرقت ثلاث سنوات (٥٧٨هـ  
٥٨١هـ/ ١١٨٣-١١٨٥م) وقد لفتت أنظار الدارسين، وكثر لأخذ عنها، وعظمت

(١) انظر: رحلة بنيامين التيطي، رحة عزرا حداد، بغداد، ١٩٤٥، ص ٩٨-١٠٤

(٢) انظر: الفصل نفسه، مقدمة المرجع، ص ٢٧.

(٣) انظر: ترجمته في هذه الدراسة، ص ١٣، حاشية رقم ١

(٤) انظر: مؤسس، حسين، تاريخ الجغرافية والحرميين في الأندلس، ص ٤٥٠

(٥) كراشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٣٣٥

العناية بها، فالقري نوءً بالتشعارها بين الفتره في عصره، يقال له رحلة مشهورة بأيدي الناس<sup>(١)</sup>، وقال ابن الخطيب **صَبَّ الرِّحْلَةُ** لمشهورة وهو كتاب مؤسس منحه مثير سواكن الأنفس إلى تلك المعالم<sup>(٢)</sup>، وفي دراسة موسعة لحسين مؤسس في الجغرافية و الجغرافيين، يقرّر أن ابن جبر يُلغُ ذروة سامقة في أدب الرّحلات<sup>(٣)</sup>

هنا، فقد مالت هذه الرّحلة حابة التّارمين و لباحثين فشرت عدة نشرات وتوجت إلى اللّغات العاليّة<sup>(٤)</sup>.

أما رحلته الثّانية فقد استغرقت عشرين (٥٨٥هـ / ٥٨٧هـ / ١١٨٩ - ١١٩١م) وكانت بعد سماع ابن جبر فتح صلاح الدين الأيوبيّ لبيت المقدس (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، وقام برحلته الثّالثة إلى المشرق وهو شيخ كبير قد أحرثه وفاة روجه في عام (٦٠١هـ / ١٢٠٤م) ولم يرجع إلى الأندلس مرّة أخرى بل أمضى أكثر من عشرة أعوام متنقلاً بين مكّة وبيت المقدس والقاهرة مشغولاً بالتدريس والأدب إلى أن وافقه الحية بالإسكندرية في عام (٦١٤هـ / ١٢١٧م) ورحلته الأولى فقد هي التي وصلت إليها تفاصيلها في كتاب معروف، وصعه بعد رجوعه عام (٥٨١هـ / ١١٨٥م)<sup>(٥)</sup>

(١) القري، فتح العلي، ٢/ ٢٨٦

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/ ٢٢٠-٢٢٩

(٣) مؤسس، حسين، تاريخ جبرائيل و لحمايين في لأندلس ص ٥١٩

(٤) لم يعرف سوى مخطوطة وحيدة لرحلة ابن جبر. وكتاب موجودة بأيدي ويرجع تاريخها إلى عام ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م. وأصبحت الرّحلة معروفة لدى الناس بفضل الطبعة الخيرية لدموري وأندري هما يعلّقان مائة نسخة بصيغة المئات. وم ثلث المجلد أن أصحت في متناول الأيدي بفضل الطبعة الكريمة التي شرها للمشرق البريطاني رايت ١٨٥٢م، وأعيد طبعها في سنة ١٩٠٧م انظر، رحلة ابن جبر ص ٦، وكراشكوفسكي، تاريخ الأدب اسغرافي العربي، ص ٣٢٣-٣٢٤

(٥) انظر، كراشكوفسكي، تاريخ لأدب اسغرافي العربي، ص ٣٢٣



وقد وجدت بعض الرحلات التي لا تتلو من بعض النسخة بالبرقي والإدريسي  
وبن جبير ومنها كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار<sup>(١)</sup> لرحالة ومؤلف مراكشي  
مجهول، ويبدو من خلال بعض الروايات في لرحلة أن هذا الرحالة قد عاش في عهد أبي  
يوسف يعقوب المصنوع الموحد الذي حكم ابتداء من عام (٥٨٠هـ/١١٨٤م) إلى عام  
(٥٩٥هـ/١١٩٨م).

ويخرج كراتشكوفسكي أن تاريخ تأليف الكتاب يعود إلى عام  
(٥٨٧هـ/١١٩١م)، وأن الرحالة المجهول قد أذى فريضة الحج، فهو يصف الحرمين  
وصفاً مفصلاً ثم ينتقل إلى الكلام عن مصر ويتحدث عن أهراماتها، ثم ينتقل إلى بلاد  
المغرب والسودن، ويجهد في تحيل جميع ما رآه في طريقه وكل ما سمعه عن البلاد  
المحيط، ويعطي وصفاً دقيقاً لها كما أضاف أيضاً إلى الكتاب روايات ومعلومات عن  
مدينة فاس<sup>(٢)</sup>

رحلة ابن سعيد المغربي الأندلسي الغرناطي<sup>(٣)</sup>، في القرن السابع الهجري، وقد تقل  
ابن سعيد في تحياله من المغرب في مختلف الأمصار، والتقى بأكابر العلماء، ورأى أفضل

(١) يرى كراتشكوفسكي أن المعلم يدين بمعرفة هذه الرحلة إلى كرمير A. Kremer الذي نشر تلك عام  
١٨٥٧م معتمداً على مخطوطته مع عرض مفصل لمصنوع الكتاب باللغة الأندلسية، ومخطوطة  
ماريس التي استعملها لأول مرة أماري قد ساعدت في تغطية النسخ التي بمخطوطة فاس، غير أنها  
لا هي ولا مخطوطة الجزائر دونها على حل المشاكل المتعلقة بأصل الكتاب ومضمونه أما رحلة  
فانيان، ١٩٠٠، التي اعتمد فيها على المخطوطات الثلاث ورودها مكتبة من الشروح والتعليقات  
فهي مثل غيره في هذا السبيل وإن كانت لا تقدم لنا الكتاب في صورته الكاملة انظر تاريخ  
الأدب المعاصر في المغرب، ص ٣٣٥-٣٣٦، ومؤلف مراكشي مجهول من القرن ١٦هـ الاستبصار في  
عجائب الأمصار وصفة مكة وتلخيص مصر وبلاد المغرب، تعليق سعيد زعلول عبد الحميد، دار  
الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، ١٩٨٤ مقدمة لمحقق وانظر، ابن ربيع القاسمي، الأسس  
للطرب بروح القوط في أعين ملوك المغرب ومدينة فاس، ص ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩،  
١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤



الكتب<sup>(١)</sup> وعبر عن حبه لوعته بأشعار عاطفية عميقة<sup>(٢)</sup>، ووضع سائر المدن التي زارها في مرتبة دون مرتبة مدن الأندلس وأنا أقول كلاماً فيه كثافة منذ خرجت من جربة الأندلس وطلعت برّ الحدود، ورأيت مدنها اعظيمة كمراكش وباس وصلا وسبتة ثم طقت في إفريقية وما جاورها من المغرب الأوسط، قرأت بجاية وتونس، ثم دخلت الزيار المصرية، قرأت الإسكندرية والقاهرة والمسطاط ثم دحنت الشام قرأت دمشق وحلب وما بينهما، لم أر ما يشبه روتن الأندلس في مياهها وأشجارها إلا مدينة فاس بالمغرب الأقصى ومدينة دمشق بالشام وفي حماة نسخة أندلسية<sup>(٣)</sup>، وقد دون ابن سعد أخبار ومعالن البلاد التي زارها في بعض مؤلفاته، ومنها المغرب في حلى المغرب<sup>(٤)</sup> والمشرق في حلى المشرق<sup>(٥)</sup>، ولابن سعد رحلتان: رحلة المستجد وعقلة المستوفى<sup>(٦)</sup> والصحة المسكينة في الرحلة المسكينة<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر، القرطبي، مع الطيب ملخصاً من الإحاطة ٢٧٢ / ٢ ٢٧٣

(٢) انظر، المصدر نفسه ٢٧٠-٢٦٢ / ٢

(٣) القرطبي، مع الطيب ملخصاً من الإحاطة ٢٠٩ / ١

(٤) المغرب في قسمه الأندلسي، مطبوع في دار المعارف بقصر، بمطابق شوقي صيف، في جريش كبيرين، أم المغرب في قسمه المصري، فقد حقه ركني محمد حسن وشوقي صيف، وسيد إسحاق كاشف، وبين أيديها جزء واحد قاس طبعه كلية الآداب بجامعة القاهرة، ١٩٥٣م

(٥) وردت بعض الإشارات إلى وجود نسخة منه بمكتبة أحمد محمود ولا يعرف سبب مع شرها انظر، حسن محمد عبد المهي، (١٩٩٩) ابن سعيد المغربي، مؤرخ، الرحالة، الأديب، القاهرة، مكتبة الأجلو المصرية، ١٤٧

(٦) ذكر القرطبي هذا الكتاب وقال في وصفه ذكر فيه أنه ارسل من تونس إلى مشرق رحلته الثانية سنة ١١٦ هـ وأورد في هذا الكتاب غرائب وبذائع، سفر، مع الطيب ٢ / ٣١٨، وإسعادني، إسعادني، ناش، بن محمد البياضي، (ت ١٢٣٩ هـ) إيضاح المكون في الدليل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والصور، عني تصحيحه وطبعه محمد شرف ليدى، وكالة المعارف، طبعه، استوتون، ١٩٤١ ٩٦ ٢

(٧) ذكر، القرطبي خلاً من الإحاطة وقال: وحج ثم عاد إلى المغرب، وقد صنف في رحلته مجموعاً سماه بالصحة المسكينة في الرحلة المسكينة انظر، مع الطيب ٢ / ٢٧٣، وإيضاح المكون في الدليل على كشف الظنون ٢ / ٦٧١



رحلة أبي محمد النجاشي<sup>(١)</sup>، في القرن الثامن الهجري، وقد حُجِرَ من سوس لأداء فريضة الحج عام ٧٠٦ هـ، وتتميز رحلته بأهمية كبرى وذلك بترويضها لنا بمعلومات وافيه عن جميع المناطق التي زارها وعن الأصناف المجاورة لها، وهي تتناول مسائل الجغرافيا، ومسائل التاريخ الطبيعي حيث تعرض لأحبار ابدى والقرى والسكان وعاداتهم كما عرّف النجاشي بالمفقه والأدباء الذين لقيهم أثناء تجواله في البلاد التونسية وطرابلس، وقد قدّم للمرحلة حسن حسبي عبد الوهاب، وطُبع في المطبعة الرسمية بسوس سنة ١٩٥٨ م.

رحلة ابن بطوطة<sup>(٢)</sup>، في القرن الثامن الهجري، حيث زار معظم لبلاد الإسلامية في عصره، بل زار بعضها مرتين وثلاثاً، فقد مرّ بمصر والشام والعراق والحريرة العربية أكثر من مرّة، وقطع الحريرة العربية من الشمال إلى الجنوب ومن ناحية الحجر، ثم عاد فمرّ بجيوبها الشرقي عبد غمان، واحترق بلاد غمان وزار القطيف ثم البصرة ومضى بعد ذلك إلى الأهواز في إيران، ثم زار تمية انصهرى، وتروى في بلاد ما وراء النهر، وغد الإسلامية، وذهب إلى سومطرة ومنها إلى الصين ثم عاد إلى اهند، وزار حريرة سردينيا، أمّا دلفي والقرط وبلاد السند فقد أقام فيها سنوات طويلة.

وجاءت رحلته تحفة الظّار في عرائب الأمصار وعجائب الأسفار سجلاً حافلاً عن أوضاع المسلمين، فقد شاهد الكثير وعرف كيف يصور ما شاهده بدقة وبساطة، فجعلت

(١) قيل (أو أحد) ر (أبو محمد) عبد الله النجاشي التونسي، ولم يثبت اسمه في المصادر بصورة قاطعة، خرج من تونس مصحبة أمير من بني حفص، هو يحيى بن روكيا، وبدا بعد عندما أصبح هذا الأمير حاكماً على تونس صار النجاشي من حذائه المقربين إليه كما لم تنسب سنة ميلاده، وسارخ وقاته (٦٧٠ هـ-٦٧٥ هـ-٧١٨ هـ-١٢٧٦-١٢٧٦ هـ-١٣٠٨ م) انظر رحلته، في رجة النجاشي، قدّم لها، حسن حسبي عبد الوهاب، الدار العربى للكتاب، لساء تونس، ١٩٨١، مقدمة الرحلة، ص ٢٠ وما بعدها، والحداري، الصود الالامع ١٢٦/٢، وتاريخ الأدب الحداري العربي، ص ٤١١-٤١٢، و ساء السيد عبد المرير، (١٩٨١) التاريخ والمؤرخون العرب، بيروت دار النهضة العربية، ص ٢٣.

(٢) وردت ترجمته في الدراسة، ص ١٤، حاشية رقم ٩.

منه الأقدار رحالة ماهر، عند العرب، ذلك لأنه هدف بلرحلة لعداتها وخسرت في مجاهل الأرض استجابة لرغته الجارفة في التعرف على لأقطار والشعوب، بعد أن كان ياعشه الأول على الرحلة هو إرادة الحج. وقد رحل ثلاث رحلات أوقفا سنة ٧٢٥هـ وانتهى منها ٧٥٠هـ. وكان له من العمر حين ابتداء الرحلة اثنان وعشرون عاماً. ورحلته الثانية في مملكة غرناطة بالأندلس، وذلك لتلا يموت هذا القسم من العالم الإسلامي قد كن حريص على استيعاب البلاد الإسلامية بالزيارة ليشاقى له أن يقول مفتحراً على السائح المصري الذي تقي به إحدى المدن وهو من الصالحين جال الأرض إلا أنه لم يدخل الصين ولا جزيرة سرينيب ولا المغرب ولا الأندلس ولا بلاد السودان، وقد ردت عليه بدخول هذه الأقطار<sup>(١)</sup>. ولبصبح بعد ذلك مسافر العرب والعجم كما قال له أحد الشيوخ في بعالة أنت مسافر العرب فقال له من حضر من أصحابه والعجم يا سيدنا فقال: والعجم فأكرموه<sup>(٢)</sup>.

ثم شرع في رحلته الثالثة إلى بلاد السودان ٧٥٣هـ وبما هو في تكدا، واما امر السلطان أبي عام بالرجوع إلى المغرب فكر راحعاً إلى مجملمايه عن طريق توات، وفي نهاية عام ٧٥٤هـ وصل إلى فاس ويكون بهذا قد قضى زهاء ثمانية وعشرين عاماً وتريد في التفتل وثر حال ويدعو أن السلطان كان مشتغلاً بشيخ دعائم ملكه وعمارية أمدائه، ثم ساه لأهمية ما يقوم به ابن بطوطة، فقده باستدعاء الرحالة من بلاد السودان، وأمر الكاتب ابن جري<sup>(٣)</sup> أن يكتب ما يمل به عليه ابن بطوطة، فقام بن جري بم كلف به من صم أطراف الرحلة وتصفها وتهديها، وانتهى من ذلك عام ٧٥٧هـ<sup>(٤)</sup> وقد ترجمت الرحلة مرات عديدة<sup>(٥)</sup>.

(١) رحلة ابن بطوطة. ٢٧٨/١

(٢) المصدر نفسه ٢٠٩/٢

(٣) وردت ترجمته في هذه الدراسة، ص ٣٢، حاشية رقم ١

(٤) رحلة ابن بطوطة ٣١٢/٢

(٥) انظر، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب لخرافي العربي، ص ٤٧- ٤٧١



رحلة ابن الحاج العرناطي<sup>(١)</sup>، فيض العباب وإفاضة فداخ الآداب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزآب، في القرن الثامن الهجري، وهي رحلة رسمية قام بها ابن الحاج مع بطلها ومعتددا السلفان أبي عان لمربي وقد جاءت هذه الرحلة لأسباب دينية وسياسية أبرزها توحيد صفوف المسلمين ولتصالح على الفتن التي تثيرها الأعرب في التواحي الشرقية<sup>(٢)</sup> تلك البلاد الخاصة لسلطان أبي عان، وجاءت على مرحلتين الأولى كانت داخل المغرب من ماس إلى سلا والرجوع إليها والثانية من ماس إلى قسطنطينة ثم إلى الزآب ثم الإياب.

ونعزّ رحلة فيض العباب معدراً هاماً من مصادر تاريخ المغرب الأدبي والحضاري في العصر المريني، وقد ألقت لصوء على جوانب الاستقرار والصبح والاردهار الحضاري في مختلف المجالات السياسية واقتصادية والثقافية والعمارة والاجتماعية، لرحلة هامة من مراحل عهد دولة بني مرين.

رحلة لسان الدين بن الخطيب<sup>(٣)</sup>، في القرن الثامن الهجري، حطّة أظف في رحلة الشتاء والصيف وهي رحلة رسمية قام بها سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف لأول<sup>(٤)</sup>، ومعه وزيره ابن الخطيب، لتصفد أحوال الثمور لشرقية لمملكة غرناطة سنة ٧٤٨هـ.

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم السبكي المعروف بابن الحاج العرناطي، (٧١٢هـ - ٧٧٤هـ)، وقال القرني ينقل ملخصاً عن الإحاجة شأ على عفاف وطهارة، وبلغ العدة في جودة الخط ويروي الحديث مع العهدة والرامة، شرق وحج وطرف وثيد واستكر ودون رحلة سمر، وقد بدأت تلك الرحلة سنة ٧٥٨هـ) انظر: ابن الحاج السبكي، فيض العباب، دراسة عماد بن شقرون، الرباط، ١٩٨٤، مقدمة المحقق، ص ١، والقرني، فتح الطبيب ٧، ١٠٨-١٢٠.

(٢) انظر: ابن الحاج السبكي، فيض العباب، المقدمة، ص ٥٢.

(٣) وردت ترجمته في الدراسة، ص ١٠، حاشية رقم ٧.

(٤) انظر ترجمته، ابن الخطيب، الإحاجة ١١/٢، و لمربي، فتح الطبيب ٤/٣٠٣، ٤٢٤، ٤٢٢.

٥/٤١٣، ٤٣٦، وفي صمعات متفرقة من الأبرار، ٦٠٧.

وفد دون ابن الخطيب ما رآته عيناه، وسمعه أذنه في جميع رحلاته، فأصبحت بمثابة غنية عن حصار العرب الإسلامي في تلك الفترة، وثبتت مشاهداته في أماكن متفرقة من كتبه، بالإضافة إلى رحلته خطرة العيف:

- مفاسحات مانقة وسلا، وهي مفاضلة بين المدن الأندلسية وإحداها، لمغربية في مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، وهي عبارة عن وصف لأهم مدن المغرب مع وصف مدن مملكة غرناطة

• رحلته التي دونها في كتابه نقاضة الحروب في علالة الاغتراب، وتجدد الإشارة إلى أن ابن الخطيب كان يعتبر هذه الكتاب مذكرات شخصية عن فترة من أهم فترات حياته، ولكنها ناقصة غير كاملة، إذ يبدأ وسدون مقدمات بالصعود إلى جبل هتالة<sup>(١)</sup>، ويصف شيوخ قبيلة هتالة، وحسن استقبالهم له الخ<sup>(٢)</sup>

والتعفن في جمراته من الخطيب يرى أنها غير مقصوده لذاتها، فهي ساهي كحط جاتي في شاطئاته الأدبية والتاريخية، ونتيجة لخبراته في الحياة العملية، وهي إنسا مقدمات حقراثة تاريخية، أو شدرات أدسية في رسائنه، أو حتى في مقامات فنية، وعسى هذا تنصاعل نسبة الجمرية فيها، وكلها تدور إما حول الأندلس وإما حول المغرب<sup>١</sup>

(١) هتالة جبل في مراكش قرب الأطلس، وقته مطاة دائما بالثلوج انظر - ليون الإفريقي - الحسن بن محمد الوراء الناصي، ١٩٨٣) وصف إفريقيا، ترجمة حسن المرستية، محمد حبيبي، محمد الأعصر، ط ٢، دار العرب الإسلامي بيروت / ١٤٢ / ونظر، رحلة ابن خلدون، التبريد، ص ٨٣، حاشية رقم ١٤٠، وابن الخطيب، خطرة العيف، ص ١١٣، والحاشية رقم ٤٩١

(٢) ابن الخطيب، رحلة خطرة العيف، ص ١١٧

(٣) انظر، نقاضة الحروب في علالة الاغتراب بشر ويعلين أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العويز الأهواني، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٤٦ وما بعده، ورحله خطرة العيف في رحلة الشتاء والصيف، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، ودار العادسي للنشر، عمان، ٢٠٠٣، ص ٣٦

(٣) انظر، حمدان، جمال، تاريخ الجغرافة والمغراميين في لأندلس تأليف د حسين مؤسي، مجلة، العدد



غير أن لذقة في الملاحظة، والزوج الحيرة التثقلة المتدفقة لتي سمت بها أوصاف ابن الخطيب ومشاهدته، نذلّ جميعاً على أنه رحالة من الطرار الأول<sup>(١)</sup>

التعريف بابن خلدون<sup>(٢)</sup> ورحلته غرباً وشرقاً، في القرن الثامن الهجري، وابن خلدون عيّن من التعريف، فهو راصح القدم في دراسة التاريخ وياحث مهجه العلمي، وواضع أسس علم الاجتماع، ويرجع الفضل إليه في وضع كثير من اصطلاحات التي جرت على الأفلام والألسن من بعده، مثل العمران البشري، والاجتماع الإنساني، الخ<sup>(٣)</sup>.

وقد تنقل بين خلدون في مختلف أقطار المغرب والأندلس، متصلاً بملوكها، ورافعاً في الحصول على المناصب العليا، فحاض غمار سياسة، وكبد المزامرات، وثره ناره وريراً أو حاحياً، وأخرى وراء قصبات السّجن، بل أن ستم السياسة، ولخاً إلى بني حريف في قلعة ابن سلامة في جنوب قسنطينة، حيث كتب ابن خلدون مقدّمته الشهيرة، وبدأ بعدها بكتابة تاريخه، ثم رحل إلى الشرق سنة ٧٨١هـ وأقام بالقاهرة يمارس فيها التعليم ويتولّى القضاء ولم يرح مصر إلا حاساً إلى مكة والحجاز.

أما التعريف، فهو قصة حياته إلى قبيل وفاته، ذكر فيه أصله وأحداث أسرته، وأحداثه هو، وثقافته، وأساتذته، وتحدث عن صلاته بالملوك والأمراء، وتنفذ في الفصور، وذكر اعتناقه وتثرفه، وذكر رحلته إلى الأندلس والتصاله بملك غرناطة، ووزيره لسان الدين بن الخطيب وسفارته إلى ملك قشتالة، ثم حديثه عن عودته إلى تونس، ورحيله إلى مصر وحياته فيها

(١) انظر، رحلة خطر الطيف، مقدمة الحقق، ص ٢٨

(٢) وردت ترجمته، ص ٢١ من هذه الدراسة، حاشية رقم ٥

(٣) اخوي، أحمد، (١٩٧٢) أدب ابن خلدون مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٣، ص ٥٣

رحلة الفيلسوف<sup>(١)</sup>، في القرن التاسع الهجري، وقد امتدأها سنة ٨٤٠هـ ووصد فيها مظاهر الحركة الفكرية في مملكه غرناطة، وأحزء من العالم الإسلامي، كان قد ارتحل إليها، ومنها تلمسان، وتونس، وطرابلس الغرب، والقاهرة وأحرمين الشريين وأعطى صورة واضحة عن تلك الحياة الفكرية والعلمية والاجتماعية، والشيوخ والعلماء الذين التقى بهم، وترجم هم وذكر أسماء الكتب والمدارس التي انتشرت في ذلك العصر، مما جعل رحلته تحل مكانة عالية بين الرحلات.

رحلة أبي عبيدة المحاسني<sup>(٢)</sup>، في القرن التاسع الهجري، رسالة العربية إلى الحبيب<sup>(٣)</sup> وقد أزعجته البجائي وارس بها إلى صديقه المشدلي<sup>(٤)</sup>، حيث انتهجها بقصيدة أشاد فيها بالمشدلي ومكانته العلمية، وذكره بما كان يبههم من ذكريات أيام لقائهما في بجاية<sup>(٥)</sup> والذهرة والحجار، ثم تحدث أبو عبيدة عن رحبه من مصر إلى الحجاز، وعن المراسلات التي كتبت بينه وبين أشدلي كما ذكر أبو عبيدة في رسالته كتابه المفقود، وهو (ألس الغريب) وأشار إلى أن جزءاً من هذا الكتاب تضمن وصف الرحلة التي قام بها من بجاية وتونس إلى الحجار عبر مصر وتنتهي الرسالة بدون ترميم ما حدا ذكر شهر شوال.

(١) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد القرشي الأندلسي السطحي، ولد في سنة ٨١٥هـ أو قبلها وتوفي ٨٩١هـ أنظر ترجمته، في رحلته، تحقيق محمد أبو الأحسان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٨، مقدمة المؤلف، ص ٧، والتبكي، بل الأتجاه، ص ٢٠٩، ولقاري، نصح الطب ٢/٦٩٢، ٥/٤٢٦-٤٢٨

(٢) ورجع ترجمته، ص ١٤ من هذه الدراسة، حاشية رقم ٢

(٣) ولد في بجاية (الخرات)، ٨٢٠هـ ودرس فيها ثم توجه إلى تلمسان بالمراسلة من العلم ونصي بها أربع سنوات ثم رجع إلى بجاية سنة ٨٤٤هـ وزار غنائه وقسنطينة وتونس وسيرت دمشق وطرابلس الشام وحملته بالندس وأذى فريضة الحج سنة ٨٤٩هـ، توفي سنة ٩٦٤هـ انظر، البجائي، رسالة العرب إلى الحبيب، ص ٣٠-٣٤، والسخاوي، الصور، اللاع، ٩، ١٨٠

(٤) بنياي مدينة على ساحل البحر بين إفريقيا وغرب، انظر، خمري، معجم البلدان ١/٣٣٩



وفد وقتت لدراسة أيضاً على بعض الإشارات المتناثرة في بعض كتب المصادر ولذا تلة على مجموعة كبيرة من رحلات التي ضاعت أخبارها أو لم يروها أصحابها، ومنها ما هو مجهول أو مخطوط عموط فوق رتوف، مكتبات لم يقم أحد بتحقيقه حتى الآن. ومن تلك الرحلات:

رحلة صالح من برند الرندي<sup>(١)</sup>. في القرن السابع الهجري، زوهر لأسس ومرحة النفس وهي رحلة إلى البلاد الحجازية، وقد جاء في مقدمة الرحلة أنه طرر هذا الكتاب باسم سلطان غرامة أبي عيد الله محمد الملقب بالفقيه من محمد ابن لأمر، ويقع الكتاب في مجلدين، وقد قصد الرندي أن يجعله أشبه بالموسوعات فقسمه إلى عشرين باباً، حتى كن منها موضوعاً مستقلاً عن الموضوعات الأخرى، وقد تناول موضوع رحلته الحجازية في باب من تلك الأبواب، حيث تناول موضوع احجاز ضمن الباب الثاني الذي تكلم فيه من الأرض وما يتعلق به من ذكر الأقاليم والبلاد، تكلم في شيء من التصيل عن مكة المكرمة ووصف البيت الحرام، كما تناول تاريخ المدينة المنورة والحرم النبوي.

ويذكر أحمد رمضان أنه لا يوجد من كتاب الرندي إلا المجلد الأول وهو بحورة محمد المنوي، ويسهي حد الباب التاسع ويقع في مئة وتسع وثلاثين ورقة تحتوي كل صفحة ثلاثة وعشرين سطراً، وهي مكتوبة بخط أندلسي واضح مليح عتيق، مكتوب بمحلول السواك على ورق قديم والمخطوطة خالية من تاريخ السج واسم السامح، ويقدر محمد المنوي أن تكون الكتابة قريبة من عصر ملولف ويرجح أن تكون من القرن الثامن الهجري. وهناك نسخ مصورة من المخطوطة بحورة معهد المخطوطات للجامعة العربية، وصورة أخرى بالخرافة العامة بالرباط<sup>(٢)</sup>.

(١) هو أبو الطيب صالح من برند بن موسى بن شهاب الرندي، (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وهو من أوائل الرحالة غير المعروفين، وروى عنه جماعة، كان فطها حافظاً، له مقامات بدعة، نشأ في طنز دره بي الآخر طنز. الأوسي الدبل والتكسلة، ق ٢، ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) انظر، حمد، رمضان، الرحلة المسلمون، ص ٣٤٠-٣٤١.



إن هذه الرحلات، وتعدد أسماء الرحالة يؤكدان الإشارة إلى كثرة الرحلات في مختلف العصور، وتراجمها، وتسجيل أخبار الأمم وأحداثها، إذ تكاد هذه الرحلات التي حصتها صفحات الكتب، تتحدى الزمان وتقارب الخلود، بعائنها التي لا تقتصر على نقر قليل من الناس، ولا على جبل من الأجيال، فهي منابع لا تنضب، تمدنا دائماً بمادة لا غنى عنها للتواصل للإنساني، بل هي سجل حصارى وثقافى

وفد مثلت هذه الرحلات اتجاهات مختلفة مما فيها من مادة وهيرة تقترب من الموضوعية لدى ابن جبر، إلى حدود تقترب من الخرافة والعرائنة كمن تجسدها رحلة أبي حامد الغرناطي، ورحلة ابن بطوطة إلى حد ما، ثم إلى الترجمة الذاتية التي تبرز بشكل كبير عند الوروخ المشهور، بن خلدون، فمضمون الرحلة هو حلية نفسها، بكل جوابها ومعطياتها.

• هناك اشارات لرحلات أخرى من القرون الثامن الهجري، منها رحلة الألف لمشرق لابن الطيب وقد أوردتها أحد الفوج عقب رحلة بن رشد ٣١/٢ ورحلة الوعبي السراج وابن جابر الوادي آنسي، وهي رحلات أقرب ما تكون إلى النهارس أو البرمج منها إلى الرحلات لأدبية وذلك لانعدام مؤلفها على أيدي الحبيب العلمية فقط، ومن الرحلات التي أشير إليها في القرن التاسع الهجري، رحلة أبي العباس أحمد بن الحسن بن عاتق المصطفي (٧٧٠هـ-٨٠٩هـ)، انظر، الشاذلي، تاج المرق ٩٠/١، ورحلة محمد بن سليمان بن داود الخروسي (٨١٣هـ)، انظر، البلوي، تاج المرق ٧٧/١ ورحلة أحمد درويش البرسي، ت ٨٩٩هـ وقد علب عليه التصوف متجربة وسع ومشاركه اتباع انظر، البلوي، تاج المرق ٩٠/١، وانظر ترجمته، السخاوي، الصور اللامع ٢٢٢/١



## الفصل الأول

### السياقات الثقافية والمعرفية في الرحلات

## ١- السياق الثقافي

فام الرّحالة بوصف رحلاتهم ومحاولهم ومشاهداتهم، وتدوين انطباعاتهم الشخصية، لذا جاءت رحلاتهم سجلاً وادياً عن الكثير مما تحويه تلك الرحلات من جوانب معرفية، ومدونات تمتّ إلى الجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والعمارة والأحوال الاجتماعية ولذيقه والثقافة بأوثق الصّلة، ين تعدّد الرّحالة ذلك إلى التّصغير والتّعمد للكثير من القضايا والمشكلات التي شهدتها عصورهم، وكانوا في معالجتهاهم يحاولون الإصلاح حيناً والتّقد حيناً آخر.

وقد جاءت كتب الرّحلات بمادة غنيّة راحرة بالوصف ولأحداث والأخبار، و بما له صله بالعرائب والعجائب، وبذا طرح الرّحالة للكثير من القضايا والسّبابات وكأنّه طرح لقائيّ مناسب الأصوات، متعدّد المستويات، ولكنّها في إطارها العام، دائرة من التّكامل العربيّ ولقائيّ لا تناقض فيها وإنّ الباحث ليجد صعوبة بالغة في نقن كلّ ما في تلك الرحلات، لذلك يقتصر البحث على نماذج تبرز جوانب من تلك الرّحلات، وهي نموذج تم اختيارها لتعكس بوضوح مظاهر الحياة والسّكان والسلاد، ولتؤكد الوحدة الإسلاميّة، والروابط القويّة التي ألفت بها الشعوب الإسلاميّة، وإن عرضت لبعض من الأوضاع السياسيّة المضطّرة في تلك البلدان حين بطوطه مثلاً، أمثل المواطن الإسلاميّ الذي طاف أرجاء العالم الإسلاميّ في القرن الخامس الهجريّ، بدماع المنارة ومبقي دليلاً على وحدة الشعور الإسلاميّ أيامها في أمصار الإسلام المتعدّدة، ومبقي يمثّل نوعية فريدة من الرّجال . فقد قدّم من خلال رحلته هذه كثيراً من المعلومات التاريخيّة [١].

وبهذا، فإنّ كتب الرحلات قدمت حقائق مهمة حدّاً عن مختلف العلوم والمعارف، وعبرت وثيقة تاريخيّة وجغرافيّة، وفكريّة وسياسيّة، وإداريّة، واقتصاديّة، ودينيّة، و اجتماعيّة لا يستعي عنها باحث في دراساته، وهي دليل لكلّ مسافر لتلك البلاد



ولأماكنها المقدسة ومعجم للشيوخ الأولياء، والفضلاء، والخطباء، ووصف للمدن  
ولمساجد وبلاطات السلاطين، وعادات الشعوب وتقاليدها ولعلم المصادر التي استقى  
من خلالها أدب الرحلات مادته، أقت دوراً بارزاً في تحديد سياقات هذه الرحلات  
العصر الذي تمت وكتب فيه، وصاحبها الذي عاشها ودونهاها، فأمثلاً بتتاح تجاربه  
وخبرته، التي لا يتألى به تحصيلها وهو ملتزم ببيت أو بلدة أو أن يكتبي بالسماح لذا فإن  
المرء يجد نفسه أمام حشد عامر من التفاصيل في مختلف جوانب الحياة التي قد لا يوجد  
نظيرها في مدونات التاريخ المألوفة، وربما تنفر كثير من المصادر لما يتوافر في كتب  
الرحلات، وقد كانت الرحلات هوناً للمؤرخين، والجغرافيين، وعلماء الاجتماع،  
لتأكيد الواقع والأحداث وأحوال المجتمعات في تلك العصور التي عاشها الرحالة، وذلك  
لدقة الملاحظة والوصف.

### أولاً: المراكز التعليمية ودور الكتب

كان العلم أثر أهداف الرحلة، كما عذت لرحلة في طلب العلم مظهر من مظاهر  
الحركة العلمية ودافعاً لها في مختلف العصور لإسلامه حيث سعى الرحالة الأندلسيون،  
ولمعاري للوصول إلى مراكز العلم في المشرق حتى ينهلوا، ما شاء لهم من منابع العلم  
وللعرفه<sup>(١)</sup> وقد أكثر الرحالة من التحدث عن حلقات العلم التي كانت تعقد في مبدأ  
الأمر بالمساجد والروايا والخوانق والمكاتب والبيمارستانات، ثم أخذت تشأ بعد ذلك  
مؤسسات ومراكز تعليمية مستقلة.

وكانت لمساجد والخوانق بالإضافة إلى أئمة مكان لتعليم، لا أن المسلمين كانوا  
يتحذروها خارج أوقات الصلاة، مركزاً لشرح تعاليم الدين والفقه، والعلوم الشرعية،  
وتلفين فنون العربية فبيت المقدس كان مركزاً لنشاط عدد من الفرق الإسلامية  
الكرامية، والمعركة، والمنشبة<sup>(٢)</sup> وقد أطلع ابن العربي من خلال هذه المجالس على علوم

(١) انظر: ابن سعيد العربي، المغرب، القسم الخامس بمصر: ٥٧٢/٦

(٢) انظر: ابن العربي، فتون التأويل، ص ٩٥.

ثلاثة علم الكلام، وأصول العقيدة، ومسائل الخلاف التي هي عمدة الدين ..<sup>(١)</sup> ويبدو أن مثل هذه المجالس تعدّ وسيلة لاستعراض القدرات الذهنية، والمواهب الإبداعية والعقيدة.

وحفلت الرحلات بما شهدته المدن الإسلامية من نشاط أوسع في المجالس الدينية والعلمية، ومن ذلك ما يلحظ من كثرة مجالس المسادة، وحلقات العلم التي كانت تعقد في المساجد والربايا والمدارس، وغيرها. وكان بعض الرحالة يهتمون بزيارة العلماء وحضور محاوراتهم ومناقشتهم العلمية، ومطارحاتهم الأدبية، ويتمّ ذدون على مجالس العلماء والشيوخ، للإفادة منهم والوقوف على ما صدرهم من علم ومعرفة، ويهتمون بملازمة الرجال، في حين أنّ حديثهم عن الأماكن والبلدان جاء لماماً

فرحلة ابن رشيد، مثلاً، أنبه ببرنامج علمي ذكر فيه شيوخه ومن لقيه من الحفاظ والمحدثين والتجدة والأدباء ونحوهم ثمّ نرحل داسماتهم وحلته، ومنهم جمال الدين المطار<sup>(٢)</sup>، فقد لقيه بجامع عمرو بن العاص بالمسطايط، والتقى بالدميري<sup>(٣)</sup> بزاوية الإمام الشافعي، أو بالفاضلية أو بالكاملية بمجلس ابن دقيق العبد<sup>(٤)</sup>

(١) انظر، المصدر نفسه، ص ٩٧

(٢) هو الشيخ الفقيه المصنوع، أبو صادق محمد بن أبي الحسين يحيى بن أبي الحسن علي بن عبد الله القرشي انظر ترجمته، ابن رشيد، ملء العبة بما جمع بطول العبة في الوجهة الوجهة إلى الحرمين مكة وطية، تحقيق محمد الحبيب بن طوحيه، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٢، ط ١، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ ٣/٢٨٩-٣٠٨

(٣) هو الشيخ الفاضل يحيى الدين أبو الفضل بن عبد الحميد بن خلف الدميري، انظر ترجمته، المصدر نفسه ٣/٤٠٢ وما بعدها، والتجبي، مسعود الرحلة، ص ١٢٢

(٤) هو إمام أئمة العالم لعلم المورع الكامل، أبو الفتح محمد بن الشيخ الفقيه عبد الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع بن أبي لطافة الشافعي السب، مخطوطي الأصل، نقوحي المرسى، القاهرة، المثل، انظر ترجمته، ابن رشيد، ملء العبة ٣/٣٣١ والتجبي، مسعود لرحلة، ص ١١، ودميري، الرحلة شريعة تحقيق محمد العسي ورره الدولة، مكتبة بالشؤون الثقافية والنمسين الأصلي، انعام، ١٩٦٨، ص ١٣٨ ١٤٥، والمقري، مع العيب ١/٦٨



وفد هي التجني أيضاً في رحلته يترجم العلماء والبرّيين نفس النفس بهم، وكذلك التجاني<sup>(١)</sup> الذي عي بالحدث عن العلماء والعقهاء الذين التقى بهم في رحلته، وذكر مصدقتهم وحرص على حضور دروسهم، ومشاركتهم بحلّهم أنا البلوي، قد ذكر بعض الشيوخ من العلماء المضلاء الذين يطئون ثبول اللأفة، ويجزّون بضول إبرة، ولهم كلام يتألّق من شعاع الشرق، ويترقّق عليه صفاء العقل، وينبث فيه فرد الحكمة ويعرّض على حلّى البيان، ويتفش في فضاء الزمان. وألعت بذكر بد من ثوابهم واختيار طوبى من أناسيدهم ومرجتها بما حرت إليه العبارة، وحست فيه الإشارة من قطع الشعر المناسبة، قطع الرد المتظلمة من جواهر اللّفظ، لمعة العور، القرية لحظ

وهذا يجمع الرّحالة حصيلة من الرّواية ومن السّماع، أو انقراء، ويظهرون بإحداث متوّعة، ويصمّون رحلتهم أسماء الكثير من المصنّفات المحتشمة، والإنتاج العلميّ والفكريّ في لغة الحديث، والأدب والحكمة، ولتصوّف واللّغة، والشعر، لأعلام البلدان التي زارها الرّحالة ولم تغفل كتب الرّحلات الدّور الذي قامت به المراكز الدينيّة، كمكّة المكرّمة والمدنيّة للمؤرّة وبيت المقدس، في تكوين هذه الحصيلة الثقافية و لعلّميّة، فقد كاتب هذه المراكز معلى العلماء والأدباء، وطلبة العلم من كافة أقطار البلاد العربيّة والإسلاميّة، وألجّاج ولّهّاد والمجاريدين، وأصحاب المذاهب والطرق الصوفيّة، فاستفطت بذلك حلّ العلماء والقهاء، الذين ساهموا بمجالسهم العلميّة ومناظراتهم في عمّ وتطوّر الحركة العلميّة والفكريّة، فمكّة المكرّمة مبدأ ومنتهى، لحركة العلميّة، وحلقة التّواصل بين المشرق والمغرب الإسلاميّ. ففي هذه الأماكن المقدّمة لعت أسماء العلماء، ومنها انتشرت الكتب إلى مختلف الأقطار. وقد أبررت الرّحلات الدّور العلميّ للمسجد والأريطة في هذه المراكز الدينيّة، فالمسجد لحرام وبيت المقدس كما بمثابة جامعة يتوافد إليها طلاب العلم من جميع أنحاء العالم الإسلاميّ، ليستقوا العلم على

(١) انظر في ذلك رحلة التجاني، ص ٢٥٦ ٢٥٦، ومنه من أخرى متفرقة من الرحلة

(٢) البلوي، تاج الفرق ١/ ١٤٣

أيدي علماء يرحلوا في فروع العلوم المختلفة، مثل الفقه<sup>(١)</sup>، والحديث<sup>(٢)</sup>، والتفسير<sup>(٣)</sup>، و الفرائض<sup>(٤)</sup>، وعلم القراءات<sup>(٥)</sup> وقد توسعت العلوم بتوسع العلماء في مكة المكرمة والمدينة المنورة، بسبب الرحلات السنوية للفتح والزياره وهذه ميزة تعودت بها عن سائر الأقطار الإسلامية فتعددت حلقات العلمية فيها، لا سيما المسجد الحرام الذي خاص بحلقات الدرس<sup>(٦)</sup>

وفد سارت المدارس في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس حباً إلى حب مع المساجد في نشر العلم، وأشار الرحالة لأندلسيون ولخارئة إلى مدرسة المظفرية<sup>(٧)</sup> في مكة المكرمة، وأشار البلوي أيضاً إلى مدرسة بالمدينة المنورة، تقع مقابل باب الرحمة، ولم يشر إلى اسمها<sup>(٨)</sup>

وكانت المجالس الأدبية واماظرات الدائرة في تلك المراكز السيئة شاهداً على مستوى الحضارة التي وصلت إليها المجتمعات في البلدان التي زارها الرحالة الأندلسيون ولخارئة، وقد اقيمت تلك الرحلات تلك المجالس وما يسود فيها من فقه، وأدب، ولغة، وأخبار وحكايات، إذ لم تكن تخلو من لتقهاء أو الشعراء، أو الأدباء

(١) انظر: التنجيني، مستفاد الرحلة، ص ٣٩٣ - ٣٩٤، ٤١٥، وابن رشيد، ملء النية ١٧٢ / ٥، ٢٤٩.

٣٦٩، ومواضع أخرى مصرية

(٢) انظر، ابن رشيد، ملء ليله ١٧٣، ٢٢٢، والتنجيني، مستفاد الرحلة، ص ٣٦٦، ٣٧٦، ٣٨٣

(٣) انظر، التنجيني، مستفاد الرحلة، ص ٣٨٢، وبلوي، تاج الفرق ١، ٢٩٢، ومواطن أخرى متفرقة من الرحلة

(٤) انظر، التنجيني، مستفاد الرحلة، ص ٣٧٦، ٣٨٠ - ٣٩٢، وابن رشيد، ملء انية ١٧١ / ٥

(٥) انظر، التنجيني، مستفاد الرحلة، ص ٤٢٣ - ٤٢٤

(٦) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٦٨ - ٧٢، والتنجيني، مستفاد لرحلة، ص ٣٦٢ وما بعده، وابن رشيد، ملء انية ١٦٩ / ٥

(٧) وهي المدرسة التي بناه ملك الجبل لتصور المظفر مود الدين عمر بن رسول انظر، التنجيني، مستفاد الرحلة، ص ٢٤٦، واندلسي، الرحلة المغربية، ص ١٧٤ ورحلة ابن بطوطة ١ / ١٢٩

(٨) انظر، البلوي، تاج الفرق ١ / ٢٨٧



ومن الرحلات التي أيرزت الجوانب لمعرفية والشاغل العلمي في بيت المقدس، رحلة البلوي ومن قوله هذا إلى جانب ما أطلعنا الله في ذلك الأفق المتير من يدور العلماء، وامتنع من صدور الأولياء الذين وردوا على طاهر تلك البقاع، وقصدوا إلى العادة فيها والانقطاع، فسأله إلى البنية ولقيهم أجمعين ورويت عنهم، ولما كثروا عليّ تعدادهم، ونزل عليّ نظارهم وأندادهم، انتقيت منهم ما ها هنا يترك بذكرهم وتعطر لأيديه بشكرهم<sup>(١)</sup>، ثم يذكر هؤلاء الخمسة ويترجم لهم<sup>(٢)</sup>

وقد قدم ابن بطوطة برحلته في العصر المملوكي، وفي العصر المملوكي، دلت بيت المقدس اهتماماً كبيراً، فقد صار سلاطين المماليك على نهج لأيوبيين في تشجيع العلم وأهله والعناية بالأقصى وأصغرة، وإنشاء المدارس، ودور لقرآن والحديث والخوانق، ولزوايا والرباطات، فقد أنشئ ما يقارب أربعين مدرسة في بيت المقدس، في العصر المملوكي، حيث إن الأيوبيين أنشأوا عدداً أقل من المدارس<sup>(٣)</sup>

ولما زار ابن بطوطة بيت المقدس في العصر المملوكي، ذكر أن بيت المقدس كان صمراً بالعلماء الوافدين إليه من مختلف الأقطار الإسلامية<sup>(٤)</sup>

(١) انظر، البلوي، تاج الفرق، ٢٥٦/١

(٢) انظر ترجمتهم المصدر نفسه ٢٥٨، ٢٥٦/١، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨

(٣) عبد الهادي، عبد الجليل، (١٩٨٠) آخرته الفكرية في ظل السجدة لأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، ١٥، عمان مكتبة الأقصى، ص ٦٧ وانظر عن نشاط الحياة الفكرية في بيت المقدس في ظل صلاح الدين الأيوبي انعماد لأصفهاني، عماد الدين الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت ٥٩٧هـ) ملحق القسي في الملحق القدسي، الدار القروية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١١٥، ١٢٢، وبني شدد، بهاد الدين يوسف بن رفيع، (٦٣٢هـ) انوار السلطنة ونحاس اليسوعية، عيسى عمود درويش، شركة طبع الكتب العربية، مصر، ١٩٧٩، ص ٢٩٢-٣٠٤، والعميمي، عجم الدين الحلي، (ب ٩٢٧هـ) الأسس لخليل تاريخ القدس واخلاق، ط ١، لمحمد محمود عودة الكمامة، (إشراف)، محمود علي عطا الله، مكتبة ندبيس، ١٩٩٨، ٢/ ٣٤٠ ٣٤١. ورحلة ابن جبير، ص ٢٧٠

(٤) ومن الذين العسطنية لبي رارها ابن بطوطة لهذا القليل، وبيت لحم، والزمنة وسبيلس وغيرها.

انظر، رحلة ابن بطوطة: ١/ ٦١ ٦٣



وفد حقلت كتب الرحلات، بلقاء الضوء على دور الحكام والأمراء والوزراء في رعاية العلم، بما حصّهم الله من المعرفة بالعلوم الشرعية والعقلية، ولصاحبة البراعة في الشر والنظم، فكان هناك مدارس لتقرآن والحديث والمذاهب لعقيدة الأريفة، وكان يدرس في هذه المدارس كبار العلماء من المقرئين والمحدثين. ومن هذه المدارس المدرسة النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك السلاجوقي في بغداد<sup>(١)</sup>، والمدرسة الصادرة نسبة إلى منشئها شجاع الدولة صابر بن عبد الله، ويذكر ابن عساكر أنها بنيت سنة ٤٩١هـ فيقول: «بدا بتأسيس المدارس نشر المذاهب المعتبرة، فقامت مدرسة في دمشق وهي الصادرة عام ٤٩١هـ، وقامت في هذه الحقة ست مدارس للحنفية وواحدة للشافعية، وثمان للمالكية، وتأسس هذه المدارس ورد على دمشق من الشرق علماء كبار درسوا فيها، وشجع الدولة والأمراء العلماء على التزيس وقربوهم»<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن العربي أنه رار مدرسة الشافعية<sup>(٣)</sup> «باب الأسباط»<sup>(٤)</sup>، ولتفي مجموعة من العلماء في اجتماعهم للمناظرة واستمع للمناظرة إلى آخره، فتعلق بذلك لجو العلمي، ومن قوله في ذلك: «فألفت بها جماعة علمائهم في يوم اجتماعهم للمناظرة عند شيخهم

(١) افتتحت هذه المدرسة رسمياً عام ٤٥٩هـ وتقتصر مناهجها الدراسية على دراسة الفقه الشافعي وفي الكلام على طريقة الأشعرية، ومن أهم أئمتها مناهضة المذاهب الأخرى. ولا سيما المعتزلة والإمامية انظر: «ومن حكايات، فيات الأعياد» ١٢٩/٢، والسيكي، تاج الدين، أبو نصر عبد الوهاب بن يحيى - (ب ٧٧١هـ) طبقات الشافعية الكبرى - ط ١، إدارة محمد عبد الطيف الحبيب، المطبعة الحسينية المصرية، د.م. ١٩٠٦ ٢٧/٤ ٢٨.

(٢) ابن عساكر، فقه الدين أبو القاسم عبي بن الحسن، (ب ٥٧١هـ) ولاية دمشق في العهد السلجوقي، تحقيق صلاح الدين محمد، ط ٣، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص ٦.

(٣) المسألة بالمدرسة الناصرية، وتقع على برج باب الرحمة، نسبة إلى الشيخ نصر الحفصسي، ثم عرفت بالمراتبة سنة لأبي حامد نمرالي انظر، العليسي الأسس لحليل بتاريخ القدس والحليل ٦٨/٢.

(٤) هو السبب الشرقي في سور مدينة انظر، لمصدر ص ٦٩، ٢.



القاضي ارشيد يحيى<sup>(١)</sup> الذي كان استخلمه عليهم شيخنا الإمام الزاهد نصر بن إبراهيم السلمي<sup>(٢)</sup>، وهم يتناظرون على عاداتهم<sup>(٣)</sup>

وكان أبو بكر بن العربي، يحرص على حضور حلقات الساطرين الطوائف في مدرّس الحنفية والشافعية<sup>(٤)</sup> وذكر ابن العربي موضعاً آخر في ساحة المسجد الأقصى، كن له أثر في الحركة المكرية، ويقال له الغوير بين باب الأسباط وغروب ركوب، حيث كن اعلما يتناظرون في ذلك لكان وقد لقي ابن العربي الشيخ أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي<sup>(٥)</sup> في موضع يقال له باب السكية، ويقول في ذلك: فامتلت عيني وأظني مه، وأظنه أبي بنّي فاذب، وطالمة بعزمي فأجاب، وفتح بي به إلى العلم كلّ سب ونمّني الله به في العلم والحسن، ويتر لي على يديه أعظم أمل، فأنشدت بيت اقدس

(١) هو القاضي يحيى بن الفرج، أبو الحسن السلمي، كان من أسن أصحاب نصر السلمي، توفي سنة ٥٢٤هـ انظر، ابن عماد، السلمي، سلوات الذهب ٢/ ١٢٦، والسبكي، طبقات الشافعية ٢/ ٢٢٤-٢٢٥

(٢) أبو الصبح الإمام الزاهد، وعليه الشافعية بلاد الشام، توفي سنة ٤٩٠هـ انظر، النووي، هيئ الدين أبو ذكريا يحيى بن شرف، ات ٦٧٦هـ تهذيب الأسماء والنبات، إدرة الطباعة الميرية، القاهرة، ١٩٠٠ ٢ ١٢٥ ولدهي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ٧٤٩هـ) سير أعلام النبلاء، ط ١١، حققه شعيب الأرسؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة ١٩٩٦ ١٩/ ١٣١، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٧-٢٨

(٣) ابن العربي، قانون التأويل، ص ٩١

(٤) انظر، المصدر نفسه، ص ٩٤

(٥) هو محمد بن الوليد الطرطوشي، ويعرف سمي ونفق، الإمام القدوة، شيخ المالكية، وحل إلى الشرق، ونفق بعدد، وتوفي بالإسكندرية سنة ٥٢٠هـ انظر، السبكي، بعبه الطمتمس ١، ١٢٦- ١٧٨، والقري، أرهاق الرياض ٣/ ١٦٢

ساعةً والتمرت فيه لقراءة، لا أتيل على دنيا، ولا أكلّم إنسيًا، نوحل ليل بالتهار فيه،  
وخصوصاً بقية السلسلة<sup>(٤٢٠)</sup>.

وقد لفت نظر ابن العربي تلك العلوم والآداب في المدين الفلسطينية، ومن وصفه  
لمدية عسقلان قوله بحر أدب ينبُ غباييه، ويعبُ ميزابه<sup>(٤٢١)</sup> وانتظم ابن العربي في  
المدرسة النظامية، وكان أساتذتها من الأعلام المتصلّون في العلوم والعلوم الإسلامية،  
والع هزلاء الأسماء فخر الإسلام، أبي بكر الشافعي<sup>(٤٢٢)</sup> كما أشار إلى الكثير من  
المعارف العلمية والفقهية التي كانت تجري في هذه المدارس، ومنها المأورة التي جرت  
بين الروري<sup>(٤٢٣)</sup> والصاعاني<sup>(٤٢٤)</sup> والرحماني<sup>(٤٢٥)</sup> والقاضي الرماني<sup>(٤٢٦)</sup>.

وذكر بن جبير لمدرسة النظامية، ووصف مجالس العلم والوعظ فيها، وما كان لها  
من أوقاف عظيمة، وعفارات مُحسنة إلى الفقهاء والمدرّسين بها، ورواس للطلبة تقوم

(٤٢٠) وهي على ضفة قبة لصخرة، وتقع شرقها على بعد بضعة أمصار من بابها المعروف باب دارود  
انظر، المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت ٣٨٠هـ) أحسن التقاسيم في  
معرفة الأقاليم، تحقيق عاري طبعات، ودراسة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٠، ص ١٦٨،  
المطبعة، الأس للجليل ٥٦/٢، ٥٧.

(٤٢١) ابن العربي، قانون التاريل، ص ٩٣.

(٤٢٢) المصدر نفسه، ص ١٠٢.

(٤٢٣) هو محمد بن أحمد، رئيس الشافعية المعروف بالمتفهمي، كان يلعب بالخير لديه ودرجه وعلمه،  
ورده، توفي سنة ٥١٧هـ انظر ترجمته، ابن خلكان، وفيات لأعيان ٢٠٠/٤-٢٠١، والصنعدي،  
صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت ٧٦١هـ) الرائي بالوفاة، ط ١، تحقيق أحمد الأرباوط وتركي  
مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠ ٥٣/٢.

(٤٢٤) الروري، لم يسعف البحث عنه في التعرف عليه.

(٤٢٥) هو أبو عبد الله الصغاني، انظر، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (ت ٥٤٣هـ) أحكام  
القرآن تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجليل، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ ١ ١٠٧.

(٤٢٦) هو أبو سعيد الرحماني، انظر، المصدر نفسه ٢ ١٤٤٢.

(٤٢٧) لم يسعف البحث عنه في التعرف عليه.



بهم، كما تحدث عن طريقة التسليم فيها، وحضوره مجالس العشاء فيها، حيث يأخذون في تفسير القرآن والأحاديث النبوية الشريفة<sup>(١)</sup> وتحدث أيضاً عن المدارس المشددة لتعليم الطب، التي يمد إليها الطلبة من جميع الأرجاء، فيحدون المأوى والمأكل والحمام والمراستان، إلى جانب الدراسة<sup>(٢)</sup>

إن ما شاهدته ابن جبير من ازدهار وتقدم في مختلف العلوم والمعارف في بلاد المشرق، جعله يدعو اندفاعة إلى طلب العلم في بلاد الشام، فمعرضه الفلاح. فليرحل إلى هذه البلاد ويتعرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعبودة كثيرة، فأوتها فراغ البال من أمر العيشة، وهو أكبر الاعوان وأهمها، فإذا كانت الهمة، وقد وجد السبيل إلى الاجتهاد. فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك فادخل إليها للتعهد بسلام<sup>(٣)</sup>.

ويؤكد ابن بطوطة عند الجانب الشرقي من بغداد، ليذكر مدرستها، النظامية والمستنصرية، ويعطي صورة عن المدرسة المستنصرية، ويوضح فقهائها في مجالسهم وفق المذاهب التي يدرسونها، ويذكر أيضاً وجود حمام للطلبة داخل هذه المدرسة ودار للوضوء<sup>(٤)</sup>.

وهكذا، فإن المدارس النظامية، بدأ انتشارها في القرن الخامس الهجري، حيث تلقى الطلاب العلم فيها، على أيدي علماء كبار<sup>(٥)</sup>.

أما عن اهتمام أهل البلاد والحكام ولأمرء بالمدارس والزوايا التي كانت تمثل لهم دور ضيافة يجردون فيها ورحلتهم بعد العناء، بالإضافة إلى تلقيهم العلم، فيقول ليجبي في اهتمام أهل القاهرة بالمدارس ولأهل هذه البلاد في الاعتناء ولأوقاف على وجوه البر.

(١) انظر، رحلة ابن جبير، ص ١٩٥، ٢٠٥

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ١٥

(٣) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٢٥٨

(٤) انظر، رحلة ابن بطوطة، ١ / ٢٠٠

(٥) انظر، ابن كثير، أبو الحسن علي بن أبي بكر الشيباني (ت ٦٣٠هـ) الكاسن في التاريخ ١٥.

عدة جميلة، وشرف دائم، وفخر مستمر وأسر هذه المدارس وخصائصها لنصورية، وروضات الأكابر في ازدهاد.<sup>(١)</sup> ويذكر في حديثه عن مدينة قوص المحروسة أن فيها مدارس عليها أوقاف جمّة، يرتق منها طلاب العلم<sup>(٢)</sup>

ويصف ابن بطوطة النهضة العلمية بمصر، فيقول وأنا المدارس بمصر فلا يحيط أحد بمحصروا لكثرته<sup>(٣)</sup> وآلاءمراء بمصر ينافسون في بناء الزوايا<sup>(٤)</sup>. ولم تكن النهضة العلمية مقصورة على مدينة القاهرة، بل تعدّتها إلى مدينة الإسكندرية<sup>(٥)</sup>، وبلاد الشام<sup>(٦)</sup>، ويذكر جامع دمشق وحلقات التدريس فيه وتجويد الخطوط، فيقول: وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله يستدل كل واحد منهم إلى منزلة. من سوازي المسجد، يلقن الصبيان ويقرئهم، وهم لا يكتبون القرآن في الألواح تزيهاً لكتاب الله تعالى وممّس الخط غير معلّم القرآن، بعلمهم يكتب الأشعار وسواها، فتنصرف الصبي من لتعليم إلى التكتيب، وبذلك جاد حظه، لأن المعلم للحد لا يعلم غيره<sup>(٧)</sup>

ويذكر التجني مدارس طرابلس - للبيّة-، فيقول ويداخل البلد مدارس كثيرة وأحسنها المدرسة المستنصرية التي كان ساؤها على يد الفقه أبي محمد عبد الحميد بن أبي الركلات بن أبي السّبتيا<sup>(٨)</sup>. وهذه المدرسة من أحسن المدارس وصفاً وأظرفها صنفاً<sup>(٩)</sup>

(١) الحجّي، مستعاد الرحلة، ص ٥١٤، ونظر أيضاً في اعتماد السلاطين بإنشاء المدارس، ابن الحاج

العمري، فيض العبد، ص ٤١ ٤٢

(٢) التجني، مستعاد الرحلة، ص ١٧٣

(٣) رحلة ابن بطوطة ٣٩/١

(٤) المصدر نفسه ٤٠/١

(٥) المصدر نفسه ٢٧/١-٢٨

(٦) المصدر نفسه ٨٢/١-٨٥

(٧) رحلة ابن بطوطة ١ ٨٧، ونظر، رحلة ابن جبر، ص ٢٥٥

(٨) أنظر ترجمته، من رشيد، مله لبيّة ٢ ٤٠٣-٤٠٧

(٩) رحلة التجاني، ص ٢٥١ ٢٥٢



أما لسان الذين من الحطيب، فيصف في أثناء حودته إلى مدينة سلا على ساحل المحيط الأطلسي، المد التي مر بها، مثل مراكش وأسفي، وكذلك، ويذكر ما فيها من مساجد ومدارس وعلماء وشيوخ كان قد اتصل بهم أثناء رحلته في تلك البلاد<sup>(١)</sup> ويقول في مدرسة تاهنا اسلطان أبو الخجاج يوسف بن نصر<sup>(٢)</sup> ليكون مركزاً للعلم وتجهز إليها الطلاب.

ألا هكذا بُني المدارس للعلم      وتقى عهد المجد ثلاثة الرّسم  
فيا طاعناً لنعم يطلب رحمة      كُفيت اعراض اليد أو لحج اليم  
يبني خط الرحل لا تسر وجهه      فقا فزوت في حال الإقامة بالعلم<sup>(٣)</sup>

وفد توّلى بعض الرّحالة التدريس في تلك المساجد والمدارس التي ذكروها في رحلاتهم، فابن خلدون مثلاً، كان قد درّس في المدرسة القمحية<sup>(٤)</sup>، بجوار جامع عمرو بن لعاص، وهي أحد مدارس الفقهاء المالكية بدار مصر<sup>(٥)</sup>.

أما القلصدي، فيذكر المدارس ويختلف أنواع العلوم، والشيوخ الذين بهل مهم المعلم والمعرفة، ويقول وصفاً لدارته لئرس ويلبنا مرسى تونس، وبنينا الملائكة، وسكنت بالمدينة الجديدة - ثم انتقلت إلى المدرسة التنصرية، فأقامت به أيضاً. وكنت

(١) انظر، ابن الحطيب، خطرة الصيف، ص ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦ وما بعدها

(٢) القرطبي، فتح الطيب ٤٨٢/٦

(٣) انظر ترجمته، المصدر نفسه ٣٢٤-٣٢٦

(٤) المدرسة القمحية، كان موقعها بجوار الجامع النعبي (جامع عمرو) بمصر وكان موهبها يعرف بدار العرب وهو قيسارية، كان يبايع فيها العرب، فهدمها صلاح الدين وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية ورسم فيها مدرّسين، وحملها أوفاً كانت معها خمسة بالميوم تعلّ محمداً، وكان مدرّسوها يتقاضونهم، ولذلك سارت لا تعرف، إلا بمدرسة القمحية (انظر، رحلة ابن خلدون لتعريفه، ص ٢٩٠، الحاشية رقم ١٣٤٠)

(٥) انظر، ابن خلدون، التعريف، ص ٢٩٠ ٢٩١

في أثناء ذلك أخذ في القراءة والإقراء، وسوق المعلم ناعقة حبشية، ونباح الملمو على احتلالها مقدمة، فلا عليك أن ترى مدرسة أو مسجداً إلا ولعلم فيه بيت ويشر<sup>(١)</sup>

وكانت لقصور والرياض، والبساتين، والذكاكين، تمثل مراكز علمية يجري فيها تعاطي الثقافة والعكر، وقد احتوت بعض لرحلات إشارات، وأحاديث، وحوارات، ومناظرات بلعلماء، وفقهاء، والأدباء والشعراء في مجالس الحكام والأمراء. وكان بعض هؤلاء الحكام من ذوي المعرفة والثقافة، فالرحالة ابن سحاج أبرز شخصية أبي عان بكثير من الصعدي العكرية. وقدم صورة لمجالة العلمية والأدبية التي كانت تصمم أبرز الشخصيات الثقافية من الشعراء والأدباء، والعلماء، والفقهاء، وأشهر الكتاب ومهم الكاتب محمد بن جزي الكلبي، مدون رحلة ابن بطوطة، ولعلماء لمزوخ ابن حلدون<sup>(٢)</sup>

وذكر بن سحاج أن أب عان أمر ببناء مدرسة عظيمة قرب شالة، وإعطاء اكساء الرقيق واللباس الفخمة البديعة للطلاب<sup>(٣)</sup>

أما الرياض والبساتين، فقد أشار الرحالة ابن رشيد إلى نوعة جمعت جمعا من مصلاي الأدباء ولعلماء في بعض بساتين تونس البديعة، إذ يقول: 'وكان بين أيدي حسنة بديعة تصور نالها وتثير بحسها أفكار الأبناء. قدرت فقلت للفقير السوي أبي محمد بن مبروك<sup>(٤)</sup>

أجز يا أبا محمد

ومائة سنت من ماء مرهفاً وما عرضته، بل أقامت ذبابه

فأجاز وزاد وقال فأجد

رأت زرداً حاكته أيدي الصبا لها فأهوت، لماذا الفصل يغني هيرابه<sup>(٥)</sup>

(١) رحلة قصصاني، ص ١١٢، وذكر مدارس أخرى أقام فيها، انظر، ص ١٢٤-١٢٥

(٢) انظر، بن سحاج التميمي، فض الكتاب، المجلد، ص ٩٦

(٣) انظر، المصدر نفسه، ص ٤٠ ٤١

(٤) انظر ترجمته، بن رشيد، ملء الحية ٣٨٥/٢-٤٠٣

(٥) المصدر نفسه ٣٨٦/٢



وفد تدور بعض الحلقات الأدبية والعلمية في الدكاكين<sup>(١)</sup>، فما أن يحطّ لرسالة في بلد ما حتى يسارعوا في التعرف على اأعلماء والأدباء ولشعرهم والانتقاء بهم والسماع عنهم، وذكر ابن رشيد أنه سمع بأبي عبد الله بن أبي محمد الحميري<sup>(٢)</sup>، وأنه برع في الأدب وأحكم لسان العرب وله المقطعات والتصادد، فأخذ يسأل عنه لسمع منه شيئاً، يقول ابن رشيد: فأخبرنا أنه قد يوجد في بعض ساعاته في دكان من دكاكين المسجد الجامع أو في ساحه من ساحاته<sup>(٣)</sup>

ويورد ابن رشيد من قول ابن أبي محمد الحميري يصف جارية مملوكة له سوداء جميلة حياء تدهى العبر:

وليلية، لولا تبسم ثغرها	لما شكّ في فضل الظلام على الصبح
معبرة في اللون والاسم والشدا	عزالية في الحظ والجميل والكشع
أحبّ مساني لا ضحاي لأجلها	وأسي مشوق في هواها كما أصمي
ثمككها رقاً وتلكفي هوى	ولكن مملوك الهوى فدر بالربح <sup>(٤)</sup>

ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد، فقد كشفت الرحلات عن بعض ممرسات أولي الأمر ولعلماء في أرقاب فراغهم في مجالسهم، إذ لم تكن تخلو من صوف للهو والمعة ولرياضة الذهبة كالشطرنج مثلاً، ويصف ابن العربي ذلك أثناء حديثه عن عنتهم في السواحل المصرية، ووصولهم إلى بيوت بني كعب بن سليم وعطف أميرهم على ابن العربي ومحبته، ومن قوله: فعطف أميرهم علينا فأرونا إليه فأرونا، وأطمعنا الله على يديه. وشرحه أن ما وقفا على بابه الفناء وهو يدير ما عواد الشاء، فعل لسامد اللاف، فدنوت منه في تلك الأظمار وسمح لي بياذنته، إذ كنت من الصغر في حدّ يسمح فيه

(١) وهي الخويث، فارسي، مغرب، انظر: ابن منظور، لسان العرب ١٢/ ١٥٧

(٢) انظر ترجمته، ابن رشيد، ملء العينة ٢/ ٣٧٧ ٣٨٤

(٣) ابن رشيد، ملء العينة ٢/ ٣٧٨

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٧٨، ٣٧٩ ٣٨٤



للأعمار، ووقفت يارثهم أنظر إلى تصرفهم من ورائهم، إذ كان عنق نفسي بعض ذلك من بعض القربة في مجلس البطالة مع غلبة انصبة والجهالة فقلت لليادقة الأمير أعصم من صاحبه، فلمحوي شرراً، وعظمت في عيونهم بعد أن كنت سرراً، وتقدم إلى الأمير من نقل إليه الكلام، فاستداني، فذوت منه فسألني هل لي بما هم به نصر؟ فقلت لي فيه بعض نظر، يبدو لك ويظهر، حرك تلك القطعة، ففعل. وعارصه صاحبه، فأمره أن يحرك أخرى، وما زالت الحركات يسهم كذلك ترى حتى هزمه الأمير، وتقطع التدبير. فقالوا: ما أنت بصغير...<sup>(١)</sup>

وأشار بعض الرخالة إلى ضعف لعلم في بعض المدن التي تصدوها، وقد وصف العبدوي مدينة بجاية، فقال: وقد غاصم بحر العلم أنذي كان به وعنا رسه حتى صار طلالاً...<sup>(٢)</sup>. ولعل مثل هذا الضعف، قد يكون انعكاساً عن ضعف عام في تلك المدن.

ومن جانب آخر، فالعبدوي ينو ثورة عارمة، حيث مكث في القاهرة في ست من بيوت مدرسين الطلبة، كأنه طالب من الطلاب، لا عالم من العلماء يستحق الإكرام وحس الصيافة والاهتمام<sup>(٣)</sup>. ولعل ذلك يعود لا عرق عن شخصية العبدوي الخاصة:

إن ما يحدث به الرحالة الأندلسيون والمغاربة في كتبهم، عن المساجد والخوانق ولؤلؤها والعلماء والعقهاء، والشعراء والأدباء، وعالم الحكام والأمراء، يشير إلى نشاط ثقافي عملي فكري حضاري وكتبه الرحلات حتى نهاية القرن التاسع الهجري، اقتصر في بداياته على بعض المعارف الدينية والثقافية، ثم أخذ يشهد نهضة ثقافية واسعة في مختلف العلوم والمعارف، بل إن الرحلات كانت من أهم روافد تلك النهضة الثقافية ولحصارية، لتصبح بعد ذلك نظاهرة ثقافية، وسعاً معروفاً يكشف الرؤى الخصارية التي اخترتها المجتمعات

(١) ابن العربي، قانون التأويل، ص ٨٦، ٨٧.

(٢) العبدوي، نزهة لمعية ص ٢٧ وانظر المصدر نفسه ص ٧٥.

(٣) انظر، العبدوي، الرحلة المغربية، ١٢٧، ١٢٨.



أما دور الكتب، فقد كان لها دور بارز في تنشيط الحركة العلمية، وانتقل الرّحالة من بلد إلى آخر، وقامت المكتبات في المشرق بدور كبير في استقطاب طلاب العلم، حيث كان في كل مسجد من المساجد الكبيرة مكتبة ملحقة به. ولقد نجد من علماء الأندلس وعلماء المغرب المشهورين، من لم يرحل إلى المشرق للحصول للعلم، حيث انتشرت العواصم العلمية في المشرق الإسلامي، كدمشق، وبغداد، والقاهرة، والإسكندرية التي كانت تضم حلة العلماء والفقه، الذين برز كل واحد منهم في علم من العلوم الإسلامية.

وكان للشيخ الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٤م)، دار للعلم في بغداد محلّة بالكتب ومفتوحة للطلبة الذين كان يخصص صاحبها لهم الخرايات<sup>(١)</sup> وهذا كان طلاب العلم يقصدون مثل هذه المكتبات من كل بلد، لما يخصص لهم من خرايات، وتوفر أساب الراحة والصفاه.

وقد ساهمت الرّحلة مساهمة كبيرة في انتشار الكتب، وحملها من المشرق إلى الأندلس والمغرب، حتى أصبحت قرطبة أكثر بلاد الأندلس كتاباً<sup>(٢)</sup> وأن أهلها أشدّ انس إلى اعتناء بخرايت الكتب، وصار ذلك عندهم من آلات التعيّن والرّئاسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفه، يحصل في أن تكون في بيته خزانة كتب<sup>(٣)</sup>. وبذلك بدأ الاهتمام بتأسيس المكتبات وحررائ الكتب في القصور والبيوت هذا المكتبات العامة، وقد ساعد عتاء الأمراء والعتفاء الأمويين بالكتب على نشاط صرقتها في الأندلس...<sup>(٤)</sup>

(١) انظر، باقر، حموي، معجم الأبناء، ٢٤٢/١، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/٢، ٤٢٠، والوركل، الأعلام ١١٢/٣.

(٢) القرطبي، معج الذهب ٤١٢/١.

(٣) المصدر نفسه، ٤١٢/١، وانظر أيضاً في اعتناء أهل قرطبة بالكتب ورواجه في بلادهم، المصدر نفسه، ١٥٥/١.

(٤) ابن سبيل للغربي، المغرب، ٤٥/١.

وتؤكد المصادر اهتمام اسلاطين والحكم في تلك العصور بالعلم والمعرفة، وجمع الكتب والعناية بالمكتبات، والسلاطان أبو حسان كان قد رُوِّد مدينة قاس مأكبر خزانة للمطالعة عرفتها العاصمة العلمية في عصره، خزانة الكتب وحراة المصاحف. وجمع فيها أكبر عدد ممكن من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأديان والأدب، ولأدهان وللسان، وغير ذلك من العلوم على اختلافها وشئ صروبها وأجاسها، وعين فيما غسظها ومناوله ما فيها<sup>(١)</sup>.

أما مراكز الدينية، فإن توفر الكتب اللازمة للتعليم ساعد على بروزها كمراكز علمية هامة، فقد شاهد العديد<sup>(٢)</sup> من الرحالة في المسجد الحرام غرائس كبيرة للكتب، وكانت هذه الكتب خاصة بكل عالم يتولى التدريس في المسجد الحرام وذكر النجاشي أن لبعض الفقهاء وعلماء الحديث كتباً كبيرة. وأظهرت كتب الرحلات حرص علماء كل مذهب على تأمين لكتب للدارسين، وإيقافها عليهم داخل المسجد الحرام، وأقر اس جبر إلى حراة للكتب تتبع الإمام الذكبي موقوفة على أهل مذهبه<sup>(٣)</sup> وفي حديثه عن المسجد الحرام، وأبواب الحرم الشريف، يذكر باب إبراهيم عليه السلام، وأنه في رايه كبيرة منسعة بها غرفة هي خزانة للكتب المنحبة على المالكية في الحرم<sup>(٤)</sup>

ومن جانب آخر، فإن المدينة، كنورة، تأتي مركزاً ثانياً من المراكز العلمية، إذ لم تستطع استيعاب كافة المذاهب دون التحيز لأحدها على الآخر فلم يكن بالإمكان الجهر بقراءة كتب السنة بالمسجد النبوي، ولعل هذا يعود إلى اضطهاد السنة، وهذا يعكس

(١) انظر، جردني، عبي، جسي زهرة الأمل في بناء مدينة قاس، المطبعة، فكية، الرباط، ١٩٦٧.

ص ٧٦، وبن الحاج العبري، فيض العباب، ص ٦٢، ومطلعة الخلق، ص ٩٧

(٢) انظر، بن حبر، ص ٨٠، ٨٢، وشتحي، مسعود الرحلة، ص ٣٠٦، ٣٧٦، والنوي، ناج المرق.

٣٠٦/١

(٣) انظر، رحلة ابن جبر، ص ٨٣

(٤) انظر، المصدر نفسه، ص ٨٣



الصورة التي كان عليها المسجد الحرام<sup>١١</sup> وأشار ابن جبير إلى أن لمسجد النوي، كان يضم مكتبة كبيرة احتوت حزائين كبيرتين من الكتب، وبعض المصاحف المرفوعة على المسجد<sup>(١٢)</sup>.

وتجدر الإشارة بأن الحجاج و لورار إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة قد ساهموا في نشر العلم، ونقل الكتب أثناء فحوائجهم، حيث كانوا يندرسون ويثقفون العلم في الديار الحجازية<sup>(١٣)</sup>.

ووصف العبدري<sup>١٤</sup> وابن رشيد<sup>(١٥)</sup> كثيراً من المكتبات ودور الكتب، وأشار لتجني إلى العديد من المكتبات، فهي ترجمته للور اليماني، يقول: "وهو متولي حراثة الكتب بدار الحديث الكاملية من القاهرة المعزنية"<sup>(١٦)</sup>.

أما المكتبات الخاصة، فقد تراعت لدى بعض العلماء والفنهاء والأدباء، فهي ترجمة ابن رشيد للأشعري<sup>(١٧)</sup> إشارة إلى وجود مكتبة في بيت الأشعري وكان له بيت في مسجد لينكر فيه، وفي كتبه<sup>(١٨)</sup> ولعل اهتمام الرحالة بالكتب في كل صنف، وفي كل فن، فيه إشارة إلى اعتناء بعضهم لمكتبات ضخمة، ويرى محقق رحمة التجاني أنه لا شك في

(١) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٧٨، ١٧٩، والحي، مستدرك الحقة، ص ٢٩٦، ٢٩٧، والنوي، ص ٦٩.

العرق، ٢٠٦/١، وابن رشيد، ملء العينة، ٥ / ٦٩.

(٢) انظر، رحلة ابن جبير، ص ١٧١.

(٣) انظر، ابن رشيد، ملء العينة، ٥ / ٦٠، ١.

(٤) انظر، العبدري، الرحلة المغربية، ص ٦٥، ٢٤١، ٢٤٥.

(٥) انظر، ابن رشيد، ملء العينة، ٥ / ٦٠، ٦٩.

(٦) التجاني، مستدرك الرحلة، ص ١٣٨.

(٧) هو أبو إسماعيل أحمد بن محمد بن ميمون، لأشعري المالقي، انظر ترجمته، ابن رشيد، ملء العينة.

٤١٣ - ٤٠٩/٢

(٨) ابن رشيد، ملء العينة، ٤ / ٤١٠.

أن التجانيّ الرّحالة، كان يمتلك مكتبة ضخمة من مختار المصنّعات فقد كن لديه كثير من الكتب، ومنها نسخة كاملة من سيرة الرّسول، لابن إسحاق، وكان يقن عنها مشرعة<sup>(١)</sup>، ومث سبق يتبيّن أن اشار المؤنسات التعليمية ودور الكتب، وتعدّد أنواع العلوم، في المشرق الإسلاميّ. كانت من دوافع رحلات الأندلسيّين ولعابرة صوب المشرق؛ للاتصال بكبار العلماء والأخذ عنهم، لأمر الذي أسهم في تأسيس المكتبة الأندلسية ولعربية، يد أدحه الوافدون إلى الأندلس والمغرب، والتّارحون عنها من كتب كثيرة<sup>(٢)</sup>

### ثانياً: النّفاة والأدب

قلّت الرّحلات صرراً حبة ناطقة بما في ابلاد التي قصدوا الرّحالة، من شاط ثقافيّ ومعرفي، وحفظت ملامح من الثقافة في مختلف الموضوعات وجوانبها الفكرية في الأندلس والمغرب وبلاد لشرق أيضاً، وكانت وثيقة فريدة بما تحويه من معلومات متنوعة عن شخصية الرّحالة وجربائها المعرفة المتعدّدة، وثقافتهم المتنوعة، وما عكست الرّحلات من مواضيع ثرية وشعرية وتقدية ولعونة مختلفة، وما رصدته من ماقشات ومناظرات كدت مصدراً هاماً للكثير من الأدباء والنقاد والمؤرّخين

حيث علّق ابن بطوطة على كلام بعض أهل لدن العربية، بأنّه ليس بالقصيح، فعند وصوه إلى مدية قلهاة<sup>(٣)</sup> يصف كلام أهلها، بقول: وكلامهم ليس بالقصيح مع أنّهم عرب، وكلّ كلمة يتكلمون بها يصلونها بـ لا يقولون ثاك لا، ثمشي لا، ففعل كذا لا...<sup>(٤)</sup>

(١) انظر، رحلة التجاني، للخدمة، ص ٢٠٨، كط، ص ٢٠٨

(٢) انظر في هذا، معروف، سحي (١٩٧٢)، عضاء النظامات ومدارس المشرق الإسلامي، ص ١٥.

بعداد مطبعة الإرشاد ص ١٩ ٤٠

(٣) قلهاة مدية بشأن على ساحل البحر انظر، بقوت لحوري، معجم البلدان، ٤، ٣٩٣

(٤) رحلة ابن بطوطة ١/ ٢١٣



وند أنكر بعض الرّحالة كثرة اللّحن عند بعض الخطباء فابن بطّوطة أنكر على خطيب الجمعة في البصرة كثرة لحنه وقد عرفت البصرة بكبار النّحاة والمُعرّبين وشكّا ذلك إلى الفاسي فاعتذر عنه بعدم وجود علماء في لحنه. وذلك ما يدعو إلى التّعكّر والتّشكّر، فسحاح معبر الأشياء، ومقلّب الأمور<sup>(١)</sup>، وللرّحالة تعليقات حول أصل عدد من الأعلام، فقد أورد ابن بطّوطة أثناء حديثه عن السلطان التّريّ -حاكم العراق- الذي أسلم (محمد حدا بده) تعلّيف عن الاختلاف في ضبط اسمه و (حدا) بالفارسيّة اسم لله حر وجل و(بده) غلام أو عبد أو ما في معانها، وتيل (خر بده) و (خر) بالفارسيّة الخمار ومعناه يكون غلام الخمار وقيل ويستطرد ابن بطّوطة في ذكر هذه الآراء في أصل اسمه وأصل اسم أخيه (فارعان) وهو لقبر، لأنّه ولد لما دخلت الحارّة ومعها القدر<sup>(٢)</sup>

وحرص بعض الرّحالة على التعاريف اللّغويّة لأسماء بعض المدن التي مرّوا عليها، والصّدق لدقيق لبعض الأسماء والتّسميات ومن ذلك ما قاله التّجانيّ<sup>(٣)</sup> ونزلنا بشر يوت بضم اياء المعتلّة والنّون واثاء الصحيحه المثناة<sup>(٤)</sup> ويقول أيضاً فنزلنا بالعين المعروفة بعين وعرس بكسر الواو ومكون الدال المهملة وكسر الراء<sup>(٥)</sup> وفي تعريفه للناقل يقول اسم لكلّ مريض أنت البق، والقيل كلّ مات تخضر منه الأرض ليس له أروقة<sup>(٦)</sup> ومن الطّرائف الأدبيّة ذات الصّلة بالشّعر، ما ذكره ابن العربي، حين هاج البحر عليهم ووصل هو ومن معه بيوت بني كعب بن سلّيم، وعطف عليهم أميرهم، صبح ابن عم الأمير يترّم متشأ

(١) انظر، المصدر نفسه، ص ١٧٠.

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ٢٠٢/١.

(٣) رحلة التّجاني، ص ٣١٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢. ونظري في مثل هذه التّصنيفات اللّغوية رحلة التّجاني، مسعود الرحلة، ص

٢٣٠ ٢٣٢، ورحلة ابن بطّوطة ١، ٣٥، ١٣٢، ١٢٣، وهو من صنفه من الرحلة

وأحلى الهوى ما شك في الوصل رثى  
وفي المعثر، فهو الذعر يرحو ويتقي  
فقال: لعن الله أبا الطيب أو يشك الرب؟

فقال له ابن العربي في الحال ليس كما ظن صاحبك أبي الأمير، إنما أراد بالرب  
ها هنا الصّاحب، يقول الدّ الهوى ما كان العاشق فيه من الوصال، ولوع الآمال، على  
ربب فهو في وقته كله بين رجاء لما يؤمنه، وثقافة لما يقطع به، كما قال  
نأ لم يكن في الحبّ محط ولا رضى  
مأين حلوات الرسائل والكتب<sup>(١)</sup>

ويظهر هذا الموقف بروع ابن العربي في الأدب وهنّ الكلام.

ورود العبدري خلال الأدبيّ واللّغويّ بما لديه من حبرة فيهم، ومن ذلك ما ذكره  
أن أعلّ اللّمة يقولون عن الضّجّ، والعنّج أنّه النّكّ وحسن الشّكل<sup>(٢)</sup>، وذلك غير ملائم  
مع ما جاء به ابن الصّكوك، حسن بن علي بن عمر القسطنطي<sup>(٣)</sup>، عند قوله نقد ومث  
العيون سهام عبح ومن ذلك ابعدم التلاؤم في الترتيب الذي جاء به في قوله:

بدور بل شمس بل صباح  
بهي في بهي في بهي في بهي

وعلق العبدري على هذا البيت بقوله: نزول مفرط وعكس للرتبة، فإنّ الشّمس  
أشهر من الصّباح وأبرد، والانتقال من التشبيه بالأعلى على الأدنى أشبه بالدم منه بالمح  
لا سيّما مع الأصراب، وقوله: بهي في بهي غير منطبق على صدر البيت ولا ملائم له  
وبو قال: بدور في حدود في قصور، لجاء عليه عجز البيت ألّبق من العقد بجريد الحسناء  
وأوفق من الجود للروضة الفناء<sup>(٤)</sup>.

ومن الآراء النقدية التي أبدعها العبدري تعليقا منه على قول الشاعر:

(١) انظر: ابن العربي، قانون التأويل، ص ٨٧-٨٨

(٢) العبدري، الرحلة المغربية، ص ٣٥

(٣) انظر، ترجمته، المقرئ، فتح الطيب ٤٨٣/٢

(٤) العبدري، الرحلة المغربية، ص ٣٦



علي قلب مأوى الشرق عان  
وجسم حلّ بالعرب القصي  
هذا الغدو بهيم عراً  
وذاك بهيم شرقاً بالعشير

قال هذا كلام غير محصل، فإنّ الجسم العربي من القلب لا بهيم وإنما بهيم القلب، وليست البهائم طرفية، بمعنى في، لأنّ اليمين لا يتخير الأوقات، وما انحصح حقاً لا بهيم إلا مرّة في اليوم، وإنما هي للإلصاق، أي هذا يشاق في وقت العروب إلى الغدو وذلك في وقت الشروق إلى اعشي شوقاً من هذا إلى اشرق، ومن ذلك إلى الغرب وهو معنى حسن لو ساعده لفظه<sup>(١)</sup>

ويجدر الإشارة، بأن مثل هذه التعليقات لا يقصد بها الرّحالة التّقليل من شأن الأشخاص ولا انتقاص من قدرهم الأدبيّة، وإنما هم في عملهم هذا يحتون عن طواهر الجمال في التصوص الأدبيّة.

ولم تفعل كتب الرحلات الحديثة من اهتمام الحكام والأمراء بالنقد والتحليل والمناقشة والاستدلال بمصنف ابن الحاج نشاط السّلطان أبي عسان العلمي وكفائته، ومصرته للتقليد ونيل الطرق القديمة، بل صعد على الحيط فخط، ويصعب أيضاً حصره لكثير من المجالس العنمية وتوجيه لمن يسأل الشيوخ والعلماء، ويدعوهم إلى التحاور معهم ومناقشتهم، ويوصي لشيخ بعدم الاقتصاد على الحفظ فقط ويدعوهم للمجادلة<sup>(٢)</sup>. وسجّنت رحلة ابن الحاج ما أثار به أبو عسان من ثقافة أدبيّة واسعة، ومن الإشارات اندالة على ذلك أنّه كثير ما ردّد أن مولاه عبيد في نظم الشعر والكتابة لمنيّة. وكان مولانا ظاهر قسطنطين، يأخذ من ماله ومن أمسه، ويستصفيه من العلوم بأمرار

(١) العبدري الرحلة المغربية، ص ٢٧

(٢) انظر، ابن الحاج العمري، فيض العيوب، معقمة المحقق، ص ٩٧، والمقري، زهار الربيع، ٢٧/٣، ولوي محمد (١٩٧١)، التيارات الفكرية في الغرب العربي، دار الغرب، مطبعة محمد الخادم، ص ٦٧



سهمه<sup>(١)</sup>. وقد أبرزت الرحلة أيضاً اهتمام الأمير أبي صان بالشعر والشعراء، وحلمه عليهم الخلق الكثيرة، وتقديمه لهم الهدايا الجزيلة<sup>(٢)</sup>.

وبهذا كانت رحلة نيفس العباب محاولة من المحاولات التي قدّمت صورة واضحة لثقافة المغرب وحضارته في عصر من العصور الزاهرة، عصر الدولة المربّية

وبال أدب وبخاصّة الشعر في كتب الرحلات بعض العناية، فقد كان بعض الرحالة شعراء، مثل العبدادوي، وبعضهم يقوله بشكل بسيط، قول انعام المتعشّ، مثل ابن بطوطة، وبعضهم يولع بالأدب والشعراء ولقاء الشعراء كما نجد عبد التجاني. فالعلاقة بين الشعر والرحلات علاقة انسجام، فمما يربط بالرحلات من ذكر للأماكن ولأشخاص والأحداث والأوصاف يصبح موضوعاً للشعر، حيث يصف الشاعر كثيراً من أحداث رحلته، وتدفعه الرحلة إلى التذكّر والحين، فلولاً الرحلة ما وصف الرحالة مشاعرهم وأشواقهم وحيثهم ومظاهر الطبيعة حولهم، والأحجار التي تواجههم بالإضافة إلى إمكانية الاستدلال بالرحلة على تاريخ ما اتصل بأحداثها ووقائعها من شعر، وأعلبه ديني بصوّر زيارة الأماكن المقدّسة وآثارها الدنيّة، ولحن وريارة قبر لرسول عليه السلام، وقيته شعر بصوّر المتوحّات ومدح الحكام وشعر يودّع فيه الرحالة أهلهم وديارهم ويشوّفون إليهم.

وأظهرت الرحلات موهبة أصحابها الشعرية، فهذا يحيى بن الحكم الغرالي<sup>(٣)</sup> استطاع بهذه الموهبة أن يسجّل شعراً، لأخطار التي واجهته في رحلته وعرضته لخطر العرق في الحر، لرؤد الثراث الأدبيّ بأشعر ذات قيمة فنيّة عالية، ومن قوله

قال لسي يحيى وميسرونا      بين موح كالحبـل  
وتركتـب رـسـاح      من ديور وشـمـل

(١) ابن الحاج التميمي، فيص العباب، ص ١٧٧

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ٥٦، ٢٤٠-٢٤١، ومقدمة لمحق، ص ٩٨

(٣) انظر ترجمته في هذه الدراسة، ص ٢٢، حاشية رقم ٣



شفت القلبتين ونسـ      لت غري تلك الجبال  
ومطلى ملك المو      ت إينا عن حبال  
راينا الموت رأي الـ      عن حالاً بعد حال  
لم يكون مقوم بيـا      يا ريفي رأس مال<sup>(١)</sup>

إن رحلة ابن الحكيم الشزل عرفتنا بشاعر مطبوع النظم، واطلعتنا على تنوع موضوعات شعره، الحكم والخد والحول والعزل<sup>(٢)</sup>، لذا فإن صياح بص الرحلة لأصلي يشكل خسارة كبيرة للأدب.

واستطاع ابن جبير بهذه المرحلة أن يعبر عن ذاته وحواطره ومشاعره، من ذلك قوله  
عريباً تذكر أوطانك      نهيج بالذكر أشجانك  
بحل غري صبره بالأمسى      وعقد بالنجم أجهالك<sup>(٣)</sup>  
وفوله معبراً عن شوقه نحو جدرية له تركها بحراطة  
طول احتراب ونزح شوق      لا صبر ولم لي حديد  
إليك أنشكو الذي ألاقني      يا حسير من يشنكي إليه  
ولسي بغرابه حبيب      قد علق السرور في يديه<sup>(٤)</sup>

وقد كان مشهد الوداع والحزن في موضوعات الرحلة قد زاد الجانب المعرفي فيها، إذ يقول ابن رشيد في ترحمه للأشعري: «وما كبه لي بخله مودعاً لي ولرفيقي». وغالب ظني أنه أشد لنا عند سفرنا

(١) الغري، نبع الطب ٢/٢٥٩-٢٦٠.

(٢) انظر، المصدر نفسه ٢/٢٥٥-٢٦٢.

(٣) المصدر نفسه ٢/٢٨٤.

(٤) المصدر نفسه ٢/٢٨٥.

وداعُكُما وداعُ القلبِ مُني  
أبعدُكُما يصاحبي الفؤاد  
ويُتُكُما يمين الصبر عني  
ويتركُني يرق لي الجماد  
وقد كان الرقاد يزور طرقي  
وبعد نواكُما ينأى الرقاد  
لقد حار العاد على المصنى  
فديتُكُما لمن يُشكى العاد<sup>(١)</sup>

وقد يزيد حنين الشاعر إلى مشاهدة الأماكن المقدسة من شوقه لها فينظمه شعراً، ثم تنوq نغسه إلى العوده إلى وطنه، وهما تجتمع مشاعر الغناء والوداع في آن معاً. ومن ذلك ما أشده اللوي نغسه من مقطوعات شعرية، تمثل مشهداً من مشاهد الوداع للأماكن المقدسة ومعابها إذ يقول عبد حروجه من بيت المقدس واصفاً مشاعره النفسية بيت عه مرهجلاً، وفيه أنشأت عاجلاً، وأنشدت مرهجلاً.

خيلني في ريع الخليل مُنى نفسي  
وفيك فؤاذ أنت يا حرم القدس  
أحنُّ إلى تلقاء هذا صبايئة  
وألح من هذا ست البدر والشمس  
مواطن لو أنصفتها حُتْ وانراً  
إلها على العتير والحدو الراسر  
ولو أنني أعطى مردي بينهما  
لما زحلت من دونها أبداً عني  
وكيف رحيلي عن معاهد لم تزل  
على اعمل والرحال لي غاية الأتس  
أروح وأغدو بينها شيئاً لها  
وأصبح فيها مستهماً كما أنني  
وإن كانت الأخرى ولم تك أوبة  
فأهذي سلامي في الفراطيس بالقدس<sup>(٢)</sup>

فقد كن ست المقدس يمثل للرحالة مركزاً علمياً وديناً، وهو عبد عسي الذين من عربي وغيره من المصنوفة مصدر الارتواء، بالمقيم في القدس لا يشعر بالملش ينول اس عربي.

(١) ابن رشيد، مل - العربية ٤١٣/٢

(٢) اللوي، تاج الفرق ١٤١/٢



نعائب من عدم الغيوب عجائاً  
نصان عن التذكار في رأي من وعى  
ومن قائم بالخال في بيت معدس  
فلا نفسه تظلم ولا سره ارتوى<sup>(١)</sup>

ولم تقتصر الرحلات على ذكر اشعار لأصحابها، بل أنشد أصحابها جملة من الأشعار لغيرهم، وتضمنت رحلاتهم عدداً كبيراً من الأبيات والمقطوعات والقصائد لشعره زارهم لرحالة أثناء أسفارهم وتجوّاهم، وهم لا يحرصون على رواية ما حضروه من اشعار الشعراء الذين التقوا بهم وحسب، بل على رواية هؤلاء الشعراء لغيرهم كذلك. وبهذا تكون لرحلات الأدبسية والمغربية قد أسست القرائات الشعرية بالمديد من القصائد التي تظهر شاعرنا أولئك لشعراء وأديهم، وتشير إلى تنوع أعراضهم الشعرية، فقد نظموا قصائد في التهنة، بمختلف المسبب، وفي المدائح النبوية، ومدح القادة والحكام والأمراء وفي الجند والحرل والوصف، والفزل، وغيرها.

وقد نظم ابن الحاج أحياناً يهزئ فيها أبا عنان بعد أن شفي من مرض الجذبة، وهو يستعد لرحلته، ومنها قوله:

وَأَنْلِ لِمَنْ وَاقَى بِشِيرَافُوسَاسَا  
مما هي إلا بعض ما أنت واهب  
أَقُولُ لِحَرْدٍ لَحِيلَ تَبَا<sup>(٢)</sup> بطونها  
معقده مها لحرب ساسا  
طَوَالِغٍ مِنْ تَحْتِ الْعِجَاجِ كَأَها  
نعام بكيان الضميرم خواصب  
بَقِيَتْ بَقَا، الذَّهْرُ مَلَكُوكَ قَاهِرُ  
وسيك فياض، وسيفك عاب  
وعوفيت من صر وأعفيت أجرو  
ولا روعيت إلا عندك الوائب<sup>(٣)</sup>

ويذكر من يترجم لابن الحاج أنه شاعر شتف السامع بلدرو كلامه<sup>(٤)</sup>، ويرى عمق راحة فبض العباب، أنه رغم ذلك لا يعرف إذا كان لابن الحاج ديوان شعر أو أنه ربما

(١) كتاب الأسر في مقام لأسرى، ضمن رسائل من عربي ٤٥/١ ٤٦

(٢) قبا صمدور البطن، ودقة الحصر انظر، ابن منظور، لسان العرب ٦٥٨/١

(٣) ابن الحاج السيري، عصر النماز، من ٤٠٣، والمغربي، جمع النقيب ١١٩٧-١٢٠٠

(٤) انظر، ابن الخطيب، لإحاطة، ١٩٣/١، ٣٥٥، ٣٥٨

ضاح<sup>(١)</sup>، ويبدو أن شعره متحمس الأغراض، وقد أشار ابن الخطيب إلى تمادج من شعره تدور حول الوصف وصف آخر، ووصف العلم، وغير ذلك<sup>(٢)</sup>

أمّا المذائع النبوية فقد أوردت الرحلات بعضاً منها، ومن ذلك ما قاله أبو عبيدة البجليّ عند حضرة الرسول:

بقض ففعلك حققت مبدي ألمي	ولا تكلي إلى علمي ولا علمي
فما سوى حسن ظني فيك يتمني	وأن يحب بك هذا الظن واحبلي <sup>(٣)</sup>
	واحبلي <sup>(٤)</sup>

وذكر ابن رشيد في رحلته بعضاً من أشعار أبي الحسن بن إبراهيم التجنيّ، في المذائع النبوية، ومنها قوله

لثال فعل الماشعي عمعد	جادت جفومي بالذموع الزعم
ويكاي من مرط الأس ولو أني	أقصي وحقّ جلالة لم أنصف
أوطائئ خذي، وقلت تعزري	ما شئت، بما نفسي، بهذا واشرفي
وتسكي أبداً بحب عمعد	فعاك أن تجوبه في لوقم
صلّى الإله عليه ما جنّ لذجى	وبدا النهار ولاح بحم لو خفي <sup>(٥)</sup>

أمّا ابن تيمون، فقد عرض بعض قدراته الأدبية في التمداح لشعرية التي أوردتها في رحلته بمساميات مختلفة، وبه قال ابن الخطيب وأما نظمته فتهض بهذا العهد فدماً في ميدن اشعر<sup>(٦)</sup>. ومن شعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

(١) انظر، ابن الجراح الصبري، قبض الغياب، مقدمة الخلق، ص ٤١

(٢) انظر، ابن الخطيب، لإحاطة. ٣٥٨-٣٥٩/١

(٣) أبو عبيدة البجليّ، رسالة العرب إلى الحبيب، ص ٦٩

(٤) ابن رشيد، ملء العية. ١٩٩/٢

(٥) القرني، نقح الطيب نقلاً عن الإحاطة: ١٨١/٦



إني دعوتك والقاء بإجابتي      يا حير مدعوً وحير مُجيبه  
فصرت في مدحي فإذ بك طيباً      فيما لذكرك من أريج الطيبه  
ماذا عسى يعي الأطيل و قد حوى      في مدحك القرآن كن قطيب<sup>(١)</sup>

ولم تخل بعض الرحلات الأدلسية والمغربية من أبيات قيلت في مدح الحكام  
ولأمراء ووزراء والشيوخ والأولياء، ومن ذلك ما قاله أبو حامد الغرناطي بمدح فيه  
الوزير هوذا الذين<sup>(٢)</sup>.

حملت به أمّ المأموم وأرجمت      برّ نرّ أخلاف الذكاء الخفيل  
يُندي حقائق كلّ علم مُشكل      فيهمه ظلمُ الجهاةِ ثجلبي  
ولّى أمير المؤمنين أمورة      بشأً تُصوراً في الخطوب كيتلبي  
عواً لدين الله بأسط عدل      ولجود مفيض القراء السفل<sup>(٣)</sup>

وتحدث ابن الحاج عن الفتوحات التي قام بها أبو عباد، وركبت أسراً في هوس  
المسلمين، وقال حامداً السلطان، ومصوراً فتح قسنطينة

وتأبى العلي إلا التسامحة ولندى      وصرّ التقى لا البقاء على العهد  
وانتم كالأيوم الذي جاء بالنسي      أمطت نقاب النصر في موكب العصد  
عروس من الفتح المسين ترتبت      فدمت من الرمح اللويم على قد<sup>(٤)</sup>

أما ابن بطوطة، فقد قال بمدح سلطان المند:

(١) ابن خلدون، التعريف، ص ١١٤-١١٦

(٢) انظر ترجمته، مغربي، ص ٤١٠، والصمدى، الوافي بطوفات، ١، ٣٥٨

(٣) أبو حامد الغرناطي، المغرب، ص ٩

(٤) ابن الحاج التميمي، فيض المصاب، ص ١٤٣

ليث أمير المؤمنين، أُنجلَا  
أيضا عهد السير نحوك في الملا  
بعثت غلاماً من علائك زائراً  
ومغادك كهف الزيار، أهلاً  
فلو أن فوق الشمس للمجد رتبة  
لكنك لأغلاها إماماً مؤملاً  
فأنت لإمام ماجد الأوحى الذي  
سجاءه حتماً أن يقول ويفعل<sup>(١)</sup>

وأبرزت بعض الرحلات دور المرأة الشاعرة في ميدان الشعر وأغراضه المختلفة، وفي ميدان الأدب والعلوم الأخرى. ففي رحلة النجاني<sup>(٢)</sup> ذكر لزبيب بنت إبراهيم النجاني وهي من شهرات الأدبيات التوسيات في العصر الحنصلي، وقد ذكرها العبدري في رحلته عرضاً ولم يسمها، ويذكر محقق الرحلة أنه عشر على اسمها في بعض المخطوطات، وحصل لنا ترجمه في كتابه شهرات التوسيات<sup>(٣)</sup>. وأوردها العبدري مقطوعين من شعرها، أشدهما به أحوها علي، فمن ذلك قولها مدبرة فيمن اسمه نعيم يقولون لي هذا حبيبك ما اسمه؟  
فما سطعت إقشاه وما استطعت أكنتم  
فقلت اسمه ميم وحرف مقدم  
فهذا اسم من أهوى قديتكم «فهموا»<sup>(٤)</sup>  
فهموا<sup>(٥)</sup>

ودعم هذا التردد اليسير من شعرها، إلا أنه يبرز صورة امرأة الشاعرة العارفة بالأدب

(١) رحلة ابن بطوطة. ١٢٠/٢

(٢) رحلة النجاني، ص ٥٤، ٥٥. ونظر عن دور المرأة في غنط الميادين الأدبية والشؤون الفنية، النجاني، مستعاد الرحلة، ص ٤٣، ٤٤، ١٠٦، ١٥٠، ٢٣٠. انظر أيضاً، ابن رشد، ملء الأمة ٣١٩/٣، ٣٢٥. وموطى كثيرة معروفة من الرحلة

(٣) عبد الرحمان، حسن حسي (١٩٦٦) ص ٢٤، موس مكتبة لدر ص ١١٠-١١٢

(٤) العبدري، الرحلة المغربية ص ٥٤، ونظر أيضاً ص ٢٦٢



أدب المراسلات والمكاتبات والمعاملات، والمساجلات والمعارضات الشعرية  
ولشعرية، وقد كان الرُحالة يكتبونها للملوك والسلاطين والأمراء، وكانوا أيضاً  
يتبادلونها مع أصدقائهم، وهي من الموضوعات التي عُثيت بها الرحلة، وتلمس شواهد  
ذلك في عدد من لرحلات التي مثلت ثروة علمية رائعة، وترجمة واسعة هي تقدم الحياة  
المكرمة وتطورها في العام العربي الإسلامي، ويقول ابن رشيد في رحلته: وإن كنت  
أودعته من الفوائد ما لعله لا يحصره ديوان، ويعزّز وجوده على ذي البحث والتقصير  
ولا فتان، وقد ضمّته من الأحاديث لبوينة واللطائف الأدبية والتكت المروضية  
وطقت الشكل من أسماء الرجال<sup>(١)</sup>.

وقد أورد ابن رشيد عدداً من المراسلات والمكاتبات الشعرية والمساجلات الشعرية  
ومنها ما كتبه الوزير أبو عبد الله بن العقبه الوزير أبي لقاسم بن الحكم<sup>(٢)</sup> إلى أبي بكر  
بكر ابن حيش<sup>(٣)</sup>، أحمد الله حقّ حمده، يا سيدي رضي الله عنكم، وأبقى أنوار المعارف  
تفتّح منكم لما بذلت إشارتكم المتقابلة بواجب الامثال، لتفصله على كل أمر ذي سأل،  
بأن يعيد للمستضيء بتروكم محبباً في ورفه شيئاً من كلامه<sup>(٤)</sup>.

ومن المساجلات الشعرية التي أورد ابن رشيد في رحلته، ملك التي كانت في  
وصف حسة تعمر بالأم.

أما التبحر، فقد أورد مجموعة من المراسلات والمعارضات الشعرية التي كانت بينه  
وبين الكثير من العلماء والأدباء واشعراء والفقهاء، ومنها تلك المراسلات التي تبادلها مع  
ابن شبرين، حيث وصلته رسالة من ابن شبرين، وذكرها التبحر، فقال: وفي أثناء إقامتنا

(١) ابن رشيد، مله العيبة ٣٣/٤

(٢) انظر ترجمته، نظري، أزهار الرياض: ٣٤٠ - ٣٤٧

(٣) هو محمد بن الحسن بن يوسف، انظر ترجمته، ابن رشيد، مله العيبة ٨٣/٢، والقري، ص ٣١١

نص الطرب ٣١١

(٤) المصدر نفسه ١١٣/٢، ١١٤.



بتورر وصلت إليّ نصيدة من العقيه الأجلّ الأديب أبي بكر محمد بن أحمد بن شبرين  
الخدامي النسي<sup>(١)</sup> من مستقره بمرابطة . وقد جاء في نصيدته .

يا سمة صحت فصول ديوها	ما بين ورد بالعذيب وترجس
والورق قد صدحت على أمانها	والأرض قد لبست ثياب السُدس
حظي رحال تحيي في معهد	بين الجوانح مه عهد ما نسي
والحي من تيجان فاشرح عندهم	فرط اثنياني نحو دك المجلس <sup>(٢)</sup>
وقد رد عيه التجاني بنصيدة يرميه فيها على ما حلّ به وبأمله ويلذه، جاء فيها	
أمر من الله لا مرد له	لم يبق كهلاً منهم ولا ينعما
وحدة تم أمره فقصت	وكم سديد الآراء قد خدعا
هاك سلامي على أبعاد أبا	بكر فقلني إليك قد زعا <sup>(٣)</sup>

وأشارت بعض الرحلات لعدد من المعارضات الشعرية، ومنها ما دار بين التجاني  
وأبي العصل محمد بن أبي الحسن ملي بن إبراهيم التجاني، ويقول فيها

أهدي أبا العصل السلام مرددا	حلاك عن قلب إليك مشوق
وأقرّر الود الذي أنا مالك	فيه من الاخلاص غير طريق
فرد عليه أبو العصل	
أهدي سلام الود خير رفيق	مر غداً أوحده أسرتي ورفيقي
ومقام عبد الله نجل محمد	لي قومه مدم على لعنوق <sup>(٤)</sup>

(١) ود سمة وأمله من إنسك أصلا، كان تاريخاً شعراً كانا، انظر ترجمته، أس الخطيب، الإحاحة

الإحاطة ١٧٤/٣ ١٨٢، والقري، مع الطب ٥٤١/٥

(٢) وحلة التجاني، ص ١٦٥

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٠



ونفذ كتب المقيي الكاتب أبو عبد الله محمد بن يعقوب<sup>(١)</sup>

فجاءك الرّبع إذ ظعن الحبيب فأنب وإن نشأ به غريب  
د. بعد الأحبة عن عمل فما عيش بساحته يطيب  
وكيف يطيب عيش بعد غيل سأي فجميعاً صعبٌ كليل  
وأجابهُ الرّخالة لتجاني

عسى الرّمن الذي ولّى يذوب فقد سمعتُ من الشّوق الغلوب  
إذ ما قلت قد قرب اجتماع فصلى يتفرّق حطوب  
وأعظم من ترى أسفاً وحزناً حيث قد نأى عنه حبيب

وكتب المقيي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزي بالهواريز<sup>(٢)</sup> إلى الرّخالة، يقول:  
أهدي سلام الودّ غير حبيب من مُدّ أول فاضل وحبيب  
أهداه عبد الله محمد يحمل عهد فحر الرّمان إمام كل أديب<sup>(٣)</sup>  
وردّ على الرّخالة

إن أقصر من أسف غير حبيب لمرط اشتياق وانتعاد حبيب  
ما قلت قد نأى التفرّق فافصى لا وجدته جديد حطوب  
ولقد شجنا بمسي وأضرم لوعتي وأثار أشجاني وهاج كروبي  
برق بدا والليل أرخى محبه والبلد شمر دله لتروپ<sup>(٤)</sup>

(١) المنيق كوكب أمر مضي، انظر: ابن منظور، لسان العرب ١٠/ ٢٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٣) انظر ترجمته، «نقري»، صح الطب ٢٤٩/٢.

(٤) لم يصف البحث في الشّوق على ترجمته.

(٥) رحلة التجاني، ص ٢٩٤-٢٩٦.

وقد حلت بمصر الرحلات على نوع الحكام والسلاطين في ميدان النظم، وذكر ابن  
الخياط عن نوع ونموس أبي حنن في قول الشعر، ودليل ذلك ما حدث عندما نظم قاضي  
الحضرة أبو عبد الله المقرئ<sup>(١)</sup> هذا البيت اعزى:

دخلت بلاد الله شرقاً ومغرباً      فلم تر عين مثل سكرة يسا  
فراذ عليه مولد أسرع من نيناد لظرف، وأوحى من رجيع البصر وهو العطف  
ويا قبح ما أسود القنم بوجهها      قد عشى الأبصار لم تنصر الشما<sup>(٢)</sup>

وقد تضمنت رحلة ابن الخياط عدداً من الرسائل لديوانية، حررت أثناء الرحلة إلى  
قسنطينة والربيع، وعددها أربع، الأولى إثر فتح قسنطينة، والثانية بمناسبة دخول الجيش  
المريني إلى عتابة، والثالثة بعد فتح تونس والربيعه حصنه بإلياب التهاقي والرجوع إلى  
الحضرة العلوية، ويبدو أن هذه الرسالة كتبت الأخيرة، وقد ضاعبت، وتأسف المؤلف على  
ضياعها<sup>(٣)</sup>

أما رحلة رسالة العريب إلى الحبيب لأبي عبيدة البجائي، فتتمثل مذاقتها نقلاً من  
المراسلات لأديبه، حيث وصل البجائي من أبي الفضل لشذالي أبيات شعره هي عتب  
على عتاب

ساعتك كُنْهك في لقطيعة عالماً      أن البرمالة لم تحمد من حامل  
وعذرت طيئك في الجماء لأثب      يسري ويصبح دوساً بمراحل<sup>(٤)</sup>

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩٧ وانظر عن المعارضات الشعرية في المصدر نفسه، ص ٢٩٨ - ٣٠٠

(٢) انظر ترجمته، المقرئ، ص ٢٠٣/٥

(٣) ابن الخياط السمريني، فيض العباب، مقدمة المحقق، ص ٩٩

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٦، ١٣٩

(٥) انظر، أبو عبيدة البجائي، رسالة العريب، ص ٤٥



فما كان من أبي عبيدة إلا الاعتذار على ما فهم المشتدلي من رسائله<sup>(١)</sup> وعتابه وعباراته التي نقلت له، فردّ على عتاب المشتدلي بتدوينه رحلته رسالة العربي إلى الحبيب التي افتتحها بمعبدة تعكس صورة الرّحالة الشاعر، وصورة صديقه أبي الفصّل المشتدلي ومكانته العلمية، ووصف حاله بعد فراق صاحبه المشتدلي له، ومنها

هذي رسالة العبد الفقير إلى	كهف الأمام وفخر الوقت والسلف
أنته تشر ما قد حار من شيم	ومن جلال ومن عزّ ومن شرف
وإن تذكر أياماً به سلّمت	فه ما كان أحلاماً لمنشرف
وإن عيدهم لم يس عهدهم	وليس يس عهود العيس وفي
ولم يزل ذكرهم شرقاً يمل	كما قيل عصور البان من هيب
وعو (طية)، تشبه حرامبه	لما حكته من لألقاب والتحف
وما (مكة) من أيامه سلّمت	كأن من الحس فون الوصف إن تصف <sup>٢</sup>
	تصف <sup>٣</sup>

وفد روت رحلة ابن خلدون لأدب بصورة عن سمات الكتابة في عصره، وذلك من خلال إيراد بعض الكتابات والمراسلات ثرية الشعرية، وبين أس الخطيب ومنها ما قاله ابن الخطيب مبتهجا بقدم ابن خلدون إلى عرطه

حدثت خلوا، لعت بالبد، لمحل  
على العائز الميمون ولرحب والسؤل

(١) ذكر البجائي أنه كان به وبين المشتدلي عدد من المراسلات الأدبية أوتلتا مرسلات وجهها له مع شخصين، وتابها مرسله أدبية اشتملت على أخبار مغربية رمت فيه، ولم يذكر مع من وجهها له، وثالثها مرسله وصف به فيها مرصاً حتّى به وكاد يقضي عليه، ولم يذكر أيّ مع من وجهها له، ورابعها لم يتحدث عن موضوعها ولا عن حاملها ولكنّه أشار إلى أنه كان يهدف من وراءها مرصعة الرد والمراسل بينهما انظر: أبو عبيدة البجائي: رسالة العربي، ص ٣٥

(٢) أبو عبيدة البجائي، رسالة العربي، ص ٤٢ ٤٣.

مينا بمن تفتو الوجوه لوجهه من لشح والعقل المهدأ والكهل  
لقد نشأت عندي للفيك خبطة نسبي اغصابي بالشئبة والأهل  
وؤذي لا يحتاج فيه لشهد وتقيري للمعلوم صرت من الخهل

أقسمت من حجت قريش ليته، وفيه صرحت أرملة الأحياء ليته، وبور ضربت  
الأمثال بمشكاته وزيته. لو حيرت أبها، الحبيب الذي ريدته الأمية السية بين رجح  
الشباب يقهر ماء، ويرف غماء وبين قدومك خليج الرّس، مشعاً والحمد لله باليقظة  
ولوسن، لما اخترت الشاب وإن شقي رته، وأهياي شه<sup>(١)</sup>

وبهذا فإن كتب الرحلات كانت ذات أثر مباشر في تصوير الحركة الثقافية، وبها  
يدرك اباحث الأبعاد التي قطعها الأندلسيون والمعاربة وأهل المشرق في ميدان ازدهار  
العلم ومضمار التصح الثقافي، والكشف عن ألبان الثقافية في خلف العصور

### ثالثاً: النشاط الاقتصادي

خلد كتب الرحلات بالكثير من جوانب النشاط الاقتصادي سواء أكان ذلك في  
الأندلس والمغرب أم في بلاد المشرق والبلاد العربية الإسلامية وغير الإسلامية، ونقلت  
صوراً للملامح الاقتصادية في كل البلدان التي زارها الرحالة، وعرفت بأهم المحاصيل  
الزراعية والموارد المائية، وأشهر البضائع والسلع والصناعات والمعادن، والتجارة  
وأسواق العملات والتنظيمات المالية، فكانت الرحلات وثائق هامة للدارسين لمختلف  
الأنظمة الاقتصادية في تلك العصور، ومستويات الجغرافية الطبيعية المدخ، والشروعات  
الزراعية والحيوانية وبشرية السكان والأسواق ولشؤون المالية، وطرق المواصلات  
البرية والبحرية، والمستشفيات والحصون والحصانات، ومختلف مظاهر الحضارة والعمران  
ورغم ذلك فلم يكن الرحالة معينين بجانب دون آخر، لذا سجلوا مشاهداتهم وهم



يبتازون تلك البلدان بما فيها من أنهار وبحار وسهول وجبل، وهي ملاحظات موجزة،  
لكنها قدّمت مادة غنيّة وراحة للمؤرّخين والدارسين والباحثين

## أ الحاصلات الزراعية وموارد المياه

أظهرت كتب الرحلات الأندلسية والمغربية غلبة لشعوب المنطقة بالأراضي الزراعية وحاصلاتها، ورعايتهم لأراضيهم وحرثها وزرعها ثم أسبع من عصولاتها<sup>(١)</sup>. وقد لفت انتباه الرحالة اتساع المساحات الزراعية في بعض المناطق، وانصاف في الحديث عن حصوبة تلك الأراضي، وما يست فيها من أشجار وأعشاب وثمار ووصفوا حجمها ومذاقها، وذكروا كل مسقة مروي بها، وما تحتاز به من زراعة معينة، أو ما تشتهر به من حاصلات خاصة<sup>(٢)</sup>، ومن جانب آخر أشار بعض الرحالة إلى انعدام الزراعة في بعض المناطق كما في جرد المالدنف<sup>(٣)</sup>.

وقد بينت كتب الرحلات اعتناء الأندلسيين بالزراعة، حتى خدت أراضيهم جثت واسعة كثيرة المعطاء فمن حوامن حنطة طليطلة أتب لا تسوس على مر السنين<sup>(٤)</sup> وكانت البلاد بين القيروان والكاف<sup>(٥)</sup> حصية حيدة الزراعة تنتج مردوعات القمح في سبي الخصب الواحد بمائة، وللمغرب لأقصى، كانت اصطة مخصصة للأمراء وأهل الثراء، ومعظم لغذاء عند سائر الأهالي من لدرة<sup>(٦)</sup> ولشأن بعض الرحالة إلى ما تتميز به الزراعة في البلاد الأندلسية، ولا سيما زراعه الفوكة على اختلافها، ووصفوا اتساع المساحات الزراعية وكثرة البساتين والجنات والرياس فيها

(١) انظر، لإدريسي، زهرة المشتاق، ص ٩٢ القشتالي، نعمة المغرب، ص ٩٣-٩٤، ورحلة ابن بطوطة ٤٣/٢

(٢) انظر، ابن حبير، ص ٩٩، والعمري، الرحلة المغربية، ص ١١، ٤٠، ١٦٣، ١٧٦، ٢٠٣، ٢٣٥، ورحلة ابن بطوطة، ٤١، ١، ١٨٠، ٢٦٥، ورحلة الفلصاوي، ص ١٦٣-١٦٤

(٣) انظر، رحلة ابن بطوطة ٧٤/٢ وطر في انعدام الزراعة في بعض المدن، المصدر نفسه ٢٢٢/١

(٤) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، ص ٨٨

(٥) الكاف حصص حصص، سرحل الشام انظر باقرت الحموي، معجم البلدان ٤/٤٣١

(٦) انظر، البكري، حتمية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، ص ٥٦، ١٠٨.



ويصف ابن جبير غيرات الأندلس، وحيرات مكة، بقوله: «وَأَمَّا الْأُرْزَاقُ وَالْعَوَاكِي وَسَائِرُ الْعِيَّاتِ فَكَأَنَّ الْأَنْدَالِيَّ لَحِصَتْ مِنْ ذَلِكَ بِحَظِّهِ الرِّبَا عَلَى سَائِرِ حَقُولِ الْبِلَادِ حَتَّى حَلَلْنَا بِهَذِهِ الْبِلَادِ الْيَابِرَةَ فَأَلْفَيْناها نَعَصَ بِالْعَمِّ وَالْعَوَاكِ. كَأَنَّيْنِ، وَالْعَصْبَ، وَلِرُمَانَ، وَالسُّفْرَجِلَ، وَالْفُحُوحَ، وَالْأَنْرَجَ، وَالْحَوَزَ. إِلَى جَمِيعِ الْبُقُولِ كُلِّهَا كَالْبَادِغِيَّةِ وَلِقُطَيْنَ. وَالسُّلَحْمَ، وَخَرُورَ، وَالْكُرْبَ، إِلَى سَائِرِهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرِّبَا حِينَ الْعَبَقِ وَلِشُمُومَاتِ الْعَصْفَرَةِ. . . وَمَنْ أَعْرَبَ مَا أَلْمِيَاءُ فَاسْتَمْتَعْنَا بِأَكْلِهِ وَأَحْرَبَا الْحَدِيثَ بِاسْتِعَابَتِهِ، وَلَا سِيَّمَا بَكُوبَا لَمْ نَعُدْهُ، الرُّطْبَ، وَهُوَ صَدْعُهُ بِمَنْزِلَةِ ابْنِ الْأَحْصَرِ فِي شَجَرِهِ يَمْسِي وَيُؤْكَلُ، وَهُوَ فِي نَهَابَةٍ مِنَ الطَّيِّبِ وَاللَّذَازِذِ، لَا يَسَامُ التَّمَكُّنُ بِهِ»<sup>(١)</sup> وقد عرأ ابن جبير ازدهار الزرع في الأودية المحيطة بمكة المكرمة إلى وحد حاليه مغربيه بها فامت باستصلاح لأراضي. فقال قد جلب الله إليها من المغارة ذوي البصاره بالملاحه ولزراعة فأحدثوا فيها بساتين ومزارع.<sup>(٢)</sup>

وقد أبدى ابن جبير إعجابه بالتماء الرّاعي والتقدم الاقتصادي في بعض البلدان التي زارها، فيذكر عن الفرات خلال مروره بمذبة الحلة: «وَهَذَا النُّهْرُ كَأَسَمُهُ فُرَاتٌ، هُوَ مِنْ أَسَدَ الْبَاءِ وَأَحْضَهَا، وَهُوَ نَهْرٌ كَبِيرٌ وَخَارٌ، تَصْعَدُ فِيهِ السُّفُنُ وَتَحْمِلُهَا الطُّرَيْقُ مِنَ الْحِلَّةِ إِلَى بَغْدَادَ أَحْسَنَ طَرِيقَ وَاجْلَهَا. فِي سَائِطِ مِنَ الْأَرْضِ وَعِثَارُ، تُصَلُّ بِهَا لِقَرَى بَيْنًا وَبَيْنًا، وَتُشَقُّ هَذِهِ السَّائِطُ أَغْصَانُ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ تُسَرَّبُ بِهَا وَسُقْيَا، فَمَحْرُوبُهَا لَا حَذَّ لَأَسَاعِهِ وَتَنْفَاسِهِ...»<sup>(٣)</sup>.

وكان من شدة اهتمام الرحالة بالثروة الرّاعية أن عقد له بعضهم الكثير من فصول رحلاتهم، ومنها ما ذكره أبو حامد الغرناطي، في خصائص البلاد في الثمار بقوله: فيقال

(١) رحلة ابن جبير، ص ٩٧ - ١٠٠

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٩ - ١٩٠.



رطب العراق، وثمر كرمان، وعتاب جرجان، . ونفّاح الشام، ونربح البصرة، وتين حلوان، وحب بعدد، ومشمش هراق، ومور اليمن<sup>(٦)</sup>

وتحدث لتجبي عن مدينة قرص محروسة، وحرانها الزراعية، ففيها التحل ولأعاب والفواكه، وفيها شجر النوت الأبيض، الثمر الطيب الطعم الذي لا يوجد مثله كثير من بلاد المغرب<sup>(٧)</sup>.

ونكاد تكون بعض الرحلات مصدراً لمعرفة الكثير من أنواع النباتات والأشجار والثمار والخيرات والطيور، ومنها رحلة ابن بطوطة : فإنه لم يترك مدينة إسلامية أو غير إسلامية إلا وتحدث عن سعة الأراضي الزراعية وتنوع المحاصيل فيها، وعن نباتاتها وأشجارها وثمارها، ومواعين الرعي الدالة على خصوبة تلك الأراضي وما ذكره ابن بطوطة مثلاً عن الفصول الزراعية في الهند : أنها تنقسم إلى فصلين أولهما يشتمل على لزراعة الخريفية، وثانيهما يشتمل على الزرعة الربيعية، ويرور الفلاحون المروعت الخريفية في ألوان القبط عند نزول المطر، ويحصدونها بعد ستين يوماً من رعايتها، ويذكر أهم تلك المروعات الخريفية، ومنها : ماش وهو نوع من الجلبان، والمزريا وأما المروعت الربيعية، فيزوعها الفلاحون بعد حصاد المحاصيل الخريفية، وتزرع في حقل الحقول التي كانت الحبوب الخريفية مزروعة فيها، ومنها القمح والشعير والحمص ولعص، وهم يزرعون الزر ثلاث مرات في العام<sup>(٨)</sup>.

وفد يبين ابن بطوطة أن الصبر عينة بالسكر ولأعاب والإحاص الذي يعوق الإحاص العثماني الذي يدمشق، وأن جميع فواكه البلاد العربية تست فيها، وذكر أن القمح يزرع فيها بوفرة، وهو من أحسن أنواع القمح، كما يزرع فيها العدس والحمص<sup>(٩)</sup>

(١) أبو حامد الغرناطي، نحة الألبان، ص ٦٠

(٢) التجبي، مستعد الرحلة، ص ١٧٢

(٣) انظر رحلة ابن بطوطة ٢٣ / ٢، ٢٤. وانظر في النباتات والشجر في رحلة ابن بطوطة، الديماضي،

عصر مصطفى (١٩٤١)، مجلة المنتطب، المجلد ٩٩، ص ١٠٠ - ١٣٢

(٤) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢٢٢ / ٢



وتعتمد الزراعة على المياه ووفرته، وقد ذكرت بعض الرحلات أهمية الأنهار ولأبار والعيون، ودورها في الناحية الاقتصادية للسلاط، وصورت رعاية المسلمين بماء الشرب ونوحيه للسكان من طريق شبكة القنوات الظاهرة فوق الأرض أو الخفية التي تحت الأرض، وتنظيمها بطريقة هندسية متقنة، ويصف الكري الطرقات المستخدمة في أفرقة للزري، والسواقي وقنوات الحجر الممتدة في كامل السلاط، وتقسيم المياه وتوزيعها توزيعاً عادلاً على مختلف المناطق والرياح<sup>(١)</sup>.

وأشار الإدريسي إلى استخدام الأبار في ريّ المزرعات وسقيها، ومحدث من حصر مزرعة في مراكش، حفر بصمعة فائقة، ومذت من قاعها قنوات تسير تحت الأرض في الممدار حتى توصل الماء إلى مختلف أحياء المدينة، ولم تلبث المدينة أن اتسع عمرانها واكتفتها أخضره واحتاقت بفضل هذه القنوات<sup>(٢)</sup>.

ويرثب على وفرة المياه أيضاً، قديم عدد من المشاريع البسيطة مثل إنشاء القنطر والسواقي للشرب، والاستفادة في المجالات الرورية، بما أدى إلى اتساع الرقعة الزراعية، وكثرة الناس التي يعج بمختلف أنواع الساعات والأنهار والثمار، وانتشار التجمعات السكانية على صفاف الأنهار والأبار والعيون، وقد قال في ذلك ابن بطوطة واصفاً بهر التل إنه يفصل أهر الأرض غدوة مدالي واتساع قعر وعظم متعة العري ولسد حصته متظمة ليس في المعمور مثلاً، ولا يعلم بهر يزرع عليه ما يزرع على النيل<sup>(٣)</sup>.

وتحدث الرحالة عن نظام الري من خلال الاهتمام بكيفية المياه في الأنهار باستخدام المتائيس المقامة عليها، بمقياس بهر النيل يستفاد منه في قياس زيادة بهر النيل عند فيضه كن سنة، وهذا المقياس عمود رحام أنشئ مثنى في موضع ينحصر به الماء عند انسائه إليه، وهو مفضل على اثنين وعشرين ذراعاً مقسمة على أربعة وعشرين قسماً تعرف

(١) انظر، الكري، لسانك والمالك، ص ٤٩.

(٢) انظر، لإدريسي، زهرة الشاوي، ص ٦٨، مكسي، محمود، مريد العرس، القاهرة دار الكاتب العربي، ص ٥٣.

(٣) انظر، رحلة ابن جبر، ص ٢٩ ورحلة ابن بطوطة ١، ٣٣، ٢٥، ٤١، ٤٢ وأبو حامد الفريسي،

بالأصابع فإذا انتهى الميصر عددهم إلى أن يستوي الماء تسع عشرة ذراعاً منسرة فيه فهي العاية عددهم في طيب العام. وربما كان العامر منه كثيراً بعموم الميصر. والمتوسط عددهم ما استوفى سبع عشرة ذراعاً...<sup>(١)</sup>

أما القنطرة التي تزوّج المياه في السواقي، فعنها القنطرة المقامة على نهر النيل. وقد أشار ابن حبير إلى أن هذه القنطرة دُعم استخدامها في الري والزراعة، فإنها هدفاً عسكرياً، حيث تحمي البلاد من عدو يدعهم جهة ثغر الإسكندرية، بغيضان نهر النيل وبعمار الأرض به. فيمنع مسوك البعدكر واجتيازها باتجاه البلاد<sup>(٢)</sup>

وأشار أيضاً إلى لقنطاريين الحلة وبعدد التي تعترض الطريق كذا، فلا تكاد تمشي ميلاً إلا وتجد قطرة على نهر متفرّع من الفرات، فتلك لطريق أكثر الطرق سواني وقاطير<sup>(٣)</sup>

ووصف الرحالة استخدام أهالي بعض البلدان ري مزروعاتهم من العيون. وقد ذكر ابن حبير أن مدينة رأس العين اشتق اسمها من كثرة العيون، حيث تتوزع مياه هذه العيون في جداول تبسط في مروج غصير، وأعظم هذه العيون عيسان أحدهما فوق الأخرى، فالعليا منهما مائة فوي الأرض في ضم الحجارة كأنها في جوف عد كبير مشع يبسط الماء فيه حتى يصير كالصهريج العظيم ثم يخرج ويسيل بهراً كثيراً كأكبر ما يكون من الأنهار. ويتجه إلى العين الأخرى ويلتقي بمائها. أما الثانية فعينها تحت الأرض من الحجر الصند ويتسع حتى يصير صهريجاً ثم يدفع بقوة إلى الأعلى حتى يسيل ماء تلك العين على سطح الأرض، ثم تنقسم مياه العين إلى ممرين يلتقيان بعد ذلك<sup>(٤)</sup>. ولعل الدقة في وصف هذه العيون تؤكد معاينة ابن حبير لها

(١) رحلة ابن حبير، ص ٢٩ - ٣٠

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ٢٧

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٤) انظر رحلة ابن حبير، ص ٢١٧ - ٢١٨، ولقنطاري الأبار والعيون، أبو حامد انعماني، رحلة العرب، ص ١٨، والنسجي، مستند الرحلة، ص ١٩٧، ٢٠٣ - ٢٠٥، وموسى أحمدى من الرحلة، ورحلة التجاني، ص ١٥٧ - ١٥٨



وتوضّح كتب الرّحلات أنّ جزيرة العرب بصورة عامة كانت وفيرة المياه ما بين آبار ومياه سائحة بركاً من تجمع مياه المطر، وعيون، ومصانع للماء. وتحدّث ابن بطوطة عن الآبار ومصانع الماء<sup>(١)</sup> خلال حديثه عن الطريق بين الحجاز والعراق عبر نجد، فذكر ماء يعرف بالقارورة<sup>(٢)</sup>، وهي مصانع مملوءة بماء المطر، ثم رحل عنها إلى الحاجر وفيه مصانع للماء ويقول: وربما جئت فحضر عن الماء في الحجاز<sup>(٣)</sup> وذكر ابن جبير أيضاً الكثير من آبار المياه في بلاد الحجاز، وفي مكّة المكرمة، وسقايه الخَضَح والعنبرين<sup>(٤)</sup>

ووصف بعض الرّحالة مشاريع الماء ببلدية المورة، وما فيها من آبار وعيون، كثر في رحبة مسجد قباء<sup>(٥)</sup>، ومن العيون، عين نَسَبَ لثني صُلّي الله عليه وسلّم، مبيّ عليها خلق عظيم مسطيل وتقع العين في وسطه، ويخرج منها سقيتان يبي بينهما جدار، وينزل إليهما على أدراج عددها نحو الخمسة والعشرين درجاً وماء هذه العين كثير وغدير، ويعتمد أهل بلدية على مائه في غسل ملابسهم وشربهم<sup>(٦)</sup> وتحدّث بعض الرّحالة عن ندرة المياه في بعض المدن، واعتمادها على ماء المطر، ومن ذلك ما ذكره العمري في وصفه لمدينة بوسى: ولكن مائها قليل وفي دناها مصانع ماء المطر وهو المستعمل عندهم<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر، رحلة ابن بطوطة، ١/ ١٥٥-١٥٧

(٢) انظر، المصدر نفسه، ١/ ١٥٥

(٣) نفس المصدر والجزء والصحة

(٤) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٥٧، ٥٨، ٨٨، ٨٩، ١٦٣. ومراجع أخرى متفرقة من الرحلة

(٥) انظر، المصدر نفسه، ص ١٧٥، ١٧٦، وتاج المرفق ١/ ٢٨٨. وابن بطوطة ١/ ١١٦

(٦) انظر رحلة ابن جبير، ص ١٧٥-١٧٦، والسجني، مستفاد الرحلة، ص ٢٣٣، ٢٤٦، ٢٥١، وابن وشيخ

وشيد، من، القصة ٥، ١٠٠-١٠٤، وشمس، تاج المرفق ١/ ٣٠٩، ورحله ابن بطوطة ١/ ١١٩

١٢٥

(٧) العمري، الرحلة لمعريّة، ص ٤٠. وانظر، ابن وشيخ، ملء البنية ٥/ ١٩٦ ورحلة التيجاني،

ص ١٨٣، ٢٠٥، ٢٥٥، ورحلة ابن بطوطة ٢/ ٣٦

واهتمَّ الرَّحَّالَةُ بأسفروهُ لحيوانيةً، فذكروا الحيوانات التي تعيش في كلِّ منطقة، وذكرُوا طرقَ تغذية الحيوانات لتسميها، وتحدَّثُوا عن أهمِّ منتجاتها مثل اللحوم والحليب ولَسَمَ<sup>(١١)</sup> وقَدِّمَت كتبُ الرَّحلات صورة لما كانت تنتجُه بحارُ المِيطق التي زارها الرَّحَّالَةُ وأَنهارها من أسماك، وغيرها، ومنها سمكُ النِّخَم يُمسَى حاسكٌ بِقَمِين، وسمكُ قلبِ الماس بِمَالْدِيْفِي، والسُّرْدِين في قَلْمار، وسمكُ المِشار، واسرطاب، وفُرس البحر، والسَّمَكُ الرَّخَّاد<sup>(١٢)</sup>

ووصف الرَّحَّالَةُ ما لَمَثَ أنظارهم من الحيوانات والطيور والحشرات، مثل الكركدن، والقروء، والسباع، التي كانت تُفترس النُصم، والدَّجَاح، وابعوص، وغيرها<sup>(١٣)</sup>

ومما بعضُ الرَّحَّالَةِ منحنى شَطْرًا في تصيِّدِ المعجائب والغرائب مما أورده من حكايات عن الحيوانات والطيور والحشرات، حيث لا تخلو حكاياتهم من جوانب خرافية وإسطورية، قد يكون من درافعها السَّماع وتناقل الروايات، أو أنَّ مراحل الرَّحلة ومشافها قد أثَّرت في نفسيه الرَّحَّالَةِ وأوجدت لديهم خيال الواسع الذي دفعهم لتصديق ما سمعوا واعتقدوا بوجوده حقيقة، وما هو إلاَّ صُرب من الوهم والخيال وحُذَع رُؤية<sup>(١٤)</sup>، ومنها طائرُ الرِّيح اخراقِيّ الذي يبدو أنَّ ابن بطُّوطَة نفسه لم يكن متأكدًا من رؤيته ولكنَّ رِجاء طيِّبة صُرفنا من صومعه، فلم يره ولا عرف حقيقة صورته<sup>(١٥)</sup>، ولسمكة التي تحتوي في أذنِها على فِئاة<sup>(١٦)</sup>، وأسماك لا رأس لها ولا فم ولا عين، وفي

(١) انظر، أبو حامد الغرناطي، تحفة الألياب، ص ٨٣-٩٨، ورحلة ابن جبير، ١٨٣-١٨٤، ورحلة ابن بطُّوطَة، ٢٩٩/١، ٢٤/٢.

(٢) انظر، البكري، صفة جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، ٢٢٩/١، وانظر، أبو حامد الغرناطي، تحفة الألياب، ص ٨٥، ٨٨، وأبو محمد، العرب طي، العرب، ص ٧١، ورحلة ابن بطُّوطَة ١-٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤/٢، ومؤلف مراكشي مجهول، الاستبصار، ص ٤٦.

(٣) انظر، أبو حامد الغرناطي، تحفة الألياب، ص ٥٤، ٥٨، ٩٣، ٩٤ وأبو حامد الغرناطي، العرب، ص ٧٥-٧٧، ورحلة ابن بطُّوطَة ١١/٢، ١٤٩، ٢٢٢، ٢٨٣.

(٤) انظر، موري، حسين حديث الاستبصار القديم، ص ٦٨.

(٥) انظر رحلة ابن بطُّوطَة ٢/٢٢٢، وانظر أيضا، أبو حامد الغرناطي، رحلة تحفة الألياب ص ٩٢-٩٣.

(٦) انظر، أبو حامد الغرناطي، تحفة الألياب، ص ٩٧-٩٨.



جوها مثل الحبر، وإذا أحدث في الشبكة يؤخذ ذلك الحبر فيكتب به، وإذا أصاب ذلك الماء الثوب صبغه ولم يجرح يعسل ولا غيره<sup>(١)</sup> وقد عقد أبو حامد العرناطي في رحلاته أبواباً خاصة في صفة البحار، وعجائب حيواناتها<sup>(٢)</sup>

ومن تلك العجائب، ما أحرره التجيبي فيما سمع عن مدينة حر ن<sup>(٣)</sup> التي لا يكون نباحها العنكبوت، ولا البعوض ولا يوجد ذلك فيها آيته - وكان الإنسان إذا أخرج يده من سورها وقع عليها البعوض، فإذا ضم يده إلى جهة المدينة صار عبر ينم، وكان حامدها لأعظم لا يدحه طائر آيته، وكل ذلك مدبر بالظلمات، والله تعالى أعلم<sup>(٤)</sup> وفي بعض مدن السودان سلاحف تعظم حتى تخرج من القياس، وهي تحفر في الأرض أسراباً يمشي فيها إنسان، وهم يأكلونها فلا يستطيعون إخراج واحد منها من تلك الأسراب إلا بعد شذ الخيال فيها واجتماع العدد الكثير<sup>(٥)</sup>.

وتحدث ابن بطوطة عن شجرة عجيبة أشان في بلاد المليار، وهي حصراء ناصمة تشبه أوراقها الثني، لا أنها لينة، وأحمر أنه إذا كان زمان لحريف من كل مته تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة<sup>(٦)</sup> وذكر أبو حامد العرناطي أنه رأى عقود عيب بجانب بحر وم يستطع أن يأخذ منه حبة شفة صلابته وأن له رائحة كرائحة السمك<sup>(٧)</sup> وإن كان الرحالة قد وصفوا عجائب الحيوانات وغرائب الساعات بطريقة خرافية غير معقولة، إلا أن حكاياتهم تلك المبالغ في وضعها، لا تخلو من صدق.

(١) انظر: أبو حامد العرناطي، مجلة لأدب، ص ٨٧، ١٥١.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٨٣-٨٩، وأبو حامد العرناطي، المغرب، ص ٦٩-٨٨.

(٣) حر ن وهي مدينة على طريق الموصل وشمش وكروم. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ٢/ ٢٣٥.

(٤) التجيبي، مستند الرحلة، ص ١٩٦.

(٥) مؤلف مراكشي مجهول، الاستبصار، ص ٢٢٢.

(٦) انظر رحلة ابن بطوطة، ١٦٤، ٢، ونظر في عجائب نباتات والأشجار، المصدر نفسه ١٨٩، ١٩٦.

ونظر: الديلمي، محمود مصطفى (١٩٤١)، مجلة المقتطف، ج ١، المجلد ٩٩، ص ١٢٢، وما بعدها.

(٧) انظر: أبو حامد العرناطي، مجلة الألباب، ص ٨٧. وانظر: أبو حامد العرناطي، المغرب، ص ١٤.

## ١- المعادن والصناعات

إن حالة البلدان الاقتصادية تظهر فيما علقته كتب الرحالة، لأندلسيين والمغاربة، وذلك في إشارات الرحالة البسيطة للمعادن والصناعات المختلفة، إذ عن طريقها يمكن معرفة مدى التقدم والركود في تلك المعصور. وأهمية ذلك في نهضة الحياة للناس وكانت بعض الرحلات صورة وصحة عن لصناعه وتوفر المقومات التي تساهم في نجاحها، ولعلنا في المواد الخام والأيدي العاملة، وأمن البلاد واستقرارها

ولم يكثر الرحالة من وصف الثروة المعدنية في اسلدين ابني زاروها، إلا أنهم ذكروا الذهب والفضة والفضة والفضة والفضة والفضة، حيث أشار بعض الرحالة إلى وجود الذهب في أواسط أفريقيا، وأن سكان بعض القرى رغم حقارتها ويؤسها إلا أنهم يتعاملون بالقناطير المقطرة من التير<sup>(١)</sup> وذهب بلاد الصين، لا يضاهاه في ذلك إقليم من أقليم الأرض، وعادة التاجر في تلك البلاد أن يسلك مع عدله من الذهب ولغضة قطعاً - ويسمى القطعة الواحدة منها بركالة<sup>(٢)</sup>

وذكر بعض الرحالة أن معدن التحلحس كان يوجد في بعض المدن تحت الماء، وأن الناس يستخرجونه ليسكبونه في بيوتهم، ثم يصنعون منه قصاصاً رقيقاً وغلاظاً يبيعونها بالذهب وأحياناً يشترونها بها حاجاتهم من الطعام والخطب والميد<sup>(٣)</sup>، وفي بحر عباد مقاص على اللؤلؤ في جزائر على مقربة منها - ويصخرج منه جواهر نفيس له قيمة صبة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الكري، المسالك والممالك، ص ٢٢، ١٦١، ١٦٢، ٢٣٤. وصفه خريطة المرسى من كتاب المسالك والممالك، ط ١، تحقيق عبد الله عليم، دار السلاسل، ١٩٧٧، ص ٢٥، وانظر: رحلة ابن بطوطة، ٢/ ٢٢٤

(٢) رحلة ابن بطوطة، ٢/ ٢٦٩

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٢٢، وانظر أيضاً، المصدر نفسه ١/ ٣٣٢

(٤) انظر المصدر نفسه ٢/ ٢٨٨، وانظر: الكري، المسالك والممالك، ص ٢٢، ١٦١-١٦٢، ٢٣٤

(٥) رحلة ابن جبير، ص ٤٦، وانظر رحلة ابن بطوطة: ١/ ٢٤٩



وصوّرت بعض الرحلات طريقة استخراج سكان جزيرة سيلان لياقوت مس الأرض، حيث يحدوه في أحجار مشعبة وهي التي يتكون الياقوت في أجوافها، فيحكّها الحُكّاكون حتى تنلق عن أحجار الياقوت، فمعه الأحمر، ومنه الأصفر، ومنه الأزرق<sup>(١)</sup> وقد أورد أبو حامد الغرناطي في رحلته فصلاً، تحدّث فيه عن خصائص البلاد في الأحجار، بقوله: يقال فيرور نيسابور، وياقوت سرطيد، ولؤلؤ عُدن، وورجند مصر، وعقيق لمن، وجزع طبر، وشجاد بلخ، ومرحان إفرقة<sup>(٢)</sup> أما ابن بطوطة، فذكر أنّه في طريقه إلى إحدى المدن، مرّ بماء يجري على الحديد، فإذا ضل به الثوب الأبيض إسودّ لونه<sup>(٣)</sup>

وأشار بعض الرحّالة إلى معدن لقار، حيث قال ابن جبير مررب بموضع يعرف بالقنارة من دجنة، وبجانب الشرقيّ منها، وعن يمين الطريق إلى الموصل، فيه وكنة من الأرض سوداء كأنّها مسحة قد أسط الله فيها عيوناً كباراً وصغاراً تبع بالقار وربما يتدفق بعضها بمياه من كأنّها العليان، ويصنع له أحواض يجمع فيها فتراه شبه الصلصال ميسطاً على لأرض أسود اللّمس، صقيلاً وطياً، عطر الرائحة، شديد اتعّلك، فيلصق بالاصابع لأوّل ماسره من اللّمس، وحول تلك العيون مركة كبيرة سوداء يعلوها منه الطحلب الرقيق أسود تقدفه إلى جوانبها فيرسب قراء. وبحقبة من هذه العيون على شطّ دجلة عين أخرى من كيسة، أبصرنا على البعد منها دحناً، فقبل لنا إنّ النار تشتعل فيه إذا أرادو نقله فتشعب النار رطوبته، ثمانية، وتعدّه، فيقطعونه قطرات ويمجلونه، وهو يعمّ جميع ليلاد إلى الشام إلى عكّة إلى جميع البلاد ابهرنة<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: رحلة ابن بطوطة ١٩٣/٢

(٢) أبو حامد الغرناطي، نسخة الألباني، ص ٥٨.

(٣) رحلة ابن بطوطة ٢٨٩/٢

(٤) رحلة ابن جبير ص ٢٠٩، و انظر: رحلة ابن بطوطة ١ ١٩٩ ٢١٠ وانظر في استخدام العطف

لخروب، ابن الحاج المبري، معن الباب ص ١٣١



وهناك إشارات أخرى بسيطة في بعض الرحلات، تشير إلى وجود معدن الزئبق في قرطبة في لأندلس<sup>(١)</sup>، وجبال الملح في هرم<sup>(٢)</sup>، والنفط والعاز الطيعي بهاكو<sup>(٣)</sup> أما الصناعة، التي كانت معترّة عن حاجات المجتمعات، فلم تكن هذه الصناعات على مستوى واحد في مختلف البلدان والأقاليم لكنها على الأغلب صناعات خفيفة بسيطة ساعد على تطورها توافر المواد الخام لباتيه والمعدنية في البلدان التي زارها الرحّالة، وقد أشار الرحّالة إلى عدد من الصناعات التي لفتت أنظارهم<sup>(٤)</sup>، ومنها

### أولاً: صناعة المنسوجات الكتّانية والحريّةية ولطفتيّة والصوفيّة،

التي كانت تصنع منها الملابس، وقد اشتهرت الأندلس بصناعة المنسوجات الكتّانية النخيلة، التي تشبه الورق الجيد اصقل في الرقة والبياض، واشتهرت كن من سرقة ولادة وباجة بصناعة الكتان<sup>(٥)</sup>

أما الصناعات المندنة فهي قليلة، ومنها صناعة الخدم من الأعشاب، وصناعة ثوب الكتان، وصناعة سيج القطن الرقيق الذي قد يبلغ ثمن اللوب منه مائة دينار، وصناعة الأسجة الحريّةية التي يسمونها الحر<sup>(٦)</sup> وأشد البكري<sup>(٧)</sup> بجودة حرير قابس، وبالقو وان وثيها لفاخرة التي كانت تقصر بمدية مومة<sup>(٨)</sup>، وعرفت الثياب العنانية المصنوعة من القطن والحرير ذات الألوان لمختلفه التي اشتهرت في الوطن العربي والإسلامي، وكانت

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٩٢.

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة، ١/ ٢٤٥.

(٣) أبو حامد الغرناطي، نخبة الألقاب، ص ٩٥.

(٤) انظر، العبادي، أحمد مختار، (١٩٨٠) من مظاهر الحياة الاقتصادية في الدين الإسلامي، مج ١ عالم الفكر، المجلد ١١، العدد (١)، ص ١١٢-١٥٦.

(٥) انظر، الإدريسي، نزهة المشتاق، طبعة بيروت، ص ٣١٢.

(٦) انظر، رحلة ابن بطوطة، ٢/ ١٣٦، وانظر المصدر نفسه ٢/ ٦١، ١١٠.

(٧) انظر، البكري، لمساتك والممالك، حققه وقدم له أدريان فان بيوج، أندري مير، تونس، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والفنون والدراسات ١٩٩٢، ٢/ ٦٩١، وانظر، مؤلف

مراكشي مجهول، الاستبصار، ص ١١٣، ١١٩.



تصح في إحدى محلات مدينة بغداد<sup>(١)</sup>، واشتهرت بعض المدن بأنواع من أثياب الحريرية كخز والسباح النعيس الثمين، والأصبهاني والخرجاني، التي جُمِلت إلى كل بلد<sup>(٢)</sup> وذكر ابن بطوطة أن مدينة سمرقند كان يصنع بها ثياب قطن حسنة تسمى إليها<sup>(٣)</sup> وكانت وكانت ثياب القطن في الصين أغلى من ثياب الحرير، ذلك أن الحرير عندهم كثير جداً، لأن النود تتعلق بالتجارة وتأكس منها فلا تحتاج إلى كثير مؤونة ولذلك كثير<sup>(٤)</sup>

وقد ربط بعض الرحالة بين الثروة المائية والصناعية في بعض المدن التي قصدها، فعن شجر يسمى بالعشر، قال التجاني وهو شجر ناعم شديد الخصره يضرب إلى سوادها، وهو بيت صعداً وله أوراق عظيمة وبور مشرق حسن المظهر كزوار الدفلى وثمره أحضر كالأتراح تملأ الرحدة يد حاملها، وهي مملوءة بشيء يشبه القطن يسمى شعوب الخرفع يصمم الحذاء وسكون الرءاء وصمم الفراء، وتُمن حشيت مع المرافق ولوسائد وأخبرني من أتى به أنه رأى ثياباً صنعت منه<sup>(٥)</sup>

ونرى بعض الرحالة بصاعة الأسجة القطنية المعلمة بالذهب، وهي صاعقة كانت تقوم بها النساء في مدينة لاذق، وهي أنسجة لا مثل لها تطول أعمارها لصحة قطنها وفوة مرلها<sup>(٦)</sup> وقد لاقى المنسرجات القطنية التي حلت من اليمن شهرة كبيرة في أسواق أسواق الهند والصين<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر، رحلة ابن جبیر، ص ٢٠١

(٢) انظر، لإدريسي، رحلة المشتاق، طبعه يدو، ص ١٩٧، وانظر، لتجدد صلاح الدين، انشراح في نظر الثمار والأندلسيين في القرون الوسطى، ط ١، بيروت دار الكتاب الحديث ص ٢٦، وانظر صاعقة ثياب الحرير وقطن والكتان في مدينة طمار، رحلة ابن بطوطة ٢٣٥/١، وانظر صاعقة الحرير في مدينة قرناطة بين سعيد المغربي، المغرب ٤٢٤/١

(٣) رحلة ابن بطوطة، ٦٨/١.

(٤) المصدر نفسه ٢١٩/٢، ٢٢٣

(٥) المصدر نفسه ٢٦١/٢

(٦) المصدر نفسه ٢٦١/٢

(٧) انظر، البكري، صفة جزيرة العرب من كتاب المسالك لمحقق عبد الله عليم، ص ١٢٢

أما صناعة الأنسجة الصوفية، فقد انتشرت في العديد من المدن التي قصدتها الرحالة، ويذكر أنه في عدن كانت تصنع الخبثات ومقردها حبرة، وهي ضرب من الثياب الصوفية الموشاة أو المخملية<sup>(١)</sup>، وفي أنصرا إحدى مدن آسيا الصغرى- كانت تصنع أبسط من صوف العنم<sup>(٢)</sup> ومن عرائب بلاد السودان أنه ينبت عندهم في الرمال شجرة طويلة الساق دقيقة يستونها نوري، لها ثمر كثر مستح داخله صوف أبيض ينزل، ويصنع منه الثياب فلا تؤثر النار فيها<sup>(٣)</sup>

وقد تبع ازدهار صناعة المسوجات رقي في الصبغة، فكانت تستورد بعض المواد من الهند والعراق والشام والحريد، واستعمل الفرز بأرمسا وبالأندلس واستعمل الرعفران المستنق بالبلاد الإسلامية بجهة قرطاج<sup>(٤)</sup>، وكان لباس أهل تاد مكة الثياب القطنية المصبغة<sup>(٥)</sup>

وذكر بنهايمر لتطلي أن في مدينة القدس معمل للصبغة يستأجره اليهود من ملك القدس متوناً، فتحصر بهم هذه المهنة دون غيرهم<sup>(٦)</sup> وربما تكمن الإشارة إلى صناعة صبغة الملابس في ملاحظة ابن بطوطة حين وصل إلى موضع فيه إحساء ماء يجري على الحيا، فإذا لم يكن في أوروبا الأبرص لولا لونه<sup>(٧)</sup>

وقد صورت الرحلات تطور الصناعة وما رافقها من ارتفاع مستوى المعيشة، وتفنن الناس في لباسهم وأثاثهم، وتعمق العلاقات التجارية بين البلدان، حيث أشار ابن بطوطة

(١) انظر، البكري، صفة جزيرة العرب من كتاب لمساك، ص ١٢٢

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢٦٦/١، وانظر انصرد عنه ٣٥٧/٢، وانظر في صناعة أبسط، للبكري، فتح الطيب ٢٠١/١

(٣) مؤلف مراكشي مجهول، الاستبصار، ص ٢٢٥

(٤) انظر، البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧، وانظر في صناعة الملابس أيضاً، للبكري، فتح الطيب، الطيب: ٢٠١/١

(٥) انظر، مؤلف مراكشي مجهول، الاستبصار، ص ٢٢٣

(٦) رحلة بيلين التطلي، ص ٩٩

(٧) رحلة ابن بطوطة ٢٨٩/٢



إلى انتشار المصوغات المصرية في بلاد السودان، وذكر أن أهل إيولان ثيابهم حسان مصرية وقال إن سلطان مالي الذي كان يسمى ميسي موسى، كان إذا جلس تحت قبة أخرج من شبك إحدى الطاقات شربة من الخمر ربط فيها مندبل مصري مرقوم، فإذا رأى الناس المندبل دعت الطبول ونصحت الأمواق، فكان هذا المندبل المصري المرقوم، إشارة خاصة بالسلطان<sup>(١)</sup>

وبهذا، تكون كتب الرحلات قد كشفت عن تنوع واحتلاف في أشكال الملابس ومادة صنعها، التي نسجم مع سنة اللذان المحلفة، ونعاً لتفاوت الأحوال الحوية من درجات حرارة وبرودة، إضافة إلى الظروف المعاشية للسكان وأحوالهم الاقتصادية.

### ثانياً: صناعة السفن

أشار بعض الرحالة إلى أنواع مختلفة من السفن والمراكب والقوارب، فمنها ما كان يستعمل فيه السامير، ومنها ما كان يحاط بحبال الذهب، ويسقى بالسم أو يدهن بخروج أو يدهن القرش ليلين ويوطب<sup>(٢)</sup>، وذكرت بعض كتب الرحلات دور الصناعة لساء المراكب وانتشارها في كثير من المدن، مثل دانية، والسودن، ومصر، وغيرها<sup>(٣)</sup>. وألفت الضوء على أغراض استخدام تلك السفن والمراكب، مثل الصيد، والرحلات، والحروب<sup>(٤)</sup>.

وقد وصف الغزال إحدى سفن الرحلات، ومى قوله:

وبس كروب القس جئت سواده      على ظهر غريب لمسيح نأد  
قد استأجرت أردفه ونصت له      صوارب في آذنه ومواد<sup>(٥)</sup>

(١) انظر، المصدر نفسه ٢٢٦/٢

(٢) انظر، رحلة ابن جبر، ص ٤٧.

(٣) انظر، الإدريسي، صفة المغرب، طبعة لندن، ص ١٩٠ ١٩٢، ورحلة ابن بطوطة ٢٢٦ ٢

(٤) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢٢٠/٢

(٥) ابن الكفائي، التشبيهات، ص ١٧٤

أما السلطان أبو حنّان، فقد ألحّ على استعمال السفن، وكانت تحمل اسم غريب.

ويرى محقّق رحلة فيض العباب أنّ الغراب لمعه رمز في اعتقاد أبي حسان إلى الويل الذي سينزل بأهل منطية المعندين لأهل تونس<sup>(١)</sup>، وفي ذلك إشارة إلى اهتمام الحكام بصناعة السفن.

ورسّط بعض الرّحالة بين الثروة البايّة والصناعة في بعض المدن التي قصدوها، فمن الدرجيل، قال ابن بطوطة وجورها يشبه رأس ابن آدم، لأنّ فيها شبه لعينين والقم ودأخها شبه الدماغ إذ كانت خضراء، وعليها ليف شبه الشعر، وهم يصنعون به حبالاً يخيطنون به المراكب عوضاً عن مسامير الحديد، ويصنعون من الحبال للمراكب<sup>(٢)</sup>

أما النجيب، فقد وصف مراكب عيذاب بقوله، أنّها يجمّلونها في غاية من ضعف السيرة، وصورة يشائها أنّهم يركبون الأنواع بعضها على بعض، ويصلون بينها بالحجر الماسكة لذلك على صورة لقرفور، ثم يجرّونها بالقنابر، وهو ليف على اسراج وهو الحور الهندى- يدع ذلك الليف إلى أن يتخيّط ثم يدرس، فتعمل من حبال، فالخشن منها للمراسي ونحوها يدعونها بالطراس والرقائق من الحبال المذكورة لشدّ ألواح المراكب المذكورة دون مسمار، وإنّما يخلّونها بدرس من عيدان الخيل، وهو القنابر يصلح في الماء المالح، فإذا أصابه الماء، خلّو أسدّه، فإذا أكمل ذلك بأسره جلبطوها بدرس منخّذ من بعض حيتان البحر ودقاق لدان وقبعان، لمراكب المذكورة عراض يصنعونها من قطعة وحدة ثم يشتون عليها تمام المركب كما ذكرت وشرع هذه المراكب كلّها من حصر مسوجة من نخوص شجر المقل، وإذا أشحها لزبان راد على أكرانها نحو ثلاثة أشبار في الارتفاع من حصر ترّد الموج بزعمه، فتكاسم جميعها على الصورة العربية الشكل الضعيفة التركيب والشأ<sup>(٣)</sup>

(١) انظر، رحلة ابن الحاج لميري، فاض العباب، مقدمة، محقّق، ص ٩٥، وانظر أيضاً لمصدر عم، ص ١٦٠ وما بعدها

(٢) وحلة ابن بطوطة ١/ ٢٣٧

(٣) النجيب، مستفاد الرحلة، ص ٢٠٧-٢٠٨



وأشار ابن بطوطة إلى المراكب الشهيرة المستعملة في الصين المعروفة باسم أجيمن، وقال: «وركت في النهر في مركب يشبه أجفان بلاد العزوية إلا أن الجذارين يمدّون فيه قياماً، وجميعهم في وسط المراكب، والركاب في المقدم والمؤخر، ويطلّون على المركب ثياباً تصع من نبات بلادهم يشبه اكنان وليس به، وهو أرق من القصب»<sup>(١)</sup>

وذكر أيضاً استخفاً من السفن التي كانت تصع في الصين، ومنها الكبير ويسمى جنك وجمع جنوك والمتوسط منها يسمى رو، والصغير يسمى ككم ويكون في المركب الكبير منها اثنا عشر قلعاً فما دونه إلى ثلاثة، ويصع القلع من الخيزران أرفع منسوجاً كالخصر، ويظلّ على الدوام منصوباً يدور مع الريح حيث دارت، ويحتوي كل مركب سبعة بحار وأربعة مقاتل من كل نوع حتى وفاة العبد، ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة هي النصفية، والثلاثي، والرباعي<sup>(٢)</sup>، ووصف أيضاً الحناكر وهو من سفن الهند البحرية<sup>(٣)</sup>.

وقد أسهب الرحّالة الذين وصفوا السفن والمراكب في تفاصيل صناعة السفن والخشب والسمامير الصخمة التي تصنع منها، وعدد المجاديف التي على جوانب السفينة، وعدد المحذوين، وما تحتويه من لعرف والخصر والعمود والزنجبيل الذي يروعوه في أحواض من الخشب على ظهر المركب، وانتقاليد الرسمية المتبعة عند سفر السفن وعودتها<sup>(٤)</sup>.

### ثالثاً: صناعة الورق

تعدّ صناعة الورق على حدّ قول ابن خلدون من نواحي العمران والتساع نطاق الدولة، حيث كثرت التكاليف العينية والدواوين، وحرص الساس على تأقلها في

(١) رحلة ابن بطوطة. ٢/ ٢٢٧.

(٢) انظر، المصدر نفسه. ٢/ ١٦٦، ١٦٧.

(٣) انظر، المصدر نفسه. ٢/ ١٥٦.

(٤) انظر، المصدر نفسه. ١/ ٢٣٤، ٢/ ٢٢٤، ٢٢٥.

الأفاق<sup>٦١</sup> ولعل أول ذكر لهذه الصناعة ما أورده لإدريسيّ خلال حديثه عن مدينة شاطبة في شرق الأندلس، إذ يقول: «ويعمل بمدينة شاطبة بالآندلس من الكاعد (الورق)، ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض، والله يعلم بشارق والمعارب»<sup>٦٢</sup> وقد أثيرت بعض كتب الرحلات، أن من أجود منتجات بعض المدن في تلك العصور الكاعد، فقد عدت الصين من أعظم الأمم في إحكام صناعتها<sup>٦٣</sup>.

### رابعاً: صناعة السكر

انتشرت هذه لصناعة في كثير من المدن التي زارها الرحّالة، مثل الأندلس، ومصر، والعراق، والأهواز، وفلسطين، وعقد بعض الرحّالة أبواباً خاصة للحديث عن السكر والخلو، في تلك البلاد، فأبو حامد الغرناطي تحدث عن خصائص البلاد في الخلو، بقوله: «ويقال سكر الأهواز، وعسل أصبهان»<sup>٦٤</sup>.

وكانت مصر من أشهر البلدان في صناعة السكر<sup>٦٥</sup>، واشتهرت لصين كذلك بصناعتها وكان فيها السكر الكثير مما يضاهي لمصري بل يفضلها<sup>٦٦</sup>، وتحدث بعض الرحّالة الرحّالة عن حذق ساء السودان في صناعة العطايف والكافور<sup>٦٧</sup> واشتهرت كذلك صناعة حنواء الخروب في نابلس وكانت تخبث إلى دمشق وغيرها، وقد وصف ابن بطوطة كيفية عملها أن يطبخ الخروب، ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرّب فتصنع منه الخلواء، ويخبث ذلك الرّب<sup>٦٨</sup> أيضاً إلى مصر والشام<sup>٦٩</sup> ووصف أيضاً كيفية صنع

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٢١-١٢٢.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، لندن، ص ٩٢ وانظر، رحلة ابن بطوطة ٨٦/١.

(٣) انظر، رحلة ابن بطوطة، ٢/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٤) أبو حامد الغرناطي، نزهة الألباب، ص ٩٥.

(٥) انظر، رحلة ابن بطوطة ٤٩/١، وانظر، ابن سعيد المغربي، المغرب، قسم مصر ١١/١.

(٦) المصدر، ص ٢/ ٢٢٦.

(٧) انظر، مؤلف مراكشي مجهول، الاستبصار، ص ٢١٦.

(٨) رحلة ابن بطوطة ١٣/١.



الصل من لارييل بأن حدام الخيل يصعدون إلى ثخلة غدوة وعشياً إذ أراد أحمد ماثلها الذي يصعدون منه العسل، وهو يسمونه الأطواق، فيقطعون العنق الذي يخرج منه النمر، ويتكون منه مقدار أصبعين، ويربطون عليه قدرأ صغيراً فيها الماء الذي يسيل من العنق فإذا ربطها غدوة صعد إليها عشياً، ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور أحدهما مملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء العنق في أحد القدحين، ويعسله بالماء الذي في القدح الآخر، ويتجر من العنق قليلاً ويربط عليه القدر ثالثة، ثم يعمل غدوة كعمله عشياً. فإذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طحنه كما يطبخ ماء العسل إذا صعد منه الرّب، فيصير حسلاً عظيماً القمع طيناً. <sup>(١١٠)</sup>

### خامساً: صناعة الأسلحة

تعتبر كتب الرحلات لذكر صناعه تعدّ من الصناعات الهامة، وهي صناعة الأسلحة ونقوشها وصقلها <sup>(١١١)</sup>، رغم أنها قد استخدمت في تلك العصور بوجهها التقليدي، المتمثل بالسيف والرماح والقوس، وبعض الأسلحة الثقيلة مثل طورق، مثل الأسلحة النارية والقناص اليدوية، والندافع. ولعل اكتشافهم لنقطة ساعدت في التوصل إلى اختراع مثل تلك الأسلحة المتطورة <sup>(١١٢)</sup>.

وعروي ابن خلدون أن سلطان المغرب يعقوب المريني عندما هاجم مدينة سلجماسنة سنة ٦٧٢ هـ نصب عليها هدام (آلة) القنط القادف بحصى الحديد يبعث من خزنة أمام البار الموقدة في البارود بطليعة غريبة تردّ لأفعال إلى قدرة باريتها <sup>(١١٣)</sup>

(١٠) انظر، رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٣٨. وانظر في السكّر داخلو، رحلة ابن جبير، ص ٩٨.

(١١) انظر، البكري، صفة جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الله غيم، ص ١٢٢.

(١٢) انظر، الغرناطي، لمحّة الأساب، ص ١٣٢ ١٣٣، ورحلة ابن بطوطة ١/ ٢٤، ١٧١، ٢٠٤، ٣٤.

٢٧٩، وابن الحاج التميمي، فيص العباب، ص ١٢٩.

(١٤) انظر، ابن خلدون، المعر ٧/ ١٨٤ ١٨٥. وابن الخفيف، للمحة البصرية في الدولة لصرية،

تحقيق محب الدين الخفيف، القاهرة، ١٩٢٨، ص ٧٤.



## سادساً: صناعات أخرى

نوه بعض الرحّالة إلى صناعات أخرى بسيطة، مثل صناعة الصابون لطبيب لعلل الأيدي في مصر الذي كان يصنع بالحمة ولصعرة<sup>(١)</sup> وصناعة الفخار لا سيما في المييف، وقد ذكر ابن بطوطة أن أهل انصيص أعظم الأسم إحكاماً للصناعات وأشدها إتقاناً فيها<sup>(٢)</sup>. واحتلت الأواني المصنوعة من الحامس في بلاد اشام أهميه، حيث كان الرجل يهجر ابنه ويكون معظم الجهاز أواني الحامس وبه يفاخرون وبه ينابغون<sup>(٣)</sup> وصناعة الزجاج لذي كان يصنع في المراق<sup>(٤)</sup>، وصناعة الأواني الخشبية التي كانت تصنع في لصين<sup>(٥)</sup>، وأواني الرينة المصنوعة من المسح في بلاد هرمز<sup>(٦)</sup>، وأنية اماء المصنوعة من الخرف، وتعرف بالريحية في تونس<sup>(٧)</sup> وقد كانت بعض الأواني تسب إلى المدينة التي صنعت فيها، مثلاً يُرى مالتى<sup>(٨)</sup>.

وأشار بعض الرحّالة إلى صناعة المطور، والأدهان العطرية، فمن عادات أهل جزائر دية، للمهل أنهم إذا صلّوا الصبح أتت كل امرأة إلى زوجها أو ابها بالكلية الورد ودهن العالية، فيكحل عليه ويدهن يده الورد ودهن العالية فتصقل بشرته وترسل الشحوب عن وجهه<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر، رحلة ابن بطوطة ٦٧ ٦٨، وانظر، ابن سعيد، المقرب، قسم مصر ١١/١

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢٢٤ ٢، ونظر أيضاً، المصدر نفسه ٢٢١/٢ - ٢٢٢، ٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه ٦٥/١

(٤) انظر، المصدر نفسه ٢٥٨/١

(٥) انظر، المصدر نفسه ٢٢٢/٢

(٦) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢٤٥/١

(٧) انظر، البكري، صفة جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك ٦٩٨/٢

(٨) المشتالي، بحثة لمغرب، ص ١٧٠

(٩) رحلة ابن بطوطة ١٧٥/٢، وانظر، المصدر نفسه: ٣١١/١.



ومن الصناعات أيضاً، صناعة البيذ<sup>(١)</sup>، وصناعة كبس التنور في مكة المكرمة، حيث أشار ابن جبير إلى جودة هذا النمر وعده بمزلة التين الأحضر، وهو في نهاية الطيب وللذدة لا يسأم التفكه به، ويخرج الناس إليه كخروجهم إلى الضيعة أو كخروج أهل المغرب لقرانهم أيهم نصيح التين والعنب، وعند نقضه يسط على الأرض قدور يجمع قليلاً ثم يركم بعضها على بعض في السلال والظروف ثم يحفظ لوقت استخدامه<sup>(٢)</sup>

وأشار ابن بطوطة إلى صناعات مختلفة اشتهرت بها مدينة بعلبك، ويبدو أنها تنفرد بصناعتها، وعن قوله في ذلك -أي بعلبك- يصنع النيس للسوب إليها، وهو نوع من المرنى يصنعونه من العنب، ولهم تربة يضعونها فيه فيجمد، وتكسر القلة (الخرقة) التي يكون بها يبقى قطعة واحدة، وتصنع فيه الحلواء، ويعمل فيها الفستق واللوز، ويسمونها حلواء المليون، ويسمونها أيضاً جلد الفرس<sup>(٣)</sup>

ويصنع ببعلبك الثياب المسوية إليها ويصنع بها ألواني الخشب وملاعقه التي لا نظير لها في البلاد وهم يستعملون النصحاف بالأسوت، وربما صنعوا الصنعة، وصنعوا صحيفة أخرى موضع في جوفها وأخرى في جوفها إلى أن يملأوا العشر، يخلل لرائحتها أنها صحيفة واحدة وكذلك الملاحق يصنعون منها مشراً، واحدة في جوف واحدة، ويصنعون لها عشاء من جلد، ويمسكها الرجل في حزامه، وإذا حصر طعاماً مع أصحابه أخرج ذلك، فيظن رآيه أنها ملقعة واحدة، ثم يخرج من جوفها تسعاً<sup>(٤)</sup>. أما الصناعات الخندبة، فقد وجدت في لبنان جلود البقر الملقعة التي يكون في جسمها بقع تخالف سائر جلودها، وتصنع من الجلود بحال مختلفة الألوان، من يابس وصبرة<sup>(٥)</sup>، وتصنع في بلاد الصقالق، السروج واللجام والدزرق<sup>(٦)</sup> وهي الفرس تصنع من الخلد<sup>(٧)</sup>

(١) انظر، المصدر نفسه ٢٩٧/١-٢٩٨

(٢) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٩٩-١٠٠، وانظر، رحلة ابن بطوطة ١٢٤/١، ١٣١

(٣) رحلة ابن بطوطة. ٨٠/١

(٤) رحلة ابن بطوطة ٨٠، ١

(٥) انظر، البكري، صفة جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، ص ١٢٢

(٦) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٦٣

ويدور أن كتب الرحلات قد نقلت تطور الصناعة الذي رافق عملية التبادل التجاري، وبما بعد، أما تلك الصناعات التي لم تتم الإشارة إليها فلهذا ذلك يعود إلى أنها مألوفة معروفة في معظم البلدان، أو أن الصناعات كانت خفية ليست معقدة<sup>(١)</sup>

### ج التجارة ووسائل النقل

صاحب نحو الشاطين الراجعي والصناعي تطور في حركة لتجارة، نظراً إلى كثرة الأنهار والبحار الصالحة للملاحة، وسهولة الطرق البرية في بعض البلدان وقد اشار بعض الرحالة إلى احصاء اعرب للمصحراء الكبرى واستخدمها طريقاً يصل المدن الإفريقية ببعضها ويربطها بأقطر المغرب العربي، وذكروا أنواع البضائع التي كانت تنقل على تلك الطرق وتشمل على الأسجة ولعادن وغيرها، وقدموا صورة واضحة للطرق البحرية المختلفة وكيفية عمل الكثير من المصانع عن طريقها<sup>(٢)</sup>

وكان شجرة ذلك أن كثرت الأسواق التجارية في مختلف البلاد والأقطار، فمدينة طرطوشة مثلاً مدينة على سطح جبل ولها سور حصين ألها أسواق وعمارات وصناع ونقله<sup>(٣)</sup> لما مدينة البرية فلهذا أكثر المراتج الأندلسية، كما لها كل ما تنقص مراكب البحر من الإسكندرية والشام كله ولم يكن بالأندلس أبصر من أهلها مالاً، ولا ألحمر منهم في صناعات، وأصناف اتجارت، تصريماً وادجاراً<sup>(٤)</sup>

وذكر الرحالة، التجار وأماكن نزولهم، حيث كان التجار يقيمون في الفنادق، والمسجد فمن حديث التحيي عن مدينة فوص الخروسة، قوله وكان نزلنا بهذه المدينة بالخان الكبير المعروف بالفندق المكرم، وبه ينزل التجار المدهورون بالأكرام وقد كان

(١) مطروب، أحمد، (١٩٩٩). اللامح الاقتصادية في رحلة ابن بطوطة، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ص ١٣٣

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٢٦٩- ٢٨٦

(٣) الإدريسي، عقد العرب وأرض السردان ومصر والأندلس ص ١٩٠

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٧.



عرص عليّ بعض ذي اليسار من فضلاء القحار الزول في بعض الديار، فرأينا أن الزول بالخان المذكور كان أسى لنا، وأحسن للاستفهام عن أحوال الطرقات، وإليه يقصد الخمّالون وغيرهم من يريد دخول الصحراء، وما رأينا قط حاساً أكبر منه وهو سوع حصص، وكلّ نوع من مساكنه مستقرّ بنفسه، غير محسب إلى غيره وفي وسطه مسجد تصلي فيه اتصالات الخمس، وله إمام وقب<sup>(١)</sup>

ويلاحظ من هذا القول لعلاقة الوثيقة والترابط بين الأسواق والمناجيد، وكانت بعض المدن تشمل على حيّ خاصّ بالتجار الذين يعدون من جميع الجهات، ومنهم العراقيّ والمصريّ والثامي<sup>(٢)</sup> وقد وصف الرخاة الأسواق والتنظيمات المالية ولصادرات والواردات، وكلّ ما يتّصل بالأعمال التجارية، وأشار بعض الرحّالة إلى بعض البلدان التي كانت تقتصر في نشاطها الاقتصاديّ وبشكل رئيس على التجارة وحدها لما فيها من ربح عظيم، فأهل مدينة تكنا في السودان العربيّ لا شغل لهم غير التجارة، يسافرون كلّ عام إلى مصر، ويحملون من كلّ ما بها من حاد الثياب وسواها<sup>(٣)</sup> وأهل ظفر هم أهل تجرة لا عيش لهم إلا منها<sup>(٤)</sup>

ودكر بعض الرحّالة أن اقتصاد بعض البلاد كان يقوم على تجارة القايصه، فسكان المناطق البدويّة والريفية، كانوا أكثر اهتماماً بالحيوانات منهم بالزراعة، لذا كانت تجارتهم تشمل العنم والسمن واللب، فهي طريق مكة إلى لعراء كان العرب يأتون بالعم والسمن واللبن، فيبيعون ذلك من الحجاج بالثياب الخام، ولا يبيعون سوى ذلك<sup>(٥)</sup>

(١) النجدي، مسعود الرحلة، ص ١٧٣

(٢) انظر، الغربي، تحفة الألباب، ص ١٢٦، ورحلة ابن بطوطة ٣٢٦/١

(٣) رحلة ابن بطوطة ٢٨٧/٢

(٤) المصدر نفسه ٢٣٤/١، انظر، السكر، خالد عبد الكريم حمود، (٢٠٠٢) طرحه الأدبسية إلى

الجزيرة العربية من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري، ط ١، الرياض: مكتبة الملك

عبد الوهيد، ص ٨٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٥٥، ومواطن أخرى متفرقة

(٥) رحلة ابن بطوطة ١٠٥/١

ومارس أهل نجد تجارة التفاضلة مع الحجاج، وقد أورد بعض الرحالة مراكز عديدة من مراكز التفاضلة، مثل صغيرة<sup>(١)</sup>، و ألعالية<sup>(٢)</sup>، حصص فيد<sup>(٣)</sup> وكان البدو الأعرب يدلون الحجاج العم والسمن و لبن بالتياب لحام وماشائها من بضائع ومن جانب آخر، فقد كانت تحمل لسبوف مثلاً إلى بلاد البلغار، وتشترى بجلود السمور والجواري ولعلمان<sup>(٤)</sup>، أما في بلاد نظمة بشرق أوروبا، فذكر ابن بطوطة أنه إذا كلمت للمسافرين بهذه الصلاة أربعون مرحلة برلوا عند النظمة، وترك كل واحد منهم ما جاء به من التمتع هنالك وعادوا إلى منزلهم المعتاد فإذا كان من أعد عادوا لتفقد متاعهم، فيجدون بررات من السمور والسجاد والقافم، فإن أوضى صاحب التمتع ما وجده إزاء متاعه أحذه، وإن لم يرضه تركه، فيريدونه وربما رفعوا متاعهم أعني أهل النظمة، وتركوا متاع التجار وهكذا معهم وشراؤهم<sup>(٥)</sup> وكان أهل جراتر دية المهل يشترون الفخار إذا جلب إليهم بالذجاج، فيباع عندهم القدر خمس دجاجات ومب<sup>(٦)</sup> وست<sup>(٧)</sup>

وألقت بعض كتب الرحلات الضوء على بعض عادات الشعوب في استعمال النجار، فقد كان عبيد السلطان في مدينة طمار يخرجون إلى الساحل ويصعدون إلى المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله وللرئاس وهو امريس . وتبحث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثاً وبعد الثلاث ياكلون سدار لسلطان<sup>(٨)</sup> أما مدينة

(١) انظر ، المصدر نفسه ١٠ / ١٥٥

(٢) انظر، المصدر نفسه ١ / ١٥٦

(٣) انظر، المصدر نفسه ١ / ١٥٥.

(٤) انظر، أبو حامد الترمذی، مجلة الألب، ص ١٢٣.

(٥) رحلة ابن بطوطة ١ / ٣٠٨-٣٠٩

(٦) المصدر نفسه ٢ / ١٧٧

(٧) المصدر نفسه ١ / ٢٣٤



جأوة، فقد كانت تهتمّ بالتجارة والتجار، مما أن يصل المركب إلى المرسى حتى يخرج أهل جأوة زرعهم جوز الترجيل والموز والعنة والسكك، وعادتهم أن يهدو ذلك للتجار، فيكافئهم كلّ إنسان على قدره<sup>(١١)</sup>.

وكان من عادات بلاد الصين في مع التجار عن الفساد، أنه إذا قدم لتاجر المسلم على بلد من بلاد الصين، خيّر في الرول عبد تاجر من المسلمين المستوطنين معيّن أو في العنق، فإن أحبّ الرول عند التاجر حصر ماله، وضمته التاجر المستوطن وأعطى عليه مه بالمعروف، فإن أراد السّفر بحث عن ماله، فإن وجد شيء مه قد ضاع أغرمه التاجر المستوطن الذي ضمته. وأما إنفاق ماله في الفساد، فشيء لا سبيل له إليه، ويقولون لا يريد أن يسمع في بلاد المسلمين أنهم يحسرون أموالهم في بلادنا، فإنها أرض فساد وحسن فائت<sup>(١٢)</sup>.

ويبدو أن أمور لتجارة قد لظمت، ولا سيما في القرن الثامن الهجري، فكان لكل جماعة من التجار رئيس يسمى مالك التجار<sup>(١٣)</sup>، أو أمير أسجارة<sup>(١٤)</sup>، وقد بلغت تجارة المسلمين في العصور الوسطى شأواً لم تلتفه تجارة أية أمة قبل عصر الاكتشافات الجغرافية الحديثة. وكانت طرق قوافلهم تربط بين أنحاء العالم المعروف ولم تقتصر تجارتهم على ديار الإسلام بل تجاورتها إلى كلّ ركن معمر، وكان لديهم ما يتجرون فيه إذا كانت بلادهم تنتج العلات المتنوعة، وكسوا قد أصبحوا سادة الصناعة بمقاييس تلك العصور<sup>(١٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه ٢/ ٢١٣

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٢٥

(٣) أنظر: رحله ابن بطوطه. ٢/ ٨٧

(٤) أنظر: المصدر نفسه ٢/ ١٦٦

(٥) لصباح، محمد محمود. ١٩٨٥) ابن بطوطه، سيرة شوس دار المعارف لطباعة والشر.



## أولاً: الأسواق والسلع التجارية

كان لازدهار الحركة التجارية أثر كبير في إنشاء الأسواق الكبيرة والاهتمام بها في المدن والطرق والمراسي، وعدت الأسواق مراكز اقتصادية وعيون نشاط المدن الصناعية وتجارية والاجتماعية أيضاً، ودليل الأوضاع الاقتصادية الحضارية الرفيعة

وقد رصدت كتب الرحلات الكثير من المعالم الحاصرية للتجارة في مختلف البلاد التي قصدها الرحالة. حيث لفتت أنظارهم الأسواق المتصلة بين المدن، كالأسواق المتصلة من الإسكندرية إلى القاهرة، ومن القاهرة إلى أسوان<sup>(١)</sup>، والأسواق التي كانت بين مصر والشام<sup>(٢)</sup>، وفي طريق المدينة إلى مكة<sup>(٣)</sup>، وغيرها، وكانت هذه الأسواق حلقة بكل أنواع الأطعمة والعواكة وشتى أنواع البضائع، حتى أن المسافر لا يحتاج إلى أن يحمل رداً كثيراً كما في بعض مناطق الهند والصين، حيث الأسواق المتصلة والطرق التي تكتنفها الأشجار من مختلف الأنواع، فكان الماشي بها في سوق من الأسواق<sup>(٤)</sup>

وأشارت بعض كتب الرحلات إلى حركة الصادرات والواردات، وقامت صورة عن نشاط الأسواق في ثلاث العصور ولصاعات الموجودة فيها وثريتها. حيث كل صناعة على حدة لا تخلطها أخرى. فهناك سوق العبر والمسك واليوهرين، ولعل أطرف ما وصف به ابن بطوطة هذه الأسواق وصفه لسوق اليوهرين في بغداد<sup>(٥)</sup>،

(١) انظر، رحلة ابن حبير، ص ١٨، ٣٥، ٤٥. ورحلة ابن بطوطة ١/ ٣٧، ٣٩.

(٢) انظر، رحلة ابن حبير، ص ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٦٦. ورحلة ابن بطوطة ١/ ٦٣، ٦٤، وما بعدها.

(٣) انظر، رحلة ابن حبير، ص ٩٧، ١٠٠، ١٦٠، ١٦٦. ورحلة ابن بطوطة ١/ ١٢٠، ١٣١، ١٥٤، ١٥٧.

(٤) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢/ ١٥٤، ٢٢٢، ٢٤٧.

(٥) انظر، المصدر نفسه ١/ ٢٠٠، ٢٠٨.

وحوانيت اوراقين وصنّاع الأوامي الزّجديّة العجيبة في دمشق<sup>(١)</sup>، وقد ذكر ابن بطوطة أيضاً أنّ أكثر الصّناع والباعة في بعض البلدان من لساء<sup>(٢)</sup>.

وأكثر الرّحالة من ذكر الأماكن التي مثلت مراكز تجارية هامة، مثل مدينة قسوص، المدينة الخافتة بالأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة المصادر والموارد من الحجاج ولتجار اليمنيين والمصريين، وتجار أرض الحبشة، لأنها محطّ للحجّاج، ومحطّ للرجال ويجتمع الرفاق، ومنطلق الحجاج لمعارضة المصريين والإمكندريين، ومن يفصل بهم<sup>(٣)</sup> ومنها منطقة الميزز الواقعة بين قوص وعيذاب، وهي منطقة مسيحية محدقة بأشجار السّيل، يجتمع فيها رجال الحاجّ والتّجار، وفيها يتمّ وزن البضائع وشدّها على الجمال التي تنقلها إلى عيذاب عبر الصحراء<sup>(٤)</sup>

ووصف ابن بطوطة أسواق تلمسان، فقال: "وبها أسواق قائمة"<sup>(٥)</sup> ومن حديثه عن الرواء، قوله: "وفي ثلث الجهة عريان كثيرة تقيم مع الركب سوقاً عظيمة ويحلبون إليها الغنم والشر فيشعّ العيش ويرغمص"<sup>(٦)</sup>

أما الأماكن المقدّسة، فقد تعدّدت الأسواق فيها، فمكة كانت ملتقى الحجاج ولتجار، وملتقى المصادر والوارد. فهي أكثر البلاد معاً وقواك ومسايق ومرامق ومتاجر<sup>(٧)</sup>، وفيها يوجد أسواق تجارية كبيرة، منها سوق لبزّانين والعطّارين، وسوق

(١) انظر، رحلة ابن بطوطة ٨٦/١

(٢) انظر، المصدر نفسه ٣٢٠/١

(٣) رحلة ابن بطوطة، ص ٤٠، وشرق أيضاً، التّجيب، سعاد الرحلة والاعترا ب ص ١٧٣، ورحله لس

بطوطة، ٥١/١

(٤) انظر، رحلة ابن بطوطة، ص ٤١.

(٥) البغدادي، الرحلة المغربية، ص ١١

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦٥

(٧) رحلة ابن بطوطة، ص ٢٧، وانظر، البغدادي، الرحلة المغربية، ص ١٨٥، ورحلة ابن بطوطة





الدافيس، وسوق الخياطين، وسوق آخر ما بين السما والمروة تباع فيه شتلف الأطعمة. وكانت هذه الأسواق تشتط في موسم الحج، وقد يستمر بعضها طويلاً بعيد لأضحى، مثل سوق مس حيث يباع فيه الجواهر والأمتعة وغيرها<sup>(١)</sup> وذكر الرحلة أيضاً مدينة عكا التي كانت ملتقى غمار المسلمين والتجار من جميع الأفاق<sup>(٢)</sup>

وقد لفتت تلك الأسواق اهتماماً كبيراً بالحفاضة على الأمن في المدن، وحراسة الأسواق لا سيما في الليل، وذكر ابن سعيد المغربي أن بلاد الأندلس كانت لها دروب تعلق في أول الليل بواسطة التراب، وكان كل واحد منهم معه سلاح وكلب وسراج<sup>(٣)</sup>، وذكر ابن بطوطة أن مدينة القسطنطينية كانت لها أسواق واسعة معروفة بالصفاح، وكان على كل سوق أبواب تد على بالليل<sup>(٤)</sup> ولأمنية الأسواق أيضاً، فإنها كانت تزين في المناسبات فعندما شفي الملك الناصر بمصر، من كسر أصاب يده زين كل أهل سوق سوتهم، وعلفوا بهراتهم الحلل والحلي وثياب الحرير، ويقوا على ذلك أياماً<sup>(٥)</sup>

وقد أبدى بعض الرحالة إعجابهم في بعض الأسواق، غير أن بعضهم الآخر أبدى عدم إعجابه بأسواق أخرى، ولا سيما في انعدام النظافة فيها، فمما قاله ابن بطوطة عن سوق ظفر أنها من أنذر الأسواق وأشدّها نتناً وأكثرها دباباً لكثرة ما يباع بها من الثمرات<sup>(٦)</sup> وسبك السردس وقد استاء المبدري من عادة الأكل في بعض الأسواق ولطرافات في دمشق<sup>(٧)</sup>

(١) انظر، رحلة ابن بطوطة ١، ١٢٩، ١٣١، ورحلة ابن جبير، ص ٨٤، ١٥٧

(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٧٦، وانظر، المسيري، الروع للمطار، تحقيق إحسان عباس، ص ٤١.

وجزار، صلاح القدس في رحلات الأندلس تحت لم بشر بعد، ص ١

(٣) انظر، «تقري، صبح الطبيب ١/ ٢١٩

(٤) انظر، رحلة ابن بطوطة ١/ ٣٢٠

(٥) المصدر ص ٢٩/١

(٦) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢/ ٢٣٤، وانظر، المصدر نفسه ١/ ٣٢١

(٧) انظر، المبدري، الرحلة للفريقية، ص ١٢٩

ورافق اردهاز الأسواني إقامة علاقات تجارية قويّة بين مختلف البلدان لا سيّما بين مصر وبلاد الشام وبين البلاد اعرية وغير العربية، وأفاص الرحالة في الحديث عن حركة القوافل والمراكب التجارية، وصادرات وواردات بعض البلدان التي قصدوها، ومن ذلك ما تنتجه مدينة توزر في التمور، وبعد أحصص الإنتاج بإفريقية ثمراً وتخرج منها كنّ يوم ألف حل إلى كافة الجهات<sup>(١)</sup>، وتصدر مدينة صفاقس الزيت إلى مصر والعرب وصقلية وبلاد الروم...<sup>(٢)</sup>.

وكانت لمراكب تمخرج من إنسبلة عملة بالزيت نحو سلا وبلاد المغرب والمشرق، وكذلك حملت الثياب السومية إلى كلّ الجهات<sup>(٣)</sup>، وأشار بعض الرحالة إلى الضائع المستوردة عن طريق ميناء عيذاب حيث تصل سلع الهة إلى اليمن، ثم كانت تنقل من ميناء عيذاب بواسطة الحمال بطريق البر وتوزّع إلى مناطق مختلفه، وكان أكثر ما تجمله تلك القوافل اللؤلؤ حتى قيل بكثرته، أنّه رخيص الثمن يوارى الثراب قيمة<sup>(٤)</sup>.

أما مورديّات فكان يُصدّر إلى القاهرة وغيرها من مدن مصر<sup>(٥)</sup>، وكان يحمل من مدينة العلاء بأرض أروم الخشب إلى الإسكندرية ودمياط، ويحمل منها إلى سائر بلاد مصر<sup>(٦)</sup>، وشمش قوبه المسمى عمر الدين إلى ديار مصر والشام<sup>(٧)</sup>، وتصدر بيروت المواك إلى مصر<sup>(٨)</sup>، وتخصّص مدينة المعرة برباعة النبي والقسطق الذي يحمل إلى مصر

(١) البكري، المسالك والممالك ٧٠٨/٢

(٢) انظر، المصدر نفسه ٦٦٩/٢

(٣) انظر، المصدر نفسه ٦٩١/٢ والإبرسي، نزهة المشتاق، ص ٧٣، ١٧٨، ورحلة التجاني، ص ٢٦.

و مؤلف مراكشي مجهول، التاج، ص ١١٩

(٤) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٤٢.

(٥) انظر، رحلة ابن بطوطة ٣٥/١

(٦) انظر، المصدر نفسه ٢٥٦/١

(٧) انظر نفس المصدر وجزء والصعفة

(٨) انظر، المصدر نفسه ٦٤/١



ولشام<sup>(١)</sup>، وقد كانت الصناعة والتجارة في دمشق مزدهرة، وعلى درجة عالية من التقدم، مما أدى إلى كثرة الأسواق المتخصصة بالصناعات المتنوعة<sup>(٢)</sup>

أما مكة المكرمة، فقد كانت البضائع الواردة إليها من اهند والحيشة والعراق واليمن وغيرها كثيرة جداً، حتى أنها تقضى الموسم كله، وما يباع في يوم واحد كفى بإقامة الأسواق الباقية في مختلف البلاد. ومن تلك السلع التي أحضر الرّحالة في الحديث عنها الجواهر، والياقوت، وماسنر الأحجار وأنواع الطيب المحتضنة كالمسك والعنبر والعود وغيرها، إضافة إلى الخيرات والأوراق وماسنر لطناس من الفواكه وماسنر النقول، ولزياحين العنقة ولشمومات المعطرة ويحلب إليها أيضاً من اليمن الريب الأسود ولأحر شديد الجودة، واللوز الكثير، ومن الفواكه والخضار السفرجل والبطيخ والخيار وليقطين ولؤلؤياء، وماسنر الخبوز، التي جلبت إليها من الطائف والقرى المحيطة بها ولأودية لقريبة مثل وادي نخلة ويطن مر<sup>(٣)</sup>.

ونذكر كانت قبائل السّرو، وهي من قبائل اليمن التي تسكن جبال السّراة، يبيعون بالخرق والعباءات والسّمل، فبعد أن مكث الأتقنة والملاحف المنيّة وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ويبيعونه به ويشارونه<sup>(٤)</sup>.

ورصدت بعض كتب الرّحلات صوراً لأهمّام بعض البلاد بأصيده، والطرق المستخدمة في ذلك، ففي مدينة صفاقس، كان يصطاد من السمك الكثير من الأنواع التي تفوق الاحصاء، فتعدّ بها الأسواق<sup>(٥)</sup>، وكانت مدينة جندة تصدّر الأسماك إلى مكة<sup>(٦)</sup>

(١) انظر، لمصدره ص ٦٧١

(٢) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٢٦١، ورحلة ابن بطوطة ٨٦/١

(٣) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٩٧-٩٩، والمعدري، الرحلة المغربية، ص ١٨٥، ورحلة ابن بطوطة ١٢٤/١، ١٢٤٨.

(٤) انظر، رحلة ابن جبير، ص ١١١

(٥) انظر، رحلة النعماني، ص ٦٨، ورحلة ابن بطوطة ١٢٣/٢، ٢٧٠

(٦) انظر، النجدي، مستدرك الرحلة، ص ٢١٩-٢٢٠

أما صيد اللؤلؤ، فيشكل دعامه مهبة من دعامات اقتصاد بعض البلاد، وقد وصف بعض الرّحالة طريقة صيده، وبيعه وتصديره، وكان الصيادون يملكون الأسواق مما يصيدون من الأسماك واللؤلؤ<sup>(١)</sup>، ويختلف الحيوانات، مثل لأرناب البرية التي كانت لحومها تلتفي إقبالاً شديداً من سكان المملكة المرناطية<sup>(٢)</sup>.

وذكر بعض الرّحالة فصصاً عن تجارة عظام البقر والعنم، وأنياب الفيلة التي يتحد منها الأمشاط. وقد نالت هذه القصص اعتماداً كبيراً، وبخاصة لدى الدارسين المهتمين بعالم المعجائب المختلفة<sup>(٣)</sup>.

ومارس بعض الرّحالة التجارة وعملية التصدير، فقد أشار العبدري إلى أنه كان يحمل التميم ببيعته في مكة المكرمة<sup>(٤)</sup>، ونقل ابن بطوطة إلى الهند صناعة بعض حبوى المغرب، حيث صنع لسلطان الهند أنواعاً من المرقصة، وتقمعات القافسي، وجلد العوس<sup>(٥)</sup>، أما ابن جبير فقد شاهد بنفسه محصول القمح في مدينة مغلوطة الذي تغير مجرده ووزنة حبه، وشهد أيضاً نقله بالراكب إلى القاهرة<sup>(٦)</sup>.

ولم يقف أمر التجارة عند هذا الحد، فقد انتشرت تجارة بيع الجواوي في بعض البلاد، ومن ذلك ما ذكره ابن بطوطة عن أهل بسطة تكندا في السودان، أن عندهم جوري معلّقات، يحرصون عيهن كثيراً ولا يبيعهن إلا نادراً وبالثمن الكثير<sup>(٧)</sup>، وفي ذلك دلالة على ما أفرسته تلك الصّلات والعلاقات التجارية من فوائد مادية واجتماعية وثقافية.

(١) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٤٦، ورحلة التجاني، ص ٦٨، ورحلة ابن بطوطة ٢٤٠/١.

(٢) انظر، الفشالي، تحفة المغرب، ص ٢٦٤، ورحلة ابن الحاج السري، فيض النصاب، ص ٣٧.

(٣) انظر، أبو حامد المرناطي، تحفة الألب، ص ١٢٩، ١٣٢.

(٤) انظر، العبدري، المرحلة المغربية، ص ١٨٨، ورحلة ابن جبير، ص ١١٠.

(٥) انظر، رحلة ابن بطوطة ١٢٥/١-١٢٦.

(٦) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٣٥، ورحلة ابن بطوطة ٤٩/١.

(٧) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢/٢٨٨. وقد اشتهرت أسواق حاضرة باعبيش، وعبصات، انظر، المصدر.



## ثانياً: تنظيمات المائية

سُجِّلَت كتب الرحلات بعض اجواب الإدارية استطيعه، في العملات و لأسماء، والموازين والمكايل والضرائب والأوقاف، والعلاقات التجارية والتعامل القدي بين الدول، ووسائل النقل المختلفة وسجل الرحلة ملاحظاتهم عن تصرف السلاطين واحكام في شؤون الدوله الإداريه وتنظيماتها.

وأثقت الرحلات القصص على تعدد العملات القديمة في الدول والبلدان التي قصدها الرحالة، إذ لم تكن العملة موحدة بين ثلث البلدان : لاساغ الرقعة اجريفة، فكل دولة ها عملتها مع أن الساده كانت للديار والدرهم في مختلف السلال الإسلامية، وهذا يختلفان في القيمة من بلد لآخر<sup>(١)</sup>.

وأشار بعض الرحالة إلى دور سك النقود، كالذار التي في مكة المكرمة، وعرفت بدار أبي بكر لصديق، رضي الله عنه، ولم يشر إلى نوعية النقود المسكوكة فيها وأحجامها<sup>(٢)</sup>.

ولعل رحة ابن بطوطة تشكّل مصدراً اقتصادياً هاماً، ألم باهم العملات ومقارنتها بغيرها من عملات السلال الأخرى. لا سيما العملة المعروفة، وبلواوين ولخكابل، مثل الرطل لعربي، ولرطل المصري، والرطل الهندي<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر ابن بطوطة المادة التي سكّت منها النقود، فكانت دبابير المغرب وتونس وقسطنطين من الذهب، وكذلك الديتار الهندي<sup>(٤)</sup>. وفي جمال الروس يبع ويشترى بالصوم، وهي سالك الغضه ووزن الصومة

(١) انظر، رحله ابن حبر، ص ٢٤، ٣٠، ورحلة ابن بطوطة ١/٣٤٧، ٣٥٢، ١/١٤

(٢) انظر، البوي: تاج الفرق ١/٣١٣، ورحلة ابن بطوطة ٢/٢٢٣

(٣) انظر، رحلة ابن بطوطة ١/١٨١، ١/٨١، ٨٣

(٤) انظر، المصدر نفسه ١/١١٧، ١٦٥، ٢٥٧، ١٤/٢، ١١١، ٢٠٧.

مها حنة أروق<sup>(١)</sup>، ويتعامل الناس في مناطق أخرى بالدوق<sup>(٢)</sup>، وبالملاح كما تعامل غيرهم بالثعب والقصة، حيث يقطعونه قطعاً ويتبايمون به<sup>(٣)</sup>.

وقد كان لبعض اسدنان عملات محنية لا تنفق خارجها، ومن هذه المدن، طغارف حيث يتعامل أهلها بدراهم من النحاس والقصدير، لا تنفق في سواها<sup>(٤)</sup> ويبدو من ذلك أن العملة الورقية استعملت بشكل نادر في بعض البلاد التي قصدها الرحالة في تلك العصور، فأهل الصين لا يشاهدون دينار ولا درهم، وإنما بيعهم وشرهم بقطع كاسد كن قطعة منها بقدر الكف<sup>(٥)</sup>.

وتضمنت كتب الرحلات إشارات كثيرة تدلّ على صلة العملات بالخرافات ولما رعب السباسبية، فكانت الدراهم والدينار تغير وتضرب باسم السلطان أو الحاكم الحديد أو من ادعى الحكم لعمسه، والكتابة التي عليها تدلّ على ذلك<sup>(٦)</sup> وصورت كتب الرحلات أيضاً التدهور المالي في بعض البلدان التي رآها الرحالة، حيث أحدثت بعض العملات نفقد قيمتها إلى أن توقف جميعها بهائياً<sup>(٧)</sup>.

أما الأسعار، فلم تكن واحدة في مختلف البلدان التي قصدها الرحالة، تبعاً لاختلاف طبيعة تلك البلدان ومنتجاتها الزراعية والحيوانية والصناعية، وجاء حديث الرحالة عن غلاء الأسعاء ورخصها والمقارنة بينها بسلمة واحدة في بعض انشاق، حديثاً عريضاً.

(١) انظر، المصدر نفسه ٣١٤/١

(٢) انظر، المصدر نفسه، ١٧٧، ١٨٣/٢

(٣) انظر، المصدر نفسه ٢٦٩/٢

(٤) انظر، المصدر نفسه ٢٣٤/١

(٥) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢٢٣/٢

(٦) انظر، المصدر نفسه ٣٤٦/١

(٧) انظر، المصدر نفسه ٢٢٣/٢



وإشارات بسيطة لا تشكل صورة واضحة وتامة لجميع الأسعار والأوضاع الاقتصادية في مختلف البلدان. وإن قدّمت بعض الملامح الاقتصادية لتلك العصور<sup>(١)</sup>

ومن مظاهر غلاء الأسعار، ما وصف به ابن جبير ظروف القاسية التي مرّت بها مكة المكرمة سابقاً، فدرت البضائع واشتدّ الغلاء وقتل الواحدون إليها سواء للحجّ أم التجارة، إلى أن تحسّنت الأوضاع على يد بعض الحكام والأمراء، ومن قوله: «ومن صنع الله الجميل لنا وفضله العميم علينا أننا وصلنا إلى هذه البلدة المكرمة فالتفتنا كلّ من بها من الحجاج المجاورين بمنّ قدم عهده فيها وطال مقدمه بها يتحدث على جهة إعجاب بأسرها من الحرابة للمتصمّنين فيها على الحاح المختلّفين ما بأيديهم»، وكانوا أيضاً يتحدثون بكثرة نسبهم في هذا العام، ولبن سحرها، وأنها حارقة للعوائد السالفة عندهم كان سوّم الحنطة أرصة أصواع دينار مؤمني، وهي أوتن من كيل مصروجهايتها، والأوتن قدحان ووصف قدح من الكيل العربي<sup>(٢)</sup>.

ومن السلع مرتفعة الأسعار أيضاً الفراء، ورغم ذلك فتجارته كانت رائجة جداً، ويبيع بعض أبو عمه في المد بموالي صائتين وخسّين عساراً، ويحصل سعر بعضها إلى أربعمائة دينار ذهباً<sup>(٣)</sup>. وقد يشتد الأمر ويحصل القحط ويقع الغلاء في بعض البلدان ومن أمثلة ذلك ما رآه ابن بطوطة في بلاد الهند والهند، حيث شاهد ثلاث سوة يقطعن قطعاً من جلد فرس مات منذ أشهر ويأكله، وكانت الخسود تطيح وبيع في الأسواق، وكان الناس إذا دجّت لبقرة أحداً دماءها فأكلوها<sup>(٤)</sup> وحاول لسلطين والأمراء

(١) انظر: البكري، المسالك والممالك، ص ٣٤، ١٤٧، ١١١، ١٥٣، ١٥٨، ورحلة ابن جبير، ص ١٠٠.

ورحلة ابن بطوطة، ١/٣٠٠

(٢) رحلة ابن جبير، ص ١٠٠

(٣) انظر: رحلة ابن بطوطة، ١/٣٠٩

(٤) انظر: رحلة ابن بطوطة، ٢/١٠٥

مراجعة تلك الأوضاع الصعبة، واتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجتها وقد أسر بعضهم بحمر آثار خارج در الملك، وأعطوا الناس الدور ليراعتها، وما يلزم من النعقة<sup>(١)</sup>.

وأشارت بعض الرحلات إلى وعص الأسعار، ومن مظاهر ذلك ما ذكره ابن حبير عن مدينة سبسة تصقلية، وهي مقصد جوازي البحر من جميع الأقطار، كثرة الأرباق برغاء الأسعار، أسواقها مائة حمية، وأرزاقها واسعة بإرغاد لميش كميلة، لأسرال بها ليلك وبهارك في أمان<sup>(٢)</sup>، ووصف ابن بطوطة مدينة قسطنطينية من مدن آسيا الصغرى بأنها كثيرة الخيرات وخبضة الأسعار. فكنا نشترى طابق المحم اغتمى السمين بدرهمين، ونشترى خيراً بدرهمين يكعب ليوما ونحس عشرة، ونشترى حلواء العسل بدرهمين فكعبنا أجميس، ونشترى حوراً بدرهم، وقسطلاً مثله فأكسل منها أجمون<sup>(٣)</sup>، أما الحبل في مدينة أزافي من مدن شرق أوروبا فهي كثيرة جد وشها مزر، قيمة الجبد منها خسون درهماً أو ستون من دراهمهم، وذلك صرف دينار من دنائيرا أو نحوه، وهذه لحيل هي التي تعرف بمصر الأكاديش ومنها معاشهم وهي يبلادهم كألغنم يبلادنا بل أكثر<sup>(٤)</sup>.

ومنما تجدر الإشارة إليه هنا، الموارد المالية في المدن التي تفصلها الرحالة، وعمال جبايتها ولتريبات اللازمة لتحصيلها، وأوجه صرفها تبعاً للظروف والحكم، حيث تزداد أو تخف وتقل ومن هذه الموارد المالية التي عني بالكتابة عنها الرحالة الصرائف، وكانت تنقسم إلى قسمين ضرائب مشروعة، وضرائب غير مشروعة وتعرف بالمكوس، نشأت

(١) انظر، المصدر نفسه ٢، ٨١، ٨٢.

(٢) رحلة ابن حبير، ص ٢٩٦.

(٣) رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٨٥.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٩٩.





من حاجات وظروف جديدة اضطلعت الدولة إلى فرضها وتسخي بالمال اعلالي لأنها تجبي مع هلال كل شهر عربي بمكس المال الخارجي الذي يجبي كل سنة<sup>١</sup>

وقد كانت المكوس مورداً حقيقياً رهنًا للدولة مع أنها تسببت في إرهاب الناس فكثرت الظلمات والشكوى، لا سيما وأن طرق جبايتها كثيراً ما كانت تشعب بالقسوة وسوء المعاملة، وقد اشتكى ابن جبير حين رار مصر من إجباره ورفاقه الخنجاج المسلمين المعارة على دفع المكوس دون التحقق من استحقاقها، وأمدى استياءه من تسوء الإجماعات الجبركية في الموانئ وعنف وسوء معاملة التجار والحجاج القادمين إلى البلاد وخارجين منها، ووقع فضيحة في هذا الموضوع لسلطان صلاح الدين الأيوبي الذي قام بدوره بإزالة المكوس ورسمها<sup>٢</sup>

ودفعت بعض الموارد المالية ونزباتها إلى إثارة حفيظة بعض الرخاة، فالمعديري حين رار الإسكندرية أثار حفيظته نظام الجمارك في تنشيط المصادر والوارد فدعا إلى بحارية هذا الذكر<sup>(٣)</sup> وذكر التيجي أن الخنجاج كانوا يمتشون في عيذاب، وتؤخذ منهم الضرائب بحسب أحوالهم<sup>(٤)</sup>، وأن بحجة عامل من قس أمير مكة، مهمته قس المكوس ولصرايب من الخنجاج، وقد أظهر التيجي تدمره من ذلك وقال إنها غير مشروعة والله تعالى يصلح أحوال الجميع، ويعظم الأجر بذلك، فعلى قدر النصف والنصب يكون الأسر<sup>(٥)</sup> وطبق نظام المكوس في بعض البلاد تطبيقاً صارماً، حيث كانت تعش القواصل

(١) انظر، القريري، تلي الذي أحد بن علي بن عبد القادر، (ت ٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مسروق، مساحط القريرية، در التحرير، مطبعة البيل، القاهرة، مصر، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦

(٢) انظر، رحلة ابن جبير، ص ١٣، ٣٠، والمعديري، الرحلة المغربية، ص ٩٤، والبليوي، ساج المرق

١٩٧/١

(٣) انظر، المعديري، الرحلة المغربية، ص ٩٣

(٤) انظر، التيجي، مستعد الرحلة، ص ٢٠٦

(٥) انظر، المصدر نفسه، ص ٢٢٠

ولمراكب تعيشاً دقيقاً، وكان يفاضل الربع من كل ما يملكه التجار<sup>(١)</sup> وقد أخذت بعض البلدان، كبلاد إلبعمار الجيرية وإفراج من إولات اتلمة<sup>(٢)</sup>.

واهتمت بعض الحكومات بحماية الركاة من تجار المسلمين، والعشر من تجار الكفار، في حين أنه في بعض بلاد الأحرى كانت تجبى الضرائب لا الركاة<sup>(٣)</sup> كما أخذ الحكام ولسلاطين يهتمون بالمراكز الجمركية على حدود البلاد، فقد أشار ابن بطوطة إلى مراكز الغنيس الجمركي على الطريق المؤدية إلى الشام لا سيما مركز قطي حيث تزحف الركاة من الجار، ونفس أمتعتهم، ويبحث عما لديهم أشد البحث، وقها الدواوين والعمال وكتاب والشهود ومجاها في كل يوم ألف دينار من الذهب، ولا يجوز عليها أحد إلى الشام إلا براءة من مصر<sup>(٤)</sup>.

وقد وضع السلاطين والأمراء الأنظمة الإدارية التي تسهم في انتشار الأمن ولا استقرار في بلاد، حيث عتت السلاطين الموطن، والقضاة والخنسين، وكان فرض الضرائب على الأسواق من أهم واجبات المنصب، لذلك تجتمع لهم في الأسواق لتسهيل الجباية وتنظيم التجارة<sup>(٥)</sup>، وكذلك سكت إجراءات رسمية لدخول المراكب ولعوافل للبلاد والخروج منها، مثل تفنيس الركاب أو التحقيق معهم، ورصد أسماء المسافرين قبل خروجهم، فإذا عادوا يتم مقابلة ما كتب بأشخاص الناس<sup>(٦)</sup>.

ولم تفعل بعض الدول عما يمكن أن يحدث من عمليات التهريب لداخل البلاد أو خارجها، لذا أخذت بعض الإجراءات الاحتياطية لمواجهة ذلك، ومنها ما وكلت به

(١) انظر، رحلة ابن بطوطة: ١٩/٢

(٢) انظر، أبو حامد الغرناطي، نعمة الألباب، ص ١٣٠

(٣) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٣٨، والتجسس، رحلة مسعود الرحلة، ص ٢٠٦، ٢١٩، ورحله ابن

بطوطة ٢٠٠/١

(٤) انظر، رحلة ابن بطوطة: ٥٢/١ ٥٣

(٥) الهسي، عتيق (١٩٩٠) العمارة المغربية، الرباط المجلس القومي للثقافة المغربية، ص ٣٩

(٦) انظر، رحلة ابن بطوطة: ٢٢٤/٢ ٢٢٥



الحكومات المصرية الفاضلة العربية بمعد الطوق، وذلك بأن يسحبوا على الرملة وقت الليل حتى لا يبقى به أثر ثم يأتي الأمير صباحاً فينظر إلى الرملة وإن وجد أثراً طالب العرب بإحصار مؤثره، يذهبون في طلبه فلا يفوتهم، فيأتون به الأمير، فيعاقبه بما شاء<sup>(١)</sup> أما الأوقاف، فكانت لخدمة الفقراء وأبناء السبيل، وينفق منها على الروايا وللصوفاة والعقراء وطلاب العلم، وكانت تساعد في تجهيز ابنت إلى أزواجهن، ورصف الطرقي، وتعويض من كسر أتيته، ومنها أوقاف على العاجرين عن الحج<sup>(٢)</sup> وتحدث ابن بطوطة عن ما يشه الخمعات أو المؤسسات التي تقدم الكثير من الخدمات والمساعدات للمحتاجين وهي جمعة الأخية، وأحد الأخية أخي على لفظ الأغ إذا أضافه الحكلم إلى نفسه، وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية. وكانت هذ الجماعة تنقسم في الروايا<sup>(٣)</sup>

ومن هذا لرصد مالي العام، للنجاية والعشر والزكاة والصرايب، وللحصى من هدايا وأعطيات تادها الملوك والأمراء والوزراء والقهار اكبار، والخلع والصناعات الرائلة للخطباء والمؤدنين كانت الذولة تقوم بأوجه النفقات المختلفة، مثل، نفقت العصور الخلفاء أو السلفانيين، وأوراق الخلد، ورواتب الموصفين والإيمان على حملات العسكرية والمعدات الحربية، ونفقات لمشروعات العامة مثل حفر الترع ولقسوت ونظهيرها<sup>(٤)</sup>، وترميم المدن وأسوارها وما تحتاج إليه من مهم أمور<sup>(٥)</sup>

أما وسائل النقل، فقد انعكس الازدهار الزراعي والصناعي على نشاطها في المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، ونهر النيل ودجلة والفرت، وغيرها من الأنهار

(١) المصدر نفسه ٥٣/١

(٢) انظر، المصدر نفسه ٩٤، ٩٤، ٩٤ / ١

(٣) انظر، المصدر نفسه ٢٥٧، ٢٥٧، ٢٥٧ / ١

(٤) الميلادي، أحمد غنبر، (١٩٨٠) من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية. عالم الفكر، المجلد

١١، العدد (١)، ص ١٣٦

(٥) انظر، رحلة التجاني، ص ٢٣٨.

و لبحار، ونشطت حركة الموانئ وكثر الخطّ والإقلاع فيها بمختلف البضائع وقد عدّت ملاحظات بعض الرّحالة عن طرق المواصلات، وثيقة مهمة لفهم المعارف البحرية في القرون الوسطى، حيث تمخّثوا عن مراحل رحلاتهم ومرورهم بالموانئ المختلفة، ووصفهم للسفن الصغيرة والكبيرة، وما يحمل عليها من الغلات والبضائع، بالإضافة إلى تحديد المسافة بين كلّ مرحلة وأخرى<sup>(١)</sup>

وأشار الرّحالة إلى طريق الحجّ الذي قطعوه، حيث سافر بعضهم عن طريق البر، وبعضهم استقلّ المراكب التي كانت تقطع البحر المتوسط، وقدمت الرحلات صورة واضحة عن وسائل النقل وتطورها في تلك العصور الحيث والبعال والمغمر، والجمال والعليلة، والبحر والعربات والمراكب الصغيرة والكبيرة<sup>(٢)</sup>

وكانت الحيث والجمال والمغمر، أكثر انذواب مستخدماً في السفر، لئلا كثرت في بعض انبلاذ، ورخصت أسعارها، وكان يستخدمها الناس لانتقالهم داخل المدن وفي الجبال والأرض الوعرة، ومن ذلك، لطريق المؤدي من حصن مهتولي أول عمالة الروم إلى القاهية، وقد قرأ ابن بطوطة ولا يقر من هذا الحرس إلا بالخير ولا<sup>(٣)</sup>، و«الك» وترك العربات لأجل الوعر والخيال<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر، رحلة ابن جبر، ص ٩، ١٢، ١٨١، ١٨٧، ٢٨٣، ٢٨٥، ومواضع أخرى متفرقة في الرحمة، وانظر، التجميع، مستعاد الرحلة ص ٢٠٧-٢١٦، وانظر، رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٢٧، ٢٢١، ٢٨٣، ١٧١، ١٦٦/٢

(٢) انظر، لإبراهيم، نزهة المشتاق، لندن، ص ٣، ولؤلوي، ناز لمروق ١/ ٢١٨، والمبدي، الرحلة المغربية، ص ٨٦، ١٥٣-١٥٦، ومواضع أخرى متفرقة، وانظر، رحلة التجاني، ص ٢٧، ٦٦-٦٨، ومواضع أخرى متفرقة من لرحله، ورحلة ابن بطوطة ١/ ٢١٦، ٣٠٢، ٢، ٩٩، ١٠١، ٢٢٣، ٢١١، ١٤١

(٣) رحلة ابن بطوطة ١/ ٣١٥، وانظر، المصدر نفسه ١/ ٢٣٥، ٢٩٩، وابن سعيد العربي العرب، انقسم الخاص بمصر ١/ ٥



وأشار بعض الرُحَّالة إلى استخدام الجمال وسيلة للنقل في الصحراء، وخاصة بين قروص وعيذاب سواء لنقل البضائع للصَّادرة أو الواردة، أو نقل المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم، وذلك لصبرها على القحط في الصحراء القاحلة، ويكون النقل على نوعين المسافرون ذور التزيب الشقادي، وهي أشباه الجمال، وأحسن أنواعها اليمانية لأنها كالأشاكير<sup>(١)</sup> السفرية مجلدة مشعة، يوصل منها الاثنان بالجبال الوثيقة وتوصع على البعير، وما أدرع قد حُتت بأركانها يكون عليها مظلَّة، فيكون الراكب فيها مع عدليه في كبر من لمح الحجرة ويقعد مستريحاً في وطنه ومتكئاً ويتناول مع عدليه ما يحتاج إليه من زاد وسواه ويطلع متى شاء الطالعة في مصحف أو كتاب ومن شاء ممن يستجيز اللعب بالشرج، أن يلعب عدليه تفكُّها وإحساساً للفس. وبالجملة فإنها مريحة من نصب السفر، وأكثر المسافرين يكون الإبل على أحملها، فيكبدون من مشقة سموم الحرِّ غمّاً ومشقة<sup>(٢)</sup>

واستحدثت العربات والعجلات في السفر والتفنن لا سيَّد في الأراخي الصحراوي، وقد استخدم ابن بطوطة العجلة في سفره<sup>(٣)</sup>، وكانت تجزَّب الخيول والجمال، والكلاب الكبار لا سيَّما في بعض البلاد التي يكثر فيها الشج والجليد، فالكلاب لها أظفار تساعد في تثبيت أقدامها في الجليد<sup>(٤)</sup> ومن الوسائل الأخرى التي عرفت في الهند، الثَّوْلَة التي يحملها العبد على رقابهم، ويدور أنها شبه السرير<sup>(٥)</sup>

وحين أحدثت رقعة الدولة الإسلامية شجع، أضافت العواصم إلى معرفة أحوال الأقاليم التابعة لها، لذا عيت الدول بنظام البريد، ووصف ابن بطوطة بريد الخد ومن قوله

(١) شي. تأليف أبيه، توثق به السروج، انظر، رحلة ابن جبر، ص ٤٢، حاشية رقم ٣٣، ولم أجد لها أصلاً في لسان العرب

(٢) رحلة ابن جبر، ص ٤٢، وانظر، من الخطب، حرة انطع، ص ٤٠

(٣) انظر، رحلة ابن بطوطة، ١/ ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٧

(٤) انظر، المصدر نفسه، ١/ ٣٠٨

(٥) انظر، المصدر نفسه، ٢/ ٨٥، ١١٣

والبريد ببلاد الهند صغان، فأما بريد الخيل فيسمونه لولاقي، وهو حبل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال، وأما بريد الرجال، فيكون في مسافة ميل الواحد من ثلاث وثلاثين، ويسمونها الذوة، ولذاوة هي ثلث ميل، والميل عندهم يسمى الكروة. وترتيب ذلك أن يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة، ويكون مجارحها ثلاث قباب، يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة قد شدوا أوساطهم، وعد كل واحد منهم مقرعة مقدار درعين بأعلىها حلجل نحاس، فإذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده والمقرعة ذات الحلجل باليد الأخرى، ومخرج يشتد بمتهى جهده، فإذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الحلجل تأهبوا له، فهذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب من يده.

وقد نكت بعض كتب الرحلات صوراً لاهتمام الحكام والسلاطين بطرق المؤصلات ولحفاظ على أمنهم وحماية التجار وبصانعتهم، فوصفوا نقاط التفتيش والحراسة، حيث كانت التجارة تتعرض للأصوح وقطاع الصرق الذين كانوا يأخذون أموال المسافرين ويتركوبهم ولا يقاتلون إلا من قاتلهم وكانت بعض القبائل العربية تحافظ على أمن وسلامة المسافرين، فلا سبيل لسرهم إلا وهذه القبائل في صحبتهم وقد سار هذه القبائل مع ابن بطوطة ورفاقه عندما خرجوا من الحج إلى البصرة<sup>(١)</sup>

إن توفر وسائل الأمن والسلامة للمسافرين والحجاج والتجار وبصانعتهم وتأمينهم بوسائل النقل المختلفة، دليل على ما ائتمت به تلك البلاد في تلك العصور من مظاهر الخصرة، وقوة السلطة المركزية فيها، الأمر الذي دفع الكثيرين لزيارة معظم البلدان ولانتقال من بلد لآخر.

## رابعاً: النشاط العمراني

إن إنشاء المدن والمراكز العمرانية الإسلامية في المشرق والمغرب، أمر رافق حركة الفتوحات الإسلامية، لتكون تلك المراكز العمرانية مراكز إشعاع حضاري، فالبناء من

(١) المصدر ص ٨٠-٩

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة: ١/ ٥٣، ١٦٧، ٢٤٧



مستلزمات المدينة والتحفّز يقول ابن حلدون. ولحصارة تصوت شقاوت العمران، فمتى كان أعمار أكثر كانت الحصارة أكمل<sup>(١)</sup>

وقد تصمّت الرّحلات معلومات وفيرة عن الآثار المعماريّة، ومرافقها من مظاهر حضاريّة، ممّا لا يوجد إلا نادراً في كتب التاريخ، وبذلك تشكّل الرّحلات مصدراً هاماً يعكس صورة النشاط العمراني في مختلف البلدان، ويقدم صورة لبعض الآثار المعماريّة التي اندثرت ولا يعرف عنها شيء كالزوايا<sup>(٢)</sup>

وتتلاقى صور المدن المعماريّة لمختلف الأماكن التي وصفها الرّحالة، ضمن الأطر العامة في وصف المدن ومظاهر العمران المختلفة والتّجديدات المعماريّة، حيث وصف الرّحالة بعض الأماكن مهين، أمّ بعضها الآخر مدحاً حضورها كن عجلّ، وأشار إليها الرّحالة إشارات سريعة، غير أنّ هذه الإشارات قد أورت إعجاب الرّحالة منقطع الطّير بتلك الأماكن وعبروا أيضاً عن إدراكهم لقيم الجمال في الفنّ المعماريّ في تلك العصور من خلال توصيفهم لجمال تلك الأماكن.

وقد حفظت كتب أسرّحات كثير من النصوص الدالة على جوانب الإسراع العمرانيّ في العمارة المدنيّة المدن ومرافقها المختلفة كالمساجد والزوايا والمدارس ولقنادق<sup>(٣)</sup>، والبيمارستانات، والحمامات، وغيرها والمعمارة الحربيّة، كالحصون ولقلاع ولأسوار<sup>(٤)</sup> وما رافق ذلك من مظاهر حضاريّة، كالنواعير<sup>(٥)</sup> والساعات، والرخومة والتصوير والتّقوش

(١) ابن حلدون، المقدمة ١/ ١٦٢

(٢) سطر، رحلة ابن جبر ص ٨٢، ٨٥، ٢١٢، والتنجي، معاد الرحلة، ص ٢١٥، ٤٥٦، وابن رشيد من العمية ١٤٤/ ٥، ٢٣١، ورحلة ابن بطوطة ١/ ١٠، ٦٧ ومواقع أخرى متفرقة من الرّحلة

(٣) سطر، رحلة ابن بطوطة ١/ ٥٢

(٤) سطر، الإدريسي، رمة اشتاق، ص ١٠٣، ١٢٨، ورحلة ابن جبر، ص ٤٥، ١٦٢، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٥، والصدي، الرحلة لمعركة، ص ٢٢٨، ٢٢٢، ٢٢٥، والتنجي معاد الرحلة، ص ٢٠٤، والنوري، تاج بقرق ١/ ٢٩٠، ورحلة التنجني، ص ٣٠٨-٣٠٩، ٣١٨-٣١٩، ورحلة ابن بطوطة ١/ ٧٢، ٧٣، ١١٩، ٢٠٩، ومواقع أخرى متفرقة من الرحلة

(٥) سطر، رحلة ابن بطوطة ٢/ ١٥٣، وس لخاج السعدي، بصر العباب، ص ٢٠، ٢٦

ويستشف حزن الباء وإتقانه وروعة الممران من وصف الرخالة للمدن والبلدان التي نزلوا فيها، ومنها مدينة الإسكندرية وأثارها التي أثاروت دهشة وإعجاب الرخالة الاقتصادي، حيث يقول: والمدينة من أحسن البلاد ترتيباً وبهاء، وجدرانها بأخضر الأبيض المنحور وسككها كلها على نسق نافذة متسعة، يعلم من ذلك أنها من تحطيط حكيم، ومن عجائبا التي فيها السارية خارج باب السدرة، اكتملت في أحد جوتب القاعدلة التي هي عليها عشرين شبرا، وهي مربع متساوي الأضلاع<sup>(١)</sup> أما ساريتها، فهي من المعلم الحصيرة في لساء العمراني، ومن عجائب الدساتمة بالصحر المحوت مرتعة الأسفل، وفوق اسارة المرتعة منارة مثمنة منية بالأجر، وفوق المنارة المثمنة منارة سدرة وكانت كلها مبنية بالصخر المحوت<sup>(٢)</sup> وأما داخلها فعجيب، الشاع معارج، ومداخل وكثرة مساكن، حتى إن انتصرف فيها والولح في سالكها ربما ضل<sup>(٣)</sup>.

ووصف البلوي المدينة لمودة بأنها مقسمة الأرجاء مشرفة الأعاء طيبة الهواء كثيرة الحيل والماء ممتدة لتعطيط والاستواء، حسنة الترتيب والبناء<sup>(٤)</sup> وتعلل بذكره الرخالة الأندلسيون والمغاربة عن العمران بمختلف أنواعه وأشكاله التي تمثلت في البناء المحكم للأبار والعيون وأماكن البوضوه يدل على أن المدينة المنورة كانت مرهجرة البناء<sup>(٥)</sup>، وقد أشار بعض الرخالة للآثار المعمارية القديمة التي خربت ثم عمل على تجديدها فأصبحت من المدن الكبيرة المدهرة، ومنها مدينة حلة<sup>(٦)</sup>.

(١) رحلة الاقتصادي، ص ١٢٨.

(٢) أبو حامد الغرناطي، رحلة نعمة الألباب، ص ٧٠-٧١.

(٣) رحلة ابن جبر، ص ١٤-١٥.

(٤) البلوي، تاج الفرق ١/ ٢٩٠.

(٥) انظر، البغدادي، الرحلة المبردة، ص ٢٠١، والبلوي، تاج الفرق ١/ ٢٩١، ورحل ابن بطوطة.

١١٩، ١١١، ١

(٦) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٥٣-٥٤، ولنجبي، سفرة الرحلة، ص ٢١٨-٢٢٠، ورحلة ابن بطوطة ١- ١٥٥، و انظر، الأحمدي، حد المقدس (١٩٨) موسوعة ترميز مدينة جدة، ٢٥.

جند، ص ٥٨-٧٣





ومن مدينة تونس، قال العبدري: وهذه المدينة كلاًها اسم من المدن العجيبة الغريبة، وهي في غاية الاتساع ونهاية الإنتقان والرخام بها كثير، وأكثر أبواب ديارها معمول به عصائد وعتاً وجلّ مبانيها من حجر مصحوت بحكم العمل وله أبواب عديدة وعقد كل باب منها ريش متسع على قدر البلد المستقل<sup>(١)</sup>.

وقدّم بعض الرّحالة للدارسين والباحثين صورة عن أسلوب العمارة في سائر القصور، فابن الحاج وصف القصور في العصر العباسي، شكلها ولأسوار التي تحيط بها، وأحجارها التي لا تستجب للذائفة المجانيب، وذكر الأبراج التي تنصبت على أبواب تلك القصور<sup>(٢)</sup>.

وقد أولى الرّحالة الأماكن المقدّسة اهتماماً كبيراً، حيث بدأوا حديثهم عنها بالاستهلال بذكر فضائل تلك الأماكن المقدّسة، ثم وجّها إلى التّوصيف الجغرافي ومن هذه المعالم المدينة المقدّسة، مكة المكرمة، وبيت المقدس، وبعض المساجد والمزارع ولزوايا في مختلف البلدان التي قصدها الرّحالة<sup>(٣)</sup> وأحدث ببعض هذه الأماكن خيراً كبيراً من الوصف، مثل المسجد الحرام، وذلك لما له من مكانة في نفوس المسلمين، فقد وصفه ابن جبير مسهباً، ونما قال فيه: أبيت نكروم له أربعة أركان وهو قريب من التّريس وارتفاعه في الهواء من الصّبح لذي يقبل باب انصاف، وهو من الحجر الأسود إلى الركن اليماني، تسع وعشرون ذراعاً وسائر الجوانب ثمان وعشرون. وداخل البيت الكريم مفروش بالرخام المخرّج، وحيطانه رخام كلّها مخزّع قد قام على ثلاثة أعمدة من الساج مفرطة الطول، وبين كلّ عمود وعمود أربع خطأ ودائر البيت كلّ من نصفه الأعلى مطليّ بالقصبة المذهّبة المستحسنة، يتّزل للباطر إليها أنّها صميحة ذهب لغلظها.

(١) العبدري، الرحلة المغربية، ص ٤٠.

(٢) انظر، ابن الحاج التّيجي، فض الغاب، ص ٢١٧-٢١٨.

(٣) انظر، رحلة ابن جبير، ص ١٦٨، ١٧٣، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٢٥، ومواطن أخرى مخرقة من الرحلة، ولعبدري، الرحلة المغربية، ص ١٤٩-١٥٣، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٢، ومواطن أخرى مخرقة من الرحلة، ورحلة ابن بطوطة، ١، ٧٠، ٨٢، ٨٦، ٩، ومواطن أخرى مخرقة من الرحلة.

وسقف البيت مجلّل بكساء منحرير الملوّن<sup>(١)</sup> وذكر الرّحالة أثناء وصفهم أسوار مكة المكرمة وأبوابها المتعدّدة

أما مدينة لُقْدَس، فهي مدينة كبيرة مبيعة من صحر منحوت على نَشْر، والمسجد الأقصى مشع جداً طولاً وعرضاً، وقيل العدري عن الكري، أنّ طولهُ سبع مائة واثنا وخمسون ذراعاً، وعرضه أربع مائة وخمسين وثلاثون، وله أبواب كثيرة في حدوده الشماليّة والعمريّة والشرقيّة، والمسجد كله فضاء غير مسقف، إلاّ الحايّة انغريّة هناك مسجد مسقف في نهاية الإحكام وتقلان لعل وفه تزويج كثير وتذهب رافع ملح<sup>(٢)</sup>.

وذكر العدري أنّ قبة الصخرة المشرفة من أعجب المباني الموضوعة في الأرض وأتقنتها، وصفتها أنّها قبة ممتعة على شز في وسط المسجد ويطلع إليها في درج من رخام، وقد أحاط بها، ولها أربعة أبواب والدائر مفروش بالرخام المحكم الصنعة<sup>(٣)</sup>.

وفد أشار بعض الرحالة إلى بعض التجديدات والإصلاحات العمرانيّة لبعض الأماكن المقدّسة والعالم الدينيّة والمدنيّة، ممّا يدلّ على العناية التاريخيّة بها ومدى اهتمام الحكام والأمراء، الأمر الذي يؤكد الرّؤية الخاصّة تجاه هذه المعالم الماركة من قداسة وتجميل، ومن التجديدات لوارد ذكرها في كتب ارحلات عمديد مثدنة المسجد الجامع في قرطبة وريدة القباب التي تقوم على هياكل عقود بارزة مشبكة في أشكال هندسيّة رائعة<sup>(٤)</sup> ومنها أيضاً السور الذي أحاط بمكّة المكرمة، ويرى العدري أنّه عبارة عن

(١) رحلة ابن جبر، ص ٥٩-٨٦، وسطر، العدري الرحلة انغريّة، ص ١٧٤-١٨٠، والتجبي، مسند الرحلة، ص ٢٣٣-٢٤٨، والموي، تدج لفرق ١-٢٨٣، ٣٠٧، ورحل ابن بطرقة ١٣٠-١٢٤/١

(٢) السيري، الرحلة لمريّة، ص ٢٢٩، وتلوي، تاج القرو ١ ٢٤٧ ٢٥١، ورحلة ابن خلطوة ١ ٦٠

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٠

(٤) انظر، اليكري، جغريّة الأندلس، ص ١٠٦-١٠٤، ولادريسي، روعة المشاق، ص ١١، والمصري، فتح العليب ١ ٥٤٤-٥٦٣، وسالم، السيرة عية العريز، (١٩٨٦) للمساجد والقصور بالأندلس، الإسكندرية مؤسسة شباب جامعة، ص ٣٤-٣٨، وانظر، موريو، مانويل حوميث، (١٩٠٠) الفن الإسلامي، ترجمة لطفي عبد الدجج، القاهرة الدار لمصريّة، ص ١٦



حائطين من الصخور لا ملاد لها قطعاً الوادي حرساً في أعلى مكة واسمها<sup>(١)</sup> وكذلك  
تجديد القبة العظيمة أمام محراب المسجد لأقصى وقد أمر بتجديد هذا المحراب المقدس،  
وعماره المسجد الأقصى الذي هو عيسى الثقفي مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب  
المطهر المثلث الناصر صلاح الدين والدنيا عده فتحه الله على يديه في شهر سنة ثلاث  
وثمانين وخمسائة وهو يسأل الله إيزه شكر هذه النعمة، وإجرا ل حظه من المغفرة  
ولرحمة<sup>(٢)</sup> ويعلق على ذلك كامل العملي بقوله: وهذا نقش مسجل تحيلاً ديفاً .  
وقد احتضن النقتل بعد الحريق المتعمد الذي شب في المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩<sup>(٣)</sup>

وسجل الرحالة ما وجدوه من نقوش على شواهد القصور، ومن ذلك ما سجله  
العبدوي من نقش وجد على قبر الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه كتب فيه ثوفي الإمام  
مالك بن أنس رضي الله عنه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ومولده في ربيع الآخر  
سنة ثلاث وتسعين<sup>(٤)</sup>، ومنها أيضاً نقش قبر فاطمة بنت أسد ونصه ما صم قبر أحد كفاطمة  
نت أسد<sup>(٥)</sup> وكانت بعض النقوش لأحداث تواجه قرائل الحجيج، وهذه النقوش  
تكتب على بعض الصخور في الطرق، ومنها ما كتب على بعض الصخور في طرق الحجاز،  
كسب فيها سبب هلاك قافلة من الحجيج بسبب ريع السعوم<sup>(٦)</sup>

(١) انظر، العبدوي، الرحلة المغربية، ص ١٧٣

(٢) السوي، تاج الفرق ١/ ٢٤٧-٢٤٨، ٢٨٨

(٣) الصلي، مت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، ص ٢٥

(٤) العبدوي، الرحلة المغربية، ص ٢٠٤

(٥) رحلة ابن جبر، ص ١٧٤، وابن رشيد، ملء المية ١٩/٥، وانظر أيضاً، رحه ابن طرفة

٩٥/١

(٦) انظر، رحلة ابن بطوطة ١/ ١٠٤-١٠٥، وقد سجل الرحالة الأندلسيون والندرية عدداً ليس  
بالفصل من تلك الزخارف والنقوش، ومنها ما كان شواهد الصور أو ما كان لتسجيل حادثة ما،  
ونظري في ذلك أيضاً، رحلة ابن جبر، ص ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٨٤، ٨٥، ١٤١، ١٧٣، ١٧٤، والنسجي،  
مستمد الرحلة والاعترا ب ص ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٨، ٣٥٩، والبكري، تاج الفرق ١/ ٢٨٥-٢٨٧،

ومن المعالم الحضارية التي نقلتها بعض كتب الرحلات، البيوت اختفلة التي كانت تحملها العربات، حتى إذا نزل السافرون مكاناً أنزلوا البيوت أيضاً، وذكر ابن بطوطة أنه تجمع على العربة شبه ثبة من قصبان حشبت مربوط بعضها إلى بعض بسيور حلك رفيق. وهي خضيفة الخمن، وتكسى بالبيد أو بالملعب، ويكون فيها حيطان مشبكة ويرى السدي بداحلها اساس ولا يرونها، ويتنقل فيها كما يجب، وينام ويأكل ويقرا ويكتب<sup>(١)</sup>

وأشارت كتب الرحلات إلى بعض المؤسسات الاجتماعية التي عرفتها المدن الإسلامية، ومنها الحمامات العامة، وعدت كتب الرحلات مصدراً هاماً لحصول من خلاله على صورة جلية لتلك الحمامات في تلك العصور. وقد قال ابن جبير عن هذه الحمامات إنها مطوية بالغار مسطحة فيخيل للناظر أنه رخام أسود صقيل<sup>(٢)</sup> ولم تتوقف أهمية تلك الحمامات على أنها مؤسسة لنظافة الجسد فقط، بل إنها مراكز طيبة هامة في المدن الإسلامية، فكان إذا دخل المريض الحمام عد ذلك إيداً شفاءه<sup>(٣)</sup>

أما الليمارستانات، فقد حظي المرضى بقسط كبير من الاهتمام والرعاية في المدن الإسلامية في العصور الوسطى، وجاءت هذه الرعاية مصحوبة بإثاء هذه المستشفيات لمعالجة المرضى. ومنها ليمارستان الدين شيد نور الدين زنكي في دمشق، واعتبره ابن جبير مفخر عظيم من مفخر الإسلام<sup>(٤)</sup>، وله قومة يأبئهم الأمانة المحوية على أسماء المرضى وعسى التمتع التي يحتاجون إليها في الأدوية والأعنية وغير ذلك، والأطباء يذكرون إليه في كل يوم ويتقدمون المرضى ويسامرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية ولأعذية حسبما يليق بكن إنسان منهم<sup>(٥)</sup>.

(١) رحلة ابن بطوطة، ٢٩٦/١.

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٢٠٤-٢٠٥، ورحلة التجاني، ص ٢٢٧-٢٢٨، ورحلة ابن بطوطة ١٩٩، ١-٢٠٠.

(٣) انظر، رحلة التجاني، ص ١٠.

(٤) رحلة ابن جبير، ص ٢٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٥٥، ورحلة ابن بطوطة ٤٠/١.



وقد حصصت الأقسام في ابيموسناتات تبعاً لجنس المرض، ومنها أقسام للمصابين بأمراض عقلية، وللمجانين المعتقلين أيضاً صرب من العلاج، وهم في سلاسل موقوفون<sup>(١)</sup>.

ومن المعالم الحضارية الأخرى التي نزل ارتبط الساعة بالعمران، الساعات العجيبة التي لمت أعمار الرخالة، فقد وصف ابن جبير ساعة دقاقة في دمشق، وهي غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقات صغر قد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ودرت تدبيراً هندسياً، فبعد انقضاء ساعة من النهار تسقط صحنان من صغر من نسي مارين مصوريين من صغر قائمين على طاستين من صغر تحت كل واحد منهما أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب والثاني تحت آخرها، والطاستين مثقوبتان، عند وقوع البدنتين فيهما تعودان داخل الحدر إلى لغوه، وتصر لياريين يمدان أعتاقهما بالبدنتين إلى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تخيلهُ الأوهام سحراً، وعند وقوع البدنتين في الطاستين يسمع لها دوي، ويغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين يلوح من الصغر لا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها وتغشى الساعات...<sup>(٢)</sup>

أما الفنون والتصاوير والرسم، فقد تحدث الرخالة عن التصوير على النعش وتزيين العصور والمساحد بالزخارف والصبغ<sup>(٣)</sup>، وقد حذى أهل الصين في لتصوير

(١) رحلة ابن جبير، ص ٢٥٥-٢٥٦، وانظر المصدر نفسه، ص ٢٦، والتجدي، معجم الرحلة، ص ٢-٥، ورحلة ابن بطوطة ٢٠٠/١. وقد تحدث بعض الرخالة عن استخدام الأعشاب والسمات وغيرها في الطب والعلاج. انظر، الإبريسي، نزهة المشتاق، ص ٩٠، ١٣١، ورحلة ابن بطوطة ٣٤٩/٢، ١٧٥/٢.

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٢٤٣-٢٤٤، وانظر، إشارات أخرى مثل هذه الساعة، من الحاج العمري، فيض العباب، ص ٨٧.

(٣) انظر، الإبريسي، نزهة المشتاق، طبعة ليدن، ص ٢٠٩، ورحلة ابن جبير، ص ١٧٢، ٢١٠، وكرمناطلي، نعمة لألأب، ص ٦٣-٦٤، ورحلة ابن بطوطة ٨٢/١، ٥٠/٢.

حيث لا يملأهم فيه أحد، وقال ابن بطوطة في ذلك: ومن عجيب ما شأهت لهم من ذلك، آتي ما دخلت قط مدينة من ملتهم ثم عدت إليها، إلا ورأيت صورتي وصورة أصحابي منقوشة في الخيطان والكواهد، موضوعة في الأسواق<sup>(١)</sup>.

وأشار ابن بطوطة إلى ما يشه مسرح الفرجة أو الأصحوكة، حيث دخل الشعراء على سلطان مالي وكل واحد منهم في خوف صورة مصنوعة من لريش تشبه الشقائق، وجعل لها رأس من الخشب له منار أحر كآل رأس الشقائق ويقفون بين يدي السلطان تنك اهتة المضحكة، قشدون أشعارهم<sup>(٢)</sup>.

على هذا النحو، أخذت أعين الرحالة ترصد وتسجل كل ما يرونه في قن العمارة الإسلامية، ما كانت عليه وما حراً عليها من تنويرات أو زوال، أو تجديدات أو إصلاحات، وكانت هذه الأوصاف على جانب كبير من الأهمية في علم الآثار والفنون.

## ب- السياق الاجتماعي والديني

ركزت الرحلات على العلاقة بين المكان والإنسان. مرست صرراً للحياة الاجتماعية، والتأثير الديني الذي كان عنصراً مشتركاً بين الرحالة بصفة عامة، وألقت الرحلات أيضاً الضوء على كل ما لعت نشاء الرحالة من أحوال المعيشة، وما بلغت حياة من وفي في أوساط فة الحكام والأمراء، والأغنياء من التجار وكبار الموظفين. وصورت الرحلات المحطات الدمة في حياة الإنسان، الميلاد والرواح والموت، وكل ما يرتبط بهذه المناسبات من مظاهر اجتماعية واحتفالات بالنسب السعيدة أو الحزينة، وما يرافقها من العادات واتقاليد والبدع والمعتقدات التي قد تختلف من بلد إلى آخر بنسب متفاوتة فيها. وإن كانت متشابهة في مختلف البلدان، غير أن لكل بلد خصوصيتها.

(١) وحلة ابن بطوطة ٢/ ٢٢٤

(٢) للمصدر نفسه ٢/ ٢٨٠



وكان ما قدمه الرّحالة أشبه ما يكون بمزيج بين الرّحّة والأشوجرافيا التي تسعى إلى تقديم توصيف موضوعيٍّ للشعوب وعاداتها وتقاليدها وأخلاقها وطريقة بأسها وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية، فقد اتجه الرّحالة إلى استخلاص أسلوب حياة في البلدان التي قصدوها من خلال استقراء وتحليل القيم والأفكار والجوانب المادية أو الروحية التي تشكل بدورها الأسلوب الحياتي للناس ومعالمهم التراثية، وتتخذ هذا التراث طابعاً شعبياً يمثل لغة مشتركة لدى الجميع، وبه تدرس المجتمعات بنواحيها الإنسانية والتاريخية والاجتماعية والدينية والفولكلورية والمعتقدات لشعبية لها، وقصص الشيخ والأولياء والحكايات الأسطورية والحرفيّة وحكايات الحيران، فجاءت الرّحلات مصدراً هاماً لوصف الثقافات الإنسانية.

### أولاً: العادات والتقاليد والملابس

روى لرحالة كثيراً من عادات وتقاليد ونباس أهل البلاد التي تزلوا فيها، ومنها صفة أهل الشام في السّلام، التي تجري كيفيتها بالأسماء على نحو ما يعمل في الركوع والسجود<sup>(١)</sup>، وكذلك عادة دفع السودانية عمائمهم عن رؤوسهم عندما يتكلّم السلطان<sup>(٢)</sup>، أما أهل مكة فيتحنون بمكارم الأخلاق ومحيد العادات، ومن عاداتهم في ليالي رمضان، تزيمهم الأسواق وضربهم الطبول وتهليلهم وتكبيرهم وطوافهم<sup>(٣)</sup>

ويبرز المأثور الشعبي عند أهل طمار من خلال عاداتهم الحسنة، ومنها التصامع في المسجد إثر صلاة الصبح والمصر، ويستند أهل الصّف الأول إلى القلعة ويصافحهم الذين يلونهم وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة يتصافحون أجمعين<sup>(٤)</sup>، وكان في كلّ دار من دورهم سجادة الخوص معقاة في البيت يصلي عليها صاحب البيت، كما يفعل أهل

(١) انظر، رحلة ابن جبر، ص ٢٦٩

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢/ ٢٧٨

(٣) انظر، رحلة ابن جبر، ص ١٠٦-١١٠، ورحلة ابن بطوطة ١/ ١٤٦، ١٥١

(٤) رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٣٥



وكان ما قدمه الرّحالة أشبه ما يكون بمزيج بين الرّحّة والأشوجرافيا التي تسعى إلى تقديم توصيف موضوعيٍّ للشعوب وعاداتها وتقاليدها وأخلاقها وطريقة بأسها وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية، فقد اتجه الرّحالة إلى استخلاص أسلوب حياة في البلدان التي قصدوها من خلال استقراء وتحليل القيم والأفكار والجوانب المادية أو الروحية التي تشكل بدورها الأسلوب الحياتي للناس ومعالمهم التراثية، وتتخذ هذا التراث طابعاً شعبياً يمثل لغة مشتركة لدى الجميع، وبه تدرس المجتمعات بنواحيها الإنسانية والتاريخية والاجتماعية والدينية والفولكلورية والمعتقدات لشعبية لها، وقصص الشيخ والأولياء والحكايات الأسطورية والحرفيّة وحكايات الحيران، فجاءت الرّحلات مصدراً هاماً لوصف الثقافات الإنسانية.

### أولاً: العادات والتقاليد والملابس

روى لرحالة كثيراً من عادات وتقاليد ونباس أهل البلاد التي تزلوا فيها، ومنها صفة أهل الشام في السّلام، التي تجري كيفيتها بالأسماء على نحو ما يعمل في الركوع والسجود<sup>(١)</sup>، وكذلك عادة دفع السودانية عمائمهم عن رؤوسهم عندما يتكلّم السلطان<sup>(٢)</sup>، أما أهل مكة فيتحنون بمكارم الأخلاق ومحيد العادات، ومن عاداتهم في ليالي رمضان، تزيمهم الأسواق وضربهم الطبول وتهليلهم وتكبيرهم وطوافهم<sup>(٣)</sup>

ويبرز المأثور الشعبي عند أهل طمار من خلال عاداتهم الحسنة، ومنها التصامع في المسجد إثر صلاة الصبح والمصر، ويستند أهل الصّف الأول إلى القلعة ويصافحهم الذين يلونهم وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة يتصافحون أجمعين<sup>(٤)</sup>، وكان في كلّ دار من دورهم سجادة الخوص معقاة في البيت يصلي عليها صاحب البيت، كما يفعل أهل

(١) انظر، رحلة ابن جبر، ص ٢٦٩

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢/ ٢٧٨

(٣) انظر، رحلة ابن جبر، ص ١٠٦-١١٠، ورحلة ابن بطوطة ١/ ١٤٦، ١٥١

(٤) رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٣٥



المغرب<sup>(١)</sup>، ونما له صفة بالمعتقد الشعبي أيضاً لدى أهل هذه المدينة أنه لا يقصدها أحد بسوء إلا عاد عليه مكروه وحيل إليه وبينها<sup>(٢)</sup>

ومن العادات الدينية المرتبطة بالمعتقد الشعبي، ما نقل عن أهل قرية خارج مدينة صور - في بلاد اشام-، أن بعض أهلها أراد انوضوء فبدأ يغسل رجله ثم غس وجهه ولم يتمصغض ولا استشق، ثم مسح بعض رأسه فاعتقد ان يطوطة فمله فقال له الرجل إن الناء إنما يكون ابتداءه من الأساس<sup>(٣)</sup>

وأشارت كتب الرحلات إلى بعض العادات الدالة على تدين بعض الشعوب، ومنها، أنهم لا يعترضون القوافل في رمضان، وإذا طلب إنسان غريباً به فحماً إلى المسجد أو إلى الخطيب، لم يظنه احتراماً للمسجد وشيخه، حتى السلطان نفسه يترك حرمه إذا لجأ إلى مسجد أو الخطيب<sup>(٤)</sup>، ولا يعترضون لمال الغريباء أو مال الميت حتى يأخذ مستحقه شرعاً<sup>(٥)</sup>

ومن العادات القديمة التي لاحظ بعض الرحالة انتشارها، وتناقها مع طبيعة الدين وتعالجه في المجتمعات الإسلامية، تعاطي الخشيش، وشرب الخمر<sup>(٦)</sup>، ويبدو أن العادة الاجتماعية المحلية أتوى تأثيراً من الأثر الديني، ففي بعض البلدان يرى أهلها أن الجسد المحرم من الأمور التي لا تتعارض مع معارضة الشعائر الإسلامية، وكذلك العلاقات القائمة على الاحتلاط والمصداقات بين الرجل والمرأة دون أن يرى في ذلك عيباً أو

(١) المصدر نفسه ٢٣٥/١

(٢) المصدر نفسه ٢٣٥/١

(٣) المصدر نفسه ٦٤/١

(٤) انظر، رحله ابن بطوطة. ٢/ ٢٨١

(٥) انظر، المصدر نفسه ٢/ ٢٧١، ٢٨٢

(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٥٦، ٢٨٨، والفري نفا عن ابن سبيد. مع الخطيب ٢/ ٢٠٩، ٣١٩، وابن

الخطيب، نفاضة الخراب، ص ٢٦، ١٨٢



شندراً أو حروجاً على العادات والتقاليد، وأن السوء السافرت يتخاطل الرجال وينعردن بهم في الوقت ذاته يحرصن على أداء اصطوانات كاملة<sup>(١)</sup>

وفي مالي اعتبر جسد المرأة مصدراً للغذاء وإشباعاً للطغى، ويعود هذا إلى عادات متورثة قديمة، يقول ابن بطوطة: قُذِمت على السلطان منسي سليمان، جماعة من هؤلاء السودان الذي يأكلون بني آدم، معهم أمير لهم فأكرمهم السلطان وأعطاهم في الضيافة خادمة فلذبحوها وأكثوها، ولطُحوا وحوهم وأيديهم بدمها وأتوا السلطان شاكرين. وأسبرت أن عاداتهم متى ما وفدوا عليه، أن يفعلوا ذلك، وذكر لي عنهم أنهم يقولون إن أطيب ما في لحوم الأدميات الكف والتدي<sup>(٢)</sup>

وقد يبدي ابرخالة سحقهم على بعض صفات أهل المناطق التي قصدوها، ويعتونها معوتاً فيها سالمة ونحاص، وربما يعود ذلك إلى طبيعة وتكوين شخصية الرحالة الحادة أو قد تثيرهم بعض لمادات والأخلاق البعيدة عن الدين في بعض المجتمعات الإسلامية، فيعلنون في تبذرها وإتكورها، ومن ذلك تعليق بن جبير على صفات أهل بغداد: فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، وبذهب بعينه عجباً وكريهاً، يردرون الغريه، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون عن سواهم إلا عاديث ولأباء، قد تصور كل منهم في معتقده وخلده أن الوجود كله يصغر بالإضافه إليه. كأنهم لا يحتقرون أن فقه بلاد أو عباداً سواهم<sup>(٣)</sup>

وصورت كتب الرحلات حصاً من ابداع ادبية والمعتقدات لحاظاً<sup>(٤)</sup> التي شاعت بين الناس في تلك العصور، ومنها وجود عصة في بلد يسمى الناس لعمودها بالإصاصة إلى

(١) انظر، رحلة ابن بطوطة، ٢/ ٢٧١، ٢٧٢

(٢) رحلة ابن بطوطة ٢/ ٢٨٤. ونظر عن العادات المختلفة، المصدر نفسه ١/ ٢٦١-٢٦٢،

٢/ ١٧٥-١٧٩، ٢٧١

(٣) رحلة ابن جبير، ص ١٩١، وانظر مثل ذلك، وصف العبدري لأهل افغاره، الرحلة المغربية، ص ١٢٧

(٤) انظر، رحلة ابن جبير، ص ١٧٢، وبس رشيد، مل- العبة ٥/ ١٧١، ٢٦٤، والتجسي، مستعد

الرحلة، ص ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٩، ٣٥٣، ٣٥٦

دحولهم لكان يزعمون أنه النار الذي أوى إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، وصاحبه عند هجرتهما إلى المدينة المورة، وأشار العبدري إلى عدم صحة ذلك لوجود العمار في جبل ثور على مقربة من مكة<sup>(١)</sup>، وتعلّق عوطف بنوكب عن ذلك فتقول: «وهذا يدل على سطاع المعرفة بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت من قبل العمة<sup>(٢)</sup>».

ومن اندع الدينية أيضاً، تعدد الأئمة بالحرم المكي، فكروم، حيث لكل مذهب من الأربعة إمام ومؤيد، وموقف خاص لمصلبي أهل مذهبه<sup>(٣)</sup> ومن المعتقدات الخاطئة أيضاً أن الصحراء تسكنها الشياطين، وأن الشياطين يستدرجون الدليل الذي يسير بمفرده حتى يضلّ طريقه ويهلك في الصحراء<sup>(٤)</sup> كما شاعت بعض الدع التي استمرت حتى الوقت الحاضر، مثل زيادة ماء زمزم ليلة النصف من شعب<sup>(٥)</sup> وعدم وقوع الحمام على الكعبة المشرفة<sup>(٦)</sup>، وتشتت عادة التبرك بقبور الأوصياء والصالحين وصحابه<sup>(٧)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا، فإن المعتقدات ذات المدلول الأسطوري واسيدي الخارق، تحتلّ فيها الحدود الدينية بالخيال البشري وتصوّراته، وترتبط بعض المعتقدات بالأساطير أو بالوقائع التي هي أشبه بالخيال، والتي لا يستطيع المطلق العلمي تصديقها، ويلجأ البعض إلى القول

(١) انظر، العبدري، الرحلة المغربية، ص ١٦٤، ١٨٦.

(٢) بنوكب، عوطف بنوكب يوسف، (١٩٩٦) الرحلات لمدينة ولأندلس، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ص ٢٢١.

(٣) انظر، التنجي، مستعد الرحلة، ص ٢٩٨، ٢٩٧.

(٤) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢-٣٧٠ وانظر من الحرفات والأساطير والمعتقدات الخاطئة رحلة أبي حامد لمراعي، تحفة لأبياب، حيث تكثر فيها مثل هذه الأمثلة.

(٥) انظر، رحلة ابن جبير، ص ١١٨-١١٩، والعبدري، الرحلة المغربية، ص ١٢٥-١٢٦، والتنجي، مستعد الرحلة، ص ٢١٦-٢٢٠، ورحلة ابن بطوطة: ١-١٤٩.

(٦) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٧٥-٧٦، ورحلة ابن بطوطة ١/ ١٢٦.

(٧) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٢١-٢٢، والعبدري، الرحلة لمدينة، ص ٢٠٣-٢٠٤، والتنجي، مستعد الرحلة، ص ٢٨٩، والسوي تاج افريق ١/ ٢٢٢-٢٢٥، ورحلة ابن بطوطة ١/ ١٣٠.



إن هذه الظواهر لا يفسرها سوى الدين أو بعض التصورات الفلسفية الصورية، ونتيجة لمس نتائج، من قبل الناس أصبحت من المعتقدات الهامة التي تسيطر على العقليّة الشعبية أكثر من غيرها من المعتقدات الأخرى، ولعلّ مرجع هذه المعتقدات أو مصادرها تعود إلى بعض الحكايات النادرة والحوادث التي دونتها شعوب المناطق<sup>(١)</sup>.

أما اللباس، فقد حملت بعض كتب الرحلات بالكثير من الإشارات إليها، وأخذ الرّحالة يصفونها وهو يتقلدون من مكاد إلى آخر، وكان لكلّ منطقة أو جماعة رتبا الخاص بها، وربما دلّ نوع تلك لألسة واختلافها وتفاوتها بين الحكام والطبقات الغنيّة، وطبقة عامة الشعب على الحالة الاقتصادية والوضع الاجتماعي في تلك العصور. وقد كانت العنقادات الحاكمة والغنيّة تتفاخر بمظاهر اللباس، وتبالغ فيها، لا سيّما في المناسبات ولأعياد ومراسم لتشريفات الرسميّة<sup>(٢)</sup> وكان ليس بعض علماء مصر مثلاً عباءة صوف حشّة، وعمامة صوف سوداء<sup>(٣)</sup>، ولباس القاضي الخطيب في مكة ثياب سوداء<sup>(٤)</sup>، في حين ساد اللون الأبيض ثياب أهل مكة<sup>(٥)</sup>، أما لباس أهل طغار فهو القطن، يشدّون القوط في أوساطهم عوض السراويل وأكثرهم يشدّ قوطة في وسطه، وتعمل فرق ظهره أخرى من شدة الحرّ ويعتسلون مرات في اليوم<sup>(٦)</sup> ووصف التنجيني قوماً من اليمن ليس عندهم من اللباس إلا ما يوري سوانهم خاصّة<sup>(٧)</sup>

(١) الباشا، حسن، وسهلي، محمد توفيق، (١٩٨٠) المعتقدات الشعبية في التراث العربي، دمشق دار الجليل، ص ١٥٧

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة ٦ ٣٠٤، ٣٤١ ٦٢/٢، وسواها أخرى متفرقة من الرحلة، واس الحاج الشامي، فيحي اللباب، ص ٢٨٥، ٢٨٨، وابن الخطيب، خطرة الطيّف، ص ٥٣

(٣) رحلة ابن بطوطة، ١/ ٤٦.

(٤) انظر، رحلة ابن جبير، ص ١٣٥

(٥) انظر، المصدر نفسه، ص ٧١ ٧٥

(٦) رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٣٥

(٧) لتنجي، مسعود، رحلته، ص ٦٦٧، وشرح رحلة ابن جبير، ص ١١٢ والسدي، الرحلة المغربية، ص ١٨٥

ويدكر العبدري أن كل امرأة من نساء الأعراب في أرض برقة يبلاد طرابلس لا يذ لها من خرقه تسدط على وجهها، ويسمونها البرقع، وهي تحلل لباس مكشوفة الرأس والأطراف، حافية القدمين لا تهتم بستر ما سوى وجهها، كأن ليس لها عورة سوء، فلا تزال تلك الخرقه عرضة للالتصاخ ومرصداً لمارضى لأوساخ<sup>(١)</sup>

وأظهرت بعض كتب الرحلات ارتباط الملابس ببعض المناسبات، فالخون له لباس<sup>(٢)</sup>، وللمظلومين ثياب يلبسوها حتى ترفع عنهم الظلمة<sup>(٣)</sup>، ولأيام المطر والبرد أثواب من الصوف يستعد الناس لبسها أثناء انتقالهم من بلد إلى آخر<sup>(٤)</sup>.

وقد صوّرت بعض كتب الرحلات حرص أهل بعض المدن على النظافة، نظافة البدن والثوب حتى إنه لو لم يكن لأحدهم إلا قميص حلق غسله وطقفه وشهد به الجمعة<sup>(٥)</sup>

كما ألفت بعض كتب الرحلات الفسوء على بعض عادات أصحاب العرق الإسلامية المتعددة في المدن الإسلامية فيما يتعلق باللباس، ومن ذلك ليس أصحاب بعض تلك العرق أطواق الحديد<sup>(٦)</sup> وكانت بعض قبائل الصين تجعل في آذانها أقرطاً كارة، وتكون فتحة القرط منها نصف شبر، ويتلصقون في ملاحف الحرير<sup>(٧)</sup>

(١) العبدري، الرحلة المغربية، ص ٨٦-٨٧

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة، ١/ ٢٨٨، ٢/ ٢٣٧

(٣) انظر، المصدر نفسه، ٢/ ٤٠

(٤) انظر، المصدر نفسه، ١/ ٣١٣، ٢/ ٣٢٥

(٥) المصدر نفسه، ٢/ ٢٨٢

(٦) انظر، المصدر نفسه، ١/ ٣٥٧

(٧) انظر، المصدر نفسه، ٢/ ٢٨٤



إن عين الرّحالة اللافتة لكل هذا التنوع والاختلاف في اللباس في مختلف البلدان التي تنقل فيها الرّحالة، قد فلتت ما يشكّن أهمية كبرى لعلماء الأنثروبولوجيا<sup>(١)</sup> والفولكلور الشعبي<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: الأضمة والأشربة

أظهرت بعض كتب الرحلات أن أساس عامة في عتف البلدان يتفقون في كثير من الأطعمة والأشربة والعادات الثبته فيها، غير أن اختلاف طوضع الاقتصادي والستوى الاجتماعي لبعض لبلدان يظهر التفاوت أحياناً، طعام الملوك والسلطين يختلف عن العامة وقد كان طعام بعض السلطين طعامين، طعام العامة وطعم اخصه، وعلس كل إنسان للطعام معين لا يتعداه ولا يراحم أحد منهم أحداً<sup>(٣)</sup>

وسلطت بعض الرّحلات انضوء على طعام بعض السلطين في رمضان، حيث كان بعضهم يعطر على نريد في صفحة صغيره عليه العدس مسفى بالسمن والسكر، ويقدمون الثريد تبركاً بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>، أما موائد بعضهم الآخر فقد كانت مليقة بالدجاج<sup>(٥)</sup>، وي مرخ اللحم والخبز المخبز بالسمن والكماه والخمرى وفخايف أنواع الفواكه<sup>(٦)</sup> في حين انصف بعض السلطين بالحل، إذ لا يلتذمون ما يستحق التقدير في الولاتم<sup>(٧)</sup>

(١) الأنثروبولوجيا دراسات الشعوب، ولذواتها، وطرد مساكنها، وأنواع الألبسة يلج انظر، سليم،

شاكر مصطفى (١٩٨١) قاموس الأنثروبولوجيا، ط١، جامعة الكويت، ص ٢٢٤، ٢٧٠، ٣١٤

(٢) انظر، بهيم، حسين (١٩٨٧) التراث الشعبي في أدب الرحلات، مجلة الملتويات الشعبية، العدد

(٥)، السنة الثانية، ص ٧٤، ٨٣، وانظر كتابه، أدب الرحلات، دراسة تحليلية من منظور

أنثروغرافي، ص ٤٩-٧٤، ١١٢-١٢٩

(٣) انظر، رحله ابن بطوطه ١/٢٦٦، ٢/٦٥-٦٦

(٤) انظر، رحله ابن بطوطه ١/٢٦٠

(١) انظر، المصدر نفسه ١/٣٣٤، وانظر أيضاً في مزيات موائد الطعام، المصدر نفسه ١/٣١١، ٢/٢١

(٢) انظر، لمصدر نفسه ٢/٢٧٥، ٢٧٦، وانظر أيضاً عن البجل، رحله التجاني، ص ٨٥، ٨٧

ووصف لسد الدين بن الخطيب، أنواع المأكّل والمشرب التي ملأت مراند أهل جبل هتانة<sup>١</sup> احتساء بهم، فقال: ولم يكذب المرار، ولا تنزع الخفاف، حتى غمر من الطعام الحمر، وطما لمرج، ووقع البهت، وأمل الطحو، ما بين قصاع لشيزي أنفمها الثرد، وهل بها السمن، وتراكبت عليها لسمان الحملان الأعجار، وأحوية تنوء بالمعصة أولي القوة، خاصة من الآية بالذهب والمحكم، مهنوية كلّ مختلف الشكل، ليديد الطعم، مهن فيهِ حرير التابل، محرم عنده سيده الأحامرة ثلاثه، إل السمك الرصراس والذجاج فاضل أصناف الطيّر، ثم تلوها صحنون خماسية تشتمل على الطعام خاص من العير والكتاب واللقاق. ويتنو ذلك من أصناف الحلواء بين مستبطن لباب البر، ومنايح بالقلو، وأطلق مذكر الصاكهة. وقد قام لسماد من حدام وأساودة أحدهم الآداب وهنتهم الثروة فحقت منهم الحركة<sup>(٢)</sup>

ولعل من أشهر الموائد تلك المائدة التي ذكرها ابن عربي، ومن قوله فيها شاعدت المائدة بطور زين<sup>(٣)</sup> مراراً وأكلت عليها ليلاً وبهاراً، وذكرت الله سبحانه فيها مراراً وحهاراً، وكانت صخرة صلدا لا تؤثر فيها المعاول وكان الناس يقولون مسخت صخرة والذي عندي أنها صخرة في لأصل وقطعت من الأرض محلاً للمائدة لتأزلة من السماء، وكل ما حولها حجارة مثلها وكان ما حولها محموقاً بقصور، وقد محبت في ذلك الحجر الصلب بيوت أبوابها منها، وبجائلسها منها مقطوعة فيها<sup>(٤)</sup>

وقد ألقت بعض كتب الرحلات لصوراً على بعض العادات الثبعية في الطعام، وفيها عدة أن المرأة في بعض البلدان لا تأكل مع زوجها، ولا يعلم الرجل ما تأكله لمرأة<sup>(٥)</sup> ومن عادات سكان بعض المدن في رمضان تناولهم طعام الإفطار في دار السلطان<sup>٦</sup>

(١) انظر الدراسة هنا ص ٤٥، الخشبة ١

(٢) ابن الخطيب، رحلة خطرة الطيف، ص ١١٧

(٣) طورونتا جبل مشرف على مسجد (مسجد القدس) وقرب يهنا وادي جهنم انظر، ياقوت

الحموي، معجم البلدان ١٨/٤

(٤) القرني، شع الطيب ٣٧/٢

(٥) رحلة ابن بطوطة. ١٧٨/٢

(٦) انظر، المصدر نفسه ٦٥/٢



أما الأثرية، فيبدو أن اللين مادة غذائية هامة في معظم البلدان التي قصدتها الرحّالة، فقد اشتهرت مدينة دميّاه في مصر بها، وألبانها لا مثل لها في عدوية الطعم وطيب المذاق<sup>(١)</sup>، وفي السودان العربي طعامهم اللبن، والعسل بالدرجة الأولى. وهو الصياغة الكبيرة صدهم<sup>(٢)</sup> ومن جانب آخر، فقد أشارت بعض كتب الرحلات إلى انتشار التمحط وتفقر المدعات والأويث في بعض البلدان، وقندان الأرواح الكثيرة نتيجة ذلك<sup>(٣)</sup>

### ثالثاً: صورة المرأة

أظهرت كتب الرحلات صورة (المرأة المثقفة، الشاعرة) صاحبة العلم وراوية الأحاديث، وحريرة على أداء العريضة وزيارة الخديعة المنورة<sup>(٤)</sup> ويصف ابن جبير يوم طوبى النساء يقول: أمد ليث لئسا خاصة، فاجتمعن من كنّ أوف - ولم تنق أسراة بمكة إلا حصرت المسجد الحرام ذلك اليوم - وأفرح الناس من عرس الطوائف وعس الحجر ولم يبق حول البيت المبارك أحد من الرجال يبادر النساء إلى الصعود، وتسلسل النساء بعضهم ببعض وتشابكن حتى توقعن، فمن صاحبة ومعلقة ومكبيرة ومهلفة،<sup>(٥)</sup> وصورت الرحلات كذلك حرص المرأة في بعض المدن على أداء صلاة الجمعة في المساجد، وقد وصف ابن العربي نساء مدينة نابلس بقوله: رأيت أئمت فيها أشهر، فما رأيت امرأة في الطريق بهاراً، لا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن حتى يمتلئ المسجد منهن،

(١) المصدر نفسه ٣٥/١

(٢) المصدر نفسه ٢٧١/٢

(٣) انظر، الجيبي، سعاد الرحلة، ص ٣٢٧، ورحلة ابن بطوطه ١، ٩٢، ٩٢٨، ٢٣٥، ٢/ ٥٤، ٨٣.

١٤٩، ٢٥٠-٢٥١

(٤) انظر، هذه الدراسة، ص ٧١، ودرجته رقم ٣، من الصفحة نفسها، ورحلة ابن بطوطه ١/ ٣٥٠، و ليكر، حافة الرحلة الأنثوية إلى الجزيرة العربية، ص ٥٢ ٥٤

(٥) انظر، رحلة ابن جبير، ص ١١٥-١١٦، ورحلة من - العربية ٢٠٠٥، ومستعاد الرحلة، ص ١٥٩،



فلماذا قضيت الصلاة وانقلبت إلى مسارح لم تقنع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى<sup>(١)</sup>

وكانت ساء بعض المدد يجتمع لسماع الوعظ كل يوم اثنين وحيث وجدة في المساجد وربما تجتمع منهن الألف والألفان، بأيديهن المراوح يروحن على أنفسهن من شدة الحر<sup>(٢)</sup>، هذا وقد رتبطت مكبة المرأة في بعض المجتمعات الإسلامية بالعناية بتنظيمها ثقافة ديدة راثية، حيث خصصت من مراكز تعليمية نساءهن وتشرف على تعليمهن وتحميكن القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>.

ولم تقف الرحلات عند هذا الحد، بل أعطت صورة جليلة لما تمتعت به المرأة في بعض المدن من تحرر من القيود ومن أبرز مظاهر هذا التحرر إبداء المرأة رأيها في اختيار الزوج المناسب لها فقد امتعت ابنة وزير سلطان جرائز ذية المهمل (المالديف) عن الزواج بأن بطوطه، وقال له البورير إن منته امتعت وهي مالكة أسر نفسها<sup>(٤)</sup>، وم تكنف المرأة بامساواة مع الرجل بل تعوقت عليه في الحقوق، فهي أعظم شأناً من الرجال في بلاد الترك وبعض مدن المغرب<sup>(٥)</sup>، وأحصل منهم في مهنة حراسة القوافل<sup>(٦)</sup>، وركوب الخيل<sup>(٧)</sup>، وحسن الرعايه والمعتل كما هو الحال عند ساء الترك وبلاد الصين<sup>(٨)</sup> وكانت المرأة تعمل خارج المنزل وتشارك في التجارة والبيع ومن ذلك ما وصف به ابن بطوطه ساء الأتراك حيث تأتي حداثهن إلى السوق ومعها عبيدها بالعمه والبن، فتبيعه من

(١) ابن العربي، أحكام القرآن، ٣/ ١٥٣٥

(٢) رحلة ابن بطوطه ١/ ١٨٣

(٣) انظر، المصدر نفسه، ٢/ ١٥٨

(٤) انظر، المصدر نفسه، ٢/ ١٨٥

(٥) انظر، المصدر نفسه، ١/ ٣٠١، ٢/ ٢٨٧

(٦) انظر، المصدر نفسه، ٢/ ٢٧٩

(٧) انظر، المصدر نفسه، ١/ ٢٧٩، ٢/ ٢٢٠

(٨) انظر، المصدر نفسه، ٢- ٢٢، و انظر، ليكيري، جغرافية الأندلس، ص ١٧٠



الاس بالسلع المعطرية، وويتم كن مع لمركبة منهن زوجها فيقلنه من يراهاها بعض  
خداها<sup>(١)</sup>

وكذلك نساء الأعرب في أرض برقة -ببلاد طرابلس- حيث كان الأعرب  
يستعملون ساءهم في البيع والشراء<sup>(٢)</sup> وهي إن ذلك أيضاً نهم بحسها وجمها، فقد  
كنت نساء مكة المكرمة يكثرن التظيل حتى إن إحداهن لبيت طابوة وتشتري بقوتها  
طبا<sup>(٣)</sup>

أما نساء مدينة زيد اليمينية، فهن الحسن الفائق، حيث يصف ابن بطوطة  
مشاركتهن في سوت التحل، وذلك أنهم يخرجون في أيام السر والزلط، في كل ست  
إلى حدائق التحل، ولا ينهي بالمدينة أحد من أهلها ولا من العرباء ونخرج لساء  
مختصات الجمال في الغامل، ولهن مع ما ذكرناه من الجمال الفائق والأحلاق الحسنة  
والمكارم. وللعرب عندهن مربة، ولا يمتنعن من تروجه كما يفعله ساء بلادنا، فإذا أراد  
السر خرجت معه وودعته، وإن كان يسهما ولد فهي تكمله وتقوم بما يجب له إلى أن  
يرجع أبوه، ولا تطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا مسواها. وإذا كان مقيماً فهي  
تفنع من بلبيل المعصه والكسوة، لكنهن لا يخرجن عن بلدتهن أبداً، ولو أعطيت إحداهن  
ما عسى أن تعطاه على أن تخرج من بلدها لم تقص<sup>(٤)</sup>

ومن مظاهر تحرر المرأة أيضاً خروج النساء في جماعات كثيرة للمشاركة في توديع  
واستقبال مواكب بعض السلاطين، واحتلاطهن بالرجال فقد وصف الرحالة ابن الحاج  
الميري النساء وقد خرجن يشاركن في توديع لسلطان أبي عتاش حين قرّر انقياهم برحلته  
دخل العرب الأقصى والبلدان الإفريقية، حين يقول فما راني لمسون كالموادح التي  
حلت فرق ذرى البرل الهواء، ويدت كاتها الأكمات للكليلة بأنواع الأهر، سانية

(١) انظر، رحلة ابن بطوطة ١/٣٠١، ٢/١٧٨

(٢) العبدري، الرحلة المغربية، ص ٨٦

(٣) المصدر نفسه ١/١٣٦

(٤) رحلة ابن بطوطة ١/٢٢٤

الحامات في لجو الشرق جامعة احسن بين ملتقى ولعرق إلى غير ذلك من لأثوب العرافة والأندلسية والرومية كنّ يستبي الألباب بالرواة المختلفة ويباب كلّ هودح حارية عليه الخلل والخلقي. وجميعهم يعنى بذكر الحروب، وللاحم التي طال بها عن المضجع قباقي لجسوب داعيب إلى ركوب الحياض. ومن السيوف الباترة من الأعماد<sup>(٥)</sup> أما ابن الخطيب فيشير إلى خروج الاء في جماعات كبيرة ويختلطهن بالرجال للمشاهدة في استقبال سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف الأول، وذلك بعد عودته من رحلة تفقدية لأحوال لشقور اشرقية مملكة غرناطة سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م. ومن قوله واختلط الاء بالرجال، والتبّ أرباب الحجا يربات الحجال، فلم يفرق بين السلاح والعيون لملاح. ولا بين حر البنود وحر الحدود<sup>(٦)</sup>. كما دخلت لمراة ميدان السياسة، وتولّت مقاييد حكم في بعض البلدان. وكانت تصدر الأوامر السلطانية باسم السلطان، قلّساء لدى الأتراك والتتر من حظ عظيم، وهم إذ كتبوا أمرا يقولون فيه عن أمر السلطان والسواتين<sup>(٧)</sup>، وكانت المرأة تشارك في الأمور العامة<sup>(٨)</sup>، وتلقّي اللوامر من ضدّ السلطان<sup>(٩)</sup> في حين أنّ لمراة في بعض مدن لسنودان كانت صورة للفساد حيث تقيم مع الرجال دور سدائ. فيدخل الرجل بيده نيبج امرأته ومها صاحبها، فلا يكر ذلك<sup>(١٠)</sup> وقد أثار هذا الأمر الرخالة ابن بطوطة، فسأل أحد الرجال وقد كانت امرأته مع

(٥) انظر: ابن الحجاج التميمي، قبض العباب، ص ٦٨ - ٦٩، كذلك لصفحات ٢٣٦ - ٢٣٧، ٢٨٦.

(٦) ابن الخطيب، خطرة الطيب، ص ٥٣.

(٧) رحلة ابن بطوطة ٢٠٤، ١، وانظر المصدر نفسه ٢٢٩، ١/ ٢، ١٧٩، وانظر دور لمراة في الحياة

السياسة، ابن الخطيب، عاصمة الحرابه ص ١٤-١٥.

(٨) كن للمخدومة جهاز أم سلطان اغد دور كبير في مساعدة الحساجين وكانت كثيرة الصدقات،

وعثرت رواية كتبه، وجعلت فيها الضم للزبد والصادر. وكذلك روعة السلطان عماد أبريك

خان، من مالكة الفسطاطية. السلطان تكفور التي كانت تهتم بالمرءه وتقدم لهم طعام والكساء

ولفدهم، وانظر، رحلة ابن بطوطة ٣٦٠، ١/ ٢، ١٠٩.

(٩) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢٠٤، ١/ ١.

(١٠) المصدر نفسه ٢٧٣، ٢.



صاحبها أترضى بهذا ؟ فقال له الرجل: مصاحبة النساء للرجال عندنا على حبر وحسن طريقة، ولا تهمة فيها، ولسن كساء بلادكم<sup>(١)</sup> وفي بعض بلدان آسيا الصغرى كنت النساء يدخلن حمام مع الرجال، فمن أراد الفساد فعل ذلك من غير عكر عليه<sup>(٢)</sup>.

ومن صور الفساد أيضاً، تعرّي جسد المرأة، فقد كان النساء يظهرن للثامن حرايا باديات العورات، لا يمتحن من الرجل ولا يمتحن<sup>(٣)</sup>، ونساء جرر اللاليف لا يلبس أكثرهنّ إلا قوطة واحدة نسترها من السرّة إلى أسفل، وسائر أجسادهن مكشوفة وكذلك عشيّن في الأسواق وغيرها<sup>(٤)</sup>.

#### رابعاً: الأعياد والأعراس والاحتفالات الشعبية

لا شك أنّ لاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي في مختلف البلدان التي زارها الرّحالة، قد ساهم في إبراز الكثير من المظاهر الاحتفالية، وما رافقها من تزيينات لافتة بمحلب تلك المناسبات، وقد حظيت هذه المظاهر باهتمام الرّحالة فكتبوا عنها، وعما كان يجري فيها من احتفال وطقوس. ثم أكرمها بالصفحة الأخيرة أو أطابع المذكراتي ويلحظ في ما كتبه الرحالة عن هذه الأعياد والأعراس والاحتفالات، أنّ معظمها احتفالات دينية وبعضها الآخر كان محلياً اجتماعياً، وقد شارك فيها لسلطين والأمراء وأفراد الشعب.

وفي بعض كتب الرّحلات، يوجد الكثير من الشواهد الدّالة على هذه المناسبات، فقد رسم الرّحالة صورا للمجتمع المحلي في مواسمه المختلفة، ووصفوا الشّعائر التي اعتاد أهل مكّة أن يؤدوها في مختلف المناسبات الدّينية، مثل: استقبال الهلال الوليد، واحتفائهم

(١) المصدر نفسه ٢٧٢/٢، وأنظر: الشّجوي، مسند الرحلة، ص ٢٠١

(٢) رحلة ابن بطرقة ٢١١/١ ٢١٢

(٣) أنظر: المصدر نفسه ٢٧٢/٢ ٢٨٢

(٤) المصدر نفسه ١٧٧/٢، وأنظر: الشّجوي، مسند الرحلة، ص ٢٠٦

بالمعرة الرجيشة، وما كان يجري فيها من غروح الناس ليلتها إلى شوارع مكة سألوا دج التي تلوح على ظهور الإبل كالثعالب المصرية، وإسعادهم السر على حجاب الطريق ويعادهم الشموع، وصبرهم الطبول وثوقات عهد رقية، لعلال شعاعاً يأتها ليلة الموسم، وكذلك وصف الرحالة ممارسة الناس لألعاب لموسبة أمام موكب الأمير، كعبهم بالسيف والفرس، ورميهم الخراف إلى الهواء وتناولها بسرعة، وركوب الأعراب الجمال ومسايق الخيل لها، ومرافقه الأمير إلى منزله على هذا النحو

وكان المؤذن يزد في قبة رمرم ويهتف بالموسم، والرجال في أثناء ذلك يتلاقون فيتصافحون ويتهددون، الذعاء والتاء كذلك، والكل قد لس أحسن لثياب واحتفل احتمال أهل البلاد للأعياد، وقال ابن جبير فمن لم يشاهدها بمكة لم يشاهد مرأى يستهدي ذكره عرابه وعجياً<sup>(١)</sup>.

ووصف بعض الرحالة حفلات الهند ومسلمين في الأعياد والرواح، فإذا كان يوم العيد خرج الناس للصلاة في الساحد، وعيهم الثياب الحسن الطيفة، وركب السلطان على رأسه الطيسان<sup>(٢)</sup>، ولا يلبسونه إلا في العيدين، ويلبس كل من القاضي والخطيب ولعمياء طيسابهم في كل يوم، وفي الطريق إلى المسجد يسير اسام بين يدي السلطان، وهم يرفعون أصواتهم بالتكبير وبين يديه العلامات الحمر من الحرير ثم يصلّي ويقف الخطيب بعد ذلك بين يديه يلقي مرعقة، وبين أصغلي يقف رجل في يده دمع يترحم مرعقة الخطيب إلى لعنهم. وبعد العصر من أيام العيد يخرج السلطان إلى مجلسه ويحيى رجلك يحملون السلاح المعجب من الذهب والفضة ودييس من ليلون، ثم يأتي ترجمانه

(١) رحلة بن جبير، ص ١٠٦، ١١٠، وانظر أيضاً في هفت الاحتمالات، البنية بما فيها المولد البوي رحلة ابن بطوطة ١/٢٦، وابن الخج البعري، فيض العباب، ص ٨٦-٨٧، واسن الأحمر، مشير هراذد خمان ص ٢٢٤ ٢٢٥، واسن أسى، روح الفاسي، عسي، الذخير، اسنة في تاريخ الدولة ابرمية، دار التصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص ١٢٤، ١٦٠، وابن حلقون، لتعريف، ص ١١٦-١١٧

(٢) ضرب من الأكسية، والطيلسان، لبس عربي، انظر، ابن منظور، لسان العرب ٣/١٢٥



بنسائه الأربع وجنوديه ويبلغ عددهن نحو مائة ومن في هذه المرة غير عرايا بل عليهن  
الذهب الحسان وعلى رؤوسهن عصائب الذهب والفضة. ثم يصب لترجمته كرسي  
عجل عليه ويصرب على آلة من قصب ويعني شعر يمدح فيه السلطان ويذكر عرواته  
وأفعاله الحسان، وتغني النساء والجواري معه ويلعنن بالنسي ومعهن نحو ثلاثين من  
الغلمان عليهن ثياب حر وعلى رؤوسهم عصائب بيض، وكل واحد مهم متقلد طبله  
يصره. ثم يأتي الصبيان ويلعبون ويتقلدون في الهواء، وهم في ذلك رشاقه وحفّة بديعه  
ويلعبون بالنسوف أجس لعب وكذلك يلعب الترجمان، ثم يأمر السلطان للجميع  
بالإحسان<sup>(١)</sup>

أما الأعراس، فقد تحدث عنها بعض الرحالة موضحين مراسيمها وترتيباتها الخاصة  
بها، ووصف ابن بطوطة عرس «بن ملك جاوة الذي شارك في الاحتفال به، بعد ذلك  
شاهد عيان على ما كان يجري من مناسبات احتفالية بهذه المناسبة، من مثل مجيء العروس  
من داخل قصرها على قدميها بأدب الوجّه ومعها نحو أربعين من الخواتين يرفقن أديابها،  
من نساء لسلطان وأمراته ووزرائه، وكلهن بأدب الوجّه ينظر إليهن كل من حضر من  
رفيع القوم جميع ويسب تلك بعادة هنّ إلا في الأعراس خاصة وصعدت العروس للعرس  
وبين يديها أهل الطرب رجالاً وساء يلعبون ويغنون، ثم جاء الزوج على فيل مزين  
على ظهره سريز ووقه قبة وألحاح على رأس العروس وعن يمينه وسارّه نحو مائة  
من أبناء الملوك والأمراء، ندى لیسو البياض وركبو، تخيل انزلة، وعلى رؤوسهم  
الثقاني المصنعة، وهم أثواب الأزواج لس فهم ذو لحنة وشرب السماير ولزاهم على  
الباس عند دعوته، وقصد السلطان بمظرة له يشاهد ذلك ويرل إليه فتبّ رجله، وصعد  
المهر إلى العروس، تقدمت إليه وقبّلت به، وجلس إلى جانبها والخواتين يروحن عليها،  
وحاموا بالقبول والتشول، فأحبه الزوج بيده وجعل منه في فمها، ثم أخذت هي بيدها  
وجعلت في فمه ثم أخذ الزوج بهمه ورقة تبول وجعلها في فمها، وذلك كلّ على

أعين الناس، ثم فعلت هي كعمله، ثم وضع عليها الستر، ورفع المنبر وهما فيه إلى داخل القصر، وأكل الناس وأتصروا ثم كان من العدد جمع الناس، وأجرى له أسوار العهد وبابه الناس، وأعطاهم العطاء الخول من الثياب والذهب.<sup>(١)</sup>

وكانت تقام بعض الاحتفالات شفاء السلاطين والملوك من الأمراض<sup>(٢)</sup> أو لمودتهم سلاطين من أسماهم، فحين قدم سلطان الهند محمد شاه من أسماه رُيت القيلة، وصنعت ثياب من الخشب مقسومة على طبقات، ونكس ثياب الحرير، ويكون في كل طبقة اخواري اللعيات عليهم أحمل الناس وأحسن حلة، ومهز روقص، ويكون ما من الثياب مفروشا ثياب الحرير، يطأ عليها مركب السلطان وترتج حيطان الشارع الذي يمر به من باب المدينة إلى باب القصر ثياب الحرير، ويمشي أمامه الشاة من عبيده وهم آلاف، وتكون الأفواج والعساكر خلفه.<sup>(٣)</sup>

أما الخيارات، فكان لها رتبانها الخاصة بها في بعض البلدان، ففي دمشق كانوا يمشون أمام الجارية يقرأون القرآن بأصوات شجية وتلاحين مبكية تكاد تنحس لها الغرس شجوا وحائنا يرفعون أصواتهم بها، فتلقاها الأذان بأدمع الأجعن، وجنازهم يفضي عليه في الجامع قبالة المقصورة، فلا بد لكل حارة من جامع، فإذا انتهوا إلى بابه قطعوا القراءة ودخلوا إلى موضع الصلاة عليها، فإذا استكملوا أو فرغوا من القراءة ونهى المجلس بهم منتهاه قام وعظهم وحدث واحدًا بحسب رتبهم في المعرفة، فوعظ وذكر وش على خدع الدنيا وحذر.<sup>(٤)</sup> وكانوا يرفعون أصواتهم بالده لكل من يصل للمراء من كبار البلدة وأعيانها ويقولون: "بسم الله فلان الدين، من كمال وجمان وشمس وندر وغير ذلك، إذا أمروا القراءة، قام المؤدبون يقولون أفتكروا واعتبروا، صلاتكم

(١) انظر: رحلة ابن بطوطة ٢٤٢-٢٤٣

(٢) انظر: المصدر نفسه ٣٩/١

(٣) انظر: المصدر نفسه ٦١، ٦٥، وبين الخاج المبري، فيض العباب، ص ٤٥، ٥٦، ٢٣١، ٢٣٧.

ومواضع متفرقة من الرحلة

(٤) رحلة ابن جبر، ص ٢٦٧-٢٦٨.



على بلان الرجل الصالح لعلهم ويصفونه بصفات من الخير، ثم يصلون عليه، ويهيمون به إلى مدته<sup>(١)</sup>

ولم يبق الرحالة عند هذه الظواهر الاجتماعية والدينية وحسب، بل نجد في بعض رحلاتهم إشارات لظواهر اجتماعية ودينية أخرى، ارتبط بعضها بالمأثور، والمتقدم الشمسي، ومنها أسحر ولشعوظ، والتنجيم<sup>(٢)</sup>

ونجد روى ابن سعيد أن الأمير عبد الرحمن الأوسط<sup>(٣)</sup>، قد قال عن التنجيم إنه حرفة ورجم بالغيب وأراد ابن الشمر<sup>(٤)</sup> أن يبرهن على صديق ما جاء به فقال للأمير: احتر في مقامك بما شئت، فقال: إن أبائي على أي باب من أبواب المجلس أشرح في قيامي صدقت بملك، فكتب بين الشمر في ورقة ختمت من اقتضى له الطالع، ودعا الأمير من فتح له باباً محدثاً في غارب المجلس الذي يلي مقعده، ثم خرج منه، وترك الخروح من أبواب المجلس الأربعة، وفتح الورقة فوجد فيها ما فعله الأمير، فتعجب ورسله<sup>(٥)</sup>

كما ألفت بعض كتب الرحلات الصوء على بعض المعتقدات الشعبية أو الحكايات الدالة على نوع من الثقافة ليلية، فاهل السودان، مثلاً كانوا يكافحون القمل بالرقص<sup>(٦)</sup> وكذلك وصف ابن بطوطة طريقة علاجهم لسم الخينة، حيث كانوا يحرقون جملًا، وتدخل يد المصاب في كرشه، وتقرأ كذلك ليلة، ثم يشار لحم أصعده، فتقطع من

(١) رحلة ابن بطوطة ٩٨/١، وانظر بعض لعادت في الجزائر والدفع، المصدر نفسه ١٢٨/٢، ٢٢٧.

ونظر: ابن الحاج السبهي، بعض المقاييد ص ٣٨-٤١

(٢) انظر: رحلة أبي حامد الغرياني، تحفة الأديب، ص ١٣٧، ورحلة ابن بطوطة ٤٢/٢، ١٤٩.

١٥٠، ١٥٤، ١٥٧، ٢٢٣، ورحلة الجنبي، ص ٣١٤.

(٣) انظر ترجمته في الدراسة، ص ٢٤، والخاتمة رقم ٥

(٤) هو عبد الرحمن بن الشمر صمم الأمير عبد الرحمن الأوسط، انظر: انقري، مع الطبيب ٣/ ١٣٠

(٥) انظر: ابن سعيد المغربي، لمرب، قسم الأدب، ١٢٦/١-١٢٧

(٦) انظر: رحلة ابن بطوطة ٢/ ٢٦٩



الأصل<sup>(١)</sup> وكان لبعض البربر تجاورين لنهر من أنهار بلاد المغرب تجارب منها أن المريض إذا أرادوا أن يعلموا هل هو يستريح أو يموت حلوه لأرام العين بذلك الوضع الموهول، فبعطسونه فيه حتى يقرب أن يطفئ، ثم يحرقونه فإن حرق على فمه دم فيستشرون بحياته وإن لم يخرج من فمه دم أيقنوا بهلاكه<sup>(٢)</sup>

وبعد، فقد امتازت المدن الإسلامية في المصور الوسطى بحياة اجتماعية ودينية متنوعة الثقافات ومتباينة المؤسسات والمنشآت ومتعددة العادات والتقاليد تبدأ لاختلاف الأوضاع الجغرافية والجذور الحضارية، ومهما يكن الأمر، فإن الروح للإسلامة ونعالم الدين جعلت بين تلك المجتمعات قدراً كبيراً من عناصر الوحدة يجمع بينهما

### خامساً: صورة الآخر

كانت الفتوحات الإسلامية والتجارة والاتصال بين البلدان والحروب الصليبية، يوفد للاتصال بالآخر، وكتشاف ثقافته وحضارته. ومع تسارع أرجاء الدولة الإسلامية التي أصبحت مترامية الأطراف، نشطت الرحلة وتوسعت مجالاتها، وأخذت تخضع رؤيتها إلى الآخر لقليل من الجدل والتبجح في مختلف مجالاته والمظاهر المادية. وللأسف، والمعاداة والتقاليد، وكل ما يساهم في حدوث لاردهار الحضاري، فدفعها الحنين لوصفه وإشادة به. في حين أن انقيص دعائها لبلده ونقده، لمخالفته تعاليم الدين الإسلامي

وجاءت الرحلة في مواجعة بين الذات، الآخر، والآخر، الغير، لاكتشاف الأفاق الأخرى والكيف مع قيم الإنسانية، ورسم ملامح هذه الصورة من خلال تسليط الضوء على ملامح الحياة القروية والاجتماعية والدينية للذات والآخر في تلك المصور التي تمثل نظاماً معرفياً فكرياً للدولة الإسلامية، يقوم على أساس مفاهيمه العربي على الأعجمي<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر، لمصدر نفسه ٢٧٠، ٢. وكذلك ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥،



وتعدّ رحلة ابن جبير نموذجاً للدراسة الذات والآحر، فقد تضمنت بعض الإشارات الدالة على حضور الذات والآخر في الرحلات<sup>(١)</sup>، كما أظهرت هذه الرحلة، ثقافة الذات وتغيرها الديني والحصاري من خلال الإشادة بعبد صلاح الدين الأيوبي، وإرادته للضرائب التي كانت تؤخذ على الحجاج، وغيرها من المكوس التي كانت تؤخذ على كل من يباع ويشترى فكفى الله للمؤمن على يدي هذا السلطان العادل حادثاً عظيماً وعظماً أليماً<sup>(٢)</sup>

وقد كان لبعض الأدبيين والمعارضة دور أساسي ساهم في الوقوف ضد الصليبيين من أجل تحرير مدينة القدس، حيث لم تتخذ المقاومة للصليبيين ببلاد الشام شكلاً فردياً، وإنما احدثت صورة جماعية. الأمر الذي جعل الصليبيين في الغرب يلجؤون إلى اتخاذ إجراءات ضد المغاربة فيجسّد بقرصنة شديدة عليهم دون غيرهم، وذلك جراء مشاركتهم العرب المشاركة في حروبهم ضد الإفرنج. وذكر ابن جبير أن أحد الحصون كان مكاناً لمعكس لقوافل، وسبها أن طاعة من اتجدهم غرب مع نور الدين أحد الحصون فكان لهم في أخذه غنى ظهر واشتهر، فجازاهم الإفرنج بهذه الصرية المكسبة الرموها رؤوسهم، فكل مغربي يزن على رأسه الدثار المذكور في احتلامه على بلادهم وقال الإفرنج إن هؤلاء المغاربة كانوا ينتفون على بلادنا ونسالمهم ولا يرأهم شيئاً، فلما تعرضوا لحرب وتالبوا مع إخوانهم المسلمين علينا وجب أن نضع هذه الصرية عليهم، فلمعارفة في أداء هذا المكس سب من لذكر الحمل في تكايتهم العدو يسهله عليهم ويخفف عنهم<sup>(٣)</sup>

(١) إيفانز بي. الحديث عن الإكسارات والذلالات في رحلة ابن جبير IAN BICH ARO (199) "Basic Structures And Signs of Alienation in The Rihla of Ibn Nettoni" *Jubayr Journal of Arabic Literature*, XXII, p. 37

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٣٩

(٣) رحلة ابن جبير، ص ٢٧٤

بدا الإشارات المنتشرة في نص رحلة ابن جبير، تكشف عن حضور الوجود المسيحي في العالم الإسلامي، هذا الحضور الذي بدأ من تلك الإشارات أنه تطفل، كما كشفت أيضاً أن هذا لدخيل العربي في الحصاره المبنية بلعب دوراً م. ومن هذه الإشارات

- الصليب المسيحي الإفرنجي، وقد عده ابن جبير إشارة للظلم والاضطهاد ولرمر لأساسي للمعتدي الذي احتل بعضاً من المواقع والأماكن المقدسة لدى المسلمين، كما في مدينة عكا التي نستعر كمرأ وطعياً، وغور حدير وصلباناً، اترعها الإفرنج من أيدي المسلمين في العشر الأول من المئة السادسة، فبكى لها الإسلام ملء جفونه، وكانت أحد شجونه فعاتت مساجدها كنائس، وصوامعها مصارب للنواقيس<sup>(١)</sup>

وارتبط الصليب الإفرنجي في نص ابن جبير بالقدره العاحشة التي أحرقت المدن الإسلامية، فقد أصبحت مدينة عكا قلعة مملوءة كلها رجساً<sup>(٢)</sup> لغا مدينة مسينة من جزيرة صقلية فهي مظلمة الأفاق بالكمر لا يقر فيها مسلم فرار، مشحونة بمعدة الصليان مملوءة نتأ ورجساً<sup>(٣)</sup> وعاش عبدة الصليان في هذه المدينة المملوءة بالرخاء والرهبة ولمسلمون معهم على أملاكهم وضياعهم، قد حسروا السيرة في استعمالهم واصطنائهم -لذلك- صربوا عليهم إناوة في مصاب من العام يذوقها<sup>(٤)</sup>

وقد عانى المسلمون الكثير من الآلام النسيه تحت ظلم عبدة الصليب الإفرنجي في مدن جزيرة صقلية، فكان الصليب مرأ للردة عن الدين، حيث بذل عبدة الصليب كل ما بوسعهم ليعارق المسلمين دينهم، وينغمسون في التصانئة، ويحفظون الإنجيل وتراوين شريعتهم، ويجعلون مساجدهم كنائس وعلق بن جبير على ما سمع من تحول بعض

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٦

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩٦

(٤) رحلة ابن جبير، ص ٢٩٧



المسلمين عن دينهم، فقال: ومع ذلك فأعلمنا أنه يكتم إيمانه، فطمعاً داخل تحت الاستثناء في قوله (إلا من لكره وقلبه شططن بالنيار)<sup>(١١)</sup>

وأظهرت رحلة ابن جبير أن الصليب علامة ترمز للثروة والرخاء والازدهار الاقتصادي الذي غمر المسيحيين في مدن حميرة صقلية، وقدم ابن جبير وصفاً لذلك من خلال عدد الكنائس لصحة المخرقة المربعة كلها بمصوص الذهب، التي صيغت صلباتها من الذهب والفضة<sup>(١٢)</sup> وكان من جبير يصرّح برأيه في أولئك عبدة الصليب الإبراهيمي وأصحاب القنطرة والرجس، من خلال إشارات قليلة جاءت في رحلته، ومنها أنهم ملعونون، وخازير، وكذلك أطلق على أمهاتهم<sup>(١٣)</sup>

— منك صقلية، غديام الذي وصفه ابن جبير، بأن شأنه عجيب كي حسن الشيرة<sup>(١٤)</sup>

وفد أعدش ابن جبير إعجاب هذا الملك بالحضارة الإسلامية، واستعماله للمسلمين في إدارة مملكته وحكمها<sup>(١٥)</sup>، فهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن إليهم في أحواله وانهم من أشعاله<sup>(١٦)</sup>، وهو يشنه في الانعاس في نعم الملك ورسب قواسه ووصح أسانه وتقسيم مراتب رجاله، وتفخيم آبهة الملك وإظهار ريته بملوك المسلمين ومن عجيب شأنه أنه يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته على ما أعلمنا به أحد خدمته المحتصى به الحمد لله حقّ حمده، وكتاب علامة أبيه الحمد لله شكراً لأنعمه<sup>(١٧)</sup>.

(١) سورة البقر / الآية ١٠٦

(٢) رحلة ابن جبير ص ٣١٣

(٣) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٣٠٣-٣٠٦، وأبي حامد الغزالي، رحلة للعرب ص ١١، ٧٢، ١٧٥ -

١٧٦، ورحلة ابن بطوطة ١/ ٧٩، ٢٧٤، ٣١٩، ٣٢٢

(٤) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٢٧٤-٢٨٢ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٧

(٦) مؤلف، غمد، (١٩٧٣) لود من أدب الرحلات. الإسكندرية، ص ١٥

(٧) رحلة ابن جبير، ص ٢٩٨

(٨) رحلة ابن جبير، ص ٢٩٨

وعلى الرغم من ذلك فقد عذّب ابن جبير مشركاً، كافراً بلقيّة، حبيفاً تجاه مسلمي صقلية فيما يخصّ الإيجار على التحول إلى دين أو مذهب جديد، ويدعو أن ينفذ الله المسلمين من إثمهم وتجبره، وتكفى الله المسلمين عاداته وبسطته<sup>(١)</sup>. كما دعا المسلمين إلى اليقظة والحذر من هؤلاء المسيحيين المهذّبين، الذين يهودون من وراء هذه السلوك المهدد تجاه المسلمين كما يرى ابن جبير - إلى إحداث الفتنة، والشهامة واللفظ ما هما إلا تصليلاً، وفي ذلك يقول وطوائف التصاري يتفقوا فيأدرون بالسلام علينا ويؤنسوننا، فرأيا من سياستهم ولين مقصدهم مع المسلمين ما يوقع العتة في نفوس أهل الجهل، عصم الله جميع أمّة محمد، صلى الله عليه وسلّم، من لئنة بهم بمنزلة ومنه<sup>(٢)</sup>.

وفدّته بعض الرّحالة أيضاً مثل هذا الخطر حين أصبحت أراضيهم تحت النفوذ النصارى وفصلوا لبقاء في وطنهم، ولكنهم كانوا مهذّبين في فيهم الدينيّة والحضاريّة، فنشر هؤلاء الرّحالة بأنّ واجب الأخوة الدينيّة يفرض عليهم أن يقتسموا خدمات هذه الأقلية، التي كان يهددها خطر الجهل تعاليم الدين، وما يتبع ذلك من خطر التصير الاختباري أو الإحصائي، لذا عبد الرّحمان عبد الله بن الصّباح الأندلسي - ومن خلال رحمة - إلى التأكيد على بعض المظاهر الدينيّة التي كانت الغاية منها تمجيد الإسلام وتعزيزه في نفوس أهله من المدجنين وهو في حديثه لم يقتصر على ذكر الأماكن المقدسة الإسلاميّة، وإنما ذكر الأماكن المقدسة النصارى واليهوديّة أيضاً<sup>(٣)</sup>.

أمّا من بطونة، فقد عذّب التصاري الإبراهيم أهل عذر<sup>(٤)</sup>، وثار حين سمع أصوات الوقيس في الكنائس، وأمر أصحابه أن يصعدوا الصومعة ويقرأوا القرآن ويذكروا الله

(١) نفس المصدر والصفحة

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(٣) انظر، شجرة، حمة. (١٩٩٤) بعض مظاهر الدينيّة في رحلة عبد الله بن الصّباح الأندلسي،

دراسات أندلسية، عدد (١٢)، ص ٣٧-٣٨

(٤) رحلة ابن بطوطة ١/٣١٤، وانظر - من مخطوطات الترغيب، ص ١٢٥



ويؤذنتوا فعملوا ذلك<sup>(١)</sup>. كما ناز وخضب لرؤيته طليباً يهودياً يقفم عسى المسلمين في بلاط أحد سلاطين الذول الإسلامية، فأحد يشتمه ويصفه بالملعون ابن الملعون، إذ كيف يجلس فوق قراء القرآن وهو يهودي<sup>(٢)</sup>.

- العرس المسيحي في مدينة صور. فقد سحر ابن جبير به، واعترف بأنه مطر مثير، حيث أعجب بملابس وحلى العروس. وصلى ليبنى بعيداً عن أي فتنة قد تبرر من حلاله، ويلمح هنا استخدام ابن جبير للكلمة العتة مره أخرى، وقد استعاد بالله منها ومن وصفه لهذا العرس، قوبه. وقد احتفل بذلك جميع الصاري رجالاً وساء واصطغوا سماعين عند باب للعروس المهددة، والبوقات تصرب والزماير وجميع الآلات الدهرية حتى خرجت تنهدى بين رجلين يسكنانها من يمن وشمال كأنهما من ذوي أرحامها، وهي في أهى زي، وأفخر لباس نسج أذيال الحرير المذهب سحاً على الهيئة المعهودة من لباسهم، وعلى رأسها عصاة ذهب قد حُفَّت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى ألبتها مثل ذلك متعظم، وهي رائلة في حليها وحليها، تمشي منتر في فتر مشي الحمامة أو سير الغمامة، نمرذ بالله من فتنة المناظر.<sup>(٣)</sup>

- أعيد الصاري، حيث يجتمعون به صغاراً وكباراً، ذكوراً وإنثى، ويوفدون الشموع ويصنّون صلواتهم، وقد لست التصريات ثبات الحرير المذهب، ومطّرون وتحفّضين وترقّين بالغلي والجوهر، ووصف ابن جبير وهو في عكا عيداً لهم، فقال احتفلوا له في إسراع الشمع، وكذا لا تخلو أحد منهم، صغيراً أو كبيراً، ذكرأ أو أنثى، من شمعة في يده، وتقدم قيسروهم للصلاة في المركب بهم، ثم قاموا واحداً واحداً لوعظهم وتذكيرهم بشرائع دينهم، والمركب يزهر كله أعلاه وأسفله سرجاً متقددة<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر نفسه ٢٩٥/١

(٢) انظر: رحلة ابن بطوطه: ٢٧٢/١

(٣) رحلة ابن جبير، ص ٢٧٨-٢٧٩

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٦، وانظر أيضاً، المصدر نفسه، ص ٧

ومما سبق، فإن ما ذكره بن جبير من التصاري لا يعد تضارباً في الآراء، فالجواب الإيجابية التي لمها في صورة الآخر برّها فتحاً يحاولون إيقاع المسمين فيه، وجذبهم نحو دينهم، وهو وإن أعجب بجماعة مسيحية وبعاداتهم وطباعهم من وقت لآخر، إلا أنه لم يحب حقيقة المسيحية، فقد أعجب وأشاد بالمهارة البحرية لقائد بحري مسيحي، وهو كاره بوضوح لحقيقة أن ذلك القائد البحري يرث ممتلكات كل من الحجاج المسيحيين والمسلمين الذين يموتون في الرحلة البحرية على متن القارب المحر من عكا<sup>(١)</sup>

وإن جبير، حين يصور ردة فعل الذات العربية السليمة التي أثمرت بالنزوى والطاعة والإيمان بالقضاء والقدر، وهي تواجه تحطم السفينة التي يركونها، بصور الآخر المعمم بالحر والأكس وفلة الإيمان ثم يسلط الضوء على المحصور الخارق للملك المسيحي في حادثته السيئة العازبه، مصوراً ذلك باللفظ الإلهي تجاه المسمين ومن جمل صنع الله عز وجل - لنا ولطفه بدا في هذه الحادثة، كون هذا الملك الرومي حاضراً فيها<sup>(٢)</sup>

وقد كانت تلك الإشارات وغيرها، هي نفسها التي تنقي الضوء على تلك الشعوب وهي تعيش في جو من التسامح والعلاقات التجارية الودية، حتى إن بعض البلدان كانت مفتحة لمجار المسلمين وانصردى من جميع الآفاق<sup>(٣)</sup> وكان مجار التصاري يشكلون مصدر دخل عظيم للدولة الإسلامية، فهذا كان حكام ثلاث الدول يحرصون على أمنهم وحياتهم<sup>(٤)</sup> وقد تضمنت بعض كتب الرحلات بعض الإشارات التي كشفت عن التقاء بعض الرحالة بعدد من علماء اليهود والنصارى<sup>(٥)</sup>، ورغم ما كان يلاقيه المسلمون من اليهود والنصارى في البر والبحر من أسر وهجوم وممارسات صيئة<sup>(٦)</sup>، إلا أن الرحالة قد

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨٧

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٢٩٥

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.

(٤) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢٩/١، ٣٠، ٢٩٥، وابن الخطيب، حاضرة الطبع، ص ٤٨

(٥) انظر، بن جبير، قانون التأويل، ص ٩٥-٩٦، وابن خلدون، التبريد، ص ١٢٨

(٦) انظر، العبدري، الرحلة المغربية، ص ٣٧، وابن خلدون، التبريد، ص ١٢٥



اعترفوا بذلك. بعض أوثق العلماء وبراعة اليهود والنصارى في فنّ الحصار، وبعض الصناعات، ومن ذلك ما ذكره ابن خلدون حين رر الأندلس، بأنّه انصرف إلى مدقّ الخليل عليه السلام، ومزّ في طريقه إليه بيت لحم وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح، شيدت القياصرة عليه بناء يساطين من العمد الصخور، متجدة مصطفة، مرفوعاً على رؤوسها صور ملوك القياصرة، ونورين دولهم، ميسرة لمن يتمي تخييق نقلها بانتراحه العارفين لأرصاعها، ولقد شهد هذا المصنع بعظم ملك القياصرة وضخامة دولتهم<sup>(١)</sup>.

أما السمر التي كانت تقطن المسلمين والنصارى، فقد بدت ومرأ للوحد ولصدقة، حيث جعلت بينهما في عالم صغير من الكلّ المسيح، ولتحرق بعلاقات تسليين ولسيحيين بلامح من الثقة والعرفان، في حين أنّ لقتال كان دائراً بين الطائفتين<sup>(٢)</sup>.

وبعد، فقد استطاع الرّحالة أن يقدموا للأجيال صفحات من تاريخ البلدان التي كانوا يمرّون بها في سمرها وحربها، فجمّلت كتب الرحلات في طبائنها قدرأ كبيرأ من الأحداث مما جعلها تدخّن في عداد مصادر التاريخ سواء في جانبها السياسي والاقتصادي أو الثقافي والاجتماعي، وهي مادة تميد المؤرخين والدارسين وتمنح لهم بعض الأدق التي قد لا تيسرها لهم مصادر التاريخ<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن خلدون، التبريع، ص ٣٨٥، وانظر أيضاً: رحلة ابن جبير، ص ٢٩٨-٣٠٦، ورحلة بيلمين الشطبي، ص ١٠٠-١٠٩، والمعنري، الرحلة المغربية، ص ٤١-٤١٠، ورحلة ابن بطوطة ٢٥٧/٦.

(٢) انظر: رحلة ابن جبير، ص ٢٦٠.

(٣) المعنري، عباس، (١٩٧٧) الرحلات كمصدر للتاريخ، مجلة التبريع، السنة الأولى، العدد (٦٦).





## الفصل الثاني

### الرحلات والتفاعل الثقافي

كانت الرحلات لوناً من ألوان التبادل العكوي ولأدبي، إذ ملئت واسطة استكاش بين الثقافات المختلفة من جانب، وأداة تعامل داخل الثقافة الواحدة من جانب آخر، بحيث أضافت الشعوب بعضها من بعض، كما لمس الرحالة العوارق بين مختلف الثقافات في البلدان التي قصدوها، وألما بمظهر الحضرة في تلك البلدان، وربما أصبح بعضها جزءاً من التكوين الثقافي للرحالة، أو شكّل بعضها الآخر صراعاً حضارياً في فكر الرحالة، لا سيما موافق الحرية والمساواة، فابن بطوطة يثير دهشته أن لرحال مدينه إيولاني في السودان، صواحب من السماء الأجنيات، حيث يقول: دخلت يوماً على قاضي إيولاني بعد إذنه في الدخول. فوجدت هذه امرأة صغيرة السن بديمة الحسن، فلما رأيتها روت وأردت الرجوع، فضحكت مني ولم يدركها حجل، وقال لي القاضي لم ترجع؟ إنها صاحبي! فعجبت من شأنهما، فإله من الغلهاء الحجاج<sup>(١)</sup> وقد أدت الرحلة دوراً كبيراً في الكشف عن مختلف الثقافات الإنسانية. الثقافة والعروة ولدينية، وجوانب الحياة اليومية البشة، والملبس، والمأكول، ولعادات والتقاليد، ولاحتفالات، والحكايات الشعبية. ولأثر الرحالة بين وقع مجتمعاتهم واجتمعت الأعرى التي قصدوها، حيث العمل لرحالة يشبههم. ثم انقلوا إلى شوب أخرى ونقعات جديدة، وعدادوا بعد ذلك إلى بلادهم يشخصية صفقتها التجارب، ويشاعرت زودتهم بها حضارات وثقافات متعددة.

ويرى عبد القادر رمانة أن ابن رشيد والتجبي ومعاصرهما الرحالة العبدري قد خرجوا من المغرب بعدما طعنهم نفاقها مطاع حاصر، ودفعتهم إلى محاولة المزيد من المعرفة مع الربط بين ما عاشوا فيه من عطاءات مغربية وأندلسية وبين ما تحتفظ به أعمار تونس ومصر ولشام والحجاز من عطاءات أخرى جادت بها فرائح، ومو هب شتى في موضوعات شتى.<sup>(٢)</sup>

(١) رحلة ابن بطوطة ٢٧٢/٢

(٢) رمانة، عبد القادر، (١٩٨٢) لرحالات السبتي بن رشيد والتجبي، مجلة لأهل، وزارة الشؤون



ويؤكد شوقي ضيف لدور الكبير للمشرق في إفادة الأندلسيين علمه وفكره، فجل ما ألقاهه أندهم من المشرق، إذ نقلوا الثروة العلمية الشرقية إلى بلادهم بكل ما فيها من فقه ولغة وبحر وفلسفة وطب<sup>(١)</sup>، فمعظم كتب الأدب والتاريخ والرحم الأندلسية والغربية تتحدث عن أعلام وضعها الذين نرحوا نحو المشرق لتحقيق غاية ما، وقصوا شطراً من حياتهم بالأندلس والشرق الآخر في المشرق، ولعل خير نموذج لهؤلاء الرحالة ابن سعيد المغربي<sup>(٢)</sup>.

ونشير بعض المصادر إلى كثرة المرحّلين الأندلسيين ولعادته إلى المشرق، فقد مضي أحد أرماض غرناطة لخارجية رحور الوداع: لكثرة عدد المسافرين من غرناطة حيث اعتاد المرناطيون في هذا المكان توديع أههم وأحبهم قبل رحيلهم<sup>(٣)</sup>.

ولم يقف الأمر عند انتقال علماء الأندلس والمغرب إلى المشرق أو ارتحلهم إليها، بل إن علماء المشرق كانوا يعدون إلى الأندلس والمغرب، وكانت كتبهم ترافقهم في رحلاتهم، مما أنبا بمركة ثقافية متبادلة ساهمت في نمو الحركة العلمية والفكرية في الأندلس والمغرب، فقد انتقلت الحياة اللغوية والأدبية في الأندلس والمغرب إلى طور جديد عالي المستوى يساهمات عدد من علماء المشرق، ومهم الصالي<sup>(٤)</sup> حيث قام بالتدريس في

(١) ضيف، شوقي، (١٩٦٠) المص ومناهج في الشر العربي، ط٣، القاهرة: دار المعارف، ص ٣١٧.

(٢) نموذج ابن سعيد المغربي في مختلف الأمصار، والنقش بأكابر العلماء، ورأي أفضل كتب اشارقه،

انظر، مع الطب مخصصاً من الإحاطة ١/٢٠٩، ٢/٢٧٢، ٢٧٣.

(٣) انظر، بن الأحمر، أبو الوليد الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد، (ت ٨٠٧هـ) ثمر فرائد الجمال.

في نظم ضحول الزمان، تحقيق محمد رشوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٩٥.

(٤) هو أبو علي إسماعيل بن القاسم الثاني (٢٨٨هـ - ٣٥٦هـ) صاحب الأنتالي والسواد، وعد علي

الأندلس أيام الباصر أمير المؤمنين عبد الرحمن، انظر ترجمته، ابن خلكان، وفیات الأعيان

١/٢٢٦-٢٢٧، رياضات الحموي، معجم الأدياء ٧/٢٥، وأس العلماء، خلي التليدات

١٨/٣، والفري، مع الطب ٣/٧٠، ٧٥، وبالشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ١٧٢ والأمثلة

الذاتة على كثر، الترجيح من علماء المشرق إلى الأندلس والمغرب مع بها كتب المصادر ومها

مع الطب الجزء الثالث

قرطبة، وحُرِّجَ عدداً كبيراً من العلماء، وزود الأندلس بمجموعة ضخمة من الكتب الغررة المضيطة في مجال شعر والنقطة<sup>(١)</sup>

وعليه، فقد عذت الرحلة عاملاً مهماً من عوامل التفاعل الثقافي حيث ترك الرحالة الأندلسيون والمغاربة آثاراً قيمة في البلدان التي قصدوها، كما سهلوا معرفة واسعة من تلك البلدان أفادوا بها شعوبهم بعد عودتهم لبلادهم، ومثلت جوانب التفاعل الثقافي في الرحلات الأدبية والمغربية بصورة عدة، حاولت لدراسة إحاطتها بما يلي.

### أولاً: الحياة الاجتماعية ودينية

لا شك أن تنوع العناصر ولغات والطبقات والطوائف في المجتمعات، ترك أثراً واضحاً في الحياة الاجتماعية والدينية في العصور الوسطى، فقد عكست الرحلات صور مظاهر الحضارة والتقدم في مختلف البلدان التي قصدتها الرحالة، فالتقت الرحلات الضوء على أحوال المعيشة، والعادات والتقاليد ولأعياد والأعراس والأزياء، والملابس، وأصناف الأطعمة والأعذية، وغيرها حيث أخذ الرحالة يعقدون مقارنات عدة لاستجلاء أوجه الشبه أو الاختلاف بين مظاهر التلاحق والتفصل في الجوانب الاجتماعية والدينية والثقافة والمكرية بين مختلف شعوب البلدان التي زاروها، وقد حاولت الدراسة حصر بعض هذه المؤثرات في المجالات التالية

#### ١ المصاحرات

إن الامتزاج والتفاعل بين أفراد المجتمعات، وخاصة عن طريق المصاهرة قد ساهم في ازدياد الصلات وتوثيقها وتماسكها، ولا شك في أن هذا التمازج الاجتماعي والعرقى أثر تأثيراً واضحاً في المجال الثقافي، فتلاقحت الثقافات، وتمازجت الحضارات، ضمن ميدان التأثير والتأثر<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر، إلى نعرصي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف، دت ٢٠٦هـ تاريخ العلماء بالأندلس،

د ١، تحقيق روجيه عبد الرحمن السويحي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧، ص ١٧

(٢) انظر، لمطفي، عبد الله بن سالم، (١٩٩٤). لمطور الحضاري لثقافة الأدي في الأندلس، حورية



وفد أشارت الرّحلات لأندلسية وغربية إلى بعض النّساج من زواج العلماء ولرحالة نساء أجنبيّات، ومنها رواج أبي حامد الغرناطي في بلاد البحر بجاوية رومية، حيث ررق منها بولد ومات، فأعتقها وسمّاها مريم<sup>(١)</sup> وكذلك تروّج وبه لأكر حامد بسيدنين من أهالي بلاد البحر وررق أولاداً<sup>(٢)</sup>، كما تُخذ لرحالة إبراهيم الساحلي إمأة للتسرّي من الرّغبات وررق أولاداً مهن وهو في بلاد السودان<sup>(٣)</sup>

أمّا ابن خلدون، فحينما زار الأندلس، تزوّج بفتاة إسمانية، تدعى هدا، ولعلّ هذا ما شجّع ابن الخطيب على أن يطلب من سلطان المغرب أبي سالم لموسى أن يهدية جارية إسمانية<sup>(٤)</sup> في حين دخلت المرأة حياة ابن بطوطة مشكّن واسع لاسيّما في بلاد التّرك حيث كان ابن بطوطة موضع تكريم المسلمين وحكّامهم في مختلف البلاد التي تصدها، فأنعموا عليه بالكتير من الخوري، وزوّج عدداً من نساء<sup>(٥)</sup>، وبهذا فإنّ الرّحالة قد جسّدوا صورة هذا التمازج الاجتماعي والثقافي لأنّهم هموا في أنفسهم ثقافات مختلفة وتأثروا بها

ومن جانب آخر، أظهرت بعض الرّحلات حرص المسلمين على مشاركة جيرانهم النصارى في أمّراتهم، حيث يصف بن جبير مشاركة المسلمين والنصارى في احتفال النصارى بمرس نصراني في مدينة صور، فعزل المسلمون وناث النصارى من الطّفل قد عادوا في طريقهم سماعين، يتظلمون فيهم ولا يتكبرون عليهم ذلك، فساروا بها حتى أدخلوها دار بعليها، وأقاموا يومهم ذلك في وليمة<sup>(٦)</sup>

(١) انظر، أبو حامد الغرناطي، نقعة الألبان، ص ١٤٠

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٢

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري. ولد (٧١٣هـ) جواب لأنّ دخل مصر والسودان ودعمش والعراق. بقي في السودان أوائل ٧٣٩هـ انظر ترجمته، ابن الخطيب، الإحاحة

٣٣٧-٣٧١، والغري، هج الطيب ٣/ ٤٦٠

(٤) انظر، ابن الخطيب، عاصمة الحراب، ص ٦٨، مشرّاح غدار العبادي

(٥) انظر، رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٤، ٣٣٩، ٢/ ٩٤، ١٨٥-١٨٦

(٦) رحلة ابن جبير، ص ٢٧٨، ٢٧٩

أما الطَّلَاق، فقد حاول بعض الرِّحَالَة تغيير بعض العادات السيئة والحفاظ، حيث ذكر ابن بطوطة أنه عندما ولي القضاء في دلمِي أراد أن يغيّر بعضاً من عادات السيئة، وأول مغيّر مكث المظلمات في ديار المظلمين، وكانت إحداهن لا تزال في دار المظلم حتى تتزوج غيره، ويقول ابن بطوطة: فحسنت علة ذلك، وأوتي إليّ نحو خمسة وعشرين رجلاً من فعل ذلك، فصرتهم وشهرتهم بالأسواق، وأخرجت النساء عنهم ثم اشتدّت في إقامه الصلوات . وحدث أن أكسو النساء، فلم أفلح على ذلك<sup>(١)</sup> وفي هذا ما يؤكد دور الرِّحَالَة في التأثير في بعض المجتمعات التي زاروها، وقدرتهم على تغيير بعض الجوانب الخاطئة في حياة تلك المجتمعات

## ب الأعياد والاحتفالات

بدأ عهد العطر والأضحى وعهد المولد النبوي<sup>(٢)</sup>، من الأعياد النبوية التي شاركت فيها الأندلس والمغرب والعالم الإسلامي، فقد فهم عن تعايش الأندلسيين والمغاربة مع مختلف عناصر المجتمع، شيوخ بعض الظاهر التي تمثل التمازج الثقافي والحضاري بين سكان الأندلس والمغرب كـ، حيث اشعت دائرة الاحتلاط، فالمسلمون والنصارى في مدينة أطرابش من حرية صقلية يقيمون معاً، ولكلا الطرفين المساجد والكنائس<sup>(٣)</sup>، وفي مدينة عكا كانت غاربيت تجمع المسلمين والإفرنج معاً يستقبل هذا مصلاه وهذا مصلاه<sup>(٤)</sup>

وحملت كتب الرِّحَالَة بالعديد من صور التعايش بين شعوب البلدان التي قصدتها الرِّحَالَة. البلاد الإفرنجية والاسبانية، وبعض البلاد الأوروبية، وأشار بعض الرِّحَالَة إلى

(١) رحلة ابن بطوطة ١٨٦/٢

(٢) انظر، لمصدر نفسه ١١١/ ٢ ١١٥- ٢٧٩، وابن الحاج الميري، فض الصواب، ص ١٤٩- ١٥٠.

وبن خلدون، الترخيف، ص ١١٢- ١١٦

(٣) انظر، رحلة ابن جبير، ص ٣٠٨

(٤) للمصدر نفسه، ص ٢٧٧



نواحي التمازج بين الحضارات، حيث وصف بن بطوطة شيء من التفصيل نواحي التمازج بين الحضارتين الإسلامية والحديثة فذكر العديد من الأعياد والاحتفالات التي تشع إلى تنوع ثقافات وتباين لتقاليد ولعادات، وطبيعة لتقاضي بين اليهود وغيرهم ومن ذلك ما وصف به ابن بطوطة ليلة العيد في قصر سلطان دلفي محمد شاه حيث يقرب وإذا كنت ليلة العيد بحث السلطان إلى الملوك، والخواص، وأرباب الدولة، ولأعيان، والكاتب، والخبز، والتقاء، والفوائد والعيد، وأهل الأخبار الخلق التي تتمهم جميعاً، فإذا كانت صبيحة العيد زينت القبة كلها بالحزير والذهب والجواهر ويركب السلطان فيلاً منها، وترفع أمامه العاشية، وهي ستارة سرجه وتكون مرصعة بأحسن الجواهر. ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه. ويمشي بين يديه أيضاً انقباء ويركب قاضي القضاة وكبار الأعيان من الخراسانيين والعراقيين، والشعبيين، والمصريين، أو المغاربة، كن واحد منهم على يسار<sup>(١)</sup>.

وحرص الأدليسون والمغاربة على الاحتمال بعيد المولد السوي. احتمالاً كبيراً، حيث أخذ بعض الرحالة يظلمون الأشعر في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. وذكر معجزاته<sup>(٢)</sup>، وما تميزت فيه هذه الاحتفالات أيضاً، إيقاد الشموع اللزنة وإطعام الأصعدة المختلفة، وتوزيع ماء الورد، كما كانت توزع صلوات كثيرة، وتؤدى لديون عن المسجونين الذين عجزوا عن أداء الديون وعن الأموات كذلك<sup>(٣)</sup> وقد أشار المشتالي إلى أن شيخه أبا مروان كان يذبح -في مولد أبي عليه السلام- من ابقر والعنم ما يكفي الآلاف من الناس، فيأكل المحقر والمهم، والعقراء يفتريون إليه من اللدن،

(١) رحلة ابن بطوطة، ١٢/٢

(٢) انظر: بن حقدون، التبريد، ص ١١٢، ١١٦، والمشتالي، مجلة المغرب، ص ١٠٨. وانظر غادج من

هذه الأشعر، الدراسة، ص ٧٠

(٣) انظر: بن الحاج السري، بعض العباد، مقدمة تحقيق، ص ٨٧ وانظر رحمة بن بطوطة

فريدون على أحصص ما كان من بشاشة وبرٍّ وإمكان، فيبقى الإطعام والسَّماع في كلِّ ناحية ثمانية أيام متوالية<sup>(١)</sup>.

أمَّا غراميم والاحتفالات التي كانت تقام لاستقبال الحكام والأمراء أو السفراء وبعض الرِّحالة، فقد شارك النصرى واليهود أهل الأندلس والمغرب والشرق في بعضها، حيث استقبل تجار لروم السلطان العرباطي أبا الحجاج يوسف الأول في حوالة له على النعمور، فيقول ابن الخطيب: وثائق من تجار الروم من استخلص العدل هاهنا وتساوَّى سرٌّ ونجواه، في حرق من البرِّ ابتدعوها، وأبواب من لاحتفاء شرعها، فرمعوها سرق الركاب مولوي على عمد الساج، مظلة من الدنيا، كانت على قمر العلياء عمامة، وعلى رهر مجد كمامة، فارتقا بحسن المعاني<sup>(٢)</sup>.

وقد أعجب بيايين التطلي بما شاهده في ودي الرافدين من جماعات يهودية، كانت يؤمنذ تعم بالصنانية في ظلِّ الخلافة الإسلامية، فمدح حليفة المسلمين المستنجد بالله العباسي، ووصف موكبه في طريقه إلى الجامع لإقامة فريضة لصلوة يوم العيد، وابتهاج الرعية بزيته، وسجل هتافهم وتهليلهم وتكبيرهم، ثم ذكر الجماعة اليهودية بعدد وعدهاتهم<sup>(٣)</sup>، وأشار إلى أعيادهم، ومنها عيد الكفارة، ومهر جان التوراة، وعيد العنصرة<sup>(٤)</sup>.

وفي مدينة مالي، استقبل سكانها الرِّحالة ابن بطوطة بخفاوة كسره، وتنافسوا في تقديم الضيافة له<sup>(٥)</sup>، وإن دلَّ هذا، على شيء فإنه يدل على مدى التفدّم الحضري الذي وصلت إليه مدينة مالي نتيجة تفاعل الحضارات المصرية والسودانية والمغربية، وتمازجها

(١) المشتالي، تحفة للمغرب، ص ١٠٨.

(٢) ابن الخطيب، خطرة لطيف، ص ٤٨، ومشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ١٣ - ٤٤.

(٣) انظر، رحلة بيايين التطلي، ص ٢٦.

(٤) انظر، لصدريته، ص ١٤٣، ١٧٢.

(٥) انظر، رحلة ابن بطوطة، ٢ / ٢٧٤ - ٢٨٢.





معاً، لتشكل حفارة متطورة برزت ملامحها بجلاء في وصف ابن بطوطة للمناسبات الدينية التي يشارك فيها الحكام وشعوبهم على حد سواء.

ومن جانب آخر، فقد شارك أهل الشرق ولأندلس والمغرب إخوانهم المسيحيين في عدد من أعيادهم واحتمالاتهم<sup>(١)</sup>، وأشار بعض المؤرخين إلى وصف بعض الرُحالة لتلك الأعياد، ومظاهر احتمال النصاري بها، وذلك على أساس نظرة احترام للمسلمين للسيد المسيح وإذينة المسيحية، فاحتفل المسلمون بعيد القيوم أو القيوم، وخاصة في بغداد، وكان ذلك من المؤثرات القارصة<sup>(٢)</sup>.

ويذكر ابن سعيد المغربي عيد القيوم أو القيوم، فيقول القيوم المعروف عندهم بـ"بيرو"<sup>(٣)</sup>، ومن مظهر مشاركة أهل لأندلس في هذه الأعياد أنهم كانوا يضعون مذبة في القيوم من العجين، ويأصناف لألوان احتمالاً بتلك الأعياد<sup>(٤)</sup>.

ويصف ابن جبير عيداً لنصاري المعروف بالبلعريين حين كان في مدينة عكا، في ليلة الخميس الرابع والعشرين لرجب المذكور، وهو أول يوم من نوفمبر تشرين الثاني - المعنوي كان لنصاري عيد مذكور عندهم، احتفلوا له في إسراج الشمع، وكاد لا يمر أحد منهم، صعيحاً، أو كبراً، ذكرأ أو أش، من شمعة في مده<sup>(٥)</sup>، وفي وصف إحدى الكنائس في مدينة صقلية، يقول أبصرناها يوم الميلاد، وهو يوم عيد لحم عظيم، وقد احتفلوا غار رجالاً وساء<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر، العبدى، أحمد غدار، (١٩٧٩) الإسلام في أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر، مجلد العاشر، العدد (٢)، ص ٢٩١.

(٢) انظر، البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، (ت ١٠٤٨هـ) الآثار الثانية من القرون الخالية ط

ليبرج، بغداد، ١٨٧٨، ص ٢١٥ - ٢٢٤.

(٣) ابن سعيد المغربي، المغرب، ٢٩٤، ١، انظر، المقرئ، فتح الطيب ١٢٥/٣.

(٤) انظر، ابن سعد بحري، المغرب، ٢٩٤، ١، المقرئ، فتح الطيب ١٢٥/٤، ١٣١، وأوسى، الدين

والشكلة، ص ١، ق ٥، ص ٥٦٥ - ٥٦٦.

(٥) وحلة ابن خبير، ص ٢٨٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٦، وانظر، هذه الدراسة، ص ١٣١.

وقد رافق هذه الأعياد وغيرها من المناسبات والتفريعات، تبادل الهدايا حيث كان حكام الأندلس والمغرب ولوزراء والأدباء يتبادلون الهدايا بينهم، وبين ملوك لإفريقيا أيضاً<sup>(١)</sup> أما الألعاب التي كانت تقام احتفالاً بملك المسامات، فقد أشارت بعض الرحلات إلى عدد منها، حيث كانت تقام بعيد ميلاد في تمططية المصارعة بين صروب الجوان من ضواوي وسباع ودية ومردء وحر وحشية وطيور حارحه مدزة<sup>(٢)</sup> وقد مثلت المرأة المسلمة في الرحلات الأدبية والعربية جانباً من جوانب التعامل وصورة من صور التماسح الذئبي، فجوازي ملك صقلية، غلام، مسلمات كنهن، والإمرجية من النصرينات تقع في بصره فتعود مسلمة، تعيدها الجوري المذكرات مسلمة.<sup>(٣)</sup> كما شاركت نساء المسلمين في عراء غير المسلمين وارتدين ثياب العراء البيض<sup>(٤)</sup>

### ج الأضمة والأزباء

قدمت الرحلات بصورة واضحة عن مدى التنوع والاختلاف في العادات والتقاليد المحلية، ونقل لرسالة صوراً واضحة عن كل المناطق التي قصصوها، يؤكدوا أن لقائمة الإنسانية متنوعة ومتعددة لجميع المناسبات والعادات وتقاليد الشعوب الأخرى، وعكسوا بذلك حقيقة التعامل بين الإنسان والمجتمع، كما تدمر صورة للاحتكاك والتلاحق الحضري بين الشرق والأندلس والمغرب وبعض الدول الأخرى، فكان لرحلات سبلا ريب- أثر كبير على لتفاعل الثقافي والأدبي والاجتماعي والاقتصادي<sup>(٥)</sup>

(١) انظر، ابن الحاج النميري، فيص العباب، ص ٢٩. ورحلة ابن بطرقة ٦٨٠/٢، وابن خلدون،

الشريف، ص ١٢٨، ٤١١

(٢) رحلة بياض العنيلي، ص ٨٠

(٣) رحلة ابن جبر، ص ٢٩٩

(٤) انظر، رحلة ابن بطرقة ٢٢٧/٢

(٥) انظر، مرناص، عبد الملك، (١٩٨٢) ملوك الثقافي بين المغرب والشرق، ط ١، دار الحداثة، ص

٧٢ وبوتشيش إبراهيم الفاندي، (٢٠٠٤) محطات في تاريخ التسامح بين الأديان بالأندلس،

مجلة دراسات أندلسية، عدد (٣)



وفد تعامل الرّحالة الأندلسيون والمغاربة مع العناصر الأخرى في مختلف البلدان التي قصدوها، وفي المجتمع الأندلسي الذي كان يرخر بالعناصر المتعددة في تلك العصور سواء من حيث المأكّل والمشروب والملبس، والعددات والمناسبات، أو في الفكر والفن والبناء وقد تحدّث بعض الرّحالة الأندلسيين والمغاربة عن الطعام عند العامة والخاصة<sup>(١)</sup>، حديثاً يستثمن منه دلالات كثيرة من أحوال المجتمع الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وانتفاع الشعوب من بعضها من خلال انتقال بعض الأفكار والعديد من العادات والتقاليد المتعلّقة بأنماط البناء وأساليبه وطرق الضيافة، ضمن إطار التفاعل، حيث يذكر الرّحالة تلك الأطعمة التي تلائم سكان المناطق الأخرى، أو قد لا تلائم بعضهم الآخر، ففي الخليج العربيّ يصف ابن بطوطة نوعاً من الطعام لم يأكل قبله ولا بعده، صنعه بعض تجار عُمان، وهو من لدرة، طيحها من غير طحين، وصبّ عليها السيلان، وهو غسل التمر، وأكلناه<sup>(٢)</sup>.

ومن جانب آخر، يصف ابن بطوطة طعاماً تناوله ورفاقه في مدينة مالي، حيث يقول: وأكلنا بعد عشرة أيام من وصولنا عصيدة تصنع من شيء شبه القلقاس يُسمّى المالي، وهي عذيم مفصلة على سائر الطعام، فأصبحتنا جميعاً مرضى، وكنا منه ممت أصعدنا، وذهبت أنا بصلاة الصبح، فعُشي عليّ فيها، وطلبت من بعض المصريين دراهم فسهاً، فأتى بشيء يسمّى بيدر، وهو عروق نبات، وخلطه بالأنيسون و لسكر وثنه بالنساء، فشرته ونقيت ما أكلته من صفراء كثيرة، وعافاني الله من الهلاك. ولكنني مرضت شهرين ..<sup>(٣)</sup>

كما يش بعض الرّحالة بعض العادات الخاصّة بتناول الخلوى بعد الطعام، يقول ابن بطوطة حين زار سلطان الهند وأمر بالطعام، فأكلت فلما فرغنا من طعام أكل

(١) انظر، رحلة ابن بطوطة ٦٥/٢، والدراسة هذا ص ١١٩ ١٢٥

(٢) المصدر نفسه ٢٤١/١

(٣) المصدر نفسه ٢٧٥/٢

الخلوة ثم شرب العقاق بعد ذلك، وأخذنا التبول وانصرفنا<sup>(١)</sup> ويذكر أيضاً أنه بعد الانتهاء من أكل الولائم في حضرة سلطان أهدت تجعل آدم كل إسان من الشرفاء ولفقهاء، والمشايخ والنفهاء، وعده شبه المهد، نه أربع قوائم مسح سطحه من الخوص، وجعل عليه الرقاق، ورأس عسم مشوي، وأربعة أقراص معجونة بالسمن بمسوة بالخلوة وطبقاً صعباً مصوغاً من الخلد فيه الخلوة والسوسك<sup>(٢)</sup>.

ووصف بعض لرحالة موائد الطعام وطرق إعدادها والآلية المستخدمة في ذلك، ففي احتفال السلطان محمد الخامس الغي بالله بالمولد النبوي الشريف سنة ١٢٦٤هـ استخدمت أوعية وأصناف خشبية رومية، مما يظفر بها تجار حمراء وما يصاحبها من الحزائر الرومانيات، ملصة بالورق الذهبية، مرسمة بالزجاج المرسوم فيه صور الحيران ولأشجار<sup>(٣)</sup> أما سلطان مدينة بركي، إحدى مدن أسيا الصغرى، فيذكر ابن بطوطة أن عزم السلطان كانوا يأتون إلى مجلسه مصحف من النعش والفضة مملوءة بالجلاب المخلول قد عصر فيه ماء الليمون، وجعل فيه كعكات صغار مقسومة وفيها ملاعق ذهب ونفضة، وجدها معها بصحاف صيني فيها مثل ذلك وفيها ملاعق حشب<sup>(٤)</sup> ويعبر في ذلك انتقال ثقافة جانب إلى آخر، وتأثره بها.

وبدو احترام الرحالة لثقافات الآخرين وأصبحوا سواء في حالة استحسانهم للطعام أو استقاحتهم له، ومحاولتهم التفاعل مع مختلف أنواع الأطعمة، فقد ورد في الاستبصار أنه كان تبارة الإسكندرية مجتمع في العام يسمونه بعميس العدم، وهو أول خميس من شهر مائة لا يتخلّف في مدينة الإسكندرية عن اخروج إلى المنار في ذلك اليوم أحد، وقد أعدوا لذلك اليوم الأطعمة والأشربة، ولا يذ في ذلك الطعام من العدم<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه ١٢٦/٢

(٢) رحلة ابن بطوطة ١٢٩/٢

(٣) ابن الخطيب، نقابة الخراب ٢٧٨/٣، واطر، رحلة ابن بطوطة ٢١٢/١، ٣٣٤، وابن الخطيب،

خريطة الطيب، ص ١١٧

(٤) رحلة ابن بطوطة ٢٧٢/١

(٥) مؤلف مراكشي مجهول، الاستبصار، ص ٩٨



أما الرزي فقد وصف ابن جبير ربيّ لصرانيات في إحدى مدن جزيرة صقلية، حيث يقول: ربيّ لصرانيات في هذه المدينة، ربيّ ساء المسلمين، فصبحات الألسن، مُتَحَفَات، متقبات، خرجن في هذا العيد المذكور - يوم الميلاد - وقد لبسن ثياب طوير المذهب، ولتحسن اللحن الزائفة، وانتقن بالثقب الملوّنة، وانتعلن الأحصاف، المذهبية، ويرزن لكائنهن أو كئسهن حمامات جميع ربة ساء المسلمين من لتحليّ والتحفّص وتعتطر<sup>(١)</sup> ويظهر في ذلك رسوخ التقاليد والعمادات الإسلامية في الجزيرة المذكورة، وتأثر الآخرين بها.

وأشير أيضاً إلى أن بعض ملوك الإفرنج قد تأثروا بالعرب وتروايهم وأساليهم حيث يذكر ابن جبير أنه ليس في ملوك الصاري أثرب في الملك ولا أنعم ولا أرفه من عليهم ملك صقلية -، وهو يشبه في الاعمدهن في معيهم لملك وتربيت قوانينه ووصع أساليه وتقسيم مراتب رجاله وتصميم أئمة الملك وظهور زنته بملوك المسلمين...<sup>(٢)</sup>

وقد تأثر بعض الرحالة الأندلسيين والمغاربية بربيّ أهل الشرق، حيث يصف ابن الخطيب هيئة لرحالة البلوي الذي كان يرندي أحسن الناس عند مشركه لاستقبال سلطان غرناطة أبي إسماعيل يوسف الأول، فيقول أرمى من البياض طيلساناً، وصبر لحية بالحاء والكتف، ولأث عمده، واحتتم<sup>(٣)</sup> وكان البلوي تشبه بالمشارقة شكلاً ولساناً<sup>(٤)</sup>

وحصلت بعض كتب الرحلات بتسميات للأرياء والحلي، فهي جرر للمالديف يصف ابن بطوطة خلاخل ساء السلطان، وكانت تسمى الأيلي، وفلاكد ذهب يعيظنها على صدورهن، ويسمونها التيسرد<sup>(٥)</sup>

(١) رحلة ابن جبير، ص ٣٠٧

(٢) رحلة ابن جبير - ص ٢٩٩، ولوريد من الحرف على ملاحح السائر والسائق في الري العربي أو الأوروبي، انظر، ابن الخطيب، لإحاطة ١٢٣/٢ - ١٢٤، و ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الأسلي، ط ٢، لمحقق بروغشاه، بيروت، ١٩٥٥، ص ٥٦١

(٣) ابن الخطيب، خطرة الطيب، ص ٤١

(٤) التنيكي، بيل الإبتهاج، ص ١١٥

(٥) رحلة ابن بطوطة ١٧٨/٢

إن ما قام به الرّحالة من وصف للأكل ومشرب وحلبس أهل كل بلد قصصوها يمتدّ في دأته إشارة تحمل دلالة استعاضل، حيث تطّبع الشعوب على عاداتها وتقاليدها، كما ذكره إبراهيم الطرغوشي، مثلاً، عن رأي رّس ملك البلغار حين وفدوا على هوتو، نقل إلينا بجلاء صورة عن ملابسهم وحلبسهم، حيث يقول: إنهم يلبسون ملابس ضيّقة، ويتسطفون بأحرمة طوال قد ركب عليها تراس الذهب والفضة، ومنكم عظيم القدر، يصع على رأسه الشّاح<sup>(١)</sup> أما ابن بطوطة، فيذكر أن ساء مدينة لأذقي في آسيا الصغرى، لحن عمائم كبار<sup>(٢)</sup>

ويدل ما وصفه الرّحالة من طرق الطبخ وأنواع الأطعمة وصناعة الحلويات وتوسّع الأزياء، دلالة واضحة على تداعل لحضارات وتوسّع العادات والتقاليف في مختلف البلدان التي قصدها الرّحالة، ولعلّ رحلة ابن بطوطة تمثل معجماً لفنّ الطبخ وتعنّد الأزياء والحلبس في مختلف البلدان التي زارها.

## ٤ الحجّ وزيّارة الأماكن المقدسة

كانت الرّحلات من الأندلس والمغرب إلى المشرق أكثر من رحلات الأندلسية لديرهم، وذلك لوجود الكعبة المشرفة، وبيت المقدس، ومزارات العلم في المشرق، حيث اتجهوا نحو المشرق لأداء فريضة الحج، فتأثّروا بما وجدوه هناك من حضارة وعلوم، فالمشرق قبله الفصاد، وكعبه طلاب العلم والحج بعصل أماكنها المقدسة، ومراكزها العلميّة، وقد حياّت هذه الرّحلات الالتقاء بالأئمة والعلماء في المدينة المنورة ومكة المكرمة، ودمشق، وحلب، وأنطاكية، وبيت المقدس، والأحذ عنهم وتبادل المعارف وعلوم والثقافات معهم والحصول على الإجازات، فترك علماء المشرق أثراً كبيراً في التكوين الثقافي للرّحالة الأندلسيين وانغارية مثلما ترك الرّحالة الأندلسيون أثراً علمية وثقافية عميقة في العلماء الذين التقوا بهم

(١) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، من كتاب السالك والممالك، ص ٨٠-٨١، ١٥٤-١٧٠

(٢) رحلة ابن بطوطة ٢٦٦/١



يتضح من ذلك أن لعامل الدين شكل خاص جذب في التعامل الثقافي، ورغبة مدحة تدفع المسلمين والصاري واليهود إلى قطع المسافات، واتحداً لخطاطر، طبع البيت الحرام أو بيت المقدس، والتبرك بقبور الأنبياء ومقامات الصالحين، فاليهودي كان يشعر بلهفة متأججة إلى زيارة أماكن التوراة ومثوى الأنبياء غير صانع بأنه لا يمنع بحماية سلطان أو حاكم سيما أيام الحروب الصليبية، بل إن من عمة الله عليه أن يتاح له حج البلاد المقدسة، لذا كان بيت المقدس حطياً من كل أمّة ولساناً<sup>(١)</sup> وموطئاً للعلماء والمكرين والفلاسفة المسلمين واليهود والصاري وكانت مكة المكرمة مركزاً مستقطباً للمسلمين بوجود الكعبة المشرفة فيها

وقد كانت الأماكن المقدسة تستقبل آلاف الحجيج والزائرين والمجاورين في كل الأوقات، فتهياً بذلك الحوز لتعائش الوافدين، وتبادل لمعرفة وامتداد العلاقات بين الأئمة والعصماء، وكان التلاحق والتعامل في شتى ميادين المعرفة ويذكر لرحالة ابن الصباغ الأندلسي في رحلته الصاري واليهود مرّات متعددة في حديثه عن عزّة الإسلام في بيت المقدس، ويصف الأماكن المقدسة لتصرّاته واليهودية، كحل الطور الذي نزلت فيه التوراة على موسى، وبيت لحم حيث ولد المسيح، لم يحدث عن علاقته الوطيدة مع الزهاد وحجاج هذه الأماكن المقدسة، ويذكر أنهم طلبوا منه وصف لكعبة لم يعمل، وطلبوا منه أن يدعو لهم وهو الخاج صاحب البركة فاحتار في كيفية استدعاء، ولكنه في نهاية الأمر تقطّن وقال اللهم ائتمهم على خير الأديان، فقالوا آمين<sup>(٢)</sup>

ويبدو واضحاً أن لبيت المقدس، ومكة المكرمة، أثر كبيراً في نفوس جميع الطوائف، حيث يصف ابن بطوطة منكأ راحاً في مدينة القسطنطينية، وقد أخذ يد اس بطوطة، حين علم بأنه رأى بيت المقدس، وقال له أنا أصفح لبد التي دخلت بيت

(١) رحلة ابن بطوطة، ص ٩٩، وانظر، مؤس، حسن، (١٩٥٩) حج لأندلس، دراسة في تاريخ

الأندلس من الفتح الإسلامي إلى لدولة الأموية، ط ١، القاهرة: الشركة العربية، ص ٢٠٧

(٢) انظر، شيخنا، ج ٢، بعض لظاهر الدينية في رحلة عبد الله بن الصباغ الأندلسي، مجلة دراسات

المقدس، والرجل التي شئت داخل الصحرة، والكيسة العظمى التي تسمى قياة وبیت لحم<sup>(١)</sup> ويقول بين بطوطة وجعل يده على قدمي ومسح بها وجهه، فمعبت من اعتقادهم، في من دخل بتلك المواضع من غير ملتهم<sup>(٢)</sup> ويذكر ابن بطوطة أن الكيسة المعظمة بالمقدس بجبها الصباري، وهي التي يعتقدون أن قر عيسى عليه السلام بها<sup>(٣)</sup>

أما ركب الحجاج الذي سافر فيه ابن بطوطة، يصمه بقوله: وحرنا بعد طوف الوداع بل بطن مر - وأمر دمر الظهران - في جمع من العراقيين والخراسانيين والعارسين ولأعاجم، لا يحصى عددهم، فحوج بهم الأرض موجاً<sup>(٤)</sup>

ولعل في ذلك إشارة إلى أن الحج إلى الديار المقدسة، كان بمثابة رابط وروحي عميق، وكانت فريضة الحج دائماً عاملاً قوياً من عوامل خلق حياة مشتركة في الإسلام<sup>(٥)</sup>. وعاملاً مؤكداً على أن ما جمع تلك الشعوب وحاصرها المحتلة هو وحدة الثقافة والعقيدة وقد وصف ابن جبير التفاعل بين العرب والمشرق حين أشار إلى المكانة الدينية لمدينة ليبت المقدس، حيث كان المسلمون يهينون للدفاع عنها، فشارك المعارضة مع إخوانهم المشاركة في حروبهم ضد الصليبيين. الأمر الذي دفع الإفرنج لقتل إن هؤلاء المعذرة كانوا يحتفلون على بلادنا وسالهم ولا نزلهم شتاً، فلما بعروها لحرب وسألوا مع إخوانهم المسلمين علينا وجب أن نصح هذه العصرية عليهم<sup>(٦)</sup>

ووصف ابن جبير مكة المكرمة في موسم الحج، ودورها في التفاعل الثقافي حيث يجتمع أهل المشرق والمغرب، ويتناوعون الذخائر النعيسة وأنواع الطيب المتعددة التي تجلب

(١) رحلة ابن بطوطة ٣٢٢/١

(٢) المصدر نفسه ٣٢٣/١

(٣) انظر، المصدر نفسه، ٣٢٢، ٣٢١، ٦١، ٦٠

(٤) المصدر نفسه ١٥٣-١٥٤.

(٥) أولري، ديلاس، (١٩٦١). الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة تمام حسان، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ص ٢٢٩، وانظر، ابن الخطيب، خطرة الطيب، ص ١٢٢

(٦) رحلة ابن جبير ص ٢٧٤، وانظر، جرار، صلاح، علاقات بين المسلمين والأندلس مجلة الفصل، السنة الثالثة، العدد (٢٩)، ص ١١٦-١١٥





من الهند والحشب، كما كانوا يتأخرون الأمتة العراقية، واليمانية، إلى غير ذلك من السلع الخراسانية، والبضائع المغربية، ويقول: والطريق إليها - يقصد مكة المكرمة - ملتقى لصادر ولوارد، وشعرات تحبب إليها من كل مكان. ولولم يكن لها من اقتاجر إلا أوان الموسم فبها جمع أهل المشرق والمغرب، فيباع فيها في يوم واحد، فضلاً عما يتبعه من الذخائر النيسة كالجواهر ومن أنواع الطيب المسك، والكافور إلى غير ذلك من حطب الهند والحشب، إلى الأمتة العراقية واليمانية، إلى غير ذلك من السلع الخراسانية، ولبضائع المغربية ..<sup>(١)</sup>

وقد ظهرت بدور التلاقي في رحلة ابن جبير حين استقل من هناك مراكاً مسيحياً إلى صور فنزل بها وطاف ثم توجه إلى صقديف، حيث نزل بها وتعرف بأهلها<sup>(٢)</sup> ويصف ابن جبير أيضاً: ركوب الصاري السفينة معهم وهم حجاج بيت المقدس، عالم لا يحصى. ينتهي إلى يزيد من ألي إنسان.<sup>(٣)</sup> ويذكر ملكهم غليم الذي كان يسأل عن مكة مشاهدتها العظيمة، وعن مشاهد المدينة المقدسة، ومشاهد الشام، وهو يذوب شوقاً ومحبة، ويقول ابن جبير: واستهدى منا - يقصد الملك غليم - بعض ما استصحبنا من الطُرف المباركة من مكة والمدينة قدسهما الله<sup>(٤)</sup>

إن تسامح المسلمين في الأندلس والمغرب والمشرق إزاء مختلف الطوائف، ساهم في تشكيل وحدة ثقافية رسمت أبعاداً لشخصية الحضارة الأندلسية والمريّة والمشرقية. فإن بطولته كنما ذكر الروايات وانتشارها في مختلف البلدان، ذكر مثيلاتها في بلاد الصاري، وهي الأديرة أو المائسترات<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: رحلة ابن جبير، ص ٩٧، ١٥٨، ١٦٣

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٤٨

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٣

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٩

(٥) انظر: رحلة ابن بطوطة ١ ٣٢٢، و انظر، مثل ذلك، الإدريسي، ترجمة لمشتاق، ص ١٨٠ - ١٨١.

ويصف ابن جبر أحد مساجد مدينة عكا، ويذكر أنّ عند محرابه قبر النبي صالح عليه السلام، وفي شرقي عكا عيناً باسم عين البقرة، عليها مكان مسجد ويقدّسه السكان المسلمون، والنصارى على السواء، فهم في أرض واحدة وتراث شعبي مشترك<sup>(١)</sup> ومن جانب آخر، أدت هذه الأماكن المقدسة دوراً كبيراً في التفاعل الثقافي، من خلال عقدتها لحفلات التناظر والتحاوّر العلمي والأدبي، حيث شارك الرّسالة في مثل تلك الحفلات انعمية والأديبة، التي كانت تجري بين العلماء الذين توافدوا من مختلف أنحاء لبلاد الإسلامية، فتعلّم الرّحالة وعلموا<sup>(٢)</sup>

وكان مستقطاب هذه لأماكن المقدسة للعديد من العلماء ولأدباء والشعراء قد أدّى إلى اتساع دائرة التأثير المتبادل بين المشرق ولأندلس ولحمرب وفتح أبواب الحوار ولتفاعل مع الآخرين، حيث يصف الرّحالة ابن العربي بيت المقدس، بأنها كانت تعجّ بالعلماء من أهلها، لوفدين، وأنها ملقى الشّاطرين في الأدبيات الثلاثة الإسلام ولنصرانية واليهودية وذكر ابن العربي، أيضاً، أنّه حضر مجلساً تناظر فيه حبر اليهود المعروف بالنستري، حيث وصفه بأنه كان كفناً فيهم ذكياً بعريقتهم<sup>(٣)</sup>

ويشارك ابن العربي في الكثير من المناظرات والحوارات التي كانت تحدث في بيت المقدس، حيث يقول 'عمد' إلى مدرسة الشافعية بباب الأسيوط، فالغيب بها جماعة علمائهم في يوم اجتماعهم للمناظرة. وهم يتناظرون على عدتهم فانحدت بيت المقدس مبساة، ولترمت فيه لغزاة. وأدخل إلى مدارس الحنفية والشافعية في كلّ يوم لحضور التناظر بين الطوائف. -<sup>(٤)</sup>

(١) انظر، رحلة ابن جبر، ٢٧٦-٢٧٧

(٢) انظر، رحلة ابن جبر، ص ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٤، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ترجمه ابن

رشيد ١١١/٤ ١١٣

(٣) انظر، ابن العربي، قنون التأويل، ص ٩٥-٩٦

(٤) المصدر نفسه، ص ٩١-٩٥



ويتضح من ذلك، أنَّ الرُّحَّالَةَ كانوا يَصلُّون إلى مراكز الإشعاع العنصري أينما وجدت، بما مثل تياراً علمياً، نقل معه الكثير مما عد أهل المشرق من علم ومعركة إلى الأندلس والمغرب، فهياً ذلك فرصة للإفادة، لتبادل بين الثقافات وتقريب الأفكار، وكما استغلت المشرق الكثير من العلماء والفقهاء ولأدباء، استغلت الأندلس والغرب العديد من العلماء والفقهاء والأدباء، فكانت الرحلات وسيلة لنقل المعارف والعلوم والثقافات من شعب إلى آخر.

أمَّا التَّعاشي بين الأديان، فقد خلق حَوْماً من التَّوافق، ومحلاً للقاء، تكوَّنت فيه هوية اجتماعية ثقافية من نسج واحد تألف من طوائف وعناصر مختلفة، فالتعاشي بين الأديان، عنى الاعتراف بالآخر لمحالف في الرأي، ولبدأ وإمكانية الإقامة معه في مجتمع واحد، ومدِّ العلاقات معه، والإقرار له بحريته العقائدية والمذهبية، فكلُّ هذا خلق الحوار واللقاء، والتسامح، والتلاحق بين لأديان<sup>(١)</sup> وقد رافق ذلك كتب التراجم، والرحلات التي دوَّن فيه كثير من انظار المحصَّرين للبعدان التي مرَّ بها الرُّحَّالَة والعلماء الذين قصدوا الحج وزيارة الأماكن المقدسة.

(١) شهر، عبد الحميد، (١٩٩٥) التعاشي بين الأديان في الأندلس من خلال بعض شعيرة أندلسية.

## ثانياً: الحياة الثقافية والسياسية

## أ. التأثيرات اللغوية والترجمة

قدّم الرّحالة من خلال تجاربهم في مختلف البلدان - صوراً للسائير اللغوية والترجمة، اعتت حصيئتهم الثقافية، ليس هذا وحسب، بل إن بعض الرّحلات كانت أشبه بمعاجم لغوية، زدوتنا بالعديد من لغات الشعوب ولجاتها، حيث أطلع الرّحالة على لغات ولجات الأمم التي زاروها أثناء تجوالهم، وأشاروا إلى لغات يعرفونها، وأخرى لا يفهمون منها شيئاً، وذكروا ما كان يراجههم من صعوبة لتفاهم بين الشعوب في النّول خارج البلاد العربية، إلا أنهم حاولوا تدليل تلك الصعوبات، ممّا جعلهم أدوات لنشر اللّغات المختلفة ها وهناك، وسعدوا في أعمال الترجمة بين تلك اللّغات ولعلّ الذّراسة ها، تجمل بعض النّصّور التي نقلتها الرّحلات والمذاقة على التفاعل الثقافي، ومنها

- دقة الرّحالة البكري في رسم الأعلام الجغرافية، وتفسيره بعض أصوفاً اللاتينية، ومن ذلك قوله ومعنى طيطة باللاتيني تولاطو، ومعناه فرح سكوها، يريدون خصائنها ومعناها<sup>(١)</sup> وقوله عن مدينة إشبيلية رعم أهل تعلم باللسان اللطيفي أنّ أصل تسميتها إشبالي، ومعها، المدينة المتبسطة<sup>(٢)</sup> وقوله في وصف ماردة وقد أصدق بالمدينة سور عرضه اثنا عشر ذراعاً، وارتفاعه ثمانية عشر ذراعاً وعلى بابها كتابة ترجتها بالاعجبية، براءة لأهل إلباء بيت المقدس<sup>(٣)</sup>

وأشار البكري، أيضاً إلى وقوع عدد كبير من نساء المسلمين في أسر الروم، وأعلن كن وسيلة من وسائل نقل الثقافة والمعرفة العربية إلى البلاد الأوروبية، حيث كان معصم يعرف الموسيقى العربية، ويغنّي بالعربية في قصور ملوك أوروبا<sup>(٤)</sup>

(١) البكري، جغرافية الأندلس، ص ٨٦-٨٧

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٢، ١١٩-١٢٠

(٤) انظر، المصدر نفسه، ص ١٢، ولقري، مع الطيب ١٥٠/ ١ ٤٥٣



- أما العسري، فقد عرفاً باللهجة الأمازيغية المستعملة، وفي رحلته م يؤكد ذلك، فقد تعرض لأخطاء الجغرافي الأندلسي الرحالة أبي عبيد البكري، فقال: إنه الكري ذكر بلاد الصحراء لئلا يقال لها تدعكة وترجمها -الكري- فقال معنى تاد الحية أي أنها على هيئة مكّة وليس معنى تاد الحية كما ذكر ولا لحيّة اسم في لسانهم التّة، وإنما معنى تاد هذه، وهي من أسماء الإشارة عندهم يقولون لهذا ود، وهدس ويد، هذه تاد، وفاتين وهؤلاء تيد، وليس للمشي عندهم عبارة سوى عبارة، للجمع، إلا في ألفاظ العدد فمعنى تاد مكّة، هذه مكّة أي مشبهتها<sup>(١)</sup>.

- ووصف بعض الرحالة، تأثر بعض حكام الإفرنج بالعرب والإفادة منهم، فقد ذكر ابن جبير أن عليام ملك صقدي، كان يقرأ ويكتب بالعربي، وأنه اتخذ علامه ملوك الإسلام الحمد لله حقّ حمده وفي ذلك دلالة على التفاعل وتذوق الحضارة الإسلامية<sup>(٢)</sup>. وأشار ابن جبير، أيضاً، إلى إتقان بعض الوعاظ للسانين العربيّ ولأعجمي، حيث وصف واعظاً خراسانيّ سعد منبر الوعظ في شهر رمضان المبارك، فقال: فصيح وعظّ خراساني حسن الشارة مليح الإشارّة، يجمع بين اللسانين عربيّ وعجمي، فأنى في الخاليين بالسحر الخلال من البيان، فصيح المنطق، ذرع الألفاظ ثم يقلب لسانه للأعاجم فلتختمهم، فيهزّهم إطرأياً، ويلبّهم رفرات وانتحاباً<sup>(٣)</sup>.

وذكر بعض الرحالة وجود من كان يترجم تلك اللغات، فمّن كان يعرف اللغة العربية من أبناء تلك البلاد، أو من العرب الذين استقروا فيها كما عرف بعض حكام البلاد غير العربية، بلغة العربية، وإن لم يحسن عدد منهم التحدث بها<sup>(٤)</sup>.

(١) العسري، الرحلة المغربية، ص ١٥٩

(٢) انظر روضة ابن جبير، ص ٢٩٨

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٩، وانظر، المصدر نفسه، ص ٢٧٥

(٤) انظر، رحلة أبي بطرمة ١/١١٥، ١٢٠، ١٧٨، ٢٧٢ وانظر أيضاً، دور الترجمان في سماره بحري

الغزال، لغوي مع الطب: ٢/٢٥٧-٢٥٩

- ويقول الفشتالي على لسان شيخه أبي مروان، حين رآه راوية في حراسان وهي على حدة الصحراء، لم أعدها حياً ولا شاملاً قال: فسلمت على الشيخ وعلى أصحابه، وكانوا نحو ثلاث مائة رجل، وكنت لا أظنهم لسانهم الفارسي ولا يعمهوني<sup>(١)</sup> ومن يوم دحرلي عليهم، لم يتكلموا إلى أن ورد قنبر يعهم لسانهم، فقلت له: لعلي أسأت الأدب عليهم في دحرولي، فغضبهم، فسألته<sup>(٢)</sup>، فإن كان من قبلي انقباضهم استعصت الله وتأذيت بأديهم فذكر لهم ما قلت له، فقالوا والله ما صدر منه ما يكره وإنما رأينا امرؤاً دونه بطيب الكلام سوء أدب في عشرته، فوافقه في الصمت وإنما من اليوم فانت لسانه لنا، ولساناً له<sup>(٣)</sup>

- أما ابن بطوطة، فلهذا أكثر ارتحاله إدراكاً لأهمية التماثل بلغة الشعوب التي نزل في بلادها، حيث اهتم بتعلم شيء منها من خلال الطواف في البلدان لتكون عرواً له في تسير معاشه، وانتقاله بين المدن، فعرف العدمية إلى جانب ابرية، ثم اتركية، وألم ببعض العاقل وتركيب لغات وفجات معظم البلدان التي قعده، فقد قال معلقاً على حديث أحد العتيان مع شيخه في إحدى مدن الأناضول باللسان التركي ولم أكن يومئذ أفهمه<sup>(٤)</sup>

وحين نزل ابن بطوطة ورفاهه راوية أحد الأحية في مدينة كاوية، إحدى مدن آسيا الصغرى، وتكلموا معه فلم يفهم أحدهم ما عني الآخر، ويصعب ابن بطوطة ذلك بفوله فكلمناه بالعربية فلم يفهم، وكلمناه بالتركية قسم منهم عنه، فقال: اطلبوا لعمه وإنه يعرف العربية. فأتاني العتيه فكلمنا بالعربية، وكلمناه فلم يفهمها منا، فقال للعتي: إيشان عربيكها ميقران، ومن عربيو ميديان وإيشان معاه هؤلاء، وكهنا قديم، وميقوان

(١) يقول محقق رحلة لغة المغرب هكذا في الأصل ولعل صحتها فاسطهم، وانظر، الفشتالي، مجلة

الاعترب، ص ٨٧، حاشية رقم ١

(٢) الفشتالي، مجلة لغات، ص ٨٦-٨٧

(٣) رحلة ابن بطوطة ٢٥٨/١، وانظر. المصدر نفسه ٢٧٢/١، ١١٥/٢



يقولون، ومن أنا، وهو جديد، وميدام تعرف وإثم أراد العقبة بهذا الكلام ستر نفسه عن المصيبة، عندما ظنوا أنه يعرف اللسان العربي فهو لا يعرفه، فقال هؤلاء يتكلمون بالعربي القديم، وأنا لا أعرف إلا لعربي الحديد فظن الفتى أن الأمر على ما قاله العقبة. وثمنا ذلك عنده وبالغ في إكرامه، وقال هؤلاء فحب كرامتهم لأنهم يتكلمون باللسان العربي القديم، وهو لسان النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً وأصحابه ولم تفهم كلام العقبة إذ ذاك، لكنني جعلت لقطه، فلما تعلمت اللسان الفارسي فهمت مراده<sup>(١)</sup> ومن لأمثلة الدالة على تعلم ابن بطوطة الفارسية، وصفه لقدومه على سلطان احمد، حيث يقول ثم سألتني وصاحبي، وأمسك بيدي، وجعل يخاطبني بأحسن خطاب، ويقول لي بالفارسي حلت البركة، فدمك مبارك، .. ثم سألتني عن بلادي، فقلت له بلاد المغرب..<sup>(٢)</sup>

وقد رصدت للتراسة جملة من الألفاظ والتراكيب والمواقف التي تبرز مدى تأثير ابن بطوطة بلغات وشجات شعوب البلدان التي زارها، مما ساعده في التعرف على ثقافات تلك الشعوب، ونقلها إلى ثقافته ببلاد، ومنها<sup>(٣)</sup>

• كُساى، وهو اسم الله عز وجل - عند أهل اهد، بعد وصف ابن بطوطة بعض أهل اهد، وهم يرمقون أنفسهم في أحد الأنهار، ويقول أحدهم لمن حصره لا تطوا أبي أعرق نفسي لأجل شيء من أمور الدنيا، أو لفلة مال، بما تصدي التفرق إلى كُساى، وكساى، اسم الله عز وجل بلسانهم<sup>(٤)</sup>.

• وكانت المرأة في الهند تحرق نفسها مع زوجها عند موته، ويقول ابن بطوطة وقد حُجيت نار مملوكة بمسكها الرجال بأيديهم لئلا يدهشها - المرأة - النظر إليها،

(١) المصدر نفسه ٢٨٠/١

(٢) المصدر نفسه ١٠٥/٢، وانظر أيضاً نفس المصدر والجرد، ص ١٢٠، ١٢٨، ٢٧٢

(٣) النظر، المصدر ص ١٠٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١،

فرايت إحداهن لما وصلت إلى تلك الملحقة، نزعتهما . وقاست ماوا ميثرا مسي  
أزطش من ميثام أواطش إست دهاكي مارا، ومعنى هذا الكلام "أبالنار تحوقوني؟  
أنا أعلم أنها نار محرقة"<sup>(١)</sup>.

• سراكنوا، ومعناه المسلمون، فقد رافق ابن بطوطة ركب اتنة إمبراطور  
القسطنطينية، زوجة أوزبك خان، داهة لزيارة أبيها، وعند وصولهم إلى قصر  
الإمبراطور، سمع الرجال يقولون سراكنوا، سراكنوا، ومعناه المسلمون<sup>(٢)</sup>  
• جيكس، وهو من الألفاظ الفارسية، ومعناه من أنت؟ ودشاد، ومعناه لقلب  
الفارح<sup>(٣)</sup>

• أما أسماء بعض الأطعمة في المدن التي تصدها ابن بطوطة، فيذكر منها، ما يطلقه  
أهل مدينة أصفهان على الخبز، وهو نان، وعنى اللبن ماس<sup>(٤)</sup> "والسّمك بالفارسية،  
شبرماهي، ومعناه أسد السمك، لأن شبر هو الأسد وماهي السمك" ويقول ابن  
بطوطة وهو شبه الخوت المسمى عندما تثاروت<sup>(٥)</sup> ويعرف لمور في إحدى قرى  
مدينة قلهدت بالمروراي، ويقول ابن بطوطة "والمروراي بالفارسية، هو  
الجوهر"<sup>(٦)</sup>، والزمن في جزائر ذبة لاهل يسمى آتار، وچنّار بالفارسية جن، الزهر،  
وذر الرّمان<sup>(٧)</sup>

• ويذكر ابن بطوطة، أيضاً، أسماء بعض المواضع، ويتحقق من تفسير تلك  
التسميات، وهي مدينة الماجر، إحدى مدن الترك، موضع يقال له "بش دغ،

(١) المصدر نفسه ٢٧/٢

(٢) المصدر نفسه ٣١٩/١

(٣) المصدر نفسه ١١٤/٢

(٤) المصدر نفسه ١١٥/٢

(٥) المصدر نفسه ٢٤١/١

(٦) المصدر نفسه ٢٤٣/١

(٧) المصدر نفسه ٢٣/٢





ومعنى بش عدهم حصة، ومعنى دغ الجس: أي الحياض الخمسة<sup>(١)</sup> أنا في اعتد،  
هناك موضع يقال له: بيج هير، ومعنى بيج حصة، وهير الجبل، فمعناه حصة  
جبال<sup>(٢)</sup>

■ أمّا الحُكّام ولسلاطين، فقد حظيت رحمة ابن بطوطة، بالعديد من المواقف الدالة  
على تعاملهم مع مختلف الحضارات، فحين ولي ابن بطوطة لقطاء في دهلي،  
حاظه السلطان باللسان العربي: بل أنت سيدنا ونخدمنا تواضعاً منه وقسلاً  
وإسباً<sup>(٣)</sup> وعندما دخل ابن بطوطة قصر أمير أودر التتطية، وكُنّ قال له أحد  
اليهود هناك بالعربي لا تحب، فهكذا عاداتهم أن يفعلوا بالوارد، وأنا أترجم،  
وأصلي من بلاد الشام، فسأله: كيف أسلم؟ فقال: قل السلام عليكم ثم وصلت  
إلى فيه عطيمه، واستلطان على سريره. ثم وصلت إليه فسلمت عليه، وأشر أن  
أجلس فلم أقبل، وسألي من بيت المقدس. ومن الصخرة المقدسة، ومن القيامة،  
ومن مهد عيسى، ومن بيت لحم، ومن مدينة الخليل -عليه السلام- ثم من دمشق  
ومصر والعراق وبلاد الروم، فأجته عن ذلك كله، واليهودي يترجم بيني وبينه،  
فأعجبه كلامي وقال لأولاده: أكرموا هذا الرجل وأضوه، ثم خلع عليّ خلعة، وأمر  
لي يمرس مرسج للجسم، ومظلة من لني يجعلها، لذلك فوق رأسه، وهي علامة  
الأمان<sup>(٤)</sup>.

إن سؤال أمير طور التتطية لابن بطوطة عن هذه الأماكن يؤكد دور الرحلة في  
نقل المعرفة والثقافات عبر الأقطار التي كانوا يمرون بها

ويصف ابن بطوطة أيضاً، وهو في مدينة الخنسا من أعمال بلاد الصنح حروح  
ابن أمير الصين معهم في برقة بحرية، وقد كان معهم في السفينة أهل الطرب والموسيقى،

(١) رحلة ابن بطوطة. ٣٠٢/١

(٢) المصدر نفسه ٣٦١/١

(٣) المصدر نفسه ١١٩/٢

(٤) المصدر نفسه ٣٢٠/١

وكانوا يثنون بالصيني وبالعربي وبالعارسي، فيقول: وكان ابن الأمير معجباً بالفناء العارسي، فعدوا شعراً منه، وأمرهم بتكريره مراراً حتى حفظته من أفواههم<sup>(١)</sup>

ولعل في وصف ابن بطوطة لسلطان فاس أبي عنان، دلالة واضحة على مدى الفاعل الثقافي الذي أثر في التكوين الثقافي لشخصية ابن بطوطة، حيث يقول قناستي هبته هيئة سلطان العراق، وحسنه حسن ملك اهد، وحسن أخلاقه حسن خلق ملك اليمس، وشجاعته شجاعة ملك الترك وحلمه حلم ملك الروم، وديانته ديانة ملك تركسان، وعنده علم مثل الحوة<sup>(٢)</sup> إن هذه المقدرات التي يعفدها الرحالة لا تنها علم إلا بسبب رحلاتهم ومعارفهم بعبادات الشعوب وخصائصها وأنظمتها اسياسية واجتماعية وغيرها مما يجعل منهم بحق علماء في علم الاجتماع القانون

وفد كان بعض الرحالة دور في نشر العلم والمعرفة في مختلف البلدان التي قصدوها، فأبو حامد الغرناطي يقول عند دخوله أنقورية ولما دخلت بين أولاد المغاربة أكرموني، وعلمتهم شيئاً من العلم وأطلقت السنة بعضهم بالعربية، وكنت أجتهد معهم في الإعادة والتكرار في فرائض الصلاة وسائر العبادات، فعلموا صلاة اجمعه، فعلمهم اليوم أكثر من عشرة آلاف مكان عظم فيه يوم اجمعه ظاهراً وباطناً، لأن ولايتهم عظيمة<sup>(٣)</sup> كما جمعت رحلة أبي حامد الغرناطي العرب بأسماء الأشهر باللغات المختلفة العربية، ولعارسية، واورومية، وأسماء شهور المغاربة وشهور الهد<sup>(٤)</sup>

ودخلت بعض الألفاظ المشرقية إلى اللهجة لغرناطية، ومنها ما ذكره ابن الخطيب، حوود، وحوود لفظ تركي أو فارسي وأصله خُد أو تُد بمعنى الخاء ومعناه

(١) المصدر نفسه ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة ٢/ ٢٥٧

(٣) المشتابي، حمة لغرب ص ١٣٨، ونظر المصدر نفسه ص ١٢٥، ١٢٦

(٤) أبو حامد الغرناطي، رحلة لغرب ص ٤٦ ٥١



السيد أو الأمير". وفي ترجمة ابن الخطيب لابن الحاجّ التميمي يقول: العذب الجامع بين جزالة المغاربة ورقة إشارقة<sup>(١)</sup>

أما ابن خلدون فيشير إلى أنّ الشاعر العرطاطي ابن ومرك<sup>(٢)</sup>، قد أرسل بفصائد من وضعه إلى مصر يمتدح فيها لسلطان برفوق<sup>(٣)</sup>، ويذكر بن خلدون أنّ الذي كان في مصر وقت وصول هذه الفصائد أنّه كان لا بدّ أن تنتقل هذه الأشعار المكتوبة بالخط المغربي إلى خط مشرقى لتسهيل قراءتها في مصر<sup>(٤)</sup>

وكان للرحالة دور كبير في نقل الكتب والمؤلفات بين اشرق والمغرب وبين العرب ولعبارى نادوا بذلك دوراً هاماً في لائصال والتفاعل الثقافي، حيث كانوا يعودون إلى الأندلس والمغرب، وقد بلغ الواحد منهم مبلغ العلماء بما اكتسب من علم ورحلة من كتب، وم حصّته من معرفة وثقافة جالياً معه ما أمّكه الحصول عليه من كتب ومصنّعات كن ها الأثر لعلمي الكبير في تطوّر ثقافة بلده، ويصف ابن العربي آثار العائدين من الرّحلة، فيقول: كولا أنّ الله تعالى من بطائفة تفرّقت في ديار العلم، وجاءت بلباب منه . فرشوا من ماء العلم على هذه القلوب الميتة وعطّروا أنفاس الأمة الرّفرة، لكان الذين قد

(١) ابن الخطيب، معاضة الحبيب، المبدعة ٢/٢، وانظر: ابن الخطيب، حطيرة الطيف، ص ١٠٧، والمقري، نفع الطيف، ١٧٨/٢

(٢) المقري، نفع الطيف ١١٠/٧، وانظر: ابن الخطيب، الإحاطة ١/٣٥٠-٣٧١

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد، أصبه من شوقي الأندلس، ولد عام ٧٣٤هـ، وأكمل الرّحلة في طلب العلم ولإزدياد، فترقى إلى الكتابة عن ولد لسلطان أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن، وقيل نقل بعد عام ٧٩٤هـ سفر ترجمته، المقري، مع الطيف ١٧٤٥/٧ وما بعدها، وابن الخطيب، لإحاطة ٢/٢٣١-٢٤٠، وابن خلدون، لتاريخه، ص ١٦٤، وبالتالي، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ١٣٩-١٤٢

(٤) هو أبو سعد برفوق من أهل، ويعرف برفوق لشامي سنة إلى عمر الدين عثمان بن مسافر توفّي تلك أول مرة سنة ٧٨٤هـ واسيد بذلك حتى مات سنة ٨٠١هـ انظر ترجمته، تاريخ ابن خلدون (١٩٧١) مشورات مؤسسة لأعلمي بيروت ٥/١٥٤-١٦٢

(٥) قطر، ابن خلدون، المغرب، ص ٣٠٧-٣٠٨.

ذهب، ولكن تدارك الناري سبحانه قنوده ضرر هؤلاء، وتمسكت لحال قليلًا، والحمد لله تعالى<sup>١١</sup>

و قد وضع بعض الرحالة الأندلسيين ولغارية مصفاتهم انني تصفنت احبار  
وحلاتهم بعد أن ذروا عتلف اللاد، فان سعيد المعري جال الديار المصرية والعراق  
ولشام، فجمع وصّف كتابه المشرق في حى المشرق، حيث أتاحت له لعمرة الاطلاع  
على غنة من كتب المشارة، فهو الرحالة الإخباري العجيب الشأن في التجول في  
الأقطار، ومدحمة الأعيان والتتم بالخزان العلمية، ونقد الفوائد المشرقة<sup>(١)</sup>.

وذكر بعض الرّحالة أنّهم قد اطلعوا إليه نحوهم في بلاد انشراق، على عدد من الكتب والقصائد الفقهية، ودرسوها، وأخذوا عنها، مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وغيرها<sup>١٠٠</sup>، وذكر ابن بطوطة أنّه أثناء زيارته لبلاد السودان، وفي مدينة منها تسمى اسمها، وجد عدد أمورها كتاب المدهش لاس الحوروي<sup>١٠١</sup>، ويقول: فجعلت أقرأ فيه<sup>١٠٢</sup> وقد حصل بعض الرّحالة على إجازات برواية مؤلفات بعض الفقهاء ومرؤياتهم، حيث أجاز الفقيه شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن<sup>١٠٣</sup> الرّحالة الشّجعي ما قرأ عليه من مؤلفاته، يقول الشّجعي: "وكتاب فصل الخيل فرأت عليه جمعه، ووهبني نسخة. وكتاب فصول إتياء صوم رمضان يست من شؤل، قرأت أيضاً عليه جمعه ووهبني نسخة

(١) التكملة، من الإصدار ٢٨٤ / ١

(٢) القوي، نغم الطوبى. ٢٧١ / ٢

(٣) انظر، بهي وشيف ملء البنية ١٦٢، ١٧٣، ٢٣٧، والتعبي. مصادر الرخسة، ص ٣٨٩، ٣٨٥،  
٣٧٦، ٣٧٤، ٣٦٤، ٣٦٠، ٣٥٨، ورحلة الجبال، ص ١٦، ١٤، ١٣، ١٠، ٩، ٦.

واسطر، رياض نقولا، (١٩٦٦). دمشق في عصر المماليك، بيروت، ص ٢١٢-٢١٣

(١) هو كتاب الفقه في المحاضرات لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الخوري العمادي،

انظر ترجمته، ابن حقلان، وفيات الأعيان ١٤٠/٢ ١٤٢  
(٥) رحمة ابن بطوطة ٢٨٦/٢، والمقري، نغم لطيف ١٦١/٥، ١٦٥

(١) انظر ترجمته، السكمر، طبقات الشعبة ١٣٣/٦، والتجويد، مستفاد المجلد، ص ٣٧، ٨٢.



يخط يده أثناءه لله... وكتاب معجم مشائخه قرأت عليه بعضه، وأجارتنا سائرته وهو مجلدان<sup>(١)</sup> ومن الرخالة أيضاً، الذين حفلت رحلاتهم بالروايات والكتب المقررة ولسموعة ولصفات التي أثير بها في مختلف العلوم والعون، ابن رشيد. وعذ بعض لباحين، أن ابن حجير أكثر الرخالة تأثراً بالشرق وتأثيره، وكان لكتبه تأثير كبير في ظهور أدب الرحلات في بلاد الأندلس والمغرب<sup>(٢)</sup>.

وكان الرخالة بذلك مؤثرين في الغير لا متأثرين فقط، فالتواصل الثقافي والمعرفي، ظل متواصلاً مع المشرق، وقد نقل كثير من النعماء لأندلسيين والمعارضة كتب أهل المشرق معهم إلى بلادهم، حيث بحث ابن زُمرَك إلى صديقه ابن حيدر أنشاء وجوده في مصر، يطلب منه إرسال بعض المؤلفات لشرقية والمغرب من سيدي أن يبحث لى ما أمكن من كلام فصلاء الوقت وأشباههم على الفاتحة<sup>(٣)</sup>.

ومن الكتب التي جلبت من المشرق كتاب الأتالي لأبي علي الغالي<sup>(٤)</sup>، وقد أشار ابن خلدون إلى أن الغالي قدم من المشرق، فأورث أهل الأندلس علمه<sup>(٥)</sup> فتأليفه مطلب كل المثقفين في الأندلس والمغرب، وكان تأثير أبي علي الغالي كبيراً في نقل علوم اللغة والأدب والآداب والأحوال والمجالات الثقافية في الأندلس والمغرب<sup>(٦)</sup> أما كتاب الأتالي لأبي العرج الأصبهاني، فقد أرسل في طلبه الخليفة المستنصر<sup>(٧)</sup>

(١) الحججي، مستعد الرحلة، ص ٤٧-٤٨ وما بعدها

(٢) انظر، إدوارد صليح محمد، (١٩٨٧) التبادل المعرفي بين المغرب والأندلس وشبه الجزيرة العربية مجلة الدار، السنة ١٣ العدد (٢) ص ١٠٣

(٣) ابن حيدر، لتاريخه، ص ٢٠٩-٢١٠

(٤) وسمر ترجمه في صفحة ١٣٤ من هذه الدراسة، حاشية رقم ٣

(٥) تاريخ ابن خلدون، ١/٤٦٦

(٦) انظر، المقرئ، فتح الطيب ١/ ٣٨٦، و نظر، أمي، حسن، (١٩٨٥) العلاقات الثقافية بين الأندلس وبلاد في العصر العباسي للعلم، الس ١٦، العدد (٢٣)، ص ١١٩

(٧) هو لحكم الثاني المستنصر (٢٥٠هـ-٣٦٦هـ)، أكثر خلفاء الأندلس تسامح وحرية فكر، انظر ترجمته، العتيبي، بنية، ملخص ١/ ٤٠-٤٢ والمقرئ، فتح الطيب ١/ ٣٨٦ وما بعدها

ولعلَّ معظم الكتب التي انتخبها مكاتب قرطبة لحاجة العامة، هاجرت مع العلماء وطلاب والتجار وغيرهم إلى أنحاء الأندلس المختلفة<sup>(١)</sup>، وكانت هي التي صدعت كبـ الرحالة ابن العربي، وقرعت حلده، وكان عدم فهم فقهاء بلده لتلك الكتب، هو ما جعله يقرّر الرحلة في طلب العلم، حيث يقول: «ناهيك من أمة يجلب إليها هذا القدر الطميف، فلا يكون منهم أحد يضاف إليه، إلا بصلة الحجر الضعيف وبذرت في نفسي طية، لئن ملكت أسري لأهاجرن إلى هذه المقامات، ولأفدن على أولاء الرجال، ولأعمرسن بما لديهم من اعتقائد والمقالات»<sup>(٢)</sup>.

هذا، لم يكتب الرحالة الأندلسيون والمعاربة يجلب الكتب وحسب، بل عخاص بعضهم غمار الحركة الفكرية، فأولوا العلوم التشريعية عناية خاصة، حيث خصصوا لها العديد من المصنفات، ودوّنوا المسائل الفقهية، وتناولوها بالاختصار أو الشرح أو التعليل، ومنهم أبو بكر العربي، وابن رشد، ونسجي، وابن تومرت، وعيسى الدين بن عربي. لذي قيل عن كتبهم: «لما سلاذ اليمن والروم حيث عظيم»<sup>(٣)</sup> وفي ذلك دلالة على عناية الأوروبيين بكتب المسلمين.

أما ابن الخطيب وابن خلدون، فقد تركا مؤلفات عديدة، دامت وانتشرت بين البلدان، لتشهد على براعتهما في التاريخ والأدب والرسائل وتشرع ويظهر من ذلك أن الثقافة المشرقية، قد مكنت ظلّها في الثقافة والعكر الأندلسيين والمغربيين، حيث وفق لأندلسيون والمعاربة بين ثقافة المشرقة وثقافتهم، إلى أن أخذت نعر حصاره متميره للأندلسيين والمعاربة، لما شخصيتها وطابعها

(١) الطبري، نظري، مع الطيب ١ ١٥٥ ٣٨٥ ٣٨٦

(٢) ابن العربي قانون تأويل، ص ٧٦-٧٧

(٣) نظري، مع الطيب ١٦٦/٢



كما انتقلت لثقافة الإسلامية إلى الدول الأوروبية، وتطوّرت لتترك أثر كبيراً في الفكر المسيحي واليهودي، عبر هذا الامتزاج اللغوي عن تفاعل الخصارة العربية الإسلامية بالخصارات الأخرى، ممّا جعلها بحق لغة الحوار الحضاري الأندلسي والمغربي آنذاك<sup>(١)</sup>

### ب السفارات والاستفادة من ثقافة الآخر

أدت السفارات دوراً مهماً، ساعد على تطوير العلاقات الثنائية وتعميقها، فقد مثلت نمطاً من نصوص الرحلات، وعكس صورة التفاعل الثقافي بين مختلف الحضارات. وكانت مجالس الخصة والسلاطين والمثوك، تمثل صورة من صور التفاعل الثقافي، فقد مثل بلاط روجر الثاني ملكي الخصارة العربية والأوروبية، حيث صوّرت حرائط الإدريسي العالم للأوروبيين، وهذا كتابه أكثر كتب لطقراطية باللغة العربية روجاً وصينياً في أوروبا<sup>(٢)</sup> وكان تكليف روجر الثاني كعالم عربي بالذات بوضع وصف لعالم المعروف آنذاك لنديل ساطع على نفوق الخصارة العربية في ذلك العهد وعلى اعتراف الجميع بهذا التفوق<sup>(٣)</sup> أما ابن بطوطة، فقد وصف إحدى ليالي في مجلس السلطان أوزبك حان، حيث يقرأ القراء بالأصوات الخسان، ثم يأخذون في الغناء يفتنون بالعربي ويسقون الفول، ثم بالقارسي يسقونهم الملعق<sup>(٤)</sup>.

(١) ونريد من الاطلاع على هذا الامتزاج السوي وأثره في التفاعل الثقافي بشكل عام، انظر، بالشيد، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ١٨٥-١٨٨، وريغرد هوبكة، شمس العرب تسطع على العرب، ص ٥٢٩. ولأندلس قرون من التقنيات والعطاءات، كحيل، عبادة عبد الرحمن رحا، الخصوصية الأندلسية، أصولها الجغرافية، ابن رض، مكتبة الملك عبد العزيز العام، ١٩٩٧، ط ١، ٢ / ٤٤١ وشرق العبادي، أحمد مختار، (١٩٧٩) الإسلام في أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر، مجلد ١، عدد (٢)، ١٩٧٩، ص ١١٠-١٠٩. Nicholson, R.A. (1996) Literary History of the Arabs, ١١٠-١٠٩. Watt, W.M. (1967) A History of Islamic Spain Islamic, India. S. Sajid Ali, P. 415 Surveys, 4, Edinburgh, University Press, P. 151

(٢) كزاشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٣٠٤

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٩

(٤) رحلة ابن بطوطة ٢٩٩/١

ولنأخذ أهم جوانب الحياة السياسية، التي عكست صورة التعامل الثقافي وحلقت جوّاً من حوار الحضارات والثقافات. هي السفارات<sup>(١)</sup> ومازقتها من تزيينات أميّة واهتمام خاصّ بنظام التشريفات، وتبادل للهدايا بين الملوك، فقد حرصت اذلول من خلال السقرب على المحافظة على كيانها وتقريب علاقاتها مع الذول الأخرى من مستوى المجاهدة إن لم يكن مستوى الصداقة، حيث شكّلت السفارات بين الذول مجالاً وسعاً للتفتح على مختلف الجوانب الحضارية، فكان لابدّ من اتصال الحكام وأسراء الأقاليم المختلفة ببعضهم، ولا بدّ أيضاً من اتصافهم ببعضهم من حكام صر المسلمين، فالظروب السياسية الداخلية والخارجية، كانت تستوجب وجود السفارات وتعدد السفراء، لعقد التحالفات والمعاهدات، وصولاً إلى الأمن والاستقرار، وتنظيم العلاقات الدولية، وإبرام الاتفاقيات، بهذا يكون السفراء قد أدّوا دوراً هاماً في روع بدور لتقافة العربية الإسلامية، ونشر الثقافات المختلفة بشكل عام إلى أنحاء الذول الأخرى وقد كان بعض الرحالة سفراء بلادهم للبلدان الأخرى، ثم سفراء تلك البلدان إلى غيرها، حيث نقلوا صورة حليّة عن أحوال البلاد العربية والإسلامية، وأحوال بعض الذول الأوروبية، فقدست الرحلات، بذلك، أبرز ملامح التفاعل بين المسلمين والمسيحيين الأخرى، ولعلّ رحة يحيى المرالي<sup>(٢)</sup> تؤكد دور السفراء في التعامل الثقافي، من خلال عقدهم لمجالس التناور والتناظر التي ساهمت في تطوّر الثقافات وتمازجها، حيث كان للغزال مع الروم مجالس مذكورة، ومقاوم مشهورة، في بعضها جادل علماءهم فيكثتهم، وفي بعضها ناضل شجعدهم فائسهم<sup>(٣)</sup>. كم تناور المرالي مع زوجة ملك الروم التي أعجب به وبحواره معها واستمتعت سماع شعره بعد أن يترجمه لها المترجم، ليس هذا وحسب، بل إن

(١) انظر، هذه للدراسة، ص ٢٣-٢٧

(٢) انظر، بن دحية، للطرب، ص ١٤٢ ١٤٣. والمفري، مع الطيب ٢/ ٢٥٧ ٢٥٩

(٣) ابن دحية، للطرب، ص ١٤٢. وانظر، دور سفارة المرالي في التبادل الثقافي، جبرار، رماد ابووصل،





سفارة الغزال كشفت عن دور المرأة في فتح باب التواصل الثقافي والاطلاع على ما لدى كل طرف من أخبار وثقافة

وكشفت سفارة ابن خلدون عن دور اليهود والنصارى، الذين يعملون في قصور الأندلسيين ولقاربة والأوروبيين، وتقربهم إلى السلاطين ليكونوا من خواص رجال الدولة، ومنهم الطبيب اليهودي إبراهيم بن رزرق، كما وصف ابن خلدون الهدايا التي جلبها إلى ملك قشتالة من السلطان المغربي، وما حمله ملك قشتالة من هدايا للسلطان المغربي، ولابن خلدون<sup>(١)</sup>، ويرى صلاح جرار أن سفارة ابن خلدون تدل على عمق الاتصال الثقافي بين الأندلس وقشتالة، وأدوات هذا الاتصال، فهو يكشف عن دور العلماء والمثقفين الأندلسيين، بما يحظون به من تقدير لدى الأوروبيين - في إنجاح مساعي التقارب بين الأندلس وجيرانها الأوروبيين<sup>(٢)</sup>. كما أن سفارة ابن خلدون كشفت عن دور بعض العناصر اليهودية والمسيحية الذي ينتقلون للعمل في قصور الأندلسيين وقصور الأوروبيين في المغرب، وتعرف كل منها بثقافة الآخر<sup>(٣)</sup> ويصف ابن خلدون أيضاً نظامه في محس أبي عان، وحصوله على ائمة من السفراء، حيث يقسمون ويكلف على النظر، والقراءة، وبقاء المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الأندلس لوالدين في غرض السفارة وحصلت على الإعادة منهم<sup>(٤)</sup>

أما الرحالة بن بطوطة، فقد كان له دور كبير في شاع دائرة التبادل الثقافي، من خلال سفارته<sup>(٥)</sup> وزياراته للسلاطين والملوك، وتجاوزه مع زوجاتهم، وتزويدهن بثقافة بلاده واكتسابه من ثقافة بلاده، ومن ذلك حديثه مع ملكة مدينة كيلوكري - إحدى

(١) ابن خلدون، لتاريخ، ص ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠، والمغربي، مع الطبيب ١٢٠ / ٥، وانظر هذه

الدراسة، ص ٢١، حاشية رقم ٥

(٢) جرار، زمان الوصل، ص ٢٨

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨

(٤) ابن خلدون، لتاريخ، ص ١٠٢

(٥) انظر، رحلة ابن بطوطة ١٢ / ١٣٥، والدراسة هنا، ص ١٤، حاشية رقم ١

مدن جاوه ، التي كانت تصحط بالتركيّة، وترغب في الاطلاع على ما لدى الرّحالة ابن بطوطة من ثقافة ومعرفة، ثمّ اسهم في تفعيل دور الرّحالة صمّعن إطار التدفّع الثقافي يقول ابن بطوطة : «وكانت تحسن الكتاب العربيّ فقالت لبعض خدمها دواة وبتك كاتور، معناه الدواة والكاغذ، فأوتي بذلك، تكتبت بسم الله الرحمن الرحيم، فقالت ما هذا؟ فقلت لها: تُنصّري مام ومعنى ذلك، اسم الله، فقالت حسن ومعاه جيد ثمّ سألتني من أيّ البلاد قدمت؟ فقلت لها: من بلاد الهند، فقالت: بلاد المغنل؟ فقلت نعم فسألني عن تلك البلاد وأخبارها، فأجبتها<sup>(١)</sup>

وكان لسفراء الدول الأخرى دور في ترويض بعض الرّحالة في مختلف الثقافات، ومثال ذلك ما كتبه ابن الخطيب في كتابه أعمال لأعلام عن تاريخ المملوك المسيحيّة الإسمانيّة، وهي فشتاله، وأراجون، والبرتغال، ويسون، وبرشونه، وقد ساعد ابن الخطيب في كتابة هذا الحزء بغير ملكة قشتالة يوسف بن وفار الإسرائيليّ في أثناء زيارته لملكته غرناطة في مهمة رسميّة، وفي ذلك يقول: وقد كنت طلّمت شيئاً من ذلك من فطنته، وهو حكيم الشهر، طيب دار فشتاله وأستاذ علمائها، يوسف بن وفار الإسرائيليّ الطليطلي، ثمّ وصل إلينا في غرض لرئاسة عن سلطانه، فقبّلتني في ذلك تقريباً أقبل منه بلنظرة أو بمعناه ما أمكن، واستدرك ما أصعب، إذ ليس يتأدّح في العرض<sup>(٢)</sup>.

ومن جانب آخر، فإنّ أغدايا راهبات والأعطيبت التي رافقت السفراء، وتبادلا مدرك لبلدان المختلفة، عدّت مطهراً من مظاهر التماثل الثقافي، ونقل لعددت و المعتقدات ومكسبت صوراً لمحتف جوارب الحصاراة في تلك البلدان، فقد وجّه ملك الروم إلى أبي عسان هدية احتفل بها غاية الاحتفال، وأعرب بها عن ثقافته ولحسن الحال أقصح من لادن لقال فما سبق من ملاده أحسن من بغلاته التي أوفدها شاجمة، حافظه للصوّاهل أرحاماً واشجّة من كلّ مشرفة الهادي شات عبد الفسان، عيلة لم تر

(١) انظر: رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٢٢١

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٧٢- ٣٧٨



شاحمة عنزة إلا بهذه الموقف الكريمه والمحال نيرة اللون لا يسابقها طليسم عجيبه قياس مشيها متوج وهي عقيم، عالية القرى مرتفعة كدار القرى، ولحوامرها في زيارة الأرض ذات الطول والعرض، بعلامات حسن ما فخر، وأنشدت وما التانيت باسم الشمس عاد وهي عمار ركبت عاراً، ووافقت أعظم منها جواداً وإيناراً<sup>(١)</sup>

إن هذه الاتصالات الدبلوماسية بين مختلف الأطراف وتبادل الوفود والسفارات، احتاجت لتربيّات أمنية معينة في عمية الانتقال والوداع، الأمر الذي دعا إلى تطوّر نظام لتشريعات في تلك العصور، فقد كان ملك انصارى عليّام يحيط نفسه بحرس من المسلمين، حيث يقول ابن جبير: «وأن ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين ونماد الفتيان الجايب وهو كثير ثقة بالمسلمين، وساكس إليهم»<sup>(٢)</sup>

أما ابن الحاج السبكي فيذكر في رحلته أن انصارى قد شكّلوا عسكراً من عناصر السكان في فارس، وفضل جزء كبير منهم الخدمة والانضمام إلى الحشية السلطانية، ومهم من حمل السلاح وحارب إلى جانب الجيوش المغربية، وذكر أيضاً: «أن عناصر الجيش تألفت من الأعلاج الرومية، والممالك الرعية والأحباد الأندلسية، والطوائف التركية ولترية، والأمازيق العراقية، والمصرية ولشامية واليمية والمندية وسائر لتركمانية»<sup>(٣)</sup> بالإضافة إلى الجنود المعربة

وقد اتخذ بعض السلاطين تربيّات أمنية أخرى، بحيث يتم إجبارهم على يدخل أو يخرج من البلاد حيث كان لسلطان طرد محمد شاه جماعة من لمحبرين قد أعد كتب المحبرون إلى السلطان يتر من يصل إلى بلاده، استوحوا الكتاب وأعمو في ذلك وعزّوه أنه ورد وجن صورته كذا، ولنامه كذا، وكتبوا عدد أصحابه وعيانه، وخدمه ودوايه، وترتيب حانه في حركه وسكونه، وجميع تصرفاته، لا يغادرون من ذلك كلمة شيئاً<sup>(٤)</sup>

(١) ابن الحاج السبكي، قصص النعاب، ص ٢٩، ونظر: انصارى، ص ٢٣٥-٢٣٧

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٢٩٧-٢٩٨، ونظر: القصص، ص ١٧٧، ٢٠٦

(٣) ابن الحاج السبكي، قصص النعاب، ص ٢٤٣، ونظر: رحلة ابن جبير، ص ٢٥

(٤) رحلة ابن بطوطة ٩/٢

ومن الاحتمالات الأسيّة، أيضاً، أنه من عادة ملك عند أنه يجعل مع كلّ أمير كبير أو صغير، مملوكاً له يكون عيناً عليه ويعرفه بجميع حاله، ويجعل أيضاً جرّاري في الدُور يَكُنّ عيوناً له على أمراته، وسورة يُسميهنّ الكتّاسات، يدخلنّ الدُور بلا استئذان، وغيرهنّ الجوّاري بما صدرن، فتحبر الكتّاسات بذلك لملك المخبرين، فيحبر بذلك السلطان. <sup>(١)</sup>

وفد ألفت بعض الرّحلات الصّوّ على كثير من صور الترتيبات الأسيّة المتبعة في استقبال السلاطين للزوّار أو توديعهم لهم أو نظام التشرّفات في مختلف الماسبات، لا سيّما في الأعياد، فابن بطوطة يصف الترتيبات المتبعة في محلّ قعود السلطان محمد أوزبك حان وسفره، حيث كانت أموره ترتب ترتيباً عجيباً، بحيث يتسنى لمن أراد السلام عليه الوصول إليه، فمن عادته أن يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمّى قبة الذهب مرّية بديعة، وهي من فضّين حشّب مكسوة بصفائح الذهب، وسطها سرير من خشب مكسو بصفائح الفضة لدقّة وقوامه فضة خالصة ورؤوسها مرصّعة بالجواهر ويصف أسفل سرير على اليمين ولد للسلطان وعن الشمال ولد له الثاني. وتجلس بين يديه ابنته وأما طيفعلي وهي الملكة فإنه يستقبلها إلى باب القبة، فيسلم عليها ويأخذ بيدها، فإذا صعدت على السرير وجلست، حينئذ يجلس السلطان. ويأتي بعد ذلك كبار الأمراء فتصحبهم كراميتهم عن اليمين والشمال، وكلّ إنسان منهم إذا أتى مجلس السلطان يأتي معه غلام بكرهه، ويقف بين يدي السلطان أباء الملوك من بني عبّاس ورحوته وأقاربه، ويقف مقابلهم عند باب القبة أولاد الأمراء الكبار، ويقف خلفهم وجوه العساكر من غير وعن شماله، ثم يدخل الناس للسلام الأمثل للأمثل، ثلاثة ثلاثة، فيسلمون ويتصّفقون فيجلسون على بُعد <sup>(٢)</sup>

ويصف ابن بطوطة، أيضاً، ترتيبات خروج الحشّون ووجّة أوزبك حان، -أميرة اميراطور الفسيفطية- ثم يصف ترتيبات استقبالها في بلده، ويقول وتزجّل لها أخوها، لأنّه أصغر منها، وقتل ركانها، وانصرفت مع أخيها ووصل آخر الحشّون وولي العهد

(١) المصدر منه ٩٦/٢، وانظر أيضاً، المصدر منه ٥٣، ١

(٢) وحلة ابن بطوطة ٣/١ ٤ ٣٠٤، وانظر أيضاً، المصدر منه ١٦/٢ ١٧



في ترتيب عظيم وحسب ضخم من عشرة آلاف منزل، وعلى رأسه تاج وعن يمينه نحو عشرين من أبناء الملوك، وعن يساره مثلهم، وقد رُتب فرسانه على ترتيب أخيه سواء، إلا أن الحمل أعظم وجمع أكثر. وصرت عند الصباح الأطباء والأهالي والأهالي، وركبت العساكر. وخرج السفن وروجه أم هذه الختوت، وأرباب التولية والحوص، وعلى رأس الملك رواق يحمله خضوع التجار المسلمين وغيرهم لبعض القيود في الموضع الإسلامي، إلا أن معظم المبادلات جملة من الفرس، ورجال بأيديهم عصي طوال في أعلى كن حصا شبه كرة من جلد يرفعون بها الروق ولما أتبل السلفان احتلقت المسائر وكثر المعاج. (١٦)

وندا هال بن بطوطة تلك الترتيبات المتبعة لأي زائر يقصد إمبراطور القسطنطينية يصف دخوله قصر إمبراطور القسطنطينية، فيقول: وفي اليوم الرابع بعثت إلي الخاتون التي سبيل اهدي، فأخذ بيدي، وأدخلني القصر، فجرنا أربعة أبواب في كل باب سقائف بها رجال وأسلحتهم قلماً وصلنا إلى الباب الخامس تركي اعني سل ودخل، ثم أتى ومعه أربعة من لغتيان الرومي ففتشوني كئلا يكون معي سكين، وقال لي القائل تلك عادة لهم، لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك. (١٧)

وكما حرص الحكام والسلاطين على الأمن داخل قصورهم، حرصوا على أمن البلاد وسكانها، فقد وصف ابن بطوطة حالة الأمن في بلاد الصين، وذلك بقوله وبلاد الصين من البلاد وأحسنها حالاً للمسافر، فأن الإنسان يسافر مفرطاً مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها، وترتيب ذلك أن لهم في كل منزل ببلادهم فندقاً عليه حاكم يسكن به في جماعة من الفرمان والزجالة، فإذا كان بعد المغرب والعشاء جاء الحاكم إلى الفندق ومعه كاتبه، فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسافرين وعتم عليها، وأصل باب الفندق عليهم، فإذا كان بعد الصبح جاء معه كاتبه، فدعا كل إنسان

(١٦) المصدر منه ٣١٦/١-٣١٧، ونظر أيضاً المصدر منه ٢٧٧/٢

(١٧) المصدر نفسه ٣١٩/١

باسمه وكتب به تفصيلاً، ويبحث معهم من يوصلهم إلى المنزل الثاني له وبأنه براءة من حاكمه أن الجميع قد وصلوا إليه، وإن لم يفعل طلبه بهم<sup>(١)</sup> إن هذه الصور التي نقلتها الرحلات لسفارات والرتيبات الأمية في البنداب العربية والإسلامية ولأوروبية، أطلعت كل حاسب على حضرة الجانب الآخر، في نظام تشريفاته وترتيباته الأمنية، بل إن ما قام به بعض الرحالة من مقارنات بين هذه الحوائط الحصارية، يقدم صورة جلية للمنتقى عن تلك الأنظمة في مختلف البلدان.

### ج الحياة الاقتصادية والنشاط العمراني

أظهرت الرحلات أن العلاقات بين لاندس والمغرب والمشرق وبعض الدول الأوروبية، أخذت تشع لتعز ملامح حصارية واحدة، فالمجتمع الأندلسي والعربي اكتسب من العناصر المتنوعة سمات كثيرة، فهص في مختلف المجالات والأنشطة بحيث صهرت الرحلات تلك الحضارات وثقافات في وحدة حضارية مشتركة، فما هو إنساني تتلاقى فيه الحضارات.

ومن تلك المجالات التي أضاءت الرحلات الضوء على دورها في التعامل الإنساني، التجارة، وقد أشارت الدراسة سابقاً<sup>(٢)</sup>، إلى أن التجارة أدت دوراً هاماً في تطور الحضارة العربية في العصور الوسطى، فكان التجار وسطاء فكر وثقافة ودعاة علم ومعرفة، شتما كانوا وسطاء تقن للسلع المختلفة، ومثلت التجارة داعياً هاماً إلى التجوال وتبادل الخبرات. ففتح عن هذه الصلات انفتاحية فوائده معرفية وثقافية وحضارية ومادية متعددة، حيث درس النصارى واليهود في المدن الإسلامية كافة ألوان النشاط الاقتصادي وغير الاقتصادي، وتغلدوا المناصب الهامة في الدولة

إن تبادل السلع التجارية في القرون الوسطى، دلالة على العلاقات والتواصل بين البلدان والأفلاخ على ما لدى الدول، ولعل رحلة بياض التعليلي نقي الضوء على مثل

(١) رحلة ابن بطوطة ٢٢٥/٢

(٢) انظر، هذه الدراسة، ص ٩٢ ١٠٠



هذا السّور، حيث كان الرّحالة نفسه تجرأ بدليل اهتمامه بالشؤون الاقتصادية و لأحوال التجارة لبلدان التي زارها، ووصفه لأحوال اليهود في كل مدينة زارها وظروفهم ومراكزهم الاجتماعية، وطرق كسبهم وتجارهم، كما يصور للتاجر اليهودي الذي يجوب الأقطار البعيدة، قادماً من أوروبا يحمل مختلف البضائع والسلع ببيع، ثم يعود إليها ساج اشرق العبي بدمائه وعصبه<sup>(١)</sup>.

ويذكر بيامين الشطلي، كذلك، مواقع التجارة المدة لليهود، مثل مدينة موبليه العرسية التي كان يجتمع فيها التجار من نصارى ويهود ومسلمين، من مختلف الأمصار من المغرب ومرسا وإسبانيا وإجلترا من الذي يتحدثون بكل لغة ولسان<sup>(٢)</sup>، ويشير أيضاً إلى أسواق الإسكندرية التي يزورها التجار من الممالك المصرية كافة، وتأتيها من الهند البوبل والعلطور بأنواعها فيشربها تجار انصدي<sup>(٣)</sup>.

وقد أشار بعض المصادر إلى بعض المواقع التي يلتقي فيها التجار من مختلف الطوائف فمدينة لمية الأدلسية كانت ملتقى التجار المسلمين والروم ومراكهم<sup>(٤)</sup> ويذكر ابن بطوطة أن في القسطنطينة حناً خاصاً بالتجار الأخاب الذين يعدون عليها من جميع الجهات، وأن المدينة يعيش فيها مختلف الطوائف من الناس، بعضهم مسلمون ومنهم الروم والروم وهم نصارى<sup>(٥)</sup>، ويذكر، أيضاً، أن هناك قسماً خاصاً بنصاري لإمريج يسكنونه، وهم أصناف منهم الجوينيون، والبادقة وأهل رومية وأهل إفراسة<sup>(٦)</sup>.

وذكر بعض الرّحالة العملات وطرق التعامل النقدي في مختلف البلدان، من خلال مقارنتها بعملات الدول الأخرى، فمثل هذا الحديث يحسن في طياته ملامح التعامل النقدي<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر، رحلة بيامين الشطلي، ص ١٩، ١٦، ٢٠-٣٧، ٣٨.

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٣) انظر، المصدر نفسه، ص ٧٨.

(٤) انظر، نظري، مع الطب ١/ ١٦٢-١٦٣.

(٥) رحلة ابن بطوطة ١/ ٣٢٦.

(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٢٠.

(٧) انظر، المصدر نفسه ٢/ ٢٥٨، وانظر، هذه الدراسة، ص ٩٩، ١٠١.

أما ابن خلدون، فيشير إلى دور التبادل التجاري في التفصيل الثقافي، لا سيما من طريق مصر، حيث يقول: «ولا أودر اليوم في الحصار من مصر، فهي أم العالم، وليوان الإسلام، ويتنوع العلم والصنعة»<sup>(١)</sup>.

إن انتشار مصوغات ومنتجات مختلف البلدان في مختلف الأنظار يؤكد عمق الصالح الثقافي في مختلف المجالات، كما أن التشابه في الإنتاج والصناعات يدل على أن الإسلام كان عامل توحيد تجاري إلى جانب كونه عامل توحيد ديني وثقافي بين بلدان العالم الإسلامي، فرغم الاقتصادية كانت تحري على أساس المساواة والاحترام المتبادل، وكانت السمن تحمل على متونها الناس من كل دين وجنس ودون تعصب، فقد استخدم الرحالة ابن بطوطة نفسه سفناً جنوية<sup>(٢)</sup> في رحلاته، كما اشترى حجلة تجرها فرس من طائفة نصرانية في بلاد الأتراك<sup>(٣)</sup>.

ولاحظ ابن جبير حتى دار دمشق، أن تجار الطرفين المسلمين والنصارى يقدون ويروحون في ديار المسلمين وديار النصارى دون أي صعوبة تعيق طريقهم، ومن أعجب ما يحدث به أن ثيران الفتنة تشتعل بين العتتين مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان ويبيع المصاف بينهم ورفاق المسلمين والنصارى مختلف بينهم دون اعراض عليهم. وحتلاب القوافل من مصر إلى دمشق على ملاذ الإفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكة كذلك، وتجار انصارى أيضاً، لا يمنع أحد منهم ولا يعترض<sup>(٤)</sup> ويبدو من ذلك أن الطوائف المتعددة كانت تجتمع في الأسواق، وتجري العلاقات بينها بشكل عادي. فتوثقت الصلات بين التجار على الرغم من اختلاف ملتهم، وفويت علاقات الودّة وشائج المعرفة.

(١) المقدمة، ص ٤٥٣

(٢) رحلة ابن بطوطة ٢٩٤/١

(٣) انظر، نفس المصدر والمزمه والصحة

(٤) رحلة ابن جبير، ص ٢٦٠





ولمَلْ في بعض عادات بعض الشعوب التي زارها الرَّحَّالُ ما يتلوهي على ملامح التوصل والافتتاح على ثقافة الآخرين، فإنَّ أهل الصين يحترمون النجر من المسلمين عدية لاحترام ولا يؤخذ منهم أضرار في بيع أو شراء ولا مكس<sup>(١)</sup>، وفي مدينة بانباس يتشاطر الإفرنج والمسلمون الغلة على استواء، ومواشيهم مختلطة، ولا حيف، يجري بينهما فيها<sup>(٢)</sup>

أما الشدط العمراني، فقد كان حكام المسلمين يستعيون بالصنَّاع الإفرنج، فحين أمر أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان ببناء اجتماع لأمرى، وجه إلى ملك الروم بقسطنطينة يأمره أن يعث إليه صنَّاع فعث إليه اثني عشر ألف صنَّاع ..<sup>(٣)</sup>

ويصف ابن بطوطة جندف، فيقول: وهي بلدة قديمة على ساحل البحر ينصد البحر الأحمر، يقال: إنها من عمارة الترس، وبجارجها مصلح قلعة<sup>(٤)</sup> أما ابن جبير فيذكر جامع مدينة حران<sup>(٥)</sup> المكرم، حيث يقول: وهو عبق عجذ قد جاء على عدية الخس، وله صحن كبير فيه ثلاث قباب مرتفعة على سوار رخام. ونحت كل قببة بشر عدية وفي الصحن أيضاً قبة دابة عظيمة قد قامت على عشر سوار من الرخام دور كل مسارية تسعة أشبار وهذه ائمة من بياض الروم، وأعلامها مجوف كاله الرح المشيد، يقال إنه كن خرواً لعدتهم الخريسة .<sup>(٦)</sup>

وكان حكام البلدان المحلطة يهتمون بمعرفة أحبار المشرق وفن العمارة فيها، لذا فقد كان ملوك المسلمين يأمرهم بأن يناد برسل ملوك الروم في مختلف المدن الإسلامية حتى يروا عمارة تلك المدن<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر، رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٢٢٣، ٢٢٥

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٢٧٣ - ٢٧٤

(٣) رحلة ابن بطوطة ١/ ٨٢.

(٤) رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٢٠، انظر، الشحي، مستفاد الرحلة، ص ٢١٨

(٥) انظر الدراسة هـ، ص ٨٩، حاشية ٨

(٦) رحلة ابن جبير، ص ٢٢٩

(٧) انظر، العبدري، الرحلة الغربية، ص ١٢٨

وبهذا، فإن الرحالة استطاعوا أن يرمسوا صورة جليلة لمعظم مبادئ الشعوب وثقافتها، وأعطتها أهمية، ومختلف الأنشطة الثقافية والاقتصادية، حيث بينت الرحلات أن العلاقات بين مختلف العصور كانت تقوم على أساس الأخذ والعطاء، ومساهمة كل طرف في تطور الحضارات وازدهارها، فلا عروسة في أن يحدث مثل هذا التأثير بين مختلف الطوائف في الأندلس، المسلمون، واليهود، والنصارى، فهم يعيشون في بيئة واحدة وبلد طويل، الأمر الذي ترك أثره في نفوسهم جميعاً، فتشكّلت حضارة إنسانية ذات أصل واحد، حيث لا حضارة معرولة عن الحضارات الأخرى، فكل حضارة تأخذ من الأخرى يسهم ذلك في تكوين المجتمع الإنساني المروّد بالكثير من المعلومات في شتى الميادين



## الفصل الثالث

### الرحلة والسيرة الذاتية

## ١- السيرة الذاتية: المفهوم والنشأة

إن حاجة المرء للتعبير عن ذاته أمر طبيعي عند الناس جميعهم، منذ بداية الوجود الإنساني، وهو رغب في البقاء والخلود يريد - جهد استطاعته - أن يؤكد ذاته فكان يكتب اسمه وعرفاً من حياته على أحجار يبسها فوق مقبرته، وكان هذا أول غرض قصد إليه الإنسان منها<sup>(١)</sup>

وعلى الرغم من أهمية الدراسات التي عيت بالسيرة الذاتية، وعاصرها التي تميزها عن المسود الأدبية الأخرى مثل المذكرات، واليوميات، والاعترافات، والرسائل، ولرحلات، فإن هذه الدراسات لم تستوف كل ما يمكن أن يقال في عن السيرة الذاتية، الأمر الذي جعل من اعتبار السيرة انكائية جنساً أدبياً مستقلاً في الأدب العربي إشكالية كبيرة صعب معها ضبط الفوارق بين المذكرات، والاعترافات، واليوميات والرسائل، ولسير الذاتية

غير أن لسيرة الذاتية تبقى نوعاً من الأدب الحميم الذي هو أشد لصوقاً بالإنسان من أية تجربة أخرى يعانيها<sup>(٢)</sup>

ومن التعريفات التي وقع عليها البحث للسيرة الذاتية، تعريف جاور عبد الوهر، حيث قال: إنها كتاب يروي حياة المؤلف بعلمه، وهو يختلف مادة ومنهجا عن المذكرات وليوميات<sup>(٣)</sup>

(١) انظر، صبيح شوني، (١٩٥٦) الترجمة الشخصية، القاهرة دار المعارف، ص٧، وبدوي، عبد

الرحمن، (١٩٦٢)، الموت والمعركة، ط٢، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ص ١٠٩

(٢) شلق، علي، (١٩٧٤) نشر العربي في عداجه وتطوره معاصري النهضة والحديث، ط٢، بيروت- دار الفلم، ص ٣٢٤

(٣) عبد الوهر، جاور، (١٩٧٩) المعجم الأدبي، سنن، بيروت: دار الملايين، ص ١١٣.



وعند مجدي وهبة وكامل لمهندس، السيرة الذاتية سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته انصاصة<sup>(١)</sup> وفي الموسوعة البريطانية السيرة الذاتية نوع خاص من السيرة يسرد فيه المؤلف حياته بقلمه<sup>(٢)</sup>.

وبصورة أسطى يقول ستاروسكي: هي سيرة شخص يرويها نفسه<sup>(٣)</sup>، بحيث يكتب تاريخ نفسه، فبسجل حوادث وأحارم، ويسرد أعماله وآثاره، ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته، أي أنها تبدأ من أصل الأسرة والطفولة، ثم تتدرج حسب أعمار العمر، تسجل فيها الرقائق يوماً فيوماً، أو دفعة واحدة، أو بصورة متقطعة بعد أن تجمع عناصرها من مصادر متعددة<sup>(٤)</sup>.

ويرى أحمد علي آل مريع أن السيرة الذاتية تعني الشمول ولاسيما السيرة الذاتية لاكتصاص بالذات والتركيز عليها وكشف معالمها الداخلية - ويرى أن السيرة الذاتية أكثر استيعاباً وتضجاً ووعياً بالذات من سائر الأنواع السابقة، وأنها كلها بما فيها السيرة الذاتية أجراء داخل فرع من فروع الأدب، يعني بالخصائص الإنسانية، ويهتم بالبحث عن الـ (أنا) أو (الذات) لهما أو لشري مساحتها، وشري الإنسان بمختلف التجارب ولعواطف أو ينه. تكاس إن قيمتها وما قدمته من تصحيات وب أمجرت من أعمال أو لير اقرب حركتها وعموحاتها في الحياة أو ليعمل ذلك كله معاً<sup>(٥)</sup>.

(١) وهـ، مجدي، الهندس كامل، (١٩٨٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٤٥.

بيروت مكتبة لبنان، ص ٩٤.

International copy right union (1974): The New Encyclopedia Britannica, USA (٢)

Volume 11 P 24

(٣) نقلاً عن: البخور، شكوي، (١٩٩٢) سيرة، ألعاب، سيرة الأني. السيرة الذاتية في كتاب الأيام

لطف حسين، تونس دار البخور، ص ٩

(٤) أبو الخير، محمود، (١٩٨٠) الترجمة الذاتية في الأدب العربي، مجلة أفكار الأدبية، عدد (١٢٩)، ص

٦-٧ وحسن، محمد عبد العلي، (١٩٥٥) أثر أحم والسير، القاهرة دار المعارف، ص ١٢٣

(٥) آل مريع، أحمد، (٢٠٠٣) المد والمفهوم، أبها سادي أبها الأدبي، ص ٨٣-٨٤، ونظرو، مهران،

رشيد، (١٩٧٩) طه حسين بين لسيرة والترجمة الذاتية ط ١٠، الإسكندرية طبعه المصرية العامة

للكتاب، ص ٢٩

أما فيليب لوجون، فقد حاول أن يقدم تعريفاً دقيقاً للسيرة الذاتية، إذ يقول إنها "حكي استعدي نثري، يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة"<sup>(١)</sup> وهو بتعريفه هذا ركز على أن الكلام في السيرة سرد لحياة صاحب السيرة، وأن حياته نفسها موضوع السيرة بصفة خاصة، وهذا ما لجل إليه الدراسة هنا.

وهذا ما يجب أن يدركه صاحب السيرة الذاتية، شخصيته، وتقلبات حياته المادية والمعنوية، فضلاً عن أماله ومواقفه وتصورات، هي المحور الأساس، والأشخاص الآخرون ولأحداث تدور في فلكه، فاسيرة الذاتية وإن عرّضت للأحداث التاريخية في عصر كاتب السيرة، فإنها ليست وثيقة تاريخية<sup>(٢)</sup>، فليس كل حديث عن النفس سيرة ذاتية، إذ ليست الترجمة حديثاً صادجاً عن النفس، ولا هي تدوين للمفاخر والمآثر<sup>(٣)</sup> بل هي قصة حياة إنسان يرويها نفسه، فصاحب السيرة حين يكتب حياته إنما يقدم لنا شكلاً معيناً لتلك الحياة.

أما الومئيات، فهي سجلٌ للتحارب والخيبرات الومئة، وحفظ لأحبار، والأحداث الحياتية للشخص<sup>(٤)</sup> وهي وإن كانت تعمل على رصد المواقف عند وقوعها إلا أنها تعتبر للحكي الاستعادي في العصر، وتأتي على شكل متقطع غير رتيب<sup>(٥)</sup>.

(١) لوجون، فيليب، (١٩٩٤)، السيرة الذاتية، الميثاق والنزاع الأدبي، ترجمة عمر حلي، بيروت: المركز

الثقافي العربي، ص ٢٢

(٢) الشاوي، عبد القادر، (٢٠٠٠) لكتلة والوجود السيرة الذاتية في المغرب، بيروت: إفريقيا

الشرق، ص ١٣٩

(٣) حامي إحسان، (١٩٥٦) فن السيرة، بيروت: دار بيروت، ص ٩٨

(٤) شعبان، لغنام عبد الله، (١٩٩٠) السيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث منذ مطلع القرن

الثامن عشر حتى بداية الحرب العالمية الثانية، رسالة ماجستير غير مشورة، جامعة المستنصرية،

العراق، ص ٣٨

(٥) عبد الدائم محيى إبراهيم، (١٩٧٥) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث القاهرة: مكتبة

النهضة، ص ٧.



ويدور أن هذه اليوميات، لحظات يقف فيها الإنسان مع نفسه، ويدور ما يدور في دخله يوماً بيوم، ويذكر ملاحظاته عن الأحداث التي شاهدها أو رويت له من شهود عيان، ويسجل انفعالاته إزاء الأحداث التي تتلاحق بسرعة متزايدة، ويأتي هذا التسجيل مرتباً ترتيباً زمنياً قد يكون متسلسلاً أو متقطعاً فتكون كتابته هذه مؤشراً على تمسك الإنسان بتلك اللحظات لحاصرة قلب أن تطويها مسافات الزمنية، وتحملها جرمها من الذاكرة

والمدكرات مثل السيرة - استجابة لحب البقاء والخلود وإبعاد شبح النسيان، ولعل أكثر ما يميزها عن السيرة الذاتية، اهتمامها بالأحداث الخارجية، فكانت المدكرات يعنى بتاريخ عصره ومجمعه، ويذكره من حلال رؤيته للأحداث، وهو بذلك يحيل عن المؤرخ الذي ينظر للحقائق نظرة موضوعية

ويرى يحيى إبراهيم عبد الديم، أن كاتب مدكرات يعنى فيه بتصوير الأحداث التاريخية أكثر من عيانه بتصوير واقعته الذاتية<sup>(١)</sup>، فهو شخصته تقتزم عادة بالتسجيل والتحليل والتوضيح لما يدور حوله، أما ما يدور داخلها فيظل في الظل<sup>(٢)</sup>

حيث لا تهتم المدكرات بالتعمق والتعمق والتعمق لدات الإنسان إزاء ما يواجهها من مواقف وأحداث وتجارب، وإن وصف بعضهم الحسرة والامسى وما ملأ أُنسهم من اعموم بسبب بعض المواقف التي مروا بها، فما هو الأمير عبد الله بن بُلْفَرين<sup>(٣)</sup> يكشف النقاب، في مذكراته، عن الكثير من الأحداث لسياسية، ومزمارت الملوك ضد بعضهم، والصراعات الخارجية مع الأسبان، مما أدى إلى تصاعد أزمة الأمير، فعندما

(١) المصدر نفسه، ص ٣، وانظر، آل مربع، الحنة والمفهوم، ص ٦٠

(٢) راجب، بيل، ١٩٧٨ معالم لأدب العربي المعاصر، القاهرة دار المعارف، ص ٤٧

(٣) هو، عبد الله بن بُلْفَرين بن باديس بن حوس من زيري، الملك لأخير لملكية غرناطة، ولد في سنة ٤٤٧ هـ ١٠٥٦ م، كتب مذكراته تحت عنوان: التبيان عن الحادثة لكاتبة يدعى بي زيري بقرناطة ومشرها | لبي برومال تحت عنوان مذكرات أمير عبد الله بن بُلْفَرين مذكرات الأمير عبد الله بن بُلْفَرين، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٧-٨، ونظر، ابن الخطيب، الإحاطة ٣/ ٣٧٩ ٣٨٢

هاجم الفونس السادس غرناطة، اضطرَّ الأمير عبد الله لمهادته بشروط قاسية، بحيث لا يتعدى أحد على الآخر، وأن يدفع للفونس عشرة آلاف مثقال في العام، ويقول الأمير عبد الله في ذلك: «فقدنا قوله، ورأينا عطاء عشرة آلاف في العام يدفع بها مصرتَه حياً من هلاك المسلمين ونساد البلاد، إذ لم تكن بنا قدرة على ملاقاته ومكابرته، ولا رجداً من سلاطين الأندلس عوفاً عليه إلا من يسوقه إلينا هلاكاً»<sup>(١)</sup>

وقد كان الأمير عبد الله صريحاً في سيرته، حيث يعترف في أكثر من موقف أنه قد أصيب بالارتباك وعدم الاستقرار، ولا سيما في مواقفه أمام يوسف بن تاشفين<sup>(٢)</sup> قائد المرابطين واعترف أيضاً أن وضع حثوك الطوائف كان يستلزم على يوسف بن تاشفين نوع الأندلس من بين أيديهم، إذ إن الخلاف اشتدَّ بينهم، فلم يعودوا أماء على مصالح الأندلس، يقول: «واخذ أمير المسلمين في الانصراف إلى بلاده، وهو قد أطلع عيانياً وسماها من اختلاف كلمته ما لم ير وجهاً لبقائنا في الجزيرة»<sup>(٣)</sup>

إن مثل هذه المواقف والأحداث التي وصفها الأمير عبد الله قد ملأت نفسه حسرة وأسى حيث يقول: «والمصيبة تحدث للإنسان هيجاناً وهموماً كأنهم بالنظر في ماله، أو المشغب بمحاولته ما يصلحه، فليس كل شعب صاراً، بل يؤم منه مكابسة الأعداء ومقاساة طلب العيش. والنفس توفقه متى سمحت إلى مرتبة، نأنت إلى ما فوقها. وتقد بلوت من نفسي بعض ذلك، إذ الطبع البشري واحد، لا يكاد يختلف إلا في الأقل»<sup>(٤)</sup> ويبدو أن الأمير عبد الله في مذكراته قد تجرد من أيّ عصبية، فنصوّر تاريخ بلاده ورمارة أهله وإمارته هو تصوير صادقاً سلط من خلاله الضوء على عصر أمره الطوائف بالأندلس<sup>(٥)</sup>.

(١) مذكرات الأمير عبد الله، ص ٧٦.

(٢) انظر، ترجمته، الحري، مع الطيب، ٣٠١/١، ٤٢٨-٤٤٧.

(٣) مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٠٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٥-١٩٦.

(٥) انظر، صيف، شوئي، الترجمة الشحيبة، ص ٩٠-٩١.





وناء على ذلك، فإن مادة المذكرات أوسع مدى من السيرة الذاتية، حيث يرصد كتب المذكرات الأحداث التاريخية ويدونها إلى جانب التأملات، والاطِّلعات، ولأحداث الخاصة التي تهم كاتب السيرة الذاتية، بل إن مادة اليوميات والمذكرات قد تعين كاتب السيرة على تذكر الأحداث التي مرّت به قديماً، إلا أن أسيرة الذاتية تبقى تركز على الواقع الذاتي لصاحبها<sup>(١)</sup>.

وفد نأخذ المذكرات شكل الاعترافات، وهي كون أدبي لصيق بنفس السيرة الذاتية يروي فيها مؤلّف مواقف نفسية أو عاطفية لا يعترف بها واضعو الترجمة الدائنة عادة<sup>(٢)</sup>، لأنها أحداث لا يرغب الكاتب أن يتحدث عنها، وتجرب لا يؤد أن يطلع عليها أحداً حتى لمقرّبين إليه، وتبع قيمتها من شدة وكثافة الصراعات داخل نفس صاحبها أمّا باحثين يرى أن الاعترافات والمذكرات هي أجسام تعبيرية جوهرية ضمن الجنس الروائي<sup>(٣)</sup>.

ولعل أشهر ما وصل إلينا من الكتب التي تضمّت شيئاً من الاعترافات، واحتوت بعضاً من الملامح النفسية لصاحبها، كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الأندلسي<sup>(٤)</sup>، حيث ذكر فيه تجاربه وأخلاقه، ومحدث كثيراً عن نفسه وعلاقته بالنساء، وعما يعصيب الغمّين من البين الذي يعدّ شجى في القلب، ومرض لين الموت الذي لا

(١) انظر، القلماوي، سهر، (١٩٦٠) عن كتابة السيرة تاريخ أم أدب، مجلة العربي، عدد (١٧)، ص ٥٤.

(٢) وهد، والهدس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٤٩.

(٣) باعبي، ميخائيل، (١٩٨٧) خطب الزواني، ترجمة محمد برادة القاهرة دار الفكر، ص ٩٠.

(٤) هو، أبو محمد علي بن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حرم القرطبي، ووالده كان من وزراء المصور بن أبي عامر، ولد ٣٨٤ هـ وتوفي ٤٤٦ هـ انظر ترجمته، إسحاق، الطنج، ص ٥٥، و لراكشي، عبد الواحد هي الدين بن عمي التميمي، أبو محمد (ت ٤٦٧ هـ) المصجب، في تبيين أخبار العرب، ٣ ط، تحقيق محمد بن سعيد العريان، لقاقر، ١٩٤٩، ص ٣٠، والحصري، فتح العيب،

يرجى للمحبوب بعله إياب، فيقول دهي أحبرك آسي أحد من دهي بهذه العادة وتعلّجت له هذه المصيبة، وذلك آتي كنت أشد أناس كلفاً وأعظمهم حباً بحارية آسي، كنت فيما حلا اسمها نغم وكانت لعمية المتعمّي<sup>(١)</sup>

ويعترف ابن حرم أنه ترمى في حجور النساء، وشأ بين أيديهن، فعرف من أسرارهن الكثير، حيث يقول: ولقد شاهدت وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعممه غيره، لأنني ريت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حدّ الشب. وهنّ علمي القرآن ودويني كثيراً من الأشعار ودنسي في الخط<sup>(٢)</sup>، وهو بهذا الوصف يلقي الضوء على مجتمع الرجال والنساء في عصره، إذ لم يكن الفصل بين الحسنيين بالشدّة التي تفرّض أحياناً، فقد كان الرجال والنساء في اختلاط من الطفولة، ولا يقتصر ذلك على مرآة الدّم بل يشمل الأناث<sup>(٣)</sup>

وقد اهتم ابن حرم بتصوير حالته انفسية، والكشف عف في داخلها من خلال اعترافاته وتصريحاته للقارئ شجاره لماطية، ومن ذلك قوله دهي أحبرك آسي ما رويت قط من ماء لوصل ولا رادي إلا ظمأً ولقد بلغت من اشمك من أحبّ لبع العايات آسي لا نجد الإنسان وراءها مرمى فما وجدني إلا مستريداً<sup>(٤)</sup>، وبهذه الصراحة النادرة لوجود في تلك العصور استطاع ابن حرم أن يتجسّد به طوق الحماقة نحو السيرة الدائية، فالتجارب الوجدانية تكشف عن عوالم الإنسان لماطية، والسيرة الدائية تهتم في إبراز مثل هذه التجارب لأنها من أكثر تجارب لشرقية وعصرية، وما

(١) ابن حرم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت ٤٥٦هـ) طوق الحماقة في الألفة والألاف، تحقيق: حسي كامل الصبري، القاهرة، مكتبة التجارة الكبرى، ١٩٥٩، ص ٢٢٣

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(٣) كاكيا، سير، (١٩٩٩) الأدب الأندلسي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، في الخبوسي، سليم المختصر، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،

٤٦٨/١، ٦٦٣

(٤) ابن حرم، طوق الحماقة، ص ١٨٤



ذلك إلا لأنها حيرة وجدانية عميقة تشتمل على مضمون روحي باطني<sup>(١)</sup> ويقول إحسان عباس وبذلك يرى أن ابن حزم الأنطلسي كان ملأ في تلك التف الاعترافية التي ضمنها كتابه طوق الحمامة<sup>(٢)</sup>، كما لم يكتب أحد في موضوع الحب كتابة قائمة على التجربة والمشاهدة والاعتراف، وبعض التعمق النفسي، مثلما فعل ابن حزم<sup>(٣)</sup>، فلا تكاد تحصى خطوات معه في طوق الحمامة حتى تجد نفسك أمام قبض من ذكرياته<sup>(٤)</sup>

وقد بصّرح بعض الرحالة في أثناء وصف رحلاتهم بلحظات ضعفهم ومرصهم وعدم مقدورهم على متابعة الرحلة، مثل ما براه عند الشجاني حيث يقول: وعرض لي في هذه الأيام عارض مرضي، رجوت أن يهون أمره، فاشتد، ورومت أن يقتصر أمده فامتد، وبلغ مني في هذه امترلة أشدّ ملح، فأقام مخدوت والمشاركة وجميع الركب بسبي هنالك خمسة أيام رجاء أن أجد ابلاّلاً أو أطيع معهم رتحالاً، فلم تسعف الأقدار بذلك، فعزم عليّ عسوما في الرجوع من هنالك، فلم أظب بذلك نفساً، وأظهرت تخمداً، وقوة تكأنت بها الاوتحمل معهم وعجرت بالجملة عن الركوب فلم يكن بدّ من الرجوع<sup>(٥)</sup>

واعرف أبو بكر بن العربي، أن رحيله عن وطنه بصحبه ولده جاء ضرورة فرصتها عليهما ظروف احياء في ملاعهما، ووصف ذلك قائلاً: فخرجنا والأعداء يشمتون بنا . وفي علم الباري - حلت قدرته - أنه ما مرّ عليّ يوم من الدهر كان أعجب عندي من يوم خروحي من بلدي ..<sup>(٦)</sup>

(١) إبراهيم، ذكرية، (١٩٧١)، مشكلة احياء، القاهرة: مكتبة مصر، ص ١٣٨

(٢) عباس، في البيرة، ص ١٢١

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٢-١٣٢.

(٤) انظر، مكّي، الطاهر أحمد (١٩٩٣) دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ط ٤، القاهرة

دار المعاد، ص ١٨٨

(٥) رحلة الشجاني، ص ٣١٦-٣١٧، وانظر، المصدر نفسه، ص ١٨٣

(٦) ابن عربي، قانون التأويل، ص ٧٥

أما ابن بطوطة فيصريح بمشاعر الحزن والأسى التي انتابته عند وصوله مدينة تونس، حيث يبرر أهلها للسلام على الشيوخ والعلماء، في حين لم يتقدم أحد للسلام عليه، ويعمل في ذلك. ولم يسلم عليّ أحد لعدم معرفتي بهم. فوجدت من ذلك في النفس ما لم أملك معه موائع العبرة، واشتد بكائي<sup>(١)</sup>، كما اعترف ابن بطوطة بنحطت الخوف التي كانت تمرّ به أثناء رحلته، ومن ذلك قوله: وأصابني الحمى، فكنت أشد نفسي بعمائه فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف، ولا يمكنني السوول من الخوف، إلى أن وصل إلى مدينة تونس<sup>(٢)</sup>، ولم يكن ابن بطوطة أيضاً - يعني أنه نسي اسماً لموضع أو لشخص قابل أو حاوره<sup>(٣)</sup> - أما القلصدي فقصص بعض المحاطر التي وحته والمشاعر التي انتابته بقسولة مشقات عظام، تحار في وصفها المخابر والأعلام، حتى ونع من كل أمر الله الاستسلام، وصار الإنسان ينادي بلسان الحال أن العريق فما نحوي من الليل<sup>(٤)</sup> ومن هذه المحاولات، نرى أن الدارسين قد سلطوا الضوء في تعريفهم لنص السيرة على الصفات المشتركة بين السيرة الذاتية والأنواع الأدبية الأخرى، فالسيرة الذاتية قد تتجدد عبر كتابة اليوميات أو المذكرات أو الرسائل. وهذا قد لا تمنع الذاكرة وحدها، إذ لا بد من جمع الوثائق وتدوين التاريخ. وهذه الوثائق يمارس كاتب السيرة من خلالها أن يرتب الوقائع والأحداث بغية إكساب السيرة مقياس الصدق والحقيقة<sup>(٥)</sup>.

غير أن هذا التشابه بين السيرة الذاتية، والأنواع الأدبية الأخرى لا يصل إلى حد النطاق التام، إذ يوجد كذلك أوجه اختلاف بينها، و(نص السيرة الذاتية يعكس ماضياً

(١) رحلة ابن بطوطة ٢٢/١

(٢) المصدر نفسه ٢٨٥/٢

(٣) المصدر نفسه ٢٨٥/٢

(٤) رحلة القلصدي، ص ١٢٤

(٥) مور العين، صديق، (٢٠٠٠) سير، التفكير الذاتية ونكي لحبيب، فؤاد عوصي، إحسان عباس.



سرد متواصل، فيما تكون المذكرات و اليوميات عبارة عن مدونات لها قوة الوثيقة التي لا يمكن تعديل دمجها<sup>(١)</sup> بالإضافة إلى أن اليوميات والمذكرات اجناس أدبية تقتصر إلى عنصر التكامل والترايط، الذي يلحظ في السيرة الذاتية.

وقد حاول إحسان عباس أن يصف السيرة الذاتية ويميزها عن غيرها، فعقد فصلاً كاملاً عن السيرة الذاتية بعنوان السيرة الذاتية - نظرة عامة، حيث أشار إلى أن كل سيرة ذاتية في حد ذاتها تجربة ذاتية لعرد من الأفراد، فإذا بلغت دور النضج، وأصبحت في نفس صاحبها نوعاً من الفلوسوفي، فإنه لا بد أن يكتبها، وأن هذه التجارب إما أن تكون جسدية أو روحية، وأنها تتطلب أن يكون بطلها شخصاً ذا تميز ووضوح في ناحية من النواحي، وتكون سيرته ذات حقد من عمق الصراع الداخلي، أو من شدة الصراع الخارجي، بحيث تكسب على أساس من التطور الذاتي في داخل النفس وخارجها، ومن ثم قد تهيء السيرة الذاتية صورة للإدفاع المحض، والتراجع أمام عقبات الحياة، وقد تكون تعبيراً للحياة نفسها، وفيها قد يرسم الكاتب الحركة الداخلية حيائه معقلاً الامتزازات الخارجية إحتفالاً جريها، وقد تكون مجرد تذكرة استغرقت في موجة إلى قارئ متعطش مع لكاتب أما إذا اقتصر الكاتب على تدوين مذكراته أو يومياته، أو حقه سيرته لتصوير أحداث أكثر من تصوير ذات، فإن صلته حينئذ يلتقي مفهوم السيرة الذاتية وليس هو. ووصف إحسان عباس أيضاً قرب صاحب السيرة من القارئ، وثقة القارئ به<sup>(٢)</sup>، فما يشد القارئ نحو هذه الأنواع، هو ذلك التجاوب بين الطابع، حيث يقارن اقارئ بين عوطف وتجاريه، وعواطف وتجاوب للكاتب، فيجد أن عوطفه تتلاقى بهما الولافة، وتعلم لعلوم، والتدريس، والوظيفة، وتكوين الأسرة، والتعبير في الشفاعة والمكر - الخ.

(١) الصكر، حاتم (١٩٩٤) كتابة الذات، عباس دار الشروق، من ١٩٢

(٢) انظر، عباس، إحسان، فن السيرة، ص ٩٨ - ١١٩

وكما اختلف التقدير والتأريخ في صياغة تعريف محدد ودقيق للسيرة الذاتية، اختلفوا في تحديد الزمن الذي نشأت فيه السيرة الذاتية، فعلمنا بعضهم<sup>(١)</sup> من أقدم الأنواع الأدبية التي تحدث فيها كاتبها عن نفسه، في حين رأى البعض لآخر أنها من أحدث الأجناس الأدبية، التي أحدث ملامحها تظهر في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، فقد ورد في الموسوعة البريطانية، أن أول نموذج السيرة الذاتية ظهر في القرن الخامس عشر الميلادي<sup>(٢)</sup>، غير أن هذا الرأي بعيد عن الموضوعية، لأن جذور السيرة الذاتية موجودة بشكل متناثر في الأدب العربي منذ القدم، إنما في لمصر الحديث، فإن كتاب السيرة الذاتية قد اطلعوا وتأثروا بما وصل إلينا من لأدب الغربي، وهذا لا يعني انفصالهم عن تراثهم العربي.

ولعل أقدم نماذج السيرة الذاتية، ما كان ينقشه القدماء على شواهد ثيورهم، وقد أشار إلى ذلك شوقي صيف، إذ قال واشتهر لمصريون في عصور المراجعة بكثرة ما عثوا على قسودهم وأهراساتهم، وفي معابدهم وهماكلهم، من تواريتهم، وأفعالهم، وتتاب تسمي هذه الروح في الأمم القديمة من حولهم<sup>(٣)</sup>

أما نقلة انطلاق السيرة في الأدب العربي القديم، فقد كانت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قام بعض المؤرخين<sup>(٤)</sup> بكتابة سيرة الرسول عليه السلام، ثم قام بعضهم الآخر<sup>(٥)</sup> بتهديب هذه السيرة، فخطبوا الأقسام الصحيفة بها

(١) ديوزاس، ولي، (١٩٥٦)، قصة الحضارة، ترجمة دمي غيب محمود القاهرة، حة الساليف والترجمة والنشر، مج ١، ج ١، ص ١١١، ٢٢٨.

(٢) انظر، The New Encyclopedia Britannica، P 24-25.

(٣) صيف، شوقي، الترجمة الشخصية، ص ٧.

(٤) ومنهم محمد بن إسحاق (١٥١ هـ/ ٧٦٨ م).

(٥) ومنهم ابن هشام (١٦٨ هـ/ ٨٣٣ م).



كما لم تحمل بعض المصادر العربية القديمة من بعض النفع والصيغ المتأثرة، من السيرة الذاتية مثل كتاب الأقباطي لأبي فرج الأصفهاني (٣٥٠هـ / ٩٦١م)، حيث تضمن مجموعة من قصص الشعراء والعميين، التي تمثل قطعاً من السيرة الذاتية، ومنها تلك لقطع التي سردت شيئاً من سيرة المغني إبراهيم الموصلي (١٨٨هـ / ٨٠٤م)<sup>(١)</sup>، إذ تقترب سيرته كثيراً من سيرة الذاتية وهذه القطع وإن لم تكن سيرة تامة إلا أنها تشكل حدود السيرة الذاتية عند العرب، فمثل هذه استب للذات في بعض المصادر القديمة عند العرب تنهى بوجود السيرة الذاتية، غير أن الكتابات لذاتية في الأدب العربي - لم تستغل يكتب خاصة بها قبل القرن الخامس الهجري، وربما كان كتاب الاعتبار لأصامه بن منقذ في القرن السادس الهجري، وكتاب التعريف لابن عسود في أواخر القرن الثامن الهجري، أقرب أثرين في القرون الوسطى إلى فن السيرة الذاتية، الذي انتشر في الأدب العربي في أواخر القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين<sup>(٢)</sup>

هذا، وإنه لا يمكن أن يغفل دور العرب في سيرة الذاتية، حيث عرّفها الأدب العربي بأشكالها المختلفة واتجاهاتها المتعددة التي أحدثت نمو وتطور لتأخذ مكانها في الوجود، فالسيرة الذاتية شأب عند العرب قبل العرب، لكنها لم تأخذ مصطلحاً محاصاً بها في الأدب العربي القديم ولعل أدب الرحلات يمثل شكلاً من أشكال السيرة الذاتية، واتجاهاً من اتجاهاتها المتعددة، وهذا ما يحيل الدراسة إلى ماكيده

### ١. معرّات كتابة السيرة الذاتية:

قد يشعر الإنسان بالانفراد والتميز، وبحاجته إلى تبرير أفعاله التي قام بها، أو الأذكار التي جاء بها، ودافع عنها أمام الناس، وتخص هذه الحاجة أكثر إلحاحاً حين يعرض الكاتب أنه تعرض للظلم، فيقوى لديه الإحساس بأنه يجب أن يترجم حياته للأحرار، رغبة منه بالبقاء حتى بعد موته، ودفاعاً عن النفس والاعتراف بها، وتسجيل كل ما أثر في

(١) انظر: الأصفهاني، الأقباطي، ج ١ ص ٢٥٩، ج ٥ ص ١٥٧-٢٦٧، ج ٨ ص ٢٩٣

(٢) انظر: عبد العلي، حسن محمد التراجم والسيرة، ص ١١١

تكوينه العقلي، وتصوير حياته المكرّبة، فلا يمكن لأي شخص أن يروي للناس قصة حياته إلا إذا كان واحداً الوعي كله بما لوجوده من قرادة ومغز، حتى تكون سيرته الذاتية جذابة فعلاً بعتابة الآخرين<sup>(١)</sup>.

ولعلّ فترات الاضطراب والتقلقل في تلك العصور، قد دفعت لكتابة السيرة الذاتية، ويرى علي أدهم أنّ الالتجاء إلى كتابة التراجم الذاتية يقوى ويشد في عصور الانتقال وأوقات الاضطراب والتقلقل. وذلك لأن بعض النفوس الحساسة، تشعر في مثل تلك الأزمات، بأنّها في حاجة إلى املاءة بين نفسها وبين الظروف لحظة<sup>(٢)</sup> أمّا الأمل، فهو امر الذي يدفع صاحبه للروح ويضطر أديب إلى أن تخلع على حياتها معنى، وما كتابة السيرة الذاتية إلا بهدف أن يجمع الكاتب على حياته معنى<sup>(٣)</sup>.

ومن المبررات الأخرى، إحساس كثير من كتاب السير الذاتية بالحاجة لسبب أو لآخر إلى تسجيل ما شهدوه من أحداث ومواقف، ورحلات قاموا بها، ولقاءات بالعلماء ولأديباء والمفكرين، وربما يروى الكاتب في سترجاع الذكريات، وقد يسوح بذكريات مشابهة العاطفية، ومثال ذلك ابن حزم في كتابه طوق الحمامة

### ج علاقة الرحلة بأنماط كتابة السيرة :

أدب الرحلات من تغمره احياة، ويرى الرحالة بالتجارب الحية، والحركة والانتقال من مكان لآخر، وهو بهذا يلتقي بالسيرة، ذلك أنّ كلمة سار تدل على اسير والانتقال<sup>(٤)</sup>، ونومي بحلول الطريق، وقطع المسافات، وتعتمد المراحل، وهذا يتفق مع الكتابات التي تؤرخ لسيرة الإنسان منذ طفولته إلى شيخوخته

(١) المحوت، سيرة الكاتب، سيرة الأبي، ص ١٠٥

(٢) أدهم، ص. ١٤٥، يشعر الإنسان فصول في الحلة والمجمع والأدب والتاريخ، القاهرة، مكتب النهضة مصر، ص ٢٦٤

(٣) شرف، عبد العزيز، (١٩٩٢) أدب سيرة الذاتية، بيروت، مكتبة لبنان، ص ١٧

(٤) انظر، ابن منظور، لسان العرب: ٣٨٩/٤





وقد عمدت هذه الدراسة إلى الفرقة الذاتية لبعض الرحلات؛ لإلقاء الضوء على نقاط التلاقح بين أدب الرحلات وفي السيرة، وسعت للوقوف على أهم مقومات السيرة داخل تلك الرحلات، كما اهتمت بتتبع أهم المحطات الاجتماعية والسياسية وفكرية لصاحب الرحلة، ورصدت تفاعله مع تلك المحطات، حيث ترجم الرحالة حياتهم الفاضلة

وبالتالي فإن مثل هذه الرحلات تطلع على سير أصحابها وعسى حقيقتهم، وتكشف عن مواهبهم ودوافعهم للقيام بتلك الرحلات، والأثر الذي خلغوه للأجيال فرحلة ابن نومرت، وابن رشيد، والتجسي، والبديوي وغيرهم، وإن كانت تركز على الجوانب العملية، والزوايا عن الشيخ، وذكر لمصنقات، إلا أنها أودت في إلقاء الضوء على أجيال أولئك الرجال، وتجاربهم في الحياة وطرفاً من الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية التي مثلت عصورهم.

وقد جاءت تجارب ابن عربي الروحية دافعة لكتابة سير رحلته<sup>(١)</sup>، حيث يشرح لأساعه ومريداه ما مر به من مجاهدات وتجارب روحية جديدة بأن يكتب، بحث نفسه الآخرين وتوجيههم، والحالة التي عاشها ابن عربي من التجلي، تنبع عنها لدافق القوي الذي جعله يبدأ بكتابة كتاب الإسراء والفتوحات لمكة التي جاءت تنويعاً لكتاب الإسراء والتجلي هو ما يكشف للقلوب من أنوار الغيوب، ولذلك تم رسم هذا التلوي للصوفي بالتلوي المكاشف، وفي مثل هذا التلوي ليس المعارف من يتعرف على النفس، ويكشف أسرارها بمقتضى نظره وتفكره، وإنما النفس هو الذي يتعرف إليه ويتجلي له فتحاً وهبة من الله<sup>(٢)</sup>

(١) انظر، عيسى، إحسان، في السيرة، ص ١٠٣

وانظر في مثل هذه الجوانب الروحية والصوفية، مجلة المغرب ببلاد المغرب حيث حوت الكثير من كتابات الشيخ أبي مروان أثناء انعاله من مكان لأخر، ص ٣١، ٣٢، ٣٣، ٥٠، ٦١، ومواظي أخرى كثيرة في الرحلة

(٢) بالأنبوب، محمد، (١٩٩٨) التلوي المكاشف شروطه وحدوده، ابن عربي نموذجاً، مجلة علامات،

وقد بين ابن عربي أن كتاب الإسراء سيرة معرّية قدّمها لأصحابه من كبار المصوّفة، إذ يقول: كما بعد داني معاشر الصوّفة، أهل المصريح العقليّة، ولقائهم الروحانيّة، والأسرار الإلهيّة، والمراتب العلويّة العلميّة في هذا الكتاب المسمّى لأبواب المترجم لكتاب الإسراء إلى مقام الأسرى، احتصار ترتيب الرّحلة من العالم الكونيّ إلى الموضع الأرضيّ ويُنشئ فيه كيف ينكشف الكتاب بتجريد الأبواب لأولي البصائر ولألّباب، وإظهار الأمر للعجاب، بالإسراء إلى رفع الحجاب<sup>(١)</sup>

إن كتب ابن عربي كلّها قد جاءت تصويراً لسيرة الصوّفة القائمة على الإيمان بوحدة الوجود، وعلى المكاشفات والمشاهدات، وبهذا فإنّ رحلات ابن عربي ذات علاقة بسيرة الدّانيّة حيث تركز على التجربة الروحيّة وإبرار الذات لنفسها بصورة متميّزة عن دوات الآخرين، كما تسعى بلوغ أعلى درجات الارتقاء الروحيّ بما تضمنته من كرامات ومكاشفات، وذلك لإثراء المتّقّي في إعجاب تجاربهم لتقدّم بخطاً تهديداً، وتجذب النّاس إلى طريقتهم بما فيها من موجد ومشاعر حثاً على القدوة والاحتذاء، لأنّ أصحابها من أعلام الصوّفة، يجاطلون بها الأتباع والريدين، حيث يصوّرون موحيلهم واقواقهم<sup>(٢)</sup>.

أمّا رحلة ابن جبير، فقد أظهرت صاحبها كاتب يوميات دقيقاً، وبدأ وقد شطط رحلته شهراً شهراً، اعتماداً على التقويم القمريّ الإسلاميّ، وكان يدعم ذلك بمظيّر من التقويم المسيحيّ، ومن ذلك قوله: ثمّ كان الخروج منها أوّل ساعة من يوم الإثنين التاسع عشر لشهر شوال المذكور وبموافقة يوم الأربعاء عشر لشهر فبراير المذكور أيضاً<sup>(٣)</sup> وعن شهر محرم، قال: استهلّ ليله الثلاثاء، وهو اليوم السادس والعشرين من أبريل<sup>(٤)</sup>

(١) كتاب الإسراء إلى مقام الأسرى، ضمن رسائل ابن عربي ٤٦/١

(٢) عبد السلام الترجمة الدّانيّة في الأدب العربي الحديث، ص ٣٧

(٣) رحلة ابن جبير، ص ٧

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٧



وفد تابع ابن جبير جميع المواقف في مراحل رحلته حول حدودها، وأثبت الوقائع فلا يسي قبحاً، شيئاً، لذا زخرت رحلته بالتفاصيل، والتعليقات، كما أثبت انطباعاته وآرائه، وهي وإن بدت عادية إلا أنها كشفت انطباعاته عن ملامح شخصية ابن جبير، وعمق رؤيته للآخر، فقد وصف في يومياته بعض طبائع المرنج، وأحلافهم وعباداتهم وأعيادهم، وصفاً دقيقاً صريحاً حل في ثيابه طابع الصراع الحضاري، وعكس صورة الآخر في مختلف جوانب حياته الاجتماعية والثقافية والسياسية، وهو لا يكتفي بذلك، بل يعمل على تحليل تلك الصورة ويقدم انطباعاته عنها بمبارات دالة تمثل رؤيته وقناعاته، وعمق دريته بملامح تلك الصورة. ومثال ذلك ما وصف به ملك المرنج عديماً، حيث وصفه بالعظلة، راطاعه<sup>(٥)</sup>، ودعا الله أن يكفي المسلمين عديته وسعته<sup>(٦)</sup>.

وتحدث ابن جبير، أيضاً، عن بعض المصاعب التي واجهتهم في الرحلة، فوصف حالة الاضطراب والخوف التي مر بها هو ومن معه، ويقول واصفاً حاتم وقد عصفت بمراكبهم الريح وغمر بحري بريح شمالية موقفة، ملثرت وعصفت قطار لها الركب بمخاض شرعه، وقد كنا - برحم الظنون، ونعاول الموت، حذراً من عباد لزياد والماء - واصبحنا يوم الأحد المذكور والهلول يريد، والبحر قد مائج هائج، ومائج مائج، فرمى بمرح كالجبال، يصدم المركب صدمات يتقنب لها على عظمه ثقل المعصن الرطب ومتشوي عصف الريح فحطت الشرع. واستسلمت القوس لارياها ومركابيين السفينة ومجريها<sup>(٧)</sup>، وقد أبررت هذه الأحداث شخصية ابن جبير الدينية المزمنة بقضاء الله وقدره، ولطفه بعاده<sup>(٨)</sup>.

وفي الوقت الذي اعتمد به ابن جبير على التوثيق اليومي والشهري الدقيق لأحداث رحلته، اعتمد ابن بطوطة على المتأخرة في إثبات مراحل رحلته، وربما يكون

(٥) المصدر نفسه، ص ٣١٣-٣١٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٨.

(٧) رحلة ابن جبير، ص ٢٨٩-٢٩٦.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

قد دون ملاحظاته ولكنها فقدت مت أثناء تمرّضه لقطع الطريق، وهو ينتقل من مكان لآخر<sup>(١)</sup>

وفد عد بعض اندلسيين<sup>(٢)</sup> رحلة ابن بطوطة سيرة ذاتية تصور حياته على ما يزيد عن ربع قرن قصها في الحركة والانتقال في مختلف البلدان، وتري الترامسة هـ، أن رحلة ابن بطوطة جاءت بمزوجة بشيء من التاريخ والاجتماع والبيئة والحياة والسات ومليفة بصرة لمشاهدات ابن بطوطة وتجاريه في الحياة، فشخصيته حاضرة في رحلاته، كما حوت تلك الرحلات في داخلها مذكرات لمس الوقائع ولأحداث الاجتماعات والسامة التي حدثت مصدرها عظيم لأهمية، لا سيما فيما يتعلق بأخبار الدول الإسلامية في إفريقيا وبلاد الهند، وهي من جانب آخر تحمل من الحديث عن طفولة صاحبها، فلا يعرف شيئاً عن طفولته وأسرته، وما ذكره عنهم كان مجرد إشارات حاطفه وردت في ثنايا رحلته، تؤكد اشتغال بعض أمرد أسرته بالتقضاء، وقد أشار إلى أحدهم وهو ابن عم له اسمه أبو التاسم محمد بن يحيى بن بطوطة، التي به أثناء رحلته إلى لأندلس، وكان يعمل فاضياً<sup>(٣)</sup> وبالتالي فإن رحلة ابن بطوطة في شكلها العام مزيج من السيرة الذاتية ولذكراته.

ويبدو أن ابن بطوطة لم يفكر يوماً بأسرته، وكأنه لم يكن وثيق الصلة بها، فحين سمع وهو في القرية بما أودع آية لم يعلق على ذلك بشيء يذكر<sup>(٤)</sup>، كما لم يرد قبر أنه في طنجة، عند عودته إلى أرض الوطن، إلا بعد أن ذهب إلى السلطان أبي حسان بحصرتة في فاس<sup>(٥)</sup>، ومثل هذه الإشارات تناقص ما قاله ابن بطوطة في بداية رحلته

(١) انظر، رحلة ابن بطوطة، ٢٠٦/٢

(٢) انظر، مصطفى، أحمد أمين، (١٩٩٢)، الحياة في القرن الثامن الهجري كما صورها رحلة ابن

بطوطة، القاهرة: مطبعة المعارف، ص ١٥

(٣) رحلة ابن بطوطة، ٢١١/٢

(٤) المصدر نفسه، ٢٤٨/٣

(٥) رحلة ابن بطوطة، ٢٥٧/٢، ٢٦٤



فعمزت لمري عني مجر الأحباب من الإثاث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور  
للكوكور وكان والذي يقيد الحياة، تحمّلت بعدهما وصياً<sup>(١)</sup> ويرى بعض النّارسيين<sup>(٢)</sup>  
النّارسيين<sup>(٣)</sup> أنّ هذه العبارة إضافة من ابن جري، حيث إنّ مر حل الرحلة جميعها لا  
تخوي ما يؤكّد مثل تلك المشاعر عند ابن بطّوطة، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنّ  
ابن بطّوطة في رحلته لم يكن كثير الاهتمام بأسرته التي يكونها في معظم البلدان التي  
فصدها، فهو يذكر نسائه وأولاده، ثم يتركهم حيث هم، ليرحل إلى مكان آخر، ويقول  
في حديثه عن دمشق "وكت تركت بها زوجة لي حاملاً، وتعمرت وأن يبلد الحمد أنها  
ولدت ذكراً"<sup>(٤)</sup>، ولا أندري ما فعل الله قيهما<sup>(٥)</sup>

ويبدو أنّ ابن بطّوطة كان مأخوذاً بالترحال والتجول، فيحدث عن أسرته وكأنها  
لا تعنيه، أو ربما ظنّ أنّ مثل هذه الأحداث ليست هامة أو دافعة لنشأته كي يطلعهم  
عليها ولو أنه أشار إلى شيء من طفرته وصباه ومراحل تلقيه العلم، ومكانة أسرته في  
المجتمع، فربما كانت تلك الإشارات كاملة بالكشف عن سبب حبه الشديد للشمس  
ولترحال والاعتراب عن وطنه.

أمّا ما أشار إليه من باعث عودته إلى لوطن بعد رحلته الطويلة، فينصح من قوله  
مع ما شاتي من نذكر لأوطان والحسين نلأهن والخلان، والغبية إلى بلادي التي لم انفصل  
عندي عني البلدان<sup>(٦)</sup>، فلا يحسن الترائى بحرارة ذلك الحنين، حيث يبيّن له بعد ذلك  
ذلك أن الباعث الحقيقي لعودته، سعيه إلى كرم السلطان أبي عتّاب<sup>(٧)</sup> في حين يعيل الفرائ

(١) المصدر نفسه ٢٠/٢

(٢) انظر، خصالك، شاكرو، (١٩٧١) ابن بطّوطة ورحلته، ليجب الأشراف مطبعة الآداب، ص ٢٢

(٣) رحلة ابن بطّوطة، ٢/٢٤٨، انظر، المصدر نفسه، ٢/٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ٢/٩٤

(٥) المصدر نفسه، ٢/٢٥٣-٢٥٤

(٦) المصدر نفسه، ٢/٢٦٤، ٢٩٠

الفارئ إلى تصديق مشاعر لسان الدين بن الخطيب، حيث وصف حزنه الشديد لمفارقة روحته وعظه ذلك في قوله: وفي السادس لذي القعدة من عام اثنين وستين وسبع مائة، طرفني ما كثر غربي وبغض عيشي، من وفاة أم الولد عن أصاغر رغب الخواصل بين ذكران وإناث في بلد العربية، وتحت سرائق الوحشة، ودون أذيال النكبة، فجلت عليها حسرتي واشتد جرمي إذ كانت واحدة ساء زمانها جرلة وصبراً ومكارم أخلاق، حارت بذلك مريه لشهرة وودعت على غيرها وصدت عني لما كتب علي صرعها، وقد أصرى به التنويه والاحتفال

ذخيري حين حاني رمي	وعندي في اشتداد أهوال
حصرت في داري الصريح فما	تعللاً بالغال في خال
وغبة نوحهم لقصام مكي	وكيف لي بعدما يأسهال
فانتظري فالتشوق يشقيسي	وتقتصي سرعني وإعجالي
ومهدي سي لديك مصطجعاً	فمن قريب يكون ترحالي <sup>١</sup>
ويقول أيف مصوراً صراعه اند حلّي في نعه وهو في الجن <sup>٢</sup>	
مُدننا وإن جاورتنا اليسوت	وحشا يسوعظ ونحس صنوت
وكنا عظاماً مصرماً عظاما	وكنا نقوت فهد بمن قوت
وكنا شموس سماء العلاء	عربناً <sup>٣</sup> فتاحت عليها التيبوت <sup>٤</sup>
فمن للعداء ذهب ابن الخطيب	وقاد وفنّ ذا الذي لا يفوت

(١) ابن الخطيب، الإحاطة ١٧/٢-١٨ وابن الخطيب، أعمال، الأعلام ٢/٣٢٢

(٢) لقري، صبح القليب ١١١/٥، ١١٢، ونظر، من الخطيب، ديوان لسان الدين بن الخطيب، لمحق

تحقيق محمد متناح، دار الثقافة، أمدار البيضاء، ١٩٨٩، ص ٨٦

(٣) في النسخ، عربن

(٤) في النسخ، اسموت



أما البجائي، فقد حبر عن معاناته حين انقطعت الرسائل بينه وبين صديقه المشدائي، فأخذ يسأل هه الركبان والحجيج، ويتطلع إلى أخباره، ثم أخذ يعاتب صديقه على سكوته، لأن الخليل لا يحبو حليله، إن أن جاء ردّ المشدائي معاتباً لبجائي على خشوة هابه له، فاستوجب ذلك ردّ أبي عصينة البجائي، الذي سماء رسالة العريب إلى الحبيب، يوضح فيها أسباب نكث الخشوة في اللفظ واشدّة في الخطاب، إذ يقول بل والله إنما كانت كلمات حفيفات صدرت عن فكرة ضئيلة من نفس عليه، وعين المحب حصى يحبّ كليله<sup>(١)</sup> ثم صرّ مشاعر الحزن والألم لفرقه، وإن انفراق ما راده إلا تعلّقاً به، فيقول يا أحي من لم يذق مرارة الفراق لم يدرك حلاوة التلاق، إذا وصل العريب إلى دار الحبيب، وجد في لتقريب كلّ أمر عجيب، وإذا وقف بالباب عرف لذة الاعتراق. فالعاقل يكون في نفسه غريباً وقلبه في صدره غريباً وروحه في داته غريباً، وسره في حاله غريباً. فلا يستريح من همّ المرة ما لم يصل إلى الحبيب<sup>(٢)</sup>

ومثل هذه الشاعر مجدها عند الرحالة البلوي، الذي وصف مشاعره وعواطفه الشخصية حين التقى بصديقه ابن الحجّ السمرقي في الإسكندرية، فكان اللقاء مثيراً للعواطف العاطفية، وحديث التكريات<sup>(٣)</sup>.

ويرى بعض الدارسين، أن تسيرة قد نشأت في حفس التاريخ وترعرعت واثبتت سمناً وضحاً<sup>(٤)</sup>، وأن بعض الرحالة قد سخلوا إلى جانب ملاحظتهم ومشاهداتهم وتأملاتهم، وأصلاهم اليومية بكثير من أدماء بيتهم وعصرهم، القلقات والتطورات السياسية في الداخل والخارج، ومنهم ابن الحجّ النميري، فهو وإن كان كاتب رحلة فهو العاص، وأبو عباس المريني الفاسم بمراحلها، فنه قد ارتبط بالرحلة، وبالكثير من عاصره، وتعمل نفس المسؤولية، وكان التاطن الرسمي بلسان السلطان أبي عان

(١) البجائي، رسالة العريب إلى الحبيب، ص ٤٥

(٢) البجائي، رسالة العريب إلى الحبيب، ص ٧٥

(٣) انظر، البري. تاج الفرق، ٤/ ٤٣

(٤) حاس، إحسان، فنّ السيرة، ص ١١

أما ابن خلدون، فقد كان الشعر والفرجال من الأمور التي ارتبطت بطموحه، ورغبته في الوصول إلى تحقيق الذات وكان أكثر من احتلقت سيرته الذاتية بالرحلة، فعدت رحلته نموذجاً قريباً من لسيه الذاتية، حيث سلطت الضوء على مراحل هامة من حياة ابن خلدون، ومنها

- مرحلة الوحد داخل عائلته، وبدأ ماو لاده والتسب الشرف الذي لعب دوراً كبيراً في التعريف بذات ابن خلدون ومركزه العري، حيث يقول أنا شامي إثني ولدت تونس، في غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وميعة<sup>(١)</sup>. وتحدث كذلك عن أصول عائلته التي أرحمها إلى عرب اليم، فقال: وسبنا حصر موت، من عرب اليم، إلى وتل بن حجر من أقبال العرب،<sup>(٢)</sup>. وقد شاركت أسرته في مختلف المجالات الدينيه ولعلمية والسياسية، وكانت تربطها بالأسرة الحاكمة في تونس صداقات وعلاقات عائلية خاصة، هذا هذا المناخ التولي التي ارتبطت بها شخصية ابن خلدون<sup>(٣)</sup>

مرحلة تلقي العلم، وكانت البداية على يد والده، حيث ارتكر على قراءة القرآن، ثم انتقل داخل بلاده وأخذ اعلم عن عدد كبير من العلماء والعقهاء، إلى أن ختم القرآن الكريم على إمام في القراءات السبع. وحفظ كتاب الأشعار الستة والحماسة للأعلم<sup>(٤)</sup>، وشعر أبي تمام، وشعر المتنبي، وكثيراً من أشعار الأغاني، وهو بذلك بطلعا على جراب عنة من ثقافة عصره وشيوخه، وإتقانه على مجالس العلم<sup>(٥)</sup>، وهو إنقال

(١) ابن خلدون، لتعريف، ص ٦١

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠

(٣) انظر، المصدر نفسه، ص ٥١-٦١

(٤) هو، يوسف بن سليمان بن عيسى الجوي، اشتمري المعروف بالأعلم (١١٠هـ - ١٧٦هـ)، انظر ترجمته السيوطي، بنية الرواة ١: ٢٢٢، ابن خلدون، وفيات الأعيان ٢: ٤٦٥ القرني. ص ٥٤

الطبيب ٧٩-٧٥/٤

(٥) انظر، ابن خلدون، التعريف، ص ٦٢-٦٨





حاشي، حيث يقول: لم أزل منذ نشأت، وناهزت مكباً عني تحصيل العلم، حريصاً على اقتناء الفضائل، متتبعاً بين دروس العلم وحلقاته<sup>(١)</sup>

أما الشعر، فيعترف ابن خلدون، أنه قد برع نفسه على قوله -ركائمه من مستلزمات ثقافة لأديب والفقيه والمؤرخ- فيقول: ثم أخذت عسي بالشعر فأنشال عليّ منه محور توسّطت بين الإجابة والقصور<sup>(٢)</sup>

- مرحلة الوظائف والمناصب الرفيعة، والرحلات والاتصال بأسلاطين والملوك، فقد تدرّج ابن خلدون في سلم العلم والمعرفة، والبحث عن لأمثل، ولارتقاء والتصرّح العلمي والفكري، ليشكّل طريقه في تكون الشخصية المتمردة والتميّز، لذ سرحم ابن خلدون حياته للأخريين، رغبة منه في البقاء، ودفعاً من النفس والانتصاف له، وتبريراً لما كان يحدث له، حيث اهتم بالمشاركة في بعض الانقلابات والمؤامرات، وتكرّر له حتى أصرّ الأصدقاء، مثل لسان الدين بن الخطيب، فقد شعر ابن خلدون بألمه عليه وشمّ منه رائحة الاقباص، حيث قال: لم يلبث الأعداء وأهل السعاهات أن حينوا الوزير ابن الخطيب من ملاسقي للسلطان، واشتماله عليّ وحرّكوا له جواد العرق، فتكرّر وشممت منه رائحة الاتّهام مع سيّدهاءه بلأولة وتمكّنه في سائر الحواما<sup>(٣)</sup>. ورغم ذلك فقد صعى ابن خلدون لاطلاق مراح ابن الخطيب، وإخراجه من صحه، إذ يقول: وبعث إليّ ابن الخطيب من حبه مستصرغاً بي، ومتوسلاً، فخاضعت في شأن أهل الذنوة، فسمّ تحج تلك السعابة، وقتل ابن الخطيب بحجبه<sup>(٤)</sup>

وتضح من ذلك، أن رحلة التعريف سيرة ثانية قد سلطت الضوء على صراعات السلطة والأحداث السياسية والتقلّبات والمؤامرات التي عاش ابن خلدون صراعاتها، وراى أنها تستحق التسجيل

(١) المصدر نفسه، ص ٩٩

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٢

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٦

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٤

كما لم تغفل سيرة ابن خلدون من غرض آخر هو تصوير الشهرة العريضة والمنزلة الرفيعة التي نالها في الحياة السياسية والاجتماعية<sup>(١)</sup> وما لواء ابن خلدون تيمورلنك في دمشق إلا دليل على ذلك، بما يحمل من دلالات كشفت عن شخصية ابن خلدون الطموحة، وقدرته على مواجهة شخص عوف وقوته وسطوته، بعد استطاع ابن خلدون بذلك، وسعة اطلاعه في التاريخ والأمم والشعوب، وبجنته وديارته بملوك العرب ولعزمه واشترك أن يقف أمام سلطان التتر، ويقاومه في أمر أهل مدينة دمشق بعد أن حاصرها، ويهديه مصحفاً رائعاً حسناً، وسجادة أنيقة، ونسمة من قصيدة البردة للصوفي<sup>(٢)</sup>، ويصف ابن خلدون دخوله على ييمورنك فيقول: فلما دخلت عليه، فانتحيت بالسلام، وأريت إيماة الخضوع، فرفع رأسه، ومدّ يده إليّ فقبلتها، وأشار بالخلوص فجلست حيث انتهت<sup>(٣)</sup>

وفد علّق بعض الدارسين<sup>(٤)</sup>، أن موقف ابن خلدون أمام تيمورلنك من المواقع الدالة على عسيت في عهد الشيوجة، وحرصه على السلامة، حتى أصبحت شخصيته أقرب إلى الإمتسلام ولانحساب من لمصاعب والصراعات التي تراجه، وفي ذلك مدارقة واضحة لروحه المقامرة وشجاعته قبل ذلك في أيام القضاء وتمسكه بما يعتقد أنه العدل والحق، ومن قوله في ذلك قصدت في ذلك بالحق، وكبح أمة أهل الهوى ولجل، ورددتهم على أعقابهم، وكان فيهم مُلتفتون مسعور من المغرب، يشعرون بمعترك من صغلاحات العلوم هنا وهناك، لا يتمكنون إلى شيخ مشهور، ولا يعرف لهم كتاب في فن، قد تحموا النمس هرواً، وعقدوا المجالس مثنة للأعراس فأرغمهم ذلك مني، وملاهم حسداً وحقدً عليّ<sup>(٥)</sup> وبذلك يكون ابن خلدون قد لعب دوراً خطيراً في الأحداث والشؤون السياسية المغربية

(١) عباس، إحسان، فن السيرة، ص ١٣٣

(٢) انظر: ابن خلدون، التعريف، ص ٤١١

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠٤

(٤) انظر: عباس، فن السيرة، ص ١١١

(٥) ابن خلدون، التعريف، ص ٢٩٣



من هنا، فإن إحساس ابن خلدون بهدنة قد دفعه لكتابة سيرته ذات الصلة الوثيقة بالأحداث التاريخية، حيث أضاف على ما كتبه من أحداث صبغة دائمة بما أثبت من آرائه وأحكامه الشخصية، فلم يهتم بوصف الطرق والمسافات والتأسي وطبائعهم وأحوالهم الاجتماعية، بل كان هدفه تصوير حياته وظروفه منذ نشأته حتى قبيل وفاته، ويرى أنيس المقدسي أن أدبية لرئيسة لما كتبه ابن خلدون عن نفسه هي أن يثبت الوقائع التي ذكرها في تاريخه، وبهذا لم يجرح تعريفه بنفسه عن نطاق التاريخ إلا في مواضع قليلة جداً<sup>(١)</sup>. في حين يرى عبد السلام المسدي أن من السيرة الذاتية في كتاب التعريف جاء عرساً مقصوداً لذاته<sup>(٢)</sup> استطاع ابن خلدون أن يسجله من خلال رحلته، ويرى كامل الصلي أن لتعريف، ليس من كتب الرحلات بالمعنى الدقيق للكلمة بل هو في الحقيقة سيرة دائمة وضعها ابن خلدون، ووصف فيها ما مر به من أحداث، وذكر فيها الرحلات التي قام بها، والتي مرضتها عيه ظروف حياته لثقلته، فقد كان أحياناً رخصة على الرعمه<sup>(٣)</sup> أما إحسان عباس، فيرى أن ابن خلدون بروي معظم الأحداث والمصائب التي كنت تجري حوله وكأنها بعيدة عن شخصته وفكره ولا تعينه، فهو يعزل ثم يولي، ثم يعزل ثم يولي، ويتبين هذه الأمور كأنها أحداث يعزل عنه، ومن تفكيره وتقديره<sup>(٤)</sup> ويترك أهله جميعاً في مدينة قادمة من تونس ويكتفي بالقول فركبوا البحر من تونس في السفينة، فما هو إلا أن وصلوا إلى مرسى الإسكندرية، فقصفت بهم الرياح، وحرق المركب من فيه، وما فيه، وذهب الموجود والمولود، فغطم الأسف، واحتلظ الفكر<sup>(٥)</sup>.

(١) القلمي، أنيس، (١٩٦٣) المسون الأدبية وأعلامها في النهضة الحديثة، بيروت، دار الكتاب

العربي، ص ٥٥٧

(٢) المسدي، عبد السلام، (١٩٨٣) النقد والحضارة، بيروت، دار الطليعة، ص ١١٤

(٣) الصلي، كامل، بيت المقدس في كتب الرحلات، ص ٨٠

(٤) عباس، إحسان، من السيرة، ص ١٢٠

(٥) ابن خلدون، التعريف، ص ٣٢٠

وذهب الموجود والسكنى ولولورد فمظم المصدا وجزع، ورجح الزم<sup>(١)</sup> ومرت لشاي من الاشتغال بالعلم تدريساً وتأليفاً<sup>(٢)</sup> قسم يجد ابن خلدون عراء إلا في العودة إلى العلم ولتدريس والقراءة، وموقفه هذا يشبه موقفه من فاجعة فقد له لديه بمصر الطاعون، ووصف ذلك فقال إلى أن كان الطاعون الجسارف، وذهب بالأحيان، والصُدور، وجمع الشيخة، وهك أبراي، رحهما الله<sup>(٣)</sup>

ونذ يكون اكفاء ابن خلدون بهذه العبرات متعبداً، وذلك قلأ منه أن ذكر مثل تلك المواقف ولأحدث التي تثير المشاعر والعواطف، وسعت على الحزن والأسى، شيء ينقص في الرحولة أو القدرة على التحمل، أو ربما لاعتقاده أن مثل هذه الأحداث لا تقدم نفعاً للقارئ

إن التعريف سيرة ذاتية يلحظ فيها المنظور الاستعدادي الذي تروى به الأحداث، وتكتنف الأحداث ودوافعها وأسمائها ونتائجها، فتبدو شخصية ابن خلدون، شخصية العالم انقيسه، والمؤرخ، وشاهد العيان لأحداث ذلك العصر كما تظهر رحته وقد استطعت أن تربط الأحداث التاريخية في العالم الإسلامي شرق وغرباً، حيث تغل في بلاده وارتمى أهلى المناصب ابتداء من كتابه العلامة، وهي وضع أحمد الله ولشكر الله بأنقسم الغليظ وما بين البسلة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم<sup>(٤)</sup>، ووصولاً للقضاء ثم رحل إلى المشرق ليؤدي فريضة الحج، ولكنه لا يواصل رحلته، حيث استوفته القاهرة بما فيها من نشاط علمي، ويقول فانتقلت إلى القاهرة أزل ذي الفعدة، قرأت حضرة الدنيا، ويستأن العالم، ومحشر الأمم،<sup>(٥)</sup>

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩٥

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٩

(٤) ابن خلدون، التاريخ، ص ٩٩

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٤



ويصف إقبال الطلبة عليه هناك ولما دخلتها أتمت أياماً وأتال عليّ طلبة العلم بها  
يلتمسون الإفادة فجلست للتدريس بالجامع الأزهر منها<sup>(١)</sup> ثم عزم على أداء فريضة  
الحج وعترت على قصص العريضة، فودعت السلطان والأمراء، وودوا وأعانوا فوق  
الكماسة، وخرج من القاهرة<sup>(٢)</sup>. وشده الحين إلى زيارة بيت المقدس، فدخل  
المسجد الأقصى، ونترك زيارته وانصلا فبه، ثم انصرف إلى الخليل لزيارة قبر إبراهيم  
الخليل، ومز في طريقه بيت لحم، ثم إلى غزة ومنها توجه إلى مصر<sup>(٣)</sup>

- مرحلة الاعتزال والانشغال بالكتابة والانقطاع لها، فبعد تلك الوظائف السياسية  
ولديبلوماسية والقضاء والتدريس، أدرك ابن خلدون أن السياسة قد حوت عليه الكثير  
من المتاعب، فتركها وفرّ الاعتزال والانقطاع للكتابة، فلجأ إلى قلعه بني سلامة، متحياً  
عن الشواغل السياسية والدينية<sup>(٤)</sup> ابني ولدت له الحساد الذين أخذوا في السعاية والكيد  
له، وبسبب ذلك عزل من القضاء عبر مرة، ثم حطت رحا ابن خلدون في القاهرة،  
حتى أدركته المنية سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م.

وبعد، فإن هذه الرحلات قد شككت أصولاً للسيرة الذاتية الحديثة، وافتحاً  
يكشف عن وجود روح واحدة بينهما من خلال المشاهدة والمعاينة السياسية والاجتماعية  
ولثقافية، كما أن اهتمام الرحلات بالتاريخ الزمني لتدوين والكتابة قربها من المدكرات  
و لأصل أن أدب المذكرات بمثابة التواة الأساسية لعن لسيرة الذاتية<sup>(٥)</sup>، وهذا تكون هذه  
هذه النماذج قد أدت نوعاً من وظائفها، كإضاءة حياة أصحابها، وإبرار دورهم الفكري  
و لسياسي والاجتماعي، لتصبح أدبهم مرجعيات فكرية وأدبية

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨٦

(٢) المصدر نفسه، ٢٩٦-٢٩٧.

(٣) انظر، المصدر نفسه، ص ٣٨٤-٣٨٥

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٥

(٥) صديق، نور الدين، سير المفكرين الثانية، ص ٧١

ومن جانب آخر، فإن هناك أشكالاً أخرى أقل أهمية عند الحديث عن أصول السيرة الذاتية، لأن أصحابها اقتصروا على ذكر أسماء المشايخ والترجمة لهم، وذكر مصنفاتهم والكتب التي بدرسوها، ورواياتهم.

وبالتالي فإن الأدب العربي القديم، لا يقدم لنا سيرة ذاتية نبرز فيها ملامح السيرة الذاتية الحديثة، حيث لا نجد نموذجاً، تناول فيه مؤلفه ذاته بصفتها ذاتاً مستقلة، ورغم ذلك فإن السيرة ليست نصاً مغلقاً، أو مجالاً صيقاً محدوداً، وإنما هو نص مفتوح على الكثير من الأحاسيس الأدبية، حيث إنها نوع يدفع إلى الانفتاح على مجالات فائقة عندنا، فكل نص يبدو أن مؤلفه يعبر فيه عن حياته وإحساساته<sup>(١)</sup>. لذلك فإن أدب الرحلات يعدّ من الكتابات الذاتية في التراث العربي القديم، ومن أصول السيرة الذاتية، وإن لم يكن سيرة ذاتية بمفهومها الحديث.

(١) لوجون، مولييه السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمه عمر حلمي، مقدمة الترجمة، ص



## الفصل الرابع

### الدراسة الفنية لأدب الرحلات

يمكن أن تُدرس الرّحلات بوصفها فنّاً سرديّاً، ذا طابع أدبيّ، له سماته وملاحظاته الدّاتيّة، التي تميّزه عن غيره من الفنون الأدبيّة، بحيث يساعد ذلك في استخلاص هذا النوع من الأدب، وكشف خصائص لِبَاسِ القِصّيّ له؛ كيف بدأت الرّحلة، وكيف انتهت؟ وعاصر تلك البداية والنهاية التي يحكمها الزّمان والمكان، واللّغة واشتخوص بمستوياتهم المختلفة: الاجتماعيّة، والثّقافيّة، والنفسيّة، وتطبيقات تلك الشخصيّات لبسٍ كثيراً ما تكون شيفرة وتقرّب الرّحلات من الحكاية، لذا فإنّ الرّحلات بحاجة إلى دراسات جديدة وجهود كبير من الدّارسين والباحثين لاستنكاخ الأبعاد القصصيّة، وتحليل جماليّات الصّور السّرديّة في كلّ رحلة على حدة، من حيث هي بناء قِصّيّ، وإبداع أدبيّ، يتصنع الحياة بكلّ ما فيها من أساطير، وقصص، وأشعار، وأمثال، ورسائل، فكس الرّحلات وإن كانت مصدرّاً تاريخيّاً لمعرفة أحوال بعض المجتمعات، أو مصدرّاً جغرافيّاً لأثماله بعلوم كُنت في صميم الجغرافيا، كعلم السكان والاقتصاد، والتّجارة، وغيرها، فهي تهتمّ بحياة الناس اليوميّة وعاداتهم وتقاليدهم وأساطيرهم ومعتقداتهم، وغير هذا كثير، ثمّ أخذ تدوين الرّحلات يتطوّر شيئاً فشيئاً، حيث أصبح لكتابة الرّحلة تقاليد فنيّة يلتزم بها مدوّنو الرّحلات، ممّا يتطلّب توجيه النظر إلى دراستها لمعرفة إلى أيّ مدى يمكن أن تُشجّ هذه الرّحلات لبساً أدبيّاً له جذور قصصيّة، ويمكن تطبيق سيميّا لقصة عليها بما فيها من إشارات ودلالات، ومما جمع فيه كانت من لأساليب الأدبيّة، كدقة وصفه، ومجال لفظ، وحسن تعبير.

وقد حاولت الدّراسة هنا، أن تخطو خطوة في تبين ملامح تلك السمات والأبعاد القصصيّة، حيث تمّ اختيار بعض النماذج من رحلات الأدلّسيين والمعارفة، لإبرار تلك السمات والأبعاد القصصيّة، التي يبدو فيها تأثير بعض الرّحالة بأساليب المِشارفة الأدبيّة، وقد أشار من سام في كتاب الدّخيرة إلى ذلك بقوله: «إنّ أهل هذا الأمّ القُندلس أسرا إلا متابعه أهل المشرق، يرجعون إلى أحبارهم المعتاد، حتى لو مرق بثلث الآلاف عراب، أو ملنّ بأقصى الشام ولعرق صاب، يلجوا على هذا صمّاً، وثلوا ذلك كتاباً عكماً»<sup>(١)</sup>

(١) ابن بسام، أبو الحسن عليّ بن بسام الشّشري، (ت ٥٤٢هـ) الدّخيرة في محاسن أهل المِشْرِقة،





## أولاً: الأسلوب والنفقة والمنهج

نأثر الأدلسيون واعتمدوا بأسلوب الكتابة الأدبية الشرقية، وكان تأثرهم بطريقة القاضي الفاضل<sup>١</sup> واضحاً، وهي طريقة تعتمد على المبالغة في الحساس والتسجع المتكلف، وكثرة التوريات، ولطيق، ولاقتباس، وقد شاعت هذه الطريقة في عصر ابن خلدون وابن الخطيب.

وباستعراض نصوص الرحلات الأدلسية والمغربية التي بين أيدينا يمكن أن نرى على بعض المواضع التي يتضح فيها العديد من الظواهر الفنية التي يبدو أنها - في العصور الأولى للوجود الإسلامي في لأندلس والمغرب - لم تصل درجة الالتزام بها وتكلفتها، فتجد طياً وجاساً وسجعاً وبوربه، وغير ذلك، لكنها تنون قليلاً الانتشار وهويته من الطمع، وعقوبة لا تنفل على السمع، بحيث أضاف لأسلوب الرحلات قوة مؤثرة وفي أواخر القرن الرابع الهجري، وصلت لمحنات ابدعية إلى مستوى متقدم ولمحوظ من التائق والخرفة، فوجدت النصوص التي احتوت سجعاً متكلفاً رادت سيطرته في أواخر العهد الإسلامي في الأندلس والمغرب

ومن جانب آخر، فإن غنى موضوعات الرحلات، قد جعل معظم أصحابها يؤثرون التعبير السهل القوي لغرض بدلاً من التكلف، وتزيق العارة، ولعل التجارب التي مر بها معظم الرحالة كان لها دور في تصحيح الأسلوب العلمي السليم في كتاباتهم، لما وصلوا إليه من علم غزير، فحرصوا على تدوين ملاحظاتهم أولاً بأول، ومن لم يفعل ذلك، دون رحته بعد عودته إلى بلاده معتمداً على قوة ملاحظته في وصف مشاهداته، فقدمت

(١) القاضي الفاضل، هو أبو علي عبد الرحيم البجلي، سيرة إلى بيان بين حوران وفلسطين، ووزير صلاح الدين الأيوبي، قال النويري فيه إلى القاضي الفاضل انتهت صناعة الإنشاء ووقفته، عُرف أسلوبه بالثبات السجع الطويل والتشبيه والاستعارة، توفي سنة ٥٩٦ هـ ترجمته، ابن خلكان، وفیات الأعيان ١٥٨/٣، والنويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣ هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين صابر، يصدرها مجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣: ١٠/٨: ٥٦.

رحلاتهم مدة علمية متنوعة الموضوعات فما ترتب عليه ازدهار فن الرحلة الأندلسية  
والعربية، كما وفر لمصوحي الرحلات الاستجمام مع اللذوق والطبع العربي الأصيل،  
وحسن الوقف على الأذن، فكانت لمادح حبلها التوفيق والتناجح.

جاءت ألفاظ معظم الرحالة سهلة وواضحة، وبعيدة عن التعقيد والعراة، فقد  
كان ابن حبير، يفتح بعض كلامه بقدرات جملة مزينة بالسجع والجناس والطباق،  
ولكن دون إسراف أو مبالغة تخرجه إلى حد التكلف، حيث يرسل عباراته (رسالاً لطيفاً،  
ومن ذلك ما وصف به مدينة مرسية<sup>(١)</sup>)، إذ يقول هذه المدينة موسم تجار استكثار، وعقود  
جوري البحر من جميع الأنظار، كثيرة الأرفق يرحاء الأسفار، مظلمة الأمان بالكمر، لا  
يقرب فيها مسلم نزار، مشحونة بعبدة الصليان،<sup>(٢)</sup> ومن قوله أيضاً، في ذكر مدينة  
حران<sup>(٣)</sup> بلاد لا حُسن لديها، ولا حل يتوسط برزخها، قد اشتق من اسمه هوازه، فلا بالك  
البرد ماءه، ولا تزال تنقد بلمح المجير ساحاته وأرجوه<sup>(٤)</sup>

وقد جاءت عبارات ابن حبير سهلة تحمل من العراة والوعورة والتعقيد، فينبغي بهتم  
بمفرداته فتحرح قطعاً أدبية فريضة، فإنه يكفني في موضع أخرى بتسجيل مشاهداته  
وملاحظاته بأسلوب سهل وديق حتى إذا خرج عن ذلك أتى بعبارات عمه حاليه من  
التكلف والابتدال على نحو ما يذكر عن مساجد أو أسواق بغداد وازدهار الناس فيها  
واشتهاها على بشر لا يحميهم إلا الله تعالى الذي أحصى كل شيء عدداً<sup>(٥)</sup>

وما يثير به أسلوب ابن حبير أيضاً ما وصل إليه من حكمة لمحضت عن التجارب التي  
مر بها، خلال مراحل رحلته، حيث يقول: - وإن كان المخذور لا يُغني عن المقدور شيئاً<sup>(٦)</sup>

(١) مرسية، بلدة على ساحل جزيرة صقلية انظر، باقوب الحسوي، معجم البلدان ١٣٠ / ١٣١

(٢) رحلة ابن حبير، ٦٩٦

(٣) وردت ترجمتها، الدراسة هنا، ص ٨٢، أخاوية رقم ٤

(٤) رحلة ابن حبير، ص ٢١٩

(٥) المصدر نفسه ص ٢٠٤، وانظر المصدر نفسه ص ١٨٢، ١٩٠، ٢٨٣، ومواضع أخرى مترتبة

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٠



ومن جانب آخر، يُلاحظ في أسلوب ابن جبير أنه يتسم أحياناً بالمعوية ولاضطراب، غير أن ذلك لا يؤثر سلباً في عرض الأفكار، ومن ذلك حديثه عما يناله الخاج بعيداب وحدة من أدى بسبب المكس، فقد توجهه من لإسكندرية إلى قوص، ووصفه بجاني البيل، يتذكر خيراً فيقطع حديثه بعبارة ذكر ما استترك غيره، مما كان اعفل، وذلك أنا لما حللنا الإسكندرية. هابت مجتمعاً من الناس عظيمًا<sup>(١)</sup> ويسترسل في الحديث ثم يعود ليفسول: رجع الذكر، ومن المواضع التي احتزنا عليه في الصعيد.<sup>(٢)</sup>

وقد أنشد عدد من الدارسين بأسلوب ابن جبير، ووصفوه بأنه من أوسع الرُخالين العرب فكراً وأشمهم ملاحظات، وأحلمهم أسلوباً وأنشاهم تعبيراً، وأسلمهم بياناً وأعمقهم استنتاجاً وإدراكاً وأكثرهم اهتماماً بأوصاف السياسة الإسلامية العامة في زمنه، وأشدهم اهتماماً بتتبع أحوالهم واستقصاء أدوائها وعلاجها.<sup>(٣)</sup>

أما العدري، فقد كان حاذق الطبع، كثير النقد، حريصاً على عاسة العلماء والأحد صهم، وفي الوقت ذاته ممتاز يسوق أدبي، ونادرة عالية على التصرف في فوعد اللغة العربية، الأمر الذي أعانه على تشبع أحاطه بعض الأجبء والعلماء وتقدير رأيه وتوجيهاته لهم، فحاء أسلوبه توجيهياً، بعيداً عن النفاق، حيث كان يمدح ما يوافق رغبته، ويثور ويغضب بما لا يتسجم مع رغبته وأفكاره.

ويظهر طبع العدري الحاد حين يدخل مدينة فلا يعثر فيها على عالم، حيث يعدّ ذلك المكان كأنه معدوم، فلا وجود لمكان علا فيه الخجل وحلا من العلماء، ويرداد عصبه إذا كان لذلك المكان ماضٍ حريق، فهو قد سافر من أجل العلم والبحث عن المعرفة، وإذا لم يجد ذلك في البلد التي قصدتها، تصطرب نفسه، وتعود حدة أسلوبه إلى حدّ انهجاء.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥. ونظر مثل ذلك، المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٣) الأنصاري، عبد القدوس، مع ابن جبير في رحلته، ص ١٦. وانظر، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب المغربي العربي، ص ٣٣٥، وقسنين عزاد، (٢٠٠٢)، ط ٢، الأناضلة مكتبة الدار العربية للكتاب، ص ٣٨٩-٣٩٠.

ولعلّه قصد بأسلوبه هذا شحذ همّة سكان تلك المدن، ليراجعوا أحوالهم، ويحاولوا الخلاص من الجهل، حيث يقول العبدري "وربما حل الاتعاص لحرب الفضائل على فرط تحوّل وتآلب على فئة الرذائل، فيقع في اللفظ إلقاء" (١) وإلقاء (٢) ويرسم في باب همزهم تمكين مد وإشباع، لا جهلاً بمواقع الإغصاء (٣) من أخلاق ذوي الآداب، ولا ميلاً إلى ما عابه اشترع من مدموم الاعتبار، وإنما هو لغرض صحيح لا يُرمى بهم التضييع، وهو إعطاء ذي الحقّ حقّه، وأن لا تكون الفضائل لغير أهلها مُستحقة، فيكون الماضيل في الوصف مخصوصاً، ويُرَى الناقص في غير مبدئه معروفاً، وقد يردع المسمّى عن إساءته، ما يرى ويسمع من مبادئه ومن أثاره كلّ ما كتب لمرءٍ عن زلله، وبيّة المؤمن تبلغ من عمله وعلى آتني يحسن الله كلّ ما أمتعض لنفسي أو أزعج في غرضها عني، وما أغويت قلمي بالانتصاف ولا أعملت في ذكر ذميم الأوصاف، لا لحرمة من الفصل أشلاؤها شرمّة، أو وظيفة من الشرع أحكامها مُصيّنة" (٤)

ومثل مشاعر الانفعال هذه، مجدها عبد الرحّالة ابن سعيد المغربي، حيث امتزجت صوره بانفعالات العصب التي لا تحلو - أحياناً - من طابع السحرية، فقد رسم صورة ساحرة تعبّر في الوقت ذاته عن شدة سخطه لبعض المشاهد التي رآها في القاهرة مثلاً، حين اصطّر لركوب الخمار من باب زويلة في القاهرة إلى القسطنطينية، وقد عد به لأرقه فانتحلت عيوبه بالعداء ولم يرحم المكاري صراحه ولم يرق له، ممّا أدّى به إلى الوقوع سجوداً على وجهه، وجاءت هذه الصورة بمركات متلاحقة، ساعدت في تسارعها استخدام قافية الراء التي عكست اضطراب ابن سعيد وغصه، وفي لوقت ذاته عكست روح التفتة لديه، حيث يسجل ذلك شعراً ظريفاً، فيقول:

(١) إلقاء، فساد انظر، ابن منظور، لسان العرب: ١٧٤/١٥.

(٢) إلقاء، المحش من الكلام الذي يصرح بذكره، انظر، انصهر نفسه ٢٦٢/٨.

(٣) الإغصاء، التصير على الأدنى، انظر، المصدر نفسه: ١٢٨/١٥.

(٤) العبدري، الرّحلة المغربية، ص ٢.



لَقِيتُ بِمَصْرَ أَشَدَّ الْبُؤَارِ<sup>(١)</sup> رُكُوبَ أَحْمَارٍ، وَكُحْلَ الْفُجَارِ  
وَحُمِي مُكَلَّرٍ يَصُوقُ الرِّبَا ح لَا يَعْرِفُ الرِّقْلُ مَهْمَا اسْتَطَارَ<sup>(٢)</sup>  
أَنْدَبُهُ مَهْلًا فَلَا يَرْغَبُوي<sup>(٣)</sup> إِلَّا أَنْ سَجَدْتُ سَجُودَ الْعِشَارِ  
وَقَدْ مَذَّ فَوْقِي رَوَاقِي الثَّرَى وَأَخَذَ فِيهِ ضِيَاءَ التَّهَارِ<sup>(٤)</sup>

أما يحيى ابن الرمال فقد برز أسلوبه المفكاهي في رحلته حيث سأله روضة ملك الروم يوماً عن سنة فقال مداعباً لها عشرون سنة، فعالت للزحان ومن هو ابن عشرين سنة يكون به هذا الثَّيْبُ؟ يقال وما تنكرين من هذا؟ ألم نرى قط مهرأً يتبع وهو أشهب؟ فصحكت وأعجبت بقوله<sup>(٥)</sup>

وقد حرص عدد من الرحالة على أن يكون كلامهم مستقاً، يعتمد على السجع غير المتكلف، وفتاس كثير من المعاني من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويلتزم قواعد اللغة العربية والنحو والبلاغة والعروض، مما يساعد ذلك على تسهيل إنتاج الأسماء ولعلماء، فقد اعتمد العبدري في نقده لكثير من إنتاج الأدباء والعلماء على ذوقه الأدبي ومصادر معرفته وتفاعله اللغوي والنحوي، ويوضح ذلك من الأمثلة المتعددة في رحلته، حيث ناقش بعض الشعراء في نصائهم، وعلق عليها، ومن ذلك ما أورده من قول لأبي عبد الله محمد بن عمر بن حميس<sup>(٦)</sup> في قصيدة يقول فيها:

ومن العجائب أن أقيم ببلدة يوماً وأسلم من أدى حَقَّاهَا

(١) البوار: أهلاك، انظر، ابن بطوطة، سان العرب: ٨٦، ٤

(٢) استطار الغبار: إذا انتشر في الهواء. انظر، المصدر نفسه ١٣/٤

(٣) يقصد لا يتكلم ولا يسرح انظر، المصدر نفسه ١٤ ٣٢٩

(٤) القرى: نصح الطبيب ٣٤٠/٢

(٥) ابن دحية، لغز، ص ١٤٤، والمقرئ، نصح الطبيب ٢٥٧/٢

(٦) انظر، ترجمته، العبدري، الرحلة لمقرئ، ص ١٥، والمقرئ، نصح الطبيب ٣٧٨ ٣٠٩/٥

إلى أن يقول:

ولا تحسبني على الشعر غائب      فأعظم ما بي منه أبسر م بي  
وما أسمى إلا شيا ب حلقه      وشيأ أي إلا صاب حصاب<sup>(١)</sup>

قد أدرك العبدري بذوقه وحسنه الأدبي، أن مقطع القصيدة الأخير، لا يتسجم مع ما قبله، ولهذا قال بعد ذكرها، هذه القصيدة مهدية الألفاظ والمعاني، ألد من نغمت الثالث والثاني، إلا أن مقطعها قلق نابه، لا يلزم ولو مضى بفرس ونا، ليس يلتزم بما قبله ولا يمتزج، ولا يزال السمع به يثقل ويهزج<sup>(٢)</sup>.

وهو بهذا يرى أن الاستجمام المعنوي يكمن أصلاً في سجع القصيدة، لأن التفرج إلى المقطع يجعل السمع مستأنساً بما يسمع، وقد خشي أن يكون حكمه سريعاً غير مبني على الممارسة، لذا يذكر أنه قرأ القصيدة عدة مرات كي يحس بالالتحام، فلم يشعر بذلك ولم يهتد إليه. فهذا التدخل من العبدري تدخل ذاتي، وقد كان يتدخل أحياناً تدخلاً لغوياً أو عروضياً مبياً على معرفة واسعة، ومن ذلك أن ابن حيس حينما قال:

ولكنها طائفا تكرر على الفسى      وإن كان مها في أمر نصاب  
وعادتها ألا تومط عدها      وإنما سماء أو تخوم تراب<sup>(٣)</sup>

عنق العبدري بعد ذلك، فقال قوله وإنما سماء أو تخوم تراب الوجه فيه وإنما تخوم تراب بتكرير إما بعد حروف المعطل، وقيل ما يؤتى بها غير مكررة إلا نادراً<sup>(٤)</sup>، ويظهر هذا أن العبدري كان ينظر للإنتاج الأدبي بعين الناقد الباحث عن الطواهر الخبائية في النصوص، والفرار بين اللفظ والمعنى، فهي التي تكسب الأدب الجاذبية

(١) العبدري، الرحلة المغربية، ص ١٤-١٥

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥. وهناك ملاحظات عديدة ذكرها العبدري في رحلته، تؤكد خبرته بطمس

المروء والإيقاع والدوق المرقب في الحال الأدبي المعوي، انظر، رحلته، ص ١٧، ٢٥.



القوية. ولعلّ مثل هذه الروح النقدية، لم يكن جميع الرّحّالة يمتلكونها، فالرّحّالة أبو حامد الغرناطي لم يكن يمتلك الروح النقدية لما يسمع، وقد رأى شوقي ضيف أن ملكة نقد الأبحار عنده لم تكن واسعة<sup>(١)</sup>.

أمّا ابن بطوطة، فيما عرّض غيره من الرّحّالة، بأنّه لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلاّ اهتمّ بها، ونصّ الحديث عنها، وكان من أشدّ الرّحّالة عناية بالتحدّث عن الحالة الاجتماعية ولعادات والتقاليد. وامتدّ أسلوب كاتب رحلته بالبساطة والوضوح ودقّة الملاحظات، وحلّت عاراضه من السجع والحساس وأشكال البنان إلاّ ما ورد في مقدّمة الرّحلة وخاتمتها، وكذلك كلّ مقدّمة لوصف مدينة عظيمة، ولعلّ ذلك عائد إلى ابن حزم، الذي أدّى دوراً هاماً في حتّى عمل فيّ متماسك لرحلة ابن بطوطة ليظهر براعته، فهو كاتب أديب في حاشية السلطان أبي عثمان<sup>(٢)</sup>.

ولغة ابن بطوطة سهلة بسيطة تخلو من لتكّيف، ولجل إلى لغة لغادنة ابداعية، فقد كن حلّ اهتمامه أن يقصّ ما لديه من حكايات ومشاهدات في حين بلغ أسلوب الرّحّالة ابن الحاجّ التميمي حدّ التكلّف، فقد طغى اسجع على أسلوبه منذ بداية الرّحلة حتّى نهايتها، ومن ذلك قوله: «وكم من رجال عاتتهم الأعلال، ويث في أعصاهم من أهل الأضلال والإدلال، وحملوا من الأكران كلّ ثقل الحمل، وأهملوا فلم يعرفوا من الكتب إلاّ تقليد النّهمل»..<sup>(٣)</sup>

ومن كلامه عن أهل فلسطين ومسكنت وماسر سزاهم، وشطّطت مراحم تنالهم، ولات معاجم مجالسهم، وخبت تيران جلادهم،<sup>(٤)</sup>

(١) انظر، ضيف، شوقي، «الرحلات»، ص ٥٦، و«التشكويكي»، تاريخ الأدب الحميري العربي، ص ٣٢٧.

(٢) انظر، حمري، «صبح الذهب»، ١٧٠/٢، و«رحلة ابن بطوطة»، ٣١٢/٢، وانظر، عريب، «حورج»، (١٩٧٢) أدب الرحلة، تاريخه وأعلامه، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ص ٦٤-٦٥.

(٣) ابن الحاجّ التميمي، فيص العباب، ص ٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

ويلحظ اضطراب الأسلوب عند ابن الحاج في بعض الأحيان، مثلاً عندما يتحدث عن ابتداء أبي عان للأمري كنما عقد صحفاً أو هدية مع الإفريج، وتحدث عن اغتالب ثم يخطيبه، ويقول: فما كان بأسرع من تطلاق نساين، وقد لطمس صفحات خدودهن<sup>(١)</sup> حيث يبدو أن هناك شيئاً قد حذف، ويلحظ أيضاً في رحلة ابن الحاج أن هناك تغلات عشوائية من موطن إلى آخر ثم العودة إلى الموضع الأول وهكذا، وهو كذلك ينظم رحلته بشكل مفاجئ، إذ يتحدث عن سجن شيوخ بني مرين، وعن وفاة أبي عان، وعن من تولى الحكم بعده<sup>(٢)</sup>.

وقد يلجأ ابن الحاج إلى التظليل والاختصار أو التفسير أو الإطبات، ولعل ذلك كان بحكم حدثه عند السطمان إذ ظنّ خاضعاً لإرادة السلطة لقرينة، علم يكتب بموضوعية، ويقول محقق الرحلة فلم يكن ابن الحاج والحالة هذه سوى أداء طبيعة كمن عن انتفاع سحرتها يد أبي عان لرسم لوحة كاملة تعكس بصديق وأمانة معالم شخصيته<sup>(٣)</sup>.

أما لسان الذين من الخطيب، فقد أثار أسلوبه كثرة الإطبات، حيث تطول جملة، فتكرر المعاني، ويذكر المقرئ وصف بعض علماء المشرق لأسلوب ابن الخطيب. هو كتب مرسل بلغ، لولا ما في إشالته من الإكثار الذي لا يحلو من عثار، والإطبات الذي يعصي على الاجتناب، والإسهاب<sup>(٤)</sup>. ويتضح تأثر ابن الخطيب بأسلوب القاضي الفاضل، في بناء جمه على أساس انتقاء اللفظ وتعدد الجملة والإطبات في التعبير، ومرح الشعر بالثر<sup>(٥)</sup> ويعلق المقرئ على ما وُصف به أسلوب من الخطيب، فيقول فإن لسان الدين ورن أظيب وأسهب، فقد سلك من البلاغة أحسن مذهب<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤، ونظر أيضاً: المصدر نفسه، ص ١٩، ٥٣، ٥٤، ٢٨٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٣) ابن الحاج التميمي، قصص السباب، المقدمة، ص ٢٠.

(٤) المقرئ، نصح الطيب، ٢٦/٦.

(٥) البلوي، تاج الفرق، ٩٩/١.

(٦) المقرئ، نصح الطيب، ٢٧/٦.





وأظهرت رحلة ابن الخطيب إلى حلّ هتانة<sup>(١)</sup>، توسّع الرّحالة في استخدام الصنعة اللفظية<sup>(٢)</sup> وعلى الغالب فإن لغة ابن خطيب سهلة واضحة، تكثر فيها الاستعارات وتشبيهات، والصور الخيالية.

وقد اعتبر بعض النّاصريّين سانّ لدين بن خطيب، قلب الشعر والنثر في عصره، ومحرر الحركة الفكرية الأندلسية<sup>(٣)</sup> وأنه كان مستجيباً للذوق السائد في ذلك العصر، ومواكباً لأساليب انثر المشهورة، وفي مقدمتها طريقة القاضي الفاضل<sup>(٤)</sup> كما أنّ نشره يتسم بدقة الوصف، وغازاة المعنى<sup>(٥)</sup>.

إن هؤلاء الرّحالة وإن اعتمدوا على السجع والمحسنات البيديّة، والصور البيانيّة، فهم لم يفعلوا الحقائق والمعلومات، بل هم في هذا الجانب امتازوا بالذقة والشمول ويبدو أنّ بعض الرّحالة قد حاول التخلّص من سيطرة المحسنات البيديّة عليه، حيث يقول ابن خلدون: إنّ تكثّف المحسنات البيديّة ومعاناتها يصير إلى الغفلة عن التراكيب الأصليّة للكلام، .. ولا يبقى في الكلام إلا تلك لتحسينات، وهذا هو الغالب اليوم على أهل العصر<sup>(٦)</sup> ويقول ابن خلدون عن نفسه، عندما كتب لسلطان أبي سالم المريني، وصفاً أسلوبه 'واستعملي في كتابه سره، والتمسيلي عه والإشياء لمخاطباته، وكان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل بدون أن يشاركني أحد ثمّ يتحلّ الكتابة في الأسجاع

(١) و. دت ترجمته، الدرسه ها، ٤٥، حاشية رقم ١

(٢) انظر، ابن الخطيب، خطرة الطيف، ص ١١٦-١١٧، ومؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص ٥٩٦

(٣) حبان، محمد عبد الله (١٩٨٨) دولة الإسلام في الأندلس، ط ٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص ٤٨١، وابن الخطيب، الإحاطة ٥٢/١

(٤) الشكعة، مصطفى، (١٩٧١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفوسه، بيروت: دار النهضة العربية، ص ٥٧٢

(٥) أمّين، أحمد، ظهر الإسلام، (١٩٥٥) القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ٢١٩/٣

(٦) مقدمة ابن خلدون: ١٣١/١

لصعق انتحافها، وجماع العالي منها على أكثر الناس، بخلاف المرسل، فانعدت به يؤمّنك، وكان مستقرباً عندهم بين أهل الصناعة<sup>(١)</sup>

ويتضح من ذلك، أنّ ابن خلدون متمكّن من اللّغة والأدب وصباغته صيغة فصيحة وصبيغة، ويدل على ذلك مصادر ثقافته ومعرفة المختلفة، فقد تعلّم صحبة العربيّة على والده وعلى علماء تونس، وحفظ كثيراً من كتب الشعر<sup>(٢)</sup>، لذا التزم أسلوبه، في لغائه، بالجزالة وإقارة مع الوضوح، أمّا استخدامه للبدع فقيل، حيث كان عاملة لأصحابه بمن ماثروا باسمات الغنة لتلك العصور، ومن هذا قوله في رسالة إلى ابن الخطيب يا سيدي، ونعمّ الدخر الأسدي، والعروة الوثقى ابي اعتلقتها يدي، أسلم عليكم سلام القدوم، على الخدم، والخصوع، بملك الشيوخ لا بل أحبيكم تحية المشوق، للمعشوق، والمثلج، لنصباح المثلج، وأبرز ما أتم أعلم بصحيح عقدي في من حيي لكم، ومعرفي بمقداركم، وذمائي إلى أبعد العايات في تعظيمكم، وثناء عليكم، وإشادة في الأفاق بمناقبكم، ديدناً معروفاً<sup>(٣)</sup>.

وعلى الجملة، فإنّ جلّ الرّحلات كانت سهلة مألوفة ودقيقة طريقة، وكثرت على الأفعال؛ لانتمائها وحيثه الرحلة، وتسامحها بالحرّك التتاليه للصور ذات الاتصال السريع، لذا امتاز الأسلوب بالتلفائية، ولاسترسال، ووضوح المعاني، فقد كان للأفعال دور كبير في بيان دلالات بعض الرّحلات، حيث أظهرت رحلة ابن عربي دلالة فعل السفر، فاسفر إرادتي يتم سلّج الشخصى، ولا إرادتي، حيث يتعلق الإنسان بالقدره الإلهية، دون حول ولا قوة

وقد نوع الرّحالة في استخدامهم للصعائر المتصلة تثت الأفعال حيث وردت أفعال استندها الرّحالة إلى صميم الجمع وأخرى إلى صميم التكلم لمجرد، ومهب، (أفلاء،

(١) ابن خلدون، التّاريخ، ص ١١١ ١١٢

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ٦١-٩٢

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٠ ١٨٦.



وشاهدنا، وركبت البحر، وتعلكتني (١)، الأمر الذي أكسب الأفعال حيوية وحركة تنسجم مع فعل الرحلة

وحملت كتب الرحلات، كذلك، بهجمل المعرصة، وبخاصة لدعائية، ثم إن تكرار هذه الجملة لم يثر سباً في أسلوب الرحلات، ولعل غاية الرحلة بها يعود لاعتبارها من الأصول التي يعتمد عليها التعبير الأدبي في العصور كافة، والمعيرة عن التعظيم لله تعالى ولذعاء للتسامعين بالتوفيق ورحمة<sup>(٢)</sup>. ومن أمثلة ذلك، واستقبلنا ببلده حرسها الله<sup>(٣)</sup> واستقبلنا الرئيسة<sup>(٤)</sup>، عصمها الله<sup>(٥)</sup> وركب سلطان أيده الله ثالث يوم<sup>(٦)</sup> ومنهم من يقول: (إن مقصده مبنورة)<sup>(٧)</sup>، حرسها الله، ومنهم من يرغم أن مفصله إفريقية، حماها الله...<sup>(٨)</sup>

ويدو الأثر لنسبي واضحاً في أسلوب لرحالة، فقد كاد القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة أساساً لثافتهم، ومصدر ملاحظتهم، فكثير الأخذ منهم، ولا غرامة في ذلك. فالعامل الدني في الدوافع عامة للرحلات، وكان الاقتباس في اللفظ والتصني وفي المعنى، عدت الآيات القرآنية ولأحاديث النبوية الشريفة أسلوباً من الأساليب والأدوات العبة للرحلات، نبرز الاهتمام بالجمال، والعارات، وتحقيق الاستجمام بين الألفاظ والمعاني، وورد في كلام لرحالة الاقتباس من القرآن والتصني من الأحاديث النبوية الشريفة كذلك تصني الأمثال والرح بين الشعر والنثر، فالتصني، تبع لذلك، المعاني

(١) الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد العود الإسلامي من أعلام القرن السادس، إحكام صنعة الكلام، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦، ص ٧٢-٨١

(٢) ابن الخطيب، خطرة الطيب، ص ٣٤

(٣) هي مدينة كبير من كورة إلبيرة من أعمال أنطلس، انظر، باقوب الحسري، معجم البلدان ١١٩/٥

(٤) ابن الخطيب، خطرة الطيب، ص ٤٧

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٩، والرحلة تعج بمثل هذه حمل الدعائية

(٦) مبنورة، حيرة في شرقي الأندلس، انظر، معجم البلدان ٢٤٦/٥

(٧) رحلة ابن جبر، ص ٣١٠، وانظر، المصدر نفسه، ص ٨٣، ٨٧، ١٠٣، ومراجع مصرفة كثيرة.

ويظهر أثر القرآن الكريم في نموس الرحالة، جلياً، حيث كان الرحالة يستهشرون بالآيات القرآنية، فيجعلون القرآن الكريم معهم في جميع مراحل رحلاتهم، ويقول ابن بطوطة ففتحت لمصحف انظر فيه فكان في أول المصحف، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اللَّهِ مَنْ يَسْأَلُكَ﴾<sup>(١)</sup> فاستشرت بذلك<sup>(٢)</sup>.

ووظف ابن حبير<sup>(٣)</sup> النص القرآني في رحلته، ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَصْحَبَهُ فَلْيَنْصَحْهُ مُطْمَئِنًّا بِلَا يَمِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿إِنْ أَرَادَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup> ويظهر تأثره بالآيات القرآنية في بعض عاداته، ومن ذلك قوله: «وفر منهم من نصى الله سبحانه، وحقت كلمة العذاب على الكافرين»<sup>(٦)</sup>، وهو بذلك يشير إلى تأثره بقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَلْفَنِي فَكَرَّوْا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مَرَّةً ثَانِيًا إِذَا كُنْتُمْ مَعَهَا فَحَبِّتْ أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ حَرِّبْنَهَا أَنْ يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَيُذَوِّدْكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كُفْرُكَ الْعَذَابُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، ويقول ابن حبير أيضاً ثم بعد ذلك غشى البحر صاب رقيق سككت له أمواجه فعاد كأنه صرح بمرد من قوارير<sup>(٨)</sup>، حيث تأثر بقوله تعالى ﴿قِيلَ لَا تَعْمَلُ الْفَرْجَ فَمَا زِلْتُمْ خَشِيتُهُ لُجَّةً وَكَثَفَتْ عِزَّ مَاقِبِهَا فَاَلَيْسَ إِنَّهُ عَزِيزٌ مُعِزٌّ بَيْنَ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي طَلْتُ قَبِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ فَقَالَ رَبِّي الْفَتْنَىٰ﴾<sup>(٩)</sup> ويستعد ابن حبير في أسلوبه عن الكوار والامتناعات، وهو وهو حين يستخدم السجع، يستخدمه دون تكلف

(١) سورة الحج، الآية ٤٠

(٢) رحلة ابن بطوطة، ١٧٠/٢

(٣) انظر، رحلة ابن حبير، ص ١٥٨، ١٦٨، ٢٥٨، ٣٠٤، ومواضع أخرى متفرقة من الرحلة

(٤) سورة النحل، الآية ٦٠-٦١

(٥) سورة آل عمران، الآية ٩٦

(٦) رحلة ابن حبير، ص ٣١٥، وانظر مثلاً ذلك، ص ٢١٣، ٢٤٦، ومواضع أخرى

(٧) سورة الزمر، الآية ٧١

(٨) رحلة ابن حبير، ص ٢٨٦

(٩) سورة النحل، الآية ٤٤



ويدعو أن التأثير بالآيات القرآنية عند ابن الحاج، كان يقصد به تأكيد المعاني في هاراته، ومن ذلك قوله: «وتلا نصار مجازاته، بن الله لا يعبر ما يقوم حتى يعبروا ما بانفسهم»<sup>(١٢٠)</sup>، وقوله حين وصف أهل قسطنطينة عند طلوع آخيوش كثيرة العدد ولعبة وقد بلغت قلوبهم الحناجر<sup>(١٢١)</sup>، ويقتبس من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿سُكِّرَىٰ وَمَا هُمْ بِمُسْكِرَىٰ﴾<sup>(١٢٢)</sup>

أما ابن الحبيب، فيتضح نأثرو بالفقران الكريم في مختلف رحلاته، فيقول في رحلته إلى جبل عتاتة: «واتوكل على الثمار في المصفوفة والورابي المشرفة في التوا الكريم، واستقال طلعة الدو»<sup>(1)</sup>.

ويقول ابن حنبلون في بعض عمارته وصورة، مأثراً، القرآن الكريم: «وسور ضريب  
الامثال بمشاكلته وورثته»، ويقول أيضاً: «وتركتكم على أنتم ما أرضاه». وإن فسخ الله في

[illegible]

(٢) من لحاح النهرى، فيض العباب، ص ١٣٠ ١٣١، ويشير إلى الآية القرآنية: «إِنَّ جَهَنَّمَ تَبَرُّكٌ لَّكَ يَا رَبُّ» سورة الاحقاف، الآية ١٠.

(١) ابن الخطيب، عطره الطيب، ص ١١٩، ويشير إلى نثره بالآيات القرآنية ﴿وَرَوَى مُصَلِّيًا﴾  
 ﴿أَوْ رِيًّا مَسْنُونًا﴾ (١٦) سورة العنكبوت، الآية ١٥-١٦

(٥) ابن عبدون، التعريف، ص ١٢٦، وابن عبدون هنا يشير إلى قوله تعالى ﴿اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا تُكْرِمُونَ وَاللَّهُ يُدْرِكُ الْغُيُوبَ﴾، فَيَسْتَعِذُّ بِمَنْعِهِ فِي كَلَامِهِ الرَّجَاهَةِ كَلَامَ الْوَلَدِ ذِكْرُ أَبِيهِ مِنْ شَرِّهِ مَرَّكَتُ مَرَّكَتُ لَا شَرِّكَ وَلَا عَرِيْبُ بَكَدَ رَجَاهُ يَسِيءُ وَلَا تَرْسَسَةُ نَارُ تَوْزُّ عَلَى قُرْ جَرَى اللَّهُ يَدْرِيسُ فَتَلَهُ يَنْصَرِبُ اللَّهُ تَلَشُّنَ هُنَّاسُ اللَّهُ يَكُلُ نَوْبُ عِلْمٍ ، سورة النور، الآية ٢٥

الأمد، وقضى الحاجة، فأبلى لعودة إلى ولدي وتربي، وإن قطع الأجل، فأرجو أن أكون ممن وقع أجره على الله<sup>(١)</sup>

وذكر ضمن بعض الرحالة رحلاتهم الأحاديث النبوية الشريفة<sup>(٢)</sup>، لا سيما تلك الأحاديث التي تؤكد أهمية الأماكن المقدسة، كبيت المقدس، وقبة الصخرة، يقول البلوي «ولو تبعت الأحاديث المأثورة، والأخبار المشهورة لأملأت وملأت». <sup>(٣)</sup> ومن الأحاديث التي أوردها البلوي في رحلته: لا تشد الرحل إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى<sup>(٤)</sup>، وإنما يسافر إلى ثلاثة مساجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيلياء<sup>(٥)</sup>

ويذكر ابن بطوطة<sup>(٦)</sup> أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذكر أهل البلاد المولية المولية لكفة وأثنى عليهم، وأنه صلى الله عليه وسلم قد أدخلهم في عموم قوله الإيمان بمان والحكمة بمان<sup>(٧)</sup> ومن الأحاديث التي أوردها ابن الجاح<sup>(٨)</sup>، للرسول

(١) ابن خلدون، التبريد، ص ١٨٨، ١٨٩. ويشير ابن خلدون بذلك إلى تأثير قوله تعالى «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى كَفَّةٍ فَلَهُ أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ يَخْرُجُ إِلَى كَفَّةٍ وَلَهُ أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ يَخْرُجُ إِلَى كَفَّةٍ» سورة النمل، الآية ١٠٠.

(٢) من الرحلات الذين ضمنوا رحلاتهم لأحاديث النبوة، العمودي، الرحلة المغربية، انظر، ص ١١٠، ١٩٧، ٢١٥، ٢٦٤، ٢٧٢، ومواضع أخرى من الرحلة

(٣) البلوي، تاج للعرق، ٢٥٦/١

(٤) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ات ٥٢٦ هـ، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٢٠، ٢٠٢/٢، ٥٨، مسلم، أبو الحسين، (ت ٢٦١ هـ) صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مع ٢، ج ٢، ص ١٢٦.

(٥) مسلم، صحيح مسلم، مع ٢، ج ٢، ١٢٦

(٦) انظر، رحلة ابن بطوطة ١، ١٤٨، وانظر، انصدر نفسه ١، ٨٥، ١٠٩، ١٢٧، ١٣٤، ومواضع أخرى متفرقة

(٧) مسلم، صحيح مسلم، مع ١، ج ١، ص ٥٢

(٨) انظر، ابن الجاح العمري، قبض الباب، ص ٣



صلى الله عليه وسلم، في رحلته، إن مثل بلخ كمثل لحامة من الزرع<sup>(١)</sup> وقد اشتملت بعض الرحلات على مجموعة كبيرة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كرحلة ابن رشد.

أما الشعر، فله في معظم الرحلات وجود ملحوظ، وكان من عكيات الرحلة مثله مثل الأحديث ولأخبار، والمشاهدات، والقضايا المنوطة، وغيرها، هذا عُدَّت الرحلات من المصادر الهامة التي حفظت الكثير من النصوص الشعرية من الصياع، وربما نصبت نصوصاً لا توجد في مصادر أخرى، وهو ما يضيف على هذه الرحلات قيمة أدبية كبيرة. إن تضمين الشعر في بعض الرحلات، احتلّ فضاء ضخم فضاء الرحلة الشعرية، ليصبح سبباً وموضوعاً أساساً في القص واستمراراً للسياق القصي، ونوعاً له ليصبح الشعر التضمين جزءاً لا يحدّ فصلة عن الرحلة<sup>(٢)</sup>، حيث حرص بعض الرحالة<sup>(٣)</sup> على تضمين رحلاتهم ألباناً شعرية نادرة تكون من نظمهم وإبداعهم، وأخرى تكون من أشعار غيرهم، وهم بذلك يجارون إظهار مهندتهم وقدرتهم في النظم والثر، وهي سمة سارزة تلتفت النظر في بعض الرحلات، بل إن بعض الرحلات أشبه ما تكون بمختارات شعرية، مثل رحلة العبدري، وتجاور بعض الرخاة ذلك إلى تضمينهم لرسائل في رحلاتهم، مثل رحمة ابن الحاج النميري، ورحلة ابن خلدون.

وقد جاء هذا التضمين حسب ما تقتضيه الحال، فما يريد من روعة لأسلوب، وخالته، والرحالة ابن رشد أشد لنفسه شعراً في حينه لمشاهد الديار المقدسة، والشوق

(١) مسلم، صحيح مسلم، مج ٤، ج ٤، ص ١٣٦.

(٢) أنظر، صالح، صلاح، (٢٠٠٣) مداخل الرواية العربية المعاصرة، ط ١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص ٢٢١.

(٣) وسبهم بن سطوة، نظم رحلته ١/ ٤١، ٤٨، ٥٩، ٧٠، ٧١، ١١٧، ١٢٠/ ٢، ٢٩١-٣٠٤، ومواضع متفرقة. وابن الخطيب، حطرة الطيب، ص ٢٣، ٢٩، ٤٢، ٤٥، ٤٨، ٥١، ٥٠، ومواضع متفرقة وابن خلدون، تخرجه، ص ٦٩-٧٥، ٩٢-٩٣، ١٠٩، ١١٢-١٢٢، ١٢٦، ١٢٩-١٣٦، ومواضع أخرى متفرقة.

إلى معاملها وأعلامها، منتحماً فرصة مروره بطنيس وهو منزل نزله للحجاج بعد رايغ في توجيههم من المدينة إلى مكة حيث قال

أمن ودي لا تدبوا بالصنادود مدام كان في وادي زرود<sup>(١)</sup>

وخلينس إد وردنا بخلص فرعى الله أوقات الـورود<sup>(٢)</sup>

وكذلك أشد البلوي لنفسه شعراً يصف فيه حثيه للديار القديمة

وكيف رحيلي عن معده لم تنزل على خلّ والترحال لي غاية لأنس

أروح وأغدو بيها شيئاً لها وأصبح فيها مستهتماً كما أنسى<sup>(٣)</sup>

وقد صرح العبدري بقصده من تدوين الأبيات لشعره المعرودة، والمنقطوعات،

ولقصائد، إذ يقول وقد رأيت أن أئيب القصيدة هنا بجمعتها لحسها وإعزازها وهي

<sup>(٤)</sup> وهو لا يكفي بتدوين أشعار غيره، بل يثبت شعره كذلك، ومن ذلك قصيدة بعث

بها إلى ولده، يقول قبل إثبات القصيدة وقد نظمت بالقيروان قصيدة بعث بها إلى ولدي

محمد وفقه الله قريب إثباتها في هذا الرسم، إذ هو أثبت المواضع بها بحول الله تعالى،

وهي هذه<sup>(٥)</sup>

أصبح سمعاً أوصيك يا نسي وصية والد برّ حفي

جرى القدر المتيح لنا بيبس قصاء جاء من ملك حلي

وقد فئت بواكم في فؤادي واشجت بالأسى قلب الخلي

(١) وهو واد بطريق اخاخ من الكوفة، انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان ١٢٩/٣

(٢) ابن رشد، ملء العية ٧٦/٥

(٣) البلوي، تاج الفرق ١١/٢

(٤) العبدري، فرحة المرسية، ص ٢٠

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٢ ٧٤





ولم يبق العبدري عند هذا الحد، فكتب في رحلته قصيدة شعرية حتم بها رحلته الشريفة، وقول عنها وهذه قصيدة نظمها في الرحلة، رأيت أن أختم بها هذا التقييد<sup>(١)</sup> التقييد<sup>(٢)</sup>

ولعل قصد العبدري، واضح، وراء هذا الأسلوب، ففي رحلته الشريفة أراد إفادة المثلثي بالمعرب، ووصف البلدان واشاهدات المختلفة، وأحوال الناس أمّا مقصده من رحلته الشعرية، فهو الرعظ، حيث ختم رحلته بقصيدة وعظية، وقد أشار إلى ذلك في بداية رحلته الشريفة<sup>(٣)</sup>.

ومن جانب آخر، افتتح أبو عبيدة الجاني رحلته بقصيدة شعرية من نظمته<sup>(٤)</sup>، وضمن رحلته أيضاً شعر غيره، يقول: وكفى الحياة حظاً إمهال، ليوم لا تعد والموت وإن أبداً انتهى مرة ما فهو كالطول المرحى وثياه باليد<sup>(٥)</sup> وهو بهذا يشير إلى قول طرفه بن العبد<sup>(٦)</sup>

لعمرك إن الموت ما أخطأ العنى لكالطول المرحى وثياه باليد<sup>(٧)</sup>

وقد تمت بعض الرحلات صورة من السحات الفنية لأسلوب الرسائل في تلك العصور، وذلك بما تتضمنه تلك الرحلات من رسائل عكست البنية الفنية لها<sup>(٨)</sup>،

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨٠ ٢٨٤

(٢) المصدر نفسه، ص ٢

(٣) انظر، الجاني، رسالة العريب إلى الحبيب، ص ٤٢- ٤٣ والدراسة هنا، ص ٧٤

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٢ ٥٤. وانظر مثل ذلك، المصدر نفسه، ص ٦٢، ٧٦، ٧٨، ٨٥

(٥) هو، ابن صفين بن سعد بن مالك بن سبيعة بن قيس بن ثعلبة، كان في حسب كريم، وعلمه كثير، قتل وهو ابن عشرين سنة، انظر، الأصمعي، لأغاني، مع ٤، ج ١٥، ص ٦٢، وانظر الروزي، أبو عبد الله الحنبل بن أحمد، (١٩٨٢) شرح لمفقات السبع، سوريا، حلب دار الكتاب العربي،

١٩٨٢، ص ٨٦

(٦) الروزي، شرح لمفقات السبع، ص ٨٦



فقد ضمن ابن الحاجّ بعض الرسائل في رحلته، حيث سلّط الضوء على أهم العناصر  
العنبة للرسائل في تلك الفترة

- المرسل، من عيّد الله لتوكّل على الله .
- المرسل إليه، الشرفاء، واعيناه، والأعيان، والخاصة، والعامة
- الإشارة إلى الموضوع
- السلام
- أما بعد حمد الله والصلاة والرضى على آله . .
- ذكر الموضوع وعناصير الإطباب في ذلك
- الخاتمة، حيث تشعّر بهاية لرسالة بما تنضمّن من دعاء طيّب للسلطان و ابرعية  
ويلاحظ في الرسائل التي أوردها ابن الحاجّ في رحلته، أنّها اختصرت اختصاراً،  
ويظهر ذلك من قسّار الرحالة على ذكر أهم أحوالها، باستعمال عبارة، ومنها التي  
وردت في الرسالة الأولى، أربع مرات<sup>(١)</sup>، وثلاث مرات في الرسالة التي تحبّر بتأنيج  
الرحلة والعودة إلى الدّيار<sup>(٢)</sup>، ومن العبارات الأخرى الدّالة على أنّ الرسائل مختصرة في  
رحلة ابن الحاجّ العمري، عبارة زمن الكتابة المذكور<sup>(٣)</sup> ومن هذه الرسائل، الرسالة  
المعلّفة بفتح تونس، حيث يقول فيها لا حرم أنّ الله تعالى من علينا بفتح تونس التي  
كمت لفتوح إفريقية مسك الختام ولبية التّمام، وعيون حورس النصر الذي قام على أقدام  
الإقدام، وعدة الزّمان الذي كتبها بمدد انبليالي في فراطيس الأيام . . تونس وما أدراك

(١) انظر، بعض الرسائل، في رحلة ابن خلدون، التّرجمة، ص ١٢٦-١٢٨، ١٣٦-١٣٨، ١٤٦-

١٥٩، ومواضع متفرقة

(٢) ابن الحاجّ العمري، فيس العباب، ص ١٣٨-١٣٩

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٣-٢٧٥

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٤-١٨٦.



ما توس جنة البلاد، ونزهة الحاضر والبد، ذات الجسات التي حنّ سوادها من العين بالسواد...<sup>(١)</sup>

ولم يغف الأمر عند هذا الحد وحسب بل ضمن بعض لرحالة حديثاً لرحالة غيرهم في وضعهم لبعض البلدان؛ فقد تضمنت رحلة ابن بطوطة حديثاً لأبى جبير في وصف حلب<sup>(٢)</sup> ودمشق<sup>(٣)</sup> وبقية<sup>(٤)</sup>، ويبدو أن أبى جزي هو من فعل ذلك إذ ربما لم يقمه كلام ابن بطوطة فركه وروى مكانه كلاماً لأبى جبير نقله عنه كما نجد الإشارة إلى أن بعض الرحالة قد وظّف الأمثال في رحلاته لتأكيد على صحة المعاني التي يدعو إليها، ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن بطوطة في رحلته، كسير وعوير وكلّ غير<sup>(٥)</sup>، وهما جبلان قرب الحريز<sup>(٦)</sup>، ومن الأمثال الأخرى التي وردت عند ابن بطوطة بطوطة الكركرد رأس بلايد<sup>(٧)</sup> وكذلك وظّف ابن الحاج الحميري الأمثال في رحلته، حيث يقول: زعم كيولهم بدائها ونسبها<sup>(٨)</sup>، وأحبوا من السلامة بالحصن المشيد، وأصعبت أرجلهم في حديثها المطلق لا انقيد وأست الكبول منها مواعد عرقوب<sup>(٩)</sup>، و<sup>(١٠)</sup> فلما أعطت القوس نارها<sup>(١١)</sup> وقد كسى ابن خلدون عن كثرة الحش

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٣ ١٨٦

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة: ٦٩ / ١، ورحلة ابن جبير، ص ٢٢٥

(٣) انظر، رحلة ابن بطوطة: ٨٢ / ١، ورحلة ابن جبير، ص ٢٣٤

(٤) انظر، رحلة ابن بطوطة: ١٩٩ / ١، ورحلة ابن جبير، ص ١٩٣ ١٩٤

(٥) رحلة ابن بطوطة: ٢٥٠ / ١، انظر، ابتدائي، أبو الفضل أحمد بن محمد البسيوري (ت ٥١٨هـ)

جميع الأمثال ضبط وتعليق سعيد محمد للحام دار الفكر، بيروت، كتاب: ١٩٩٢ / ٢ - ١٧١ - ١٧٢

(٦) انظر، باقرت الحموي، معجم البلدان: ٤ / ٤٦١

(٧) انظر، رحلة ابن بطوطة: ١١ / ٢.

(٨) يشير إلى أمثال القائل: ربي بدائها ونسبها، انظر، ابتدائي، الأمثال: ١ / ٣٥٥

(٩) يشير إلى أمثال القائل: مواعد عرقوب، انظر، المصدر نفسه، ٢ / ٣٦٥

(١٠) ابن الحاج الحميري، فيض السبب، ص ٣٥.

(١١) المصدر نفسه، ص ٤١، ويشير ابن الحاج إلى أمثال القائل: أعطت القوس نارها، انظر، ابتدائي،

يُحَرِّمُ الشُّرُوكَ وَالْمَسَدَرُ<sup>(١)</sup> ولعله بذلك نظر إلى الشئ القاتل جاء بالشوك والشجر<sup>(٢)</sup>.  
ولشجر<sup>(٣)</sup> وتضمنت رحلة العبدري، أيضاً، الكثير من الأمثال<sup>(٤)</sup> الدالة على المعنى  
التي قصدنا، ومن ذلك ما وصف به أهل القاهرة: شجاعهم أجبن من صافر الجنادب<sup>(٥)</sup>،  
الجنادب<sup>(٦)</sup>، وعالمهم أجهل من فراش<sup>(٧)</sup>،<sup>(٨)</sup>.

أما المنهج الذي اتبعه الرحالة، فقد لزم بعضهم نظاماً معيناً أو ترتيباً زمنياً يثير  
الدهشة في سرده للأحداث ودقته في التصوير، ومنهم من جبر، حيث ينقل الملفس، إلى  
عدك يوماً بيوم معتدلاً على معيشتة للمواقع أو سماعة للأشهر والأحداث، مما يشعر  
الخالق بصديق الرواية، في حين تبدو رحلة أبي حامد الغزنائي المصرب لا تلتزم نظاماً  
معيناً أو ترتيباً تاريخياً أو جغرافياً، وإنما جاءت أحداثه بالتداعي، فكل ما يرد على ذهن  
الرحالة يدونه، لا سيما ما يثير الدهشة، ولعله في ذلك قد عديم الأدب الشعبي ويعنى  
ابن عربي تفوق معراجة وأنطوى على مستويات معرفية عجيبة، وأنه سلك في معراجة  
مهجاً خاصاً، مؤكداً أن الإحراق الذي يحصل في فهم القارئ لأسلوب معراجة، هو  
مسؤولية القارئ، حيث يبدو أن القارئ أقل مرة من ابن عربي، ومن قوله في ذلك فإنه  
لا يفهم كلامي إلا من دفا مقامي<sup>(٩)</sup>، فمعراجة معراج لأرواح لا معراج<sup>(١٠)</sup> مع وإدراكه  
ومرء أسراء لا أسوار رؤية جنان، لا عدل، وسلوك معرفة ذوق. ووصفت الأمر  
بمشور ومظوم، وأودعته بين مرمور ومفهوم، مستجع الألفاظ ليسهل على الحفاظ، ويثبت

(١) المصدر: الطبق الباس التماسك، نظر، ابن منظور، لسان العرب: ٥/ ١٦٢.

(٢) ابن حيدر، التعريف، ص ١١٤، وانظر، المصدر، ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٣) الميداني، الأمثال: ١/ ٢٠٨.

(٤) انظر، العبدري، الرحلة الغربية، ص ١٢، ٥٠، ١٥١، ١٦٣، ١٧١، ٢٨٤. ومواضع أخرى مطروقة  
معرفة.

(٥) للمداني، الأمثال: ١/ ٢٣٠.

(٦) المصدر، ص ١/ ٢٣٤.

(٧) العبدري، الرحلة الغربية، ص ١٣٦، ونظر مثله، الأمثال، ابن الخطيب، خطرة الطب، ص ١٠٢.

(٨) الإسرا في مقام لأسرى، ضمن رسائل ابن عربي: ١/ ٤١.



الطريق وأوضحت التحقيق، ولوّحت بسرّ الصديق، ورأيت المناجاة بإحصاء بعض الذّقات<sup>(١)</sup>

وحملت رحلة ابن بطوطة بالكثير من المشاهدات والأحداث والتقصص، وتعلّم لم يذكر جميع تلك الأحداث والتقصص التي كان يعيش أحداثها أو يسمع أحبارها، وإنما يتنقى منها ما شئت في ذكرته، ومما يلحظ أيضاً في منهج ابن بطوطة تقيده وتعليقه على أصل عدد من الأعلام والمواقع التي وردت في أثناء حديثه<sup>(٢)</sup> وركز بعض الرّحالة على الاتصال بالعلماء والشيوخ، وأخذ الإجازات وسماع الروايات، وحفظ الأساس، ولاطلاع على الكتب والأخبار، وتراجم السّوّة والحفاظ والمحدثين والعقهاء والفقيّين، أمّا أجبّر السّفر برأ ومجرأ، ووصف المشاهدات والبلدان، فهو شيء ثانويّ استخدمه الرّحالة للرّبط والتوثيق، فكانت رحلاتهم أقرب إلى المهارس العلميّة، فابن رشيد في ورود، وصدوره يستلّ ما أعده من الشيوخ ويترجم لهم، ويذكر مؤلفاتهم وأسانيدهم بحيث يعكس ذلك الحالة العلميّة في تلك الفترة

ويصف الباري مهجه، فيقول هذا تقييد أطلعه عون من الله وتأيد، قصدت به صيط مولد الرّحلة الحجاريّة، ودثر معاهد الوجهة المشرقيّة، جعلها الله تعالى في داته وبتقاء مرضاته<sup>(٣)</sup>. وقد ركّز البني على ذكر مراحل رحلة أصبح ثمّ الترجمة لشيوحه، فيقول: إني خرجت قاصداً للحج وطالباً للعلم<sup>(٤)</sup>. وكانت ترجمته لشيوحه تأتي في أثناء حديثه عن المدن والمساجد التي زارها أمّا النجفي، فقد كان يهمل

(١) المصدر نفسه ١/٢-٣

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة ١٧٩١، ٢٠٩، ٢١١، ٢٠١، ١١٢/٢، ١٧٤، ٢٢٣، ومواقع أخرى

متفرقة

(٣) الباري، تاج الفرق ١/١٤٢ وما بعدها

(٤) المصدر نفسه ١/١١٣

ذكر تواريخ ميلاد تراجعه أحياناً، ثم يذكر ذلك، آخر الترجمة<sup>(١)</sup>، وفي ذلك إشارة إلى تطلعه للاتصال بالعلماء والرواة والمؤرخين و لاطلاع على الكتب والأخبار

و قد امتزج منهج ابن الحاج النعمري في رحلته بعدم التزام ترتيب معين للأبواب من بداية الرحلة إلى نهايتها، ويلمح ذلك في كثرة الانتقالات بين تلك الأبواب، والتكرار وللقديم والقاعير، فكثيراً ما يجد عبارة رجع حديثاً في جميع مراحل رحلته، ولعلّ مثل هذا المنهج قد يربك أسلوباً إلا أن ابن الحاج قد التزمه في رحلته، كما أكثر من مسح سلطانه وإيراد معالم شخصيته وحرص على أن يختم أبوابه بعبارات التقدير والذم والثناء الصالح<sup>(٢)</sup>

أما من خلطون، فكان يسوق الأحداث ويذكرها بعمية ودقة، لأنه يؤرخ حياته وتاريخ الدول التي اتصل بها، ومع ذلك فهم تكن رحته مجرد مادة سردية جافة، حيث ذكر الكثير من لرمائل والأشعار، وأولى المعني عناية أكثر من عابته بزحرفة لألفاظ<sup>(٣)</sup>

وبهذا تكون معظم الرحلات قد أفرزت بشكل جلي الخطاب المركبي لها، وهو الخطاب الديني، فمعظم الرحالة أصحاب ثقافة دينية انعكست في أسلوبهم حيث قصدوا جمع كل ما يدعم هذا الخطاب، كما لم يكن الخطاب الديني مستقلاً عن الخطاب التاريخي أو الاجتماعي، على سبيل المثال، ويمكن إدراك ذلك من حشد الرحالة للأماكن المقدسة الموصوفة، وجمع العبارات للصية الدينية والتاريخية والشعبية التي تكشف أبعادها وتثبت مركزيتها

## ثانياً: لوصف

(١) انظر، المصدر نفسه ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٥، ٢٩٤، ٢٦٥/٢، ١٠١، ومواضع أخرى متفرقة  
(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ١٢٧، ١٢٨، ١٣٩، ١٤٨، ١٥١، ومواضع أخرى متفرقة  
(٣) انظر، ابن خلطون، الترميم، ص ١١٢-١٢٤، ١٢٩، ١٣٥، ٢٧٤-٢٨٣، ٤١٤-٤١٥، ومواضع أخرى متفرقة.



استلّ الوصف مكانة كبيرة في الرحلات، التي كانت تثقل شغلاً طويلاً منه، فلو وصف أبعاد جهالة، بما يقدر من رسم للملامح الشخصية أو إضاءات عن لمواقع والأحداث، حيث حاول الرحالة رصد كل ما شاهدوه وسمعوه، وسجلوا كل ما تقع عليه أعينهم من مشاهد شتى تتعلق بالسالك والممالك، والسكان والمخلوقات، وما يتعاطاه الناس من مختلف الأنشطة والمناسبات والأعياد والعادات والتقاليد. ونقلوا ذلك إلى كل من حالت دون رحيلهم الأسياح والعوائق.

وقد استطاعت هذه الأوصاف أن تنشر عن انطباعات الرحالة، وترسم صورة لشخصيتهم، فهم ينقلون الأخبار والأحداث، ويصفونها بحيث تصل إلى عام المحوسات المدركة بالمشاهدة والسمع، بحيث يصفي الرحالة عيسى رحلتهم من مشاعرهم وهو طمأنينة، ويحلوها تسقى بالحياة والحركة. فقدت الرحلات بذلك المتعة والتنشيق لقارئ، وكشفت عن مكانة الجمال الطبيعي لمختلف المخلوقات التي شاهدوها، وخلق المواقع وانفتح التي زروها.

ويُفصح من خلال وصف الرحالة ولغتهم المستخدمة قدرتهم على الوصف الذي اتسم بالصدق صادقاً والدقة والشمراء. فقد وصف كراشكوفسكي عمل العبدري، مثلاً، فقال: يقدم لنا المؤلف صعباً دقيقاً للمواقع وللبقاع المختلفة مع تفاصيل رانية عن الآثار القديمة وأخلاق السكان المحليين<sup>(١)</sup>.

كما عي عدد من الرحالة، مثل ابن جبير، والبلوي، والسجبي، وابن بطوطة بالجانب الوصفي في رحلاتهم، وأعقب بعضهم وصفهم للمدن يأتهم الشخصية، ومن العبارات الدالة على ذلك قول السجبي: وهو عسدي من عسوق العوائد، فاستعرت ذلك جد<sup>(٢)</sup>. ويصف ابن جبير مدينة صقلية فيقول: هي بهذه الجزائر أم الخضراء، وجامعه

(١) كراشكوفسكي، تاريخ الأدب الحضاري العربي، ص ٣٩٨، ونظر، فهم، حسن، ١٩٩٧، الرحلة والرحالة، دراسة إسبانية، ط ١، دبي: ندوة الثقافة والعلوم، ص ٤٧.

(٢) انظر، السجبي، مستفاد الرحلة، ص ٢١٩-٢١٩، وانظر في ذلك، رحلة ابن جبير، ص ٥٣-٥٤، ولعلوي، الرحلة المغربية، ص ٣٦، ٣٤.

بين الحسين غصارة وبضارة، فما شئت بها من جمال شجر ومنظر، ومراد عيش يانع  
أحضر عتيقة أنيقة، مشرقة موتقة، تتطلع بمراى فتان، وتتحايل بين ساحات وبساتن كلها  
بستان، صبيحة السكك والشوارع، تروق الأبصار بحسن مظهرها السارع. <sup>(١)</sup> ويضفي  
ابن جبير عسى وصفه قبضاً جيلاً من البيان، فيقول في وصف مدينة نصيبين فخارجها  
رياضي الثمائل، أندسي الحمل، يرف غصارة وبضارة، ويتألق عليه رونق الحصارة <sup>(٢)</sup>

ومن صوره الأخرى المليئة بحركة الأجسام، تصويره للطواف، وقاتل لسرو  
وتدافعهم وهم أهل جيان حصية باليمن، تُعرف بالآرة، حيث يفزل فهم إذا  
طافوا بالكعبة المقدسة يتصارحون عليها تطارح البى على الأم المشعة، لائدين بحودها  
متعلقين بأمتارها، بحيث علفت أيديهم منها ترقق لشدة اجتذابهم لها، وانكبابهم  
عليها وفي أثناء ذلك تصدح الستهم بأدعية تصدع لها القلوب وتتصغر الأعين  
الجوهر <sup>(٣)</sup> وجاءت بعض صوره صوتية، حيث استعمل ألفاظ المعصرة امثيرة  
للفجرائ، فصور عاصفة بحرية دهمت في البحر لأبيض المتوسط، وعثر عن اصطراط  
البحر قائلاً: أشتد تلاطمه، وصكت الأذان غماغمه <sup>(٤)</sup>

وتبدو قدرة ابن الحاج الواسعة على التصوير، حيث يتكرر من التشبيهات  
و الاستعارات، ويعتمد على العناصر المادية المحسوسة المستمدة من العالم المحيط به -  
وهي صور تشابه عدد معظم الزخالة لأنها مستمدة من الإنسان والحيوان ومظاهر  
الطبيعة المحيطة - كوصفه بالخيل، وبعض المواقع، فيقول واصفاً ألوان الخيل وحرارتها  
ورؤوسها وآذانها: . وتضاهت الجرد السوابق، ولاعبت ظلالها الصخر لنو حق، من  
كن أدهم أشبه المسك العتيق، لكن خالطه لكافور فهو يروحته تسمى عرة، وحكى الليل

(١) رحلة ابن جبير، ص ٣٠٥

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٤

(٣) رحلة ابن جبير ص ١١١، وانظر مث هذه الصور في المصدر نفسه، ص ٥٩ وما بعدها

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٩





الهم، لكن حواره الصبح الذي بهر أنواراً وراق مسرّاً، مسرح الحلال، ملجم بالنجوم<sup>(١)</sup>.

السيم<sup>(٢)</sup>، وضمي الليل، وقد مدد النّسج راحه<sup>(٣)</sup>، و تهرى نحتها عين خسارة كاعظم الأنهار فوق حصي كنز لبحور، القرية العهد بلجج البحور، أو كتابا الخور<sup>(٤)</sup>، ومنها أيضاً، قوله «وماشينا أروح الزيتون والأشجار تساقها خريّات الأهمّار، تتخللها أطلال احتلّ والديار نفقاً على شطر البريد لا تال صفح ثراء الشمس ولا ترتاده الخرداء، تتحارب أصوات الحدم المطوّق فوق غصونه<sup>(٥)</sup>».

ووصف البلوي مدينة القدس وصفاً مرجح بالطوهر الطبيعيّة، فقال «هي بلدة الأقو الخير ومجبه، والنجم الذي لا تغطي صهواته، وصلابه والنيل في منّ الاكتهال وأهدبا مختدة بالشكر لله تعالى والابتهاال ظلّ ظليل، وماء مسليل، ورياضات تحيي القوس تنسجها العليل...»<sup>(٦)</sup>.

ومن وصفه قوله «ولم نزل غوض أحشاء كلّ واد كائنات، فكانت تلك الأودية سيوف لقتل لأس مسلولة، ولولا زرقه ألوانها لقلت دماء مطلولة، حاتم نظامها ومسك ختامها، ومنتهى كمالها وقامها، وآخر عديها وانتقامها يسمى (أبر جردن) قبل لآته يجرّد الإيمان من قلب شاربه...»<sup>(٧)</sup>.

أمّا لقصصه، فلم يتوسّع في ذكر خصائص انبلاذ لبي زارها، ومعيّرات حياتها الاجتماعية، ولم يعرض لخريّات الأحداث، ورغم ذلك، فقد جمعت رحلته بين

(١) ابن الحاج السري، ميسر الباب، ص ١٢٤-١٢٦

(٢) ابن الخطيب، رحلة بحيرة الطّيف، ص ٣٥

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٨

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٥) المصدر نفسه، ١٢٧

(٦) البلوي، تاج الفرق ١/ ٢٤٥

(٧) المصدر نفسه: ١/ ١٦٥

وصف البلدان وذكر الأحداث متوحيماً للإيجاز عالياً في وصفه، بحيث جاءت رحلته صغيرة الحجم

ويبدو أن الرحلة، منهم من كان وصفه مختصراً ومنهم من اسهب، فالبسوي، مثلاً، لم يكن وصفه على درجة واحدة، فأحياناً يميل إلى الإيجاز، وأحياناً أخرى يسهب في الوصف، فقد كان يذكر اسم المدينة ويشير إلى موقعها فقط، مثل حديثه عن مدينة الحزائر التي أحاط بها البحر إحاطة السوار بالرناد، فألس ذلك اجسم روح المجد<sup>(١١)</sup> وكان يسهب، أيضاً، في الوصف، فوسع في حديثه، حيث يتعرض إلى تزيين بناء بعض المدن وآثارها، من ذلك وصفه لمدينة الإسكندرية<sup>(١٢)</sup> والقاهرة<sup>(١٣)</sup>

وتوسّع بعض الرّحّالة في وصف حياة الاجتماعية، فتناول الكثير من جوانبها بالقدر والتحليل، واهتم بعضهم الآخر بعلم النبات والحيوان، فكانت الرحلات بذلك أداة تفاعل حصريّ ووسيلة من وسائل التّقدم، ممّا جعل الكثير من الدّارسين والمفكرين يدركون قيمة ما دونه الرّحّالة في كتبهم، فعمدوا إلى استخراج ما يمكن الاستفادة منه من الماضي واستغلال معطياته وتوطيئه في المجالات العلمية والأدبية، وليس هذا وحسب، بل ربما سهّلت أساليب الرّحّالة هذه على الدّارئ التّعرّف على المعالم العمرانية وملاحظتها ومعالجتها من خلال رسم لصور لغنيّة الجميلة التي تقدّم الموائد الأدبية والمادّية ليستحدثت أحدثت بكثير من انبعاث الاجتماعي والاقتصادي لسائدة في عصور الرّحّالة

وفد كانت بعض تلك الأوصاف تطول أو تقصر حسب أهميّة تلك المشاهدات وأثرها في نفس الرّحّالة، فابن جبير يحاول أحياناً إبراز أثر المكان على نفسه، فقد وصف مشهد الكعبة في حبه، حيث يقول: فألفنا الكعبة حراماً عروساً مخلوعة مزهوفة إلى حلة الرصوان مخفوقة بوفود الرّحى<sup>(١٤)</sup> ووصف طرر البناء لذي شاهده قائلاً: والبيت

(١١) المصدر نفسه ١/ ١٥٢

(١٢) انظر: المصدر نفسه ٢/ ١٩٨، ١٩٩، وما بعدها

(١٣) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٢١٥، وما بعدها

(١٤) رحلة ابن جبير، ص ٥٨، وانظر أيضاً: رحلة ابن بطوطة ١/ ١٢٣



العتيق مبيّ بالحجارة الكبار الصَّمّ لشمرو، قد رَصَ بعصها على بعض والصفت بالمقد  
الوثيق، إلصافاً لا تحببه الأيام ولا تقصمه الأزمان<sup>(١)</sup>

أما العبدري، فافتتح كلامه عن المسجد الأقصى بالوصف الجغرافي<sup>(٢)</sup>، ولم يجد أجمل  
من البان، يستعين به على تصوير لذهشة التي لم تكنه حير وآه، ومعطيات جماله الساحرة  
التي تدفع القارئ إلى تشرب ذلك الجمال بما تحميه ومضات العبدري الوصفية للمكان  
حيث يقول: وفي وسط قصاء المسجد قبة الصخرة، وهي من أعجب انباني الموضوع  
في الأرض وتجلّت في جمالها الرائع كعروس حسناء جلست على منصة قامت مشرفة  
متبرجة على بهاج...<sup>(٣)</sup>

وعن باطن لفة الثمّة في المسجد الأقصى، يقول وأما باطنها فيكل من وصفه  
النار، ويحار في حسنة إنسان الإنسان نهر الباطن أشعت لباهرة وتستوقف الخاطر  
عماسه الظهيرة، أسكرت العقول فصارت لها عملاً، وكلّت الأسن فما وجدت مقالاً،  
فاقت حسناً وكمالاً...<sup>(٤)</sup>

ومن جانب آخر، فإن بعض الرّسالة قدّم وصفاً لبعض الأماكن امتاز بالشدة  
ولذاتة، فقد استاء العبدري من تصييع المسجد وإهمالها، في القاهرة وقلة لتحفظ فيها  
حتى تصير مثل الربل وتؤدّ حصرها وحيطانها من الأوساخ<sup>(٥)</sup>

ويلاحظ في وصف الرّسالة للأماكن التي قصدوها، انتقاهم من الوصف الكلي إلى  
الوصف الجزئي، مدركين القيمة الجمالية تلك الأماكن، وقد تجلّى ذلك بإطلاقهم أحكاماً  
جمالية تمّ عن إعجاب خاص بقداسة تلك الأماكن وجماليات الفن المعماري، قصة

(١) رحلة ابن جبر، ص ٧٥

(٢) العبدري، الرحلة المغربية، ص ٢٢٩

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٩

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٠

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٧

الصخرة مثلاً من أعجب المباني الموضوعة في لأرض<sup>(١)</sup> وأقربها شكلاً، قد توفّر حظّها من الخاسن وأخذت من كلّ بدعة بطرف. فهي تتلأأ بوراً وتلمع لمعان البرق، محار بصر متأملها في عمارتها، ويقصر لسان رأتها عن تمثيلها<sup>(٢)</sup>.

وقد تشابه أوصاف بعض الأماكن لدى بعض الرّحّالة، مثلاً وصف بيت المقدس، فعد لعبدري: وله أبواب كثيرة من الشرق والغرب والشمال ولا أعلم له باباً قليلاً سوى الباب الذي يدخل منه الإمام<sup>(٣)</sup>، وعد ابن بطوطة: وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث، فأما الجهة الثالثة منه فلا أعلم بها إلا باباً واحداً، وهو الذي يدخله الإمام<sup>(٤)</sup> وفي العدة يقول العبدري قنّة منقّنة على نشر في وسط المسجد ويطلع إليها في درج من رخام، وقد أحاط بها ولها أربعة أبواب ولدائر معروش بالرّخام المحكم الصّنع<sup>(٥)</sup> أت ابن بطوطة، فيقول القبة قائمه على نشر في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، ولدائر بها معروش بالرّخام أيضاً محكم الصّنع<sup>(٦)</sup>.

أما البحر، فقد اعطى الرّحّالة مساحة واسعة ليظهروا براعتهم الأدبية، حيث وصفوا غامره وأهواله، وابن جبر استطاع في وصفه لأهوال البحر التي عانى منها في رحلته البحرية قادماً إلى مكة، وفي عودته إلى وطنه، أن يحرك المشاعر، ويجعل القارئ يعيش معه تلك الأحداث، التي أثرت في نفسه حيث يصف الأحصير التي دعمته في البحر الأبيض المتوسط، وفي طريق عودته إلى وطنه، فيقول: ونحن نبحر يربح

(١) العبدري، الرّحلة المغربية، ص ٢٢٩

(٢) رحلة ابن بطوطة ١/ ٦٠-٦١، ونظر في وصف التلّاع والتصور، من إخراج الشيرازي، ص ٢٢١-٢٢٢، وانظر، حمودة، المص، (١٩٨١) نظريات وقيم إحصاء المعماري،

الإسكندرية، دار المعارف، ص ٢٢٢-٢٢٣

(٣) العبدري، الرّحلة المغربية، ٢٢٩

(٤) رحلة ابن بطوطة ١/ ٦٠، ونظر أيضاً، رحلة بنيامين التيطلي، ص ١٠٠

(٥) الرّحلة المغربية، ص ٢٢٠

(٦) رحلة ابن بطوطة ١/ ٦٠



شمالية موافقة، فدفرت وحصعت فطارها المركب بجاحي شرعه، والبحر بها قد جُسَّ  
و مستشرى لحاجته، وقدوت بالزبد أموجه فتخال غواربه المتموجة جبلاً مشأجة،<sup>(١)</sup>

ويصف ثورة أخرى لأمواج البحر الأبيض المتوسط، وعواصفه، وتعرض المركب  
إلى العرق عند هبوبها، فالأمواج أمثال الخيال السائرة، حتى لم يشت شرع، فلجأ إلى  
استعمال الشرع الضعيف، ولما هدأت الأعاصير، سكن البحر، وسهلت املاحة فيه، ومن  
وصفه لذلك، وأصبحا يوم الأحد المذكور والمول يريد، والبحر قد هاج هائج، وماح  
مائج، فرمى بموج كالخبال، يهضم المركب صدمات تتقلب لها على عظمه تقلب  
الغصن الرطب، وكان كالسور علواً فبرقع له الموج ارتفاعاً يرمي في وسطه بشآبيب  
كلوالب النسك صمًا جنّ اللين اشتت تلاطمه، وصكّت الأذان غمامه، واستشرى  
عصوف الرّيح. فحطّت الشرع، واقتصر على الدلائل الضعيف. فبأله ليله يشيب لها  
سود لثوائب، مذكورة في ليالي الشوائب، مقدّمة في تمهيد الحوادث والراتب  
مأسفتنا لريح عن عجماء وخلفنا المجرى الممهود الميمون وفي أثناء ذلك تبسّطت  
الشمس، ولان البحر قليلاً،<sup>(٢)</sup>

ويصف وصفاً آخر لأهوال ذلك البحر المتلاطم ثم أعببت الريح عريبه وأنشأت  
سحابة فيها رعد قاصف، وزحنتها ريح عاصف، وتقدّمها برق حاطف، فأرسلت حاصباً  
من البرد صبته عليها في المركب شآبيب متدركة، فارتفعت به القوس، ثم أسرع  
انفشاهها، والمجلى عن الأقس لرياحها .<sup>(٣)</sup>

ووصف ابن جبير، أيضاً، بعض الأهوال البحرية التي داهمتهم في البحر الأحمر،  
حيث يقول: وهت ريح شديدة صرفت لمركب عن طريقة واحعاً وراعه، ولما دى عصفوف  
الرياح واشتدّت حُلُكة الظلمة وعمت الأفاق إلى أن أتى الله بالفرج مقرب مع

(١) رحلة ابن جبير، ص ٢٨٨

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٢٨٩

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩١

الصباح بهذا قياذ الرّيح، وأنشع الغيم وأصنّت السماء، ولاح لنا يرّ الحجاز على بعد لا نضر منه إلا بعض جهاله<sup>(١٧)</sup>

أما التنجني، فيصف أهوال لبحر الأحمر ومخاطره، وأثر ذلك في نفوسهم، فيقول  
عصفت علينا الرّيح، وجاء منها ما أنفينا به على التلف، وعظم الموح وأظلم الحر،  
واشدّ سواده . . وعايانا لموت حياناً، وأيقنا بالتلف لا عمالة. وصحّ الناس بالصباح  
ولبكاء، وانصرع إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء وبهت الملاحون من شدة الموح<sup>(١٨)</sup> إن  
مثل هذه الأوصاف، تضمنت عرصاً للأحداث التي تنتهي إلى العقدة أحياناً ثم سدرج  
في حلّها، كما يلتقط نداحل السرد ولوصف في بعض مشاهدات الرّحالة فيتطرّع بعدها  
المصل بينهم، فالسرد يبرز من خلال الأفعال أصبحنا، هاج، فرمى، وصكت، وكان  
، أما لوصف فيتضح من خلال الأسماء شأيب كالوايل المسكب الرطيب، ليله يشيب  
لها مود الذوائب، لياشي الثرائب..

أما المخصوص في الرحلة، فنقول بمعنى اميد. إنّ الفات يلتفتها إلى مجتمع  
وتاريخ، ذات منبانية بل متافضة، ومتصرفة ولو في صحنها وعيها ولمصرع في  
روايه السيرة، هو بين الذات وداتها، وداحل ال (نحن) من جهة ومع آخر يتواطأ مع هذه  
ال (نحن) وصنعا من جهة ثانية<sup>(١٩)</sup> فالذات في بعض الرّحلات صورة محورية، حيث  
صوّرت الرّحلة، سيرة أصحابها، والواقع المعاش، والواقع المستمد من معايشة  
الأحرين، وهذا قرب الرّحلات من الشكل الفني أكثر منها تسجيلاً جغرافياً<sup>(٢٠)</sup>

وفد جاءت الشخصيات -في الرّحلات- في معظمها شخصيات لا متناهية، متعددة  
الأحوال، والمستويات الاجتماعية والفكرية والثقافة المختلفة، والصفات والظلمات  
الملك والسلاطين، ولوزراء والقضاة والجيوش، والرواة والعلماء والأدباء والشعراء،

(١) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٢) التنجني، مصداق الرّحلة، ص ٢١٢ ٢١٤

(٣) الممد، ممد، السيرة الذاتية الروائية. (١٩٩٧) عصور مجلد ١٥، الممد (٤)، ص ٢٠

(٤) انظر، المرجع نفسه، والصفحة نفسها



ولتجارة، وللمنوع، والجواري، والسحرة، وبعض الثعالب التي حترّف بعضها سرقة ولاعتداء على الحجاج، وسلب أموالهم، ويكثر تشاؤمهم في الطرق المؤدية إلى مكة وللمدينة المنورة، ومن الشخصيات، أيضاً، الحيوانات، والبساتين، وبهذا التنوع، تنوع الأحداث

ولعل الشخصية التي اعتمدتها الرحلات في المقام الأول شخصية الرحالة الوصاف، والاعوي، المهتم باللمات واللهجات، والخصوف أو التقييد، وهي شخصية كملت الترابط بين أجزاء العمل الواحد بحث دارت الأحداث جميعها في فلكه، ولم يشذ عنه، فحضوره حضور دائم وفعال، حيث يكفل الوحدة الموضوعية للعمل وبضفي على السمة الفنية<sup>(١)</sup>

وقد تذكر هناك شخصية خدع شخصية الرحالة، فصاحب الرحلة في بعض الأحيان لم يكن يكتب رحلته بنفسه، إذ كان يملئها أو يرويها، قابس جري كاتب الرحلة ليس هو صاحبها، بل إن ابن بطوطة هو من قام بتلك الرحلة وأملأها على ابن جري الذي دوتها<sup>(٢)</sup> أما ابن الخاق فقد سابع مراحل رحلته مخدومه، واستطاع أن يتقمص شخصيته ويضعه في أوضاعه ليظهرها أحسن تظليل، يلعبه وأسلوبه وسوره، وأن يسيّر عن أعمال أبي عنان شتى الوسائل والأساليب، فترجم أفكاره وعواطفه، في حين لم تظهر شخصية ابن سراج بشكل واضح في مراحل الرحلة، حيث اقتصت شخصيته وراء شخصية سلطانها، ولعل انشغاله بأعمال أبي عنان، وأعداء السلطة، هو ما جعله يسي

(١) ومن أمثلة ذلك، رحلة ابن جبير، ص ١١٠-١١٣، ١١٦-١١٧، ومواضع أخرى معروفة، ولعل في الرحلة المغربية، ص ٧٩-٨٠، ١٦١-١٦٢، ومواضع أخرى معروفة، والحيي، مسعود الرحلة، ص ٣٠١-٣٠٢، ٣٩٢، وما بعده، ومواضع أخرى معروفة، ابن رشيد، ومثل العيبة ٢٧٥-٢٧٥، ٨٧، ٨٩، ومواضع أخرى معروفة، واللوي، تاج الفرق ١/ ٢١٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ومواضع أخرى معروفة، ورحلة ابن بطوطة ١/ ٦٨، ٢٠٩، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٨، ٨٧، ومواضع أخرى معروفة

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة ٢/ ٣١٢

نفسه، غير أن بعض المواقف يمكن لاستدلال من خلالها على بعض سمات شخصية ابن الحاج، فهو ليس شديد الانفعال أو سريع الغضب، بل تتسم شخصيته بالثبات والاعتدال، ولم يخرج عن ذلك إلا نادراً، وفي ظروف خاصة اضطرتته إلى التعبير عن غضبه، ورفضه للمكر الذي ارتكبه محضرون، وهي جريمة تسببت في قتل شخصيات كثيرة شديدة الوفاء لسلطان الذي حفي عنه الأمر حتى تصوّر له الماثل في صورة أخو<sup>(١)</sup> ويدي غصه على الخائن الخائن، القادر الماكر...<sup>(٢)</sup>.

ويلحق من هذا، أن مادة الرحلات قد تكونت وجمعت عن طريق التجربة الشخصية للرحالة، وعن طريق عاداتهم مع شخصيات واقعية. تعرّفوا عليها من خلال رحلاتهم، فمعظم شخوص رحلة أبي حامد الغرناطي واقعية عاشت في أمة وأمكنة لها أبعادها التاريخية والجغرافية، وهي في الحكايات التي برويها الغرناطي تحمل أسماء وألقاباً عرفت بها أثناء حياتها في الدنيا. وأصحاب هذه الشخصيات، منهم من ينتمي إلى السلطة السياسية<sup>(٣)</sup>، ومنهم من كان من رجال الدين<sup>(٤)</sup>، ومنهم من التقى به أبو حامد الغرناطي وعاشه، وتحدث معه<sup>(٥)</sup> وقد أضفى أبو حامد الغرناطي على بعض تلك الشخصيات صفات أسطورية. ورغم انتهاء أصحابها إلى الواقع، حيث أضفى على شخصية أبي جهل صفات تبعده عن دنيا الناس، فبعد موته بسين يظهر في صورة آدمي أسود يشعر ماراً من قرنه إلى قدمه، وفي عنقه سلسلة يجرها خلفه، وهو يصيح، ويطلب الماء<sup>(٦)</sup>.

إنجماً أو سلباً، حيث يشعر المثقفي بحركة الشخوص وحيوية الأحداث فقد أشار ابن جبير إلى ما يقع لشخوص رحلته من تمعّش أو لقاء لشيوخ والأخذ عنهم، والإفادة من علومهم، أو التعرّض لأهوال البحر ووقع اليأس من الدنيا، وودعنا الحياة بسلام،

(١) ابن الحاج البكري، فيض النباب، ص ٢٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

(٣) انظر، أبو حامد الغرناطي، مجلة الأندلس، ص ٣٣، ٤٤، ٤٩، ٦٩، ومواضع أخرى متفرقة.

(٤) انظر، المصدر نفسه، ص ٧٦، ٩٠، ١١٥، ١١٦، ١٣٠، ومواضع أخرى متفرقة.

(٥) انظر، المصدر نفسه، ص ٩٠، ١١٠، ١٣٧، ١٤٦، ١٤٧، ومواضع أخرى متفرقة.

(٦) سطر، المصدر نفسه، ص ١٠٢، ١٠٣، وانظر مثل هذه الحكايات، المصدر نفسه، ص ١٠٤، ١١١، ١١٧.





وجاءه المرح من كل مكان، وطننا أذا قد أحيط بنا، فيا لها ليلة يشيب هـ سود  
الذواب<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت الرحلات تحوي الكثير من الشخصيات العلمية ذات القيمة الأدبية أو  
المقنّية أو غيرها، كما مرّح بعض الرّحالة بين وصفهم لما يصادفهم في البلاد التي  
يقصدونها وبين الترجمة لشيوعهم<sup>(٢)</sup> بل اهتموا أيضاً بضرورة وجود العلماء في البلاد  
التي يقصدونها، «لعمري، مثلاً، كانت تتابّه موجات من العصب كلما دخل مدينة، فلم  
يعثر فيها على عالم يأخذ عه<sup>(٣)</sup>» وعلّ ذلك يشير إلى المعد النفسي والفكري لشخصية  
الرّحالة الباحثة في التطور والتماء

أما أس بطوطة، فقد ركّز في رحلته على شخصيات يمتزجها مهنة إذ ربما تسجّم  
مع ميوله واهتماماته، فالأشخاص الذين يجلّون عناية كبيرة من الرّحالة ابن بطوطة هم  
الأولياء والمصوّفة، حيث كان يهتم بلقاء هؤلاء الأولياء، ورحلته حافلة بأسماء شيوخ  
ذوي كرامات وغوارق، ثم هو يهتم بعد ذلك بالسلاميين والقضاة والحطباء والمفهام،  
وكلّ شخصية في رحلته لها قصة، حتى الحيوانات والنباتات، لها قصة، فكثيراً ما كانت  
الحيوانات تقوم بوظيفة في بعض الحكايات وتُثّل شخصيات قصصية تنسب إليها  
الأفعال، فمن المشاهدات غير الواقعية مشهد السمكة التي رأها في مدينة هرمس على  
ساحل البحر الأحمر - مطروحة عند باب الجامع، فقد كان رأسها كأنه راية وعينها  
كأنهما يابان، فترى الناس يدخلون من إحدهما ويخرجون من الأخرى<sup>(٤)</sup> والسمك في  
رأس أبي حامد الغرناطي من سلالة لسمك الذي أكل منه موسى ويوشع لذلك اكتسب

(١) رحلة ابن حجر، ص ٢٨٩

(٢) من هذه الرحلات، رحلة التنجني، وابن رشيد، وانبدي

(٣) انظر، البديري، الرّحلة المغربية، ص ٢٦-٢٧

(٤) رحلة ابن بطوطة ١/ ٢١٥

قيمة كبرى ضد اليهود والنصارى، حيث يحملون إلى بلادهم ويتركون به<sup>(١)</sup>، وقد أفرده الغرناطي باباً خاصاً في الحديث عن البحر وحقائب حيراباتها<sup>(٢)</sup>

ومن الكائنات الخرافية التي يسرد حكايتها بعض الرحالة، طائر النرج<sup>(٣)</sup>، أو الكائنات التي تخرج من حبات<sup>(٤)</sup> التماس في حكاية مدينة التماس، فقد ذكر الغرناطي أن أحد الرجال فتح معها خنّاً فخرج منه فارس من نار، على فارس من نار، في يده رمح من نار، فطار في الهواء وهو ينادي يا سيّ الله لا أعود - لني سليمان بن داود...<sup>(٥)</sup>

وقد يكون الخيال لعب دور كبير في تصوير هذه المخلوقات إلا أنه بالتأكيد لم يتم احتلاق خُل تلك التصورات احتلاقاً حيث يبدو أن بعض الرحالة قد صدّق كل ما سمع من حكايات وأخبار مهما بلغت غرائبها، وقلّ ما كان يحاول محاكمتها بالنطق، وقد يعزى ذلك إلى كثرة ما شاهد الرحالة وسمعوا من حكايات أو لكثرة الأحداث التي مروا بها، وقول المسدّات وصحوة المراحل التي أثّرت في نفسيّتهم.

ومن جانب آخر، فقد اهتمّ الرحالة بسرد الوقائع أكثر من اهتمامهم بالشخصيات الثانوية، إذ إن التمحور الأساسي يكون حول بطل الرحلة، وفي بعض الرحلات يكون حول صوب البطل، وصوب الكتيب؛ فالعريب رحلة تمحور حول شخصية ابن حلدون، الشخصية التي تحمّل الظهور والبروز في السلطة، وفي التعرق العلمي، وهي شخصية قدّمت نفسها من الدّاحل بحيث وضّحت انفعالاتها، ثم أظهرت أثرها الخارجيّ أو بروزها في شكل أحداث، يعكس من الخارج الذي يحلّ صوت الكاتب الذي قدّم

(١) انظر، أبو حامد الغرناطي، نقمة الألباب، ص ٨٩.

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ٨٣-٩٨.

(٣) انظر، المصدر نفسه، ص ٩٣، ورحلة ابن بطوطة ٢/ ٢٤٢.

(٤) الجباب بكسر الجاء جمع حبة بضم الجاء، وعاء لتمام كاخرة الصحن، انظر، ابن بطوطة، ص ٨٨.

المرب: ١/ ٢٩٥.

(٥) أبو حامد الغرناطي، نقمة الألباب، ص ٤٧.



شخصية أبي حيان من الخارج إلى الداخل، حيث صور أبا حيان من القرمسان الشجعان، يقتحم العقبات ويواجه جميع أنواع الصعوبات. ويصمد أمام الأخطار والأهوال<sup>(١)</sup>، يقول ابن الحاج: وما ركب مولد - أبنته الله - في مركبه الذي تصاعدت له المواكب وظهرت في النهار بلبيل عجاجة الكواكب، والتقى عليه أهل دحلته الذين هم مدارة<sup>(٢)</sup> لحروب ومفارح انكروب - وأسود العباب التي أثبتت أظفار سبورها بالخطوب ولم تكن مهمتها يوم الكريه في السلب لكن في المسلوب<sup>(٣)</sup> ..

وبهذا، فإن الرحلات قد مرجت من الوصف الذاتي والوصف الخارجي لشخصياتها، الثابتة التي لم تؤثر فيها الأحداث والشخصيات المتطورة التي تتعامل مع الحوادث وتكشف لها عهداً شيئاً فشيئاً وجاء خطاب تلك الرحلات متمحوراً حول بطل الرحلة / برّخله، والتجربة الذاتية، والمعرفة الموضوعية، مؤكدة أن تلك الشخصيات عاشت في عصرها وفي حضرة ذلك العصر. وأثرت في الأحداث وهي بذلك تعكس جزءاً من الحقيقة، ولم تكن مجرد وسائل لنقل الأحداث، وإنما كانت تنقل بالحياة إلى حد ما، ذلك أن حضور الرحلة حضور دائم، وبه يتحقق وجود المحادثة التي تكسب الرحلات الاستيعاب، والحياة وشدة القارى متابعة الأحداث، فكان الرحالة بذلك كتاباً ورواة ومؤرخين سجلوا الكثير من الأحداث والوقائع، وكل بعضهم شخصية لغاص المدح

### ثالثاً: البناء الفني والسوي

إن القيمة الأدبية لكتب الرحلات تتجلى في ما تعرض فيه مؤادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، ويرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف، فإن أبرز ما يميز أسلوب الكتابة لقصص المعتمد على السرد المشوق، مما يقدمه من متعة ذهنية

(١) انظر، من الحج التبري، فيص العباب، مقدمة المحقق، ص ٨٠، وانظر، المصدر نفسه، ص ١٢٧

(٢) مدارة، اللفظ، انظر، أبي منظور، لسان العرب ٧١/١ - ٧٥

(٣) أبي الحاج التبري، فيص الساب، ص ١٢٨ - ١٢٩

كبرى<sup>١١</sup> فمادة أدب الرحلات وإن لم تصل إلى مستوى الفن القائم مدته كالقنوت الأخرى القصة أو الشعر أو المسرحية أو المقالة الأدبية، مثلاً، إلا أن أساليب هذه العنود ومصاميرها تجمّع - بشكل عام - في أدب الرحلات<sup>(١٢)</sup>

ولأن معظم الدارسين لم يلتفتوا إلى الساء الفني والفصفي لأدب الرحلات، بشكل كبير، فقد جدت الدراسة ها لتحاول الوقوف على حقيقة هذا الجانب، فلكل رحلة بداية ونهاية، فهل كانت تلك البداية أو النهاية فنية أم تقليدية؟ وهل حكم عصر الزمان وكذلك تلك البدايات أو النهايات؟ وهل تضمنت الرحلات قصائد فنية أخرى؟ كشخص، أو الحوار أو السرد أو الخيال؟

وبالنظر إلى ما بين أيدينا من كتب الرحلات يلحظ التزام معظم الرحالة بمحور الساء الفني الأساسي

## المقدمة:

حيث تبدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ومن ذلك قول ابن الخطيب بحمد الله حمد معروف بمفع، وشكره على عوائده لفضله ورفعه، اسدي جعل لنا الأرض دليلاً ممشي في مناكبها، ونأكل من رزقه، ونصلي على سيدنا ومولانا محمد حيرته من خلفه<sup>(١٣)</sup> في حين انتح أبو عبيدة البجائي رحلته بقصيدة شعرية أشاد فيها بصديقه المشدالي ومكانته العلمية، ثم بالتحديد، حيث يقول الحمد لله الذي فتح بمغاتيح العقول أفعال الأفهام، ورفع حجب السرائر حتى ظهر ما كان محجوباً في صدور أهل الخفية ولعمرك<sup>(١٤)</sup>

(١) حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، ص ١٠

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ١١

(٣) ابن الخطيب، خطرة الطيم، ص ٣١-٣٢

(٤) البجائي، رسالة الغريب إلى الخبيب، ص ٤٧



أما ابن جبير، فرحلته تحملو من مثل هذه المقدمة، فهي موجزة سريعة حشد فيها أسباب الرحلة ودوقها وزمن الخروج ومكانه، حيث ابتدئ بتقييدها يوم الجمعة المرفي ثلاثين لشهر شوال سنة ثمان وسبعين وخمس مئة على مقي البحر بمقابلة جبل شلير<sup>(١)</sup>.  
لغية الحجارية المبركة، قربها الله بالتيسر والتسهيل<sup>(٢)</sup>  
فالمقدمة على اختلافها تأتي متسجمة مع انضمامي التي احتوتها كتب الرحلات، حيث يشعر البدء بالفكرة، ويهد لموضوع الذي يقصده الرحالة

### العرض :

بأنني بعد التمهيد، حيث توطف الرحلات كل الأساليب والتعابير لإسرار الموضوع أو الهدف الذي من أجله كانت الرحلات، فالموضوعات وكل ما صادف للرحالة من المشاهدات، تصور لصلة القوة بين عناصر البناء انفي، بتأني للرحلة أكثر قوة وتربطاً

### الخاصة :

ويضم معظم الرحالة رحلاتهم بالحمد والصلاة على محمد وآله وصحبه، ويحدد بعضهم الزمن الذي استغرقت رحلته من لحظة الخروج إلى لحظة الإياب، حيث يهي ابن جبير رحلته بقوله فكانت مدة مقامنا من لدن خروجنا من غرناطة إلى وقت إيابنا هذا صميين كاملين وثلاثة أشهر ووصفاً، والحمد لله رب العالمين<sup>(٣)</sup>

أما العبادي، فيحتم رحلته بقصيدة شعرية وعظيمة، يهجو فيها مراحل رحلته الشريفة، ثم يحمده لله ويصلي على محمد وآله وصحبه<sup>(٤)</sup> في حين ختم الجاني رحلته

(١) جبل شلير جبل بالأندلس من أعمال إلبيرة لا يدرقه التبع شاه ولا صيفاً، انظر، ياقوت الحموي،

معجم البلدان ٣/ ٣٦٠

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٧

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٠

(٤) انظر، العبادي، الرحلة المغربية، ص ٢٨٠ - ٢٨٤.

بانتظار جواب غير عادي من صديقه المشدائي يوضح فيه ما جاء في رسالته من آيات شعرية وجهه، إلى اليجاني ثم يصلّي لرحالة على النبي محمد وآله وصحبه<sup>١</sup> ونمّا سبق، يلاحظ أن أبناء أصي في جميع ارحلات يظهر بصورة نمطية، تتع خط سير الرحلة من انطلاقها إلى لحظة العودة، بحيث يكسب النص عمالاً واسعاً لتوظيف العناصر الأدبية، معاصر الساء لغوي ترتبط بؤمينة الخطاب، وتسمى إلى مواكة الرحلة من البداية إلى انتهاء

### الفضاء الزماني والمكاني

إن فعل الرحلة لا يفصل عن الزمن والمكان، فالزمن عنصر هام في جسد زمن الرحلة، وعامل من عوامل ضغطه<sup>٢</sup> حيث تمثل الرحلة في زمنها كل مظاهر الحياة المختلفة، فقد رصدت الرحلات جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع ما خلال فترة زمنية محدّدة وزمن القدمة في الرحلة لا يقتصر على ترتيب الأحداث، فقصّة السور في الرحلة تنقل وقائع تاريخية حقيقيّة، وتتركز على الزمن لداخلية للنص، والفترة التاريخية التي تجري فيها أحداث القصة، وترتيب الأحداث وتراسها وتابعتها<sup>(٣)</sup>

تقول مكي أميد كلشي: الذي نقص عنه زمنه، لكن لفعل القصة نفسه زمنه؟ أي زمن القصة، وزمن الشيء الذي يقص عنه القصة<sup>(٤)</sup> فرحلة ابن جبير مثلاً، عمل لمنع استمد وحدته من شخصيّة ابن جبير، والتتابع الزمني، الذي أولاه اهتماماً منذ لحظة

(١) انظر، اليجاني، رسالة العرب إلى الحبيب، ص ٩٨

(٢) انظر، طعان، صبحي، (١٩٩٤) زمن لصي، مجلة المعرفة، السنة ٣٣، عدد (٣٧٠)، ص ١٣٧، ١٤٧.

(٣) انظر، ناصب، سر، (١٩٨٥) بناء الرواية، ط ١، بيروت: دار الشؤون، ص ٣٣، وانظر، لمواقي، ناصر عبد الرزاق، (١٩٩٥) الرحلة في الأدب العربي، ط ١، القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية، ص ٢٤٤-٢٤٥

(٤) العبد، مكي، (١٩٩٠) تثبيت السرد الروائي، ط ١، بيروت: دار الفارابي، ص ٧٢



الخروج حتى العودة، بالناع طريقة العد التصاعدي للوحدات الزمنية، متحداً شكل المذكرات اليومية - ليواريخ تنقلاته ومشاهداته، وفي إطار هذا الترتيب الزمني كان الرحالة يصف مكاناً وصفاً دقيقاً مركزاً على مكة المكرمة الهدف الأساسي لرحلات الحج ولعمرة، وهذا لا يفصل عن زمن الرحلة، فهو زمن ينتمي إلى الماضي لقريب لكنه عند على مستوى الانتقال بين مختلف الأماكن، لا سيما الأماكن المقدسة، إلا أن اشغال ابن حجر بالتقويم الزمني، أدى إلى نياط حركه الحكايه، و كتابه السفر القصصي، ونقله لعنصر الحيوية، باستثناء الأجزاء لأخيرة من الرحلة

أما العبدري، فيظهر اهتمامه بالزمن من خلال وصفه للمرحل التي يقطعها ركب الحجج بدءاً من معادرتهم أرض الوطن ووقوفهم في بعض البلدان، حيث يستكملون من أسواقها حواهرهم وما يزمهم، وعندما تحين ساعه السفر تتحرك القافله وتقطع المسافات التي بين تلك البلدان في يومين أو ثلاثة أيام أو أكثر، وهكذا حتى تصل القافلة إلى مكة المكرمة<sup>(١)</sup> في حين أن بن بطوطه لم يهتم كثيراً بالتواريخ، وتسلل لأحداث، إذ وحن حتى اهتمامه بالأحداث ذاتها وسرد مشاهدته في البلاد التي يصفها، وإن وحدث تواريخ في رحلته فهي مبعثرة وغير منظمة في النص، ومن ذلك قوله "وقصص بلاء الشام، وذلك في منتصف شعبان سنة ست وعشرين"<sup>(٢)</sup>

ومن جانب آخر، فقد جمع الرحالة ابن الحاج بين الأرمته في سباق وحده، وكأنه يصف حدثاً واحداً، فلم يقدم لأحداث جميعها وفق تسلسل زمني حسب وقوعها، بحيث يتحدث عن حدث ما ثم يتوقف ليصف حدثاً آخر ناقلاً تفاصيله وتناججه، ثم يعود إلى موضوع حديثه الأول بقصد استكماله، مما يربك المتلقي في عملية ربط الأحداث ببعضها<sup>(٣)</sup> فرحلة ابن الحاج لا يتوافر فيها زمن مضبوط إلا بعض الإشارات، مثل،

(١) انظر، العبدري، الرحلة العربية، ص ١٥٣ ١٧٩

(٢) رحلة ابن بطوطه، ٥٢/١، وانظر، المصدر نفسه ٨٢/١، ١٠٤، ١٥٤، ومواضع أخرى مخرقة

(٣) انظر، س الحاج العبدري، فصول العباد، مقدمة المحقق، ص ٤٨ ٤٩

مرض أبي عاص سنة ٧٥٧هـ<sup>١</sup>، ومنه الحركة يوم الخميس سنة ٧٥٨هـ<sup>(٢)</sup>، ووصول السلطان أبي عاص تونس سنة ٧٥٨هـ<sup>(٣)</sup>

أما الزمن في نسخة أبي حامد الخرناطي، فيثبت عليه ميله إلى القديم، فهو زمن مطلق، وقديم، فقد يعود الزمن في بعض الحكايات إلى عهد أقوام بادوا مثل قوم عاد وثمود وغيرهما<sup>(٤)</sup>، وهو زمن فامص ليس له علامات تميزه، وتحديد بدايته أو نهايته. وقد ينطبق الرّحالة في سرده لبعض الأحداث والوقائع من زمن محدّد تاريخياً، بحيث يوهّم بواقعة بعض الحكايات والزمن الذي تحدث فيه، ثم سرعان ما يتحوّل هذا الزمن التاريخي إلى زمن لا تاريخي أو أسطوري، ليعود بعد ذلك إلى الزمن الواقعي<sup>(٥)</sup> فالزمن عند الخرناطي لا يسير وفق سلسلة متصلة تفصي كل حلقة من حلقاته، بل ينطلق من الماضي السحيق ثم يُعقد بعض الحلقات الزمنيّة، ليصل الرّحالة إلى الحاضر الذي يعايشه، وهو زمن السرد

والخرناطي في نغمته ينطلق من زمن تاريخي واقعي إلى زمن لا تاريخي، وأسطوري، أو العكس، وهكذا يرتبط حضور الزمن بعمدية السرد، كما أنّ الزمن في الحكاية الأسطورية لا يترك أثراً في الأشخاص أو الأشياء، فعلي بن أبي طالب يبقى على حاله بعد موته بقرون لم يذهب منه شيء البتة، ولكنه صحيح<sup>(٦)</sup>، والنبي هود يحافظ على صفاته الجسدية بعد مرور قرون عدة على موته وحسده على هيئة الأحياء لم يتغير، جميل

(١) انظر، المصدر نفسه، ص ١٩، ٢

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ٦٠

(٣) انظر، المصدر نفسه، ص ١٦٦

(٤) انظر، أبو حامد الخرناطي، نسخة الألياب، ص ٣٢، ٤١، ٤٢، ٤٤، ١٦٩، ومواضع أخرى مفرقة

(٥) انظر، المصدر نفسه، ص ٨٩، ١٠٤، ١٠٥، ومواضع أخرى متفرقة، وقد أشار إلى مثل ذلك، صال الصافي، علي محسن، (١٩٧٨) أدب الرحلات عند العرب في المشرق، شأن وتطور حتى نهاية

الثلاثين المجلد، المجلد الثاني، مطبعة الإرشاد، ص ٣٣٧-٣٦٠

(٦) انظر، أبو حامد الخرناطي، نسخة الألياب، ص ١١٩.





الوجه مع عظم جسده وعليه ثياب مانيّة<sup>(١)</sup>. وتطلى الأسطورية على الرّمن في تحفة الفرماطي، بناء مدينة قوم عاد يستغرق خمسمائة عام، ونائيته بمخاض عشر سنوات، ولملك لذي أمرساتها بدخلها بعد لانتها من سائها ونائيته<sup>(٢)</sup>. فالرمن لم يفعل فعله في الأشخاص والأشياء حيث ظهرت المعجائية في النية الرّمنية لإشارة دهشة الملقى، ولقت انتباهه لمرابة تلك الأحداث

ويتضح ممّا سبق أنّ الرّمن حيط يربط بين الأحداث في الماضي، والحاضر، والمستقبل، فقد اعتمد بعض الرّحالة على الرّمن التصاعدي في وصف لأحداث، وقد يتراح هذا الرّمن من سير الرّحلة الطبيعي في بعض مشاهدتها، وذلك يدكر بعض السّياقات التاريخيّة، أو وصف الرّمن المتعلق ببناء بعض الأمكنة وخاصة الأماكن المقدسة، أو بالفرحة الدائية لصاحب الرّحلة، بحيث يأتي تسلسل الرّمن عند بعض الرّحالة متفوّتاً بين الرّمن التلّطّ وزمن الحدث، فالداية لقصة حداس حلدون كان بالانتقال إلى زمن ماضى يسبق الرّمن انقضى في الرّحلة، وهو زمن يشير إلى مراحل تكوين الرّحالة، الولادة والشفاء، وزمن العضا الأول، ومرحلة الرّحولة، حتى يصل إلى زمن الرّحلة، ليظهر ذلك كلّ مع الرّمن الذي يعاينه، وكأنه بدلت الجع اسلوباً علمياً في إفتاع الآخرين بما يسرد من أحداث.

وكما شكّن الرّمان قضاء لعمّة في الرّحلة، كان المكان، إذ لا يمكن الفصل بين الرّمان والمكان حيث إنهما مرصطان مع بعضهما، ويأحسان أهميتهما من ارتباطهما بالإنسان بحيث يتحوّل المكان من أوصاف الجغرافية والتاريخيّة، ليصبح جزءاً من التجربة الدائية<sup>(٣)</sup>. فالمدى يرتعد بالزّمان، وقد شكّن المكن دوراً هاماً منذ خروج الرّحالة من بلادهم إلى بلاد أخرى، ثم العودة إلى بلادهم، وفي ذلك حديث عن العربة المكنيّة

(١) أبو حلد الفرماطي، تحفة الألباب، ص ١٠٤

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ٤٢-٤٦

(٣) انظر، براهم، بيعة، (١٩٨٦) قصص الحداثة، مصلوب، مجلد ٦، العدد (٤)، ص ٩٦

ولعية العلوية من انطولى والحسين إنيذ، فالمكان والزمن لا يمكن أن يظهر أحدهم إلا في إطار الآخر

وقد عرفت لدراسة هـ<sup>١</sup> إلى دور الرّحالة في إبراز جماليّة المكان، من خلال أسلوبهم في وصف الأمكنة، في ظلّ حركة الرّس وامتدادها، حيث احتلّ هذا التّوصيف الجغري مساحة واسعة، وقع فيها الرّحالة على معالم الأماكن وخاصة الأماكن المقدّسة، حيث وصّوا القباب، والمحرّيب، والمساحد، ولأبواب، ولأمّوار وصعاً شاهدأ على ذاكرة المكان ويبدو بعض الرّحالة وقد انطفقوا من وصف الأساكن المتصلة بالواقع، وتجنّده أبعادها التاريخيّة والحضاريّة، وذكر حدودها وحصائصها، لكنهم سرعان ما يدخلون عالم الأسطورة، وكأنّ وقعيّة تلك الأماكن لا تشدّ القارئ، فليجأ الرّحالة إلى الخيال والأسطورة، ففي بعض الرّحلات نخرجت بعض الأمكنة من إطارها الواقعي، إلى مكان أسطوريّ عجائبيّ، مثل اختفاء المدينة في حكاية قوم عاد مدة طويلة من الزمن، ثم ظهورها من جديد وهذا يجعل منها مكاناً أسطوريّاً عجائباً، ويؤكد ذلك ما ذكره الرّحالة أبو حامد الغرناطي عن مساحتها والمدة الزّمنيّة التي استغرقتها الباء. والرجال الذين يوها، حيث كانوا يتمتعون بقوة جسديّة كبيرة، فساء هذه المدينة العجيبة يحتاج إلى أشخاص يتصفون بالقوة في الأجسام<sup>(٢)</sup>

ويتّضح من ذلك أنّ أبو حامد الغرناطي يحاول أن يصفني صفة الرائعة على حكاياته الأسطوريّة، وذلك بذكر مواقع الحفراة للأماكن التي يصفها، فمدينة الحاس تطلّ مدينة أسطوريّة، رغم ما ذكره الرّحالة عن موقعها في مياقي لأندلس بالمغرب الأقصى قريباً من بحر الظلمات<sup>(٣)</sup>، ويحاول تعبير هذه الواقعيّة بأحداث تاريخيّة وأشخاص تاريخيين، فقد نى المدينة لجنّ للي سليمان بن دود، ثم عثر عليها عكر

(١) انظر، القزاس، ص ٢٠٩-٢١٥

(٢) انظر، أبو حامد الغرناطي، نعمة الألباب، ص ٤٦-٤٧

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٤.



موسى بن نصير<sup>(١)</sup>، وسار قائده حول سورها مدة ستة أيام، ليحرف مدخلها دون جدوى ثم حذر العسكر أسامها حتى بلغوا هذه ولكنهم وجدوا أسامها راسخاً، وصعد بعض العسكر سورها ليطلعوا على ما فيها دون أن يجحوا في التوصل إلى شيء، فتشقى المدينة أسطورية، رغم محاولة الفرماطي إصغاء صفة الواقعية عليها حيث كان يلجأ إلى وصف طبيعة المكان لعاء من عبون وأشجار ووحوش وأطيار، ليوهم الآخرين أحياناً، بواقعية تلك الأماكن، فقد وصف طبيعة مدينة لنحاس بقوله أرض وسعة كثيرة الحياة وعبون والأشجار ولوحوش والأطيار والحشائش والأهوار<sup>(٢)</sup>، ويصف وادب فيها، فيقول فلذلك في واد كثير الميرون والأشجار والأرضي الفصرة الفصرة التي تحملها الأهوار، قد أيعت بالأهوار، وقد حلت من اختلاف الثمار عليها من سائر الأطيار<sup>(٣)</sup> ووصف الفرماطي خروج بعض الأمكة عن إطار هيتها الخاصة إلى إطار الحركة وانتقال، فصر علي بن أبي طالب انتقل من مكان إلى آخر بطريقة عجيبة أسطورية لا يقلها العقل<sup>(٤)</sup>

وبعد، فإن الزمان والمكان فضاء دائري مغلق، يشكل الإطار الحارجي للرحلة، حيث ظهرت الرحلة نصاً سردياً يتحقق في زمن، ويطلق معه من مكان الخروج لتغلق الدائرة في ذب المكان، عند الرجوع وبين زمن بداية الرحلة، وزمن نهايتها، ينتقل الرخانة من مكان إلى آخر، حيث تمتد فعل القصة وسرد المشاهدات والوقائع الاجتماعية، ولأحداث السياسية إلى جانب مراحل التكوين التي مر بها الرخانة. الولادة والشقاء، الخ، تتعلا بعد ذلك الأحداث المؤثرات المكانيّة والزمانيّة مراحل الرحلة التي قطعها الرخانة بين مكان الخروج ومكان الرجوع.

(١) هو من التابعين، ولد سنة ٦٩ هـ، ينسب إلى بكر بن وائل، وهو من أعظم الرعاء الذين وجههم للحلقة إلى الغرب، ترجمه في ابن حلكان، وفیات الأعيان ٣١٨/٥، الباصري، الاستقصا

٩٥/١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٥٨/٢

(٢) أبو حامد الفرماطي، نسخة الألباب، ص ٤٤

(٣) أبو حامد الفرماطي، نسخة الألباب، ص ٤٨-٤٩

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٨-١٢١.

## السرد والحوار

إن السارد أممي لرحلات، يتضح أيضاً في مستويات<sup>(١)</sup> القول، وتوالي فعل السرد بين القصص الرمائي والمكانّي، حيث تتمحور عناصر التخيل، والأساطير، والكوكبات الواقعيّة، ليحتل ذلك كلّ خطاب الرحلة القائم على الوصف الذي يتفاعل مع الكثير من الخطابات الأدبيّة ولاجماعيّة لمخيف العوالم التي يسبق فيها الخطابات من الواقعيّة إلى الغرائبيّة فقد وظّف الرحالة المأثورات لشحيّة، مثل السحر والتنجيم، والطّلب الشمسي، وقصص الحيوان، والياب، وذلك بهدف توصيل المعلومات ومرد المعارف ونقل التجارب إلى المتلقي حيث أدّت وظيفة معرفيّة شعبيّة، واستطاعت الرحلات أن تقدم ذلك، وفق مستويات عدة استوى العلمي، والثقافي، والقولوكوري، والعرائي<sup>(٢)</sup> فقد جاء نصّ رحلة ابن جبير نصّاً قصصيّاً سرديّاً، يروي الأحداث، ويصوّر الشخصيات، حيث نوع ابن جبير في أسلوبه بين السرد القصصيّ المشوق، والوصف الدقيق والطريف للواقع والمشاعر الإنسانيّة التي تحرك حوافظ المتلقي، بما تحويه من مرد للحرية الذاتية العبيّة بالصّور والمفاجآت والمعالمات، يقول<sup>(٣)</sup> . وفي أثناء ذلك أبسطت الشمس ولان البحر قليلاً، وصمّنا بروم أخذ مرسى في البرّ المذكور إلى أن يقضى الله قصاءه وينسج حكمه، فالخدر الخدر، من وكوب مثل هذا الخطر، وإن كان الخدر لا يعني عن الخدر شيئاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل وتعاورت<sup>(٤)</sup> تريح ولأمراج صفع المركب حتى تكسرت وجهه الواحدة، فألقى الرأس مرسى من مراسي طمعاً في تمسكه به، فلم يهمل شيئاً، فقطع حبله وتركه في البحر، فلمّا تحقّق أنّها هي ممّا تشلّدا للاموت حيارها<sup>(٥)</sup>، وأصمينا على الصبر الخميل عرائنا، وأتمنا نرتقب الصّباح أو لحين المساء، وقد علا الصّباح، وارتفع الصّراخ...<sup>(٦)</sup>

(١) انظر، لمروقي، سمير، شاكر، جميل، (١٩٨٩) مدخل إلى نظرية القصّة، بغداد، العراق، دار

الثّوارن الثقافية العامّة، آفاق عربيّة، ص ٧٣ وما بعدها

(٢) تعاورت تدارلت، نظر، ابن منظور، لسان العرب ٦١٩/٤

(٣) المبروم المصدر، وشذّه يدل على التّألم، انظر، المصدر نفسه ٣٢٢/١٢

(٤) رحلة ابن جبير، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩٤



ومن الرّحالة الذين أنشأوا خطأً سردياً لإظهار تجربتهم الذاتية، ابن خلدون، حيث ركّز على سرد الأحداث الخاصة التي تحدث وصوله إلى القنّة وتحقيق ليدت، وأجاد في سرده للكثير من المشاهدات، ومن ذلك حديثه الطويل في فساد القنّة وخرباب ذمم الكتاب والمفتين في مصر، ووصفه لمحاولاته في إصلاح الأمر، فيقول: «فقد كان البر منهم مختلطاً بالفاجر، والطّيب ملتبساً بالخبيث، والحكّام معكون عن اعتادهم متحاورون عمّا يظهرون عليه من هاتهم، كما يؤمنون به من الاعتصام بأهل الشوكه، فإنّ ضالّهم يختلطون بالأمراء... فعاملت الله في حسم ذلك بما أسفهم عليّ وأحقهم...»<sup>(١)</sup>.

ولعلّ طبيعة بعض الرّحالة التي تميل للسرد وللحكايات الطريفة والعريّة، هي ما دفعهم سرداً تلك القصص التي عاشوها أو سمعوا بها، وكان سردهم لهذه القصص بعصريّة وحيويّة: قرأت لرحلة من عالم القنّة، فأبو حامد الغزنائي، وبس بطوطة لم يهتما بالخصائص البديعية والزرقة للفتنة، فكان أسلوبهما أقرب إلى الاهتمام بالحدث أكثر من الرحرفة، ويبدو أنّ ابن بطوطة يحبّ القصص، ويسرد لأحداث بالأساطير، مبرراً مواقع تأزم الأحداث ثم حلّها من لحظة خروج الرّحالة من بلدته حيث تصاعد الأمر حتى يعود الرّحالة إلى بلدته. وقد اكتفى ابن بطوطة بالحكي، في حين قام ابن جزي بجمع تلك لحكايات المتفرقة في سيج قصصيّ متماسك، ومن ذلك قول ابن بطوطة واصفاً ريارته لبلاد أسيا الصعري: «ولما كان لصباح ركبا، وأتانا الفارس لدي بعته معا الفتى أحي من كسوك، فعتت معنا دارساً غره ليوصلا إلى مدينة مطربي وقد وقع في تلك ليلة ثلج كثير عما<sup>(٢)</sup> عن الطريق، فتقدّمتا ذلك الفارس، فأبينا أثره إلى أن وصلنا في نصف النهار إلى قرية للثركمان، فأتوا بطعام فأكلنا منه، وكلمهم ذلك الفارس، فركب معنا أحدهم، وسلكنا أوعاراً وجبالاً، وجرى ماء تكرر لنا جواره أريد من الثلاثين مرّة، فما

(١) ابن خلدون، التبريق، ص ٢٩٢، ٢٩٦.

(٢) عما غطى. فسحا معالي الطريق، انظر، ابن منظور، لسان العرب ١٥/ ٧٦.

خلصنا من ذلك، قال لنا العارم: أعطوني شيئاً من الدرهم، قتلنا له إذا وصلنا إلى المدينة نعطيك ونرضيك<sup>(١)</sup>

ومن أمثلة المشاهد السردية التي تكشف عن روح الفكاهة في رحلة ابن بطوطة، ما ذكره لرحلته من مواقف طريفة أثناء زيارته لبلاد الهند، فقد جلس قاضي مدينة قلهاة، وهو أعور العين يسمى مقبل شريف بغداد، وهو شديد الشبه به في صورته وصوره، إلا أنه أعور اليسرى فجعل لشريف ينظر إلى القاضي ويضحك، فرجعه القاضي، فقل له لا تزجرني، فإني أحسن منك، قال: كيف ذلك؟ قال: لأنك أعور العين، وأنا أعور اليسرى، يضحك الحاضرون، ويحجل القاضي<sup>(٢)</sup>

وقد برزت بجائيات الصور السردية لدى بعض الرحالة، من خلال أسلوب الوصف، وتتبع سمات النص القصصي، فأبو حامد الغزنائي أجاد في وصف الأكراد التي استخدمها بعض سكان آسيا الصغرى وأوروبا في سيرهم فوق الثلج، ووصفها بدقة تدل على المشاهدة والمعاينة الحية، وتكشف عن قدرة على القص والحكي، إذ يقول: ويتخذ الناس لأرجلهم ألواحاً ينحتونها، طول كل لوح باع وعرضه شبر، مفذم ذلك اللوح ومؤخره مرتفعان عن الأرض، وفي وسط اللوح موضع يصنع لمشي فيه رجله، وفيه ثقب قد شُدوا فيه سيوراً<sup>(٣)</sup> من جلود قوية يشدونها على أرجلهم<sup>(٤)</sup>

أما ابن بطوطة، فيسرد الأحداث ويجرياتها، ثم تحول تلك الحكايات إلى قصص تم تدوينها في الرحلة، حيث سرد ابن بطوطة أخبار بعض أسحرة في دعلي، وعن ما لقنت انتباه ابن بطوطة إليهم هو اعتمادهم على المعامرة والحيلة، يقول: بعث إلي السلطان يوماً، وأنا عبده بالحصرة، فحدثت عليه وهو في حلوة، وعده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الخوكة، وهم يلتحفون بملابس وينعلون رؤوسهم، لأنهم يتفنونها بالرمم كما

(١) رحلة ابن بطوطة. ٢٨١/١

(٢) المصدر نفسه ١٥٥/٢

(٣) سيور: ما يُقَدُّ من الجلد، انظر، لسان العرب: ٤/ ٣٩٠

(٤) أبو حامد الغزنائي: تحفة الألباب، ص ١٣٢-١٣٣.



نصب الناس أيامهم فأمرني ماجلوس فجلست، فقال هما إن هذا الحرير من بلاد ميمنة  
وأرياه ما م يره عقالا نعم، فترج أحدهما، ثم ارتفع عن الأرض حتى صار في اعواء  
فوقها مربعة، فعجبت منه وأدركني ألهم، فوقعت على الأرض، فأمر السلطان أن أسمى  
دواء عنده، فأفقت وتعدت وهو عسى حاله مترجع. وهو يزل قليلاً قليلاً حتى جلس  
معت، فقال لسلطان لولا ألي أخاف على عقلك لأمرتهم أن يأتوا بأعظم م رأيت  
فانصرفت عنه، وأصابني لحقان ومرضت، حتى أمر لي بشربة أذهبت ذلك عني<sup>(١)</sup>  
ويلاحظ أن ابن بطوطة قد استخدم الحوار استخداماً ناعماً، فجاءت أحداث حكاياته  
محركة، نابضة بالحياة، ولعل هذا ما جعل أسلوبه أقرب إلى أسلوب الأديب الناصب،  
إضافة إلى أنه لم يقصد أن يورج الأحداث التاريخية أو الجغرافية بمذاتها بل هدف إلى إمتاع  
المتلقي بما رصده من أحوال اجتماعية للملح التي رآها وبصورة عامة، فإن الحوار في معظم  
الرحلات كان امتداداً للسرد والوصف كما قام بدور كبير في البناء القصصي في الرحلة،  
وساهم في الكشف عن نية الأشخاص لحافلة بالمعلومات ولذلات

وإضافة إلى القصص العتمد على السرد الذي يقطعه الحوار والوصف فقد مرج بعض  
الرحالة بين الحكاية والشعر، حيث عرصوا فادرتهم الشعرية من خلال المعارضات  
الشعرية لشعراء آخرين أو هم<sup>(٢)</sup>، وجاء الشعر متضمناً في قصص الترحلة ليتمثل التحويلات  
السردية للرحلة اشرية، فقد استخدم اغوال الشعر حياً والثر حياً آخر، ووظف الحوار  
توطيعة اكسب الرحلة كثير أ من الحيوية والحركة<sup>(٣)</sup>، بحيث يتيح لشخصيات الرحلة أن  
تظهر بحرية لتعبر عن نفسها بنفسها كما استحضرت بعض الرحالة في رحلاتهم الرسائل  
التي اطوت على جانب كبير من الوصف والسرد<sup>(٤)</sup>، الأمر الذي أكد الصعقة الأدبية  
للرحلات وأكسبها وظيفة قصصية

(١) رحلة ابن بطوطة ١/ ١٥٠، انظر أيضاً، المصدر، هـ ١/ ٢٥٦، ٢/ ١٤٤، ٢٣٢

(٢) انظر في ذلك رحلة النجاشي مثلا

(٣) انظر، الدراسة، هـ، ص ١٩٣

(٤) انظر في ذلك رحلة ابن الحاج، ورحلة ابن خلدون، مثلاً.

أما صيغ الأداء<sup>(١)</sup> المتصلة بالكلام، مثل، أشدته، وحسنا، ورايت، وسمعت من، وكنت مع، إلخ، فتشير إلى تركيز الرحالة على الأفعال التي تعبر عن عناصر قصصية، ويصور الحركة، حيث تعبر عن وظيفة سردية تهدف إلى الإيحاء<sup>(٢)</sup> ومن جانب آخر فإن بنية القصير التي تتراوح بين ثناء المتكلم ودينه، والضمير المستمر، وضمير العائب تدلّ في بعض الأحيان على مركزية المتكلم، ومن ذلك قول ابن عربي خرجت من بلاد الأندلس، أريد بيت المقدس - وسرت على سواء الطريق، أبحث عن أهل الوجود...<sup>(٣)</sup>.

ورحلة ابن عربي، مثلاً، تتضمن سرداً يحوي سمات الشكل الأدبي النصفي؛ فالشخصيات والحولات موجودة، إضافة إلى احتوائها عموماً شمرية، ومن ذلك الحوار الذي جرى بين ابن عربي -سالك- والفتى الروحاني عصام، وهي شخصية سردية، قال السالك: فلنيت - فتىً روحاني الدات، ونائي الصفات، يؤمن إلى الانصات. فقلت: ما وراءك يا عصام؟ قال: وجود ليس له انصرم - قمت له. فأين تريد؟ قال: حيث لا أريد...<sup>(٤)</sup>

إن ذلك كله يسهم في الحفاظ على القيمة النصفية في الرحلات، فالسرد يطلق من الواقع مكاناً وزماناً وأشخاصاً، ويسهم في بناء عالم قوامه الدوال الخاصة بكلّ رحالة، ويتّسع بين سرد المفامرات وسرد الانطاعات، كما أن المرويّات السردية والوصفية والحكاية التي احتوتها الرحلات، قد شكّلت سيجاً داخلية قرّبت تلك الرحلات من الأدب

(١) انظر، في صيغ السرد والأداء، يقطبي، سعيد، (١٩٨٨) صيغ اختصاف الروائي والباعدها المسية، الفكر العربي، القاهرة، مركز الإنماء القومي، العدد ٤٨-٤٩، ص ٣٩.

(٢) انظر، موير، إدوين، ساء الرواية، ترجمة، إبراهيم الصبري، ومراجعته، عبد القادر الفظ، دار الحقل، الدار المصرية للتأليف، ص ١١٨.

(٣) كتاب الإسراء إلى مقام لأسرى، حسن رسائل ابن عربي ٣/١

(٤) المصدر نفسه ٣/١





## الحكايات والأساطير

يرى شوقي ضيف، أن بعض الرّحالة كانوا يكتبون بحيلة القصص، الذي يستند الواقع بالخيال، والحقيقة بالأسطورة<sup>(١)</sup>، فاحتوت رحلاتهم مادة غريبة من الأساطير والحكايات التي استمدتها الرّحالة من خلال ريسارتهم لمختلف البلدان، واختلاطهم بالشعوب، وسماعها من الناس، أو رسمها خيالهم لأنفسهم وسبواها إلى مشاهداتهم الخاصة، فهي كن أسطورة جانب من الحقيقة، يتسع بالتسع الخيال الشعبي

ولعن استخدام بعض الرّحالة خيالهم ومزجهم الحقيقة بالأسطورة جاء استجابة لروح المعصرة، الأمر الذي ساعد في إدراك الأشياء، وتطور الفن القصصي للرحلة، فالخيال يصيحي الحياة في الرحلات ويبحث فيها الروح

ومن الأمثلة على تمازج الواقع والخيال، ما أورده ابن بطوطة من إسلام أهالي جزائر ديبه لمهل المالديف، حيث سج الخيال الشعبي أسطورة حول حدث وقع فعلاً، ذلك أن شيخاً مغربياً جاء إلى تلك الجزائر، وكان حافظاً للقرآن الكريم. وأسلم حاكم تلك الجزائر وأعلمها على يديه، وأنعمهم أن تلاوة القرآن تدرأ الأخطار عنهم وتخلصهم من شر العقارب، فتلاوة بقرآن علب هذا الشيخ المعرب الذي كان يأتي إلى الجزيرة من البحر مرة كل شهر، فيقدم الأهالي له فناء، قرباناً لإرضاءه، وتقياً لإبدائه. وتحكي هذه الأسطورة أن هذا الرجل، قد توجه عوضاً عن إحداهن ذات ليلة، فحل محلها، وإن تلاوته القرآن أدهنت العفريت إلى غير رجعة، وأنقذت فياب هذه الجزائر من الهلاك<sup>(٢)</sup>

وتتضمن لأسطورة هنا، تصورٌ لحدث وقع فعلاً، ولشخص له وجود تاريخي، ولكن الخيال الشعبي، أو التراث في حرصه على تأكيد قيمة معينة أو رمزية خاصة، بلجاً

(١) انظر، ضيف، شوقي، الرّحلات، ص ٦، ٤١، ٦٠، وانظر أيضاً، كراشكوفسكي، تاريخ الأدب

المغربي العربي، ص ٣٣٠، ص ٤٦٦-٤٦٧

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة، ١٧٨/٢، ١٧٩

إلى تصوير ذلك الحدث أو تلك الشخصية في إطار من المبالغة والتضخم، وبالإضافة إلى ذلك، فإن الأسطورة تُفهم في سياقات أخرى متعددة<sup>(١)</sup>

ويرى كراتشكوفسكي أن شيوخ القصص البحرية الشعبية، في تلك العصور، وقصص لأولياء والكرامات في العصور المتأخرة، قد أثرت في الرحالة تأثيراً واضحاً، بحيث قبل بعضهم ما يروى له منها، وأضري بعضهم الآخر بحبها، فأوردوا بعضها في رحلاتهم<sup>(٢)</sup>، فالقصص الشعبي مرتبطة بالحياة ومعتقدات الإنسان، وتصوراته النفسية لتلك العصور.

ويذهب بعض الدارسين في تفسير، مثل هذه الحكايات والأساطير، إلى الخوف، حيث ذهب شوقي خفيف إلى أن الخوف لعب بحيال الرحالة، وبخاصة الرحالة في البحار، فسوّد كثيراً من الأوهام حقائق، وجسّم لهم بعض الحقائق الصغيرة، أشياء مفرغة خطيرة<sup>(٣)</sup>

في حين يرى حمدي المسعودي، أن جانب الأسطوري في مثل هذه الحكايات، يعبر عن ميول ورجوات دينية لدى الياء، فلا يجد مجالاً لإبرازها، إلا بدحول تحوم الأسطورة عن طريق فنّ انقص، وكان الواقع لدى الراوي يبدو عقيماً، لذلك التجأ إلى قضاء شأن بدا أوسع، وأكثر ثراء<sup>(٤)</sup>، فعيل النفس الإنسانية إلى العدل ورفضها للظلم، قد يدفعها إلى الاعتقاد معالم الأسطورة، إذ إن الأسطورة قريبة من عقلية العوام، الذين يسمعون ويرددون العديد من الحكايات عن مصير الإنسان بعد موته، مثلاً، فقس طريق تلك الأساطير يتم الحزاء والانتصص من اعنالم، ولو كان ذلك في عالم الخيال فقط، ومن

(١) فطيم، حسن، (١٩٨٧) التراث الشعبي في أدب الرحلات، مجلة المأثورات الشعبية، العدد (٥)، ص ٧٩.

(٢) أنظر، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب العربي، ص ١٥٢، ١٦٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٤٥٨، ٤٦٦.

(٣) صبيح، شوقي، الرحلات، ص ٢٨.

(٤) المسعودي، حمدي، (١٩٨٩) الواعني والأسطوري والخرافي في نعمة أبي حامد المرصافي، الطبعة



أمثلة ذلك، حكاية قبر الأمير الظالم في تحفة العرناطي، فقد كان هذا لأسير ظلياً أثناء حكمه، فلما مات بُني على قبره أئمة عظيمة، وعُمل على قبره ألواح من الرخام الأبيض كالعاج حسناً، فنُتقِع ذلك الرخام وسوِّدَ واحرق، واسوِّدت القبة من الدخان الذي يخرج من قبره .. ولم يلبس أحد بقبره ميتاً.<sup>(١)</sup>

وأفرزت بعض لرحلات أشكالاً قصصية، تقوم على الأسطورة التي تتأني من الواقع اليومي، ومنها قصص الجيود والبث<sup>(٢)</sup>، فقد حفلت تحفة العرناطي ورحلة ابن بطوطة، مثلاً بالكثير من الحكايات التي تصل حدَّ العربة، ومنها ما نقله العرناطي عن حكاية لسمكة الحارية؛ ذلك أن بعض التجار خرجت إسمهم سمكة عظيمة حداد، وجذبوا بالخيال، وجروها فانتحت أذنبا، وخرج من أذنبا جارية حساء جبلة، يضاء، سوداء الشفق، حمراء الخدين .. ومن سورتها إلى نصف صاف، حلد أبيض كالثوب حلقه يتصل بجسدها، كالإزار دائر عليها، فأحدها الرجال إلى اسر وهي تلطم وجهها، وتنتف شعرها، وتمص دراعها وتذيب، وتصبح وتفسح كما تعمل النساء في الدن، حتى ماتت في أيديهم<sup>(٣)</sup>

ويتحدث العرناطي أيضاً عن عجائب مصر وبيلها، فيذكر أن بيل مصر موعاً من السمك يسمى الزعاد، يُعَم من جلده عاقية، وتلس للصدع فيسكن<sup>(٤)</sup>

أما ابن بطوطة، فقد ألتقى الجريدة لتعر عن الظلم والواقع في البلاد، وهذا يخالف المنطق والعقل، حيث يقول في وصفه لمدينة مالي: وحضرت مجلس السلطان في بعض الأيام، فأتى أحد فقهاءهم وكان قدم من بلاد بعيدة، وقام بين يدي السلطان، وتكلم

(١) رحلة أبو حامد العرناطي، تحفة الألباب، ص ١٠٢، وانظر مثل ذلك، لمصدر نفسه، ص ١٠٣-١١٠.

(٢) انظر، رحلة ابن بطوطة ١٦٤-١٦٥/٢

(٣) أبو حامد العرناطي، تحفة الألباب، ص ٩٧-٩٨

(٤) لمصدر نفسه، ص ٩٨، وانظر أيضاً، رحلة أبي حامد العرناطي، المغرب عن بعض عجائب العرب،

كلاماً كثيراً فقام القاضي بصدقه ثم صدقهم المسلمان . وكان إلى جاني رجل .  
وقال أنعرف ما قالوه؟ فقال لا أعرف، فقال إن ألقيه أخبر أن الخرد وقع ببلادهم  
فحرح أحد صلحانهم إلى موضع الخرد بهاله أمرها، فقال هذا جراد كثير، فأجابته  
جرادة منها، وقالت إن البلاد التي يكثر فيها الظلم يعشا الله لصاد روعها <sup>(١)</sup>

وقد يبحث بعض الرحالة في بعض الأشياء والحياة والزوج، فإذا هي تتحرك وتقوم  
بم يقوم به الإنسان، وأحياناً تقوم بأفعال تستند إلى لقوى العبيية في العقليية الشعية،  
فالحجر مثلاً، قدو على إزال المطر <sup>(٢)</sup>.

ومن الرحلات التي برزت فيها بعض الخواص الأسطورية، رحلة ابن الصبايح  
الأندلسي، حيث يرى جمعة شعبة أن ثقافة الرحالة، ثقافة دينية متوسطة، وثقافة تاريخية  
أسطورية. تبعه عن صفة لعالم، فقد تحدث ابن الصبايح الأندلسي عن قصة صلب  
المسيح عند دخوله إلى الإسكندرية، فذكر أن إقليش اليوناني من ولد أرمسطاطلس  
الحكيم، هو ابن زي بن الإسكندرية، وكانت مع أنه الخشة التي صلب عليه المسيح عليه  
السلام. ودعت ليلة رأى إقليش في منامه أنه وأنه يعبد هذا (الصليب) فكان أول من  
عبد الصليب، وتبعه من كتب عليه الشفاء والعذاب . ويبدو أن هذه الأسطورة أثرت  
في ابن الصبايح، فرجع إلى أسفار اليهود، فدخله الوهم والفتن في مسألة رفع عيسى عليه  
السلام، ورين له الشيطان عكس ما جاء في العقيدة الإسلامية، فكاد يتحرف عنها لولا  
أن هداه الله بؤر القرآن <sup>(٣)</sup>.

إن حصور الأبعاد الأسطورية في بعض الرحلات، لا يعني عدم مصداقية ما تقدمه  
نلك الرحلات؛ ويؤكد ذلك ما ذكره بعض الرحالة في رحلاتهم، فأبو حامد العرطاطي،  
مثلاً، يجزم أن ما يذكره في تحفته هو من الواقع، ولا مجال للشك فيه، حيث يقول في نهاية

(١) رحلة ابن بطوطة. ٢/ ٢٨١

(٢) انظر: أبو حامد العرطاطي، مجلة الألياب، ص ٧٧، وانظر، الصدر بصره، ص ٧٩

(٣) شعبة، جمعة، بعض المقامير الدينية في رحلة عبد الله بن الصبايح الأندلسي، دراسات أندلسية، العدد



مقدمة الرحلة فلا تكن مكثراً بما لا تعلم وجه حكمته<sup>(١)</sup> ويحزو عدم تصديق حكاياته إلى نقصان العقل من جهة وإلى الجهل من جهة أخرى<sup>(٢)</sup> ثم يسوق مجموعة من البراهين المتنوعة لإقناع المتلقي بحكاياته؛ منها ما هو نصي مستمد من القرآن الكريم، ومنها ما صممه رحلته من الأشعار، ومنها ما يعود إلى التجربة والملاحظة الحية

أما ابن بطوطة، فيبدو أنه لم يعط بالأداء أو يبذل جهداً ليحقق، ويقد بعض تلك الحكايات، فتركها تقترب إلى الأساطير الشعبية، ولعل ميله إلى الجانب الصوفي دفعه لتصديق بعض تلك الحكايات والأساطير دون تردد فما ذكره الرحالة من لأعاجيب و لعرائب كان مستنداً بين الناس، فدونها الرحالة في رحلاتهم، وصدقها بعضهم حتى صارت في أذهانهم حقيقة<sup>(٣)</sup>

وإن كان هذا اختصار شديد للأسطورة في بعض الرحلات، قد أخذ يسيطر على عبريات أحداث الرحلة، إلا أن تلك الرحلات، نفى ذات قيمة كبرى، بما تحفل من مادة غنية، ومعلومات متنوعة من أجزاء واسعة من البلدان التي قصدها الرحالة مغلبية هؤلاء الرحالة لمؤلفين كانوا كتاباً قبل كل شيء، فجاءت كتاباتهم يغلب عليها الطابع القصصي. يستندون به إلى الواقع أحياناً ويبحسون إلى الخيال أحياناً أخرى، ويستعينون فيه بالقصص الممتعة التي تسمو به إلى مرتبة الأدب الفني الصوفى الصوف في أغلب الأحيان<sup>(٤)</sup>.

ويصف حسين نصار لرحلة الأدبية بقوله إن لم تكن الرحلة الأدبية قصة ولا رواية بالمعنى الدقيق، فهي أشعث شقيقة لها<sup>(٥)</sup>

(١) أبو حامد الغزالي، غصاة الألباب، ص ٢٥

(٢) انظر، المصدر نفسه، ص ٢٤، انظر، أيضاً، المصدر نفسه، ص ٩١

(٣) انظر، مال الله، على بحسن، أدب الرحلات عند العرب في الشرق، ص ٢٤٣

(٤) حسين، حسني محمود، أدب الرحلة، ص ١٠، ١٦

(٥) نصار، حسين، أدب الرحلة، ص ١٣٤.

وبهذا، يمكن القول إن نصَّ الرحلة، هو نص فيه من الفن القصصيّ ما يمكن منه أن يمثل جدور القصة لأدبيّة، حيث اعتمد على عناصر أساميّة واضحة هي السرد، والحوار، والوصف، والبدايات والنهايات، والتشويق والاستمداد على هدف وغاية وهو أيضاً، يمثّل شكلاً أكثر اتساعاً، بما سمح من مساحة لعديد من المستويات اللغويّة؛ أن تظهر شعراً كانت أم نثراً، كتنفل لهمم والحديد، ولتبع والنفع<sup>(١)</sup> إلا أن هذه الحكايات الخياليّة ولعرائنيّه، وطفوس السحر والأسطير، التي كانت ضرباً من صروب الساء لفتني في أدب الرحلات، نقلت بحاجة إلى دراسة مستفيضة مستقلة لمعرفة الذواصي التي دعت الرحالة لذكرها

(١) زيتوني، مطيع، (١٩٩٦) السيميولوجيا وأدب الرحلات عالم لشكر الحمد ٢٤، عدد (٣).

## الخاتمة

وبعد فقد حاولت هذه الدراسة أن تقدم صورة واضحة قدر الإمكان لأدب الرحلات الأدبية والفكرية، ومساهماتها المعرفية والثقافية والاجتماعية ولدينية، وأن ترصد مدى التجربة الإنسانية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، كما حاولت الدراسة أيضاً من خلال نصوص الرحلات والمصادر والكتب التي درست هذا الأدب إسرار دور الرحالة في اتصال الثقافات، ونقل إبداعات الشعوب وثقافتها إلى سائر أقطار العالم وتبيين معاني الارتباط الروحي والمادي بين لأندلس والمغرب وبلاد المشرق، وغيرها من البلدان التي زارها الرحالة، حيث اقتصرت ذلك الاتصال بهوض ثقافي، وتطور حضاري في مختلف تلك المجتمعات، التي وإن اختلفت في بعض أنماط حياتها بحكم البيئة، إلا أن ملك الحضارات صاعقتها ثقافة واحدة، هي الثقافة الإسلامية وعم تبادل الأصناف

وتدعم تسليط الضوء على لمراحل التي مرت بها لرحلات الأدبية والفكرية، حيث اتخذت في بدايتها طابعاً دينياً علمياً، برز فيه الدور العلمي للأماكن المقدسة من خلال استقائها وفود طلاب العلم المسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامي ثم كانت الرحلة لزيارة معظم لأقطار، حيث أفردت هذه الرحلات مذكرات ومشاهدات هؤلاء الرحالة، نشأ ما يسمى بالرحلة الوصفية، التي اتسعت لتشمل وصف مراحل الرحلة الأماكن، والمشاهدات، وأحوال الشعوب

وعبر لرحالة في وصفهم لمراحل رحلاتهم عن انطباعاته، فاستعدوا التصبيات الدينية والأدبية، إضافة إلى تأثيرهم بحاضر البيئة المحيطة بهم حيث برزت بعض الصور السلبية لدى بعض الرحالة، مثل ابن جبير مما أكسب الرحلات عنصر لامتياز، وقرئها من الأدب، فكانت رحلات قيمة، سرودت أخبارها في شكل قصص.

بهذا، تكون الرحلات قد رصدت تنوع المعالم الحضارية في مختلف لموانب الحياتية في البلدان التي قصدتها الرحالة، وعكست صورة واضحة عن أحوال لشعوب وعاداتها وثقافتها وكشفت عن الانتماء إلى ثقافة الذات والمهم لثقافة الآخر ولاعتناج عليه مرة التماس بين كل العاصر لبشرية والثقافة في البلدان التي زارها الرحالة.

## المراجع

### ١. باللغة العربية

- القرآن الكريم
- أك مريم، أحمد علي (٢٠٠٣) عهد ونظوم أبي نؤاد، أبي الأدي
- ابن الأثير، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر البغدادي، (٦٥٨هـ) المكتبة لتكاتب  
السلف، ٤ ج، (تصحيح عبد السلام الحراس)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥
- إبراهيم، زكريا (١٩٧١) مشكلة العمارة القديمة - مكتبة مصر
- إبراهيم، بيلا (١٩٨٦) قصص العتبات مجلة هسول، العدد ٦، العدد (٤)، ص ٩٥-٩٩
- ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن أبي بكر محمد بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) الكامل في  
التاريخ، ١٠ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧
- أحمد، رمضان أحمد (١٩٨٠) الرحلة والرحالة استمعوا حدة در البيان العربية
- ابن الأثير، أبو الوليد الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد، (ت ٨٠٧هـ) مشر هوشد هيمان في  
مطعم فحول لغزات، (تحقيق محمد رضوان الدين)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧
- الإبراهيمي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، (ت ٥٦٠هـ) مدخله الشبلي في احتراق الكافي أسفة لغزود  
وغرض السوادن ومصر واندلس، مطبعة بين، لندن، ١٩٦٨
- محمد، مدخله الشبلي لغزود العربي، الجزائر، ١٩٨٢
- لدهم، علي (١٩٠٠) لغزود الشبلي لغزود العبدرة - مكتبة النهضة مصر
- أرسلان، شبيب (١٩٣٦) لغزود الشبلي في الأحبار والادب الاندلسية، ١٠ ج، ماس الكتب  
التجارية الكبرى، مصر المطبعة الرحمانية.
- إسماعيل، عز الدين، (١٩٧١)، لغزود ونظوم، ١٠ ج، لغزود، دار الفكر
- الأصمعي، أبو العرج علي بن الحسن، (٣٥٦هـ) لغزود، ٢٤ ج، دار الفكر
- أمين، أحمد (١٩٥٥) لغزود الإسلام ٣ ج، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية
- أمين، حسين (٩٨٥) (أغلافت الثقافية بين الاندلس وبعث في العصر العباسي)، لغزود، السج  
العدد (٣٣)
- الأمباري، عبد القدوس (١٩٧٧) مع من حبيب في رحلته، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة
- — (١٩٨٠)، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ٢ ج، جدة





- الأرسني، حكمة علي (١٩٦١) يحيى بن الحكم العرفي سفير القدس وشاعره القاضي، مجلة الجمع العلمي العراقي، مج ٢١، ص ١٩٦، ٢١١
- الأرسني، ابن عبد نلك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، (ت ٧٠٣هـ) الدين والنكتة لتأثير النوسول والسلف، ج ١، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥
- أوليري، ديلاس (١٩٦١)، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة تمام حسان، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة
- باحتي، ميخائيل (١٩٨٧) الخطاب الروافدي، ترجمة محمد براد، القاهرة: دار الفكر
- الباشي، حسن، ولسلي، محمد توفيق (١٩٨٠) للمصنفات الشعبية في التراث العربي، دمشق: دار الحين
- بالأشهب، محمد (١٩٩٨) ألتقلي لتأثير شروطة وحدوده، بن عربي، نموذجاً، مجلة علاصات، العدد (١٠)، مكابي، المغرب
- بالشيأ، أنس جتال (١٩٥٥) لتاريخ الفكر الفيلسفي، نقله عن الألمانية، حاسوب مؤسس، ١٠، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦هـ) صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٤ مج، بدون ذكر سنة الطبع
- بدوي، أمية (بدون ذكر السنة) تصحح رحلات الفيلسفين والفارسية المصنوعة وللخطوط من القرن الثالث هجري وحتى القرن التاسع هجري، بجامعة الأردنية، الأردن، بحث لم يشر بعد
- بدوي، عبد الرحمن (١٩٦٢) ثلوث والميقرة ط ٢، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية
- بدوي (١٩٦٢)، مؤلفات ابن حلقون، القاهرة: دار المعارف
- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الششتري، (ت ٥٤٢هـ)، الذخيرة في معاني أهل الجزيرة، ج ١، ١١ مج، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩
- ابن بشكول، أبو القاسم علي بن عبد الملك، (ت ٥٧٨هـ) الفقه، ج ٣، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد التتواتي الطنجي، ب ٧٧٩هـ) نسخة منطوق في غرائب الأفسار وعجائب الأسفار ج ٢، أعني به وراجمه، درويش الحويدي، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٤
- البغدادي، إسماعيل بن محمد أمير بن سليم الباني، (ت ١٢٣٩هـ) إحصاء الكفون في الدول على كشف الغنود عن أسامي الكتب والمصنوع، ج ٢، هي بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين، وكالة المعارف، إحياء، استاسول، ١٩٤١

- البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت ١٠٩٣هـ) حرمات الدين ولب لباب لسان العرب، ٤ ج حي مشرء المطبعة السلطانية ومكتبتها، إدارة الطاعة الخيرية، القاهرة، ١٩٦٨
- البكر، خالد عبد الكريم حمد (ت ٢٠٠٢) الرحلة الاندلسية إلى الجزيرة العربية من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري، ط ١، الرياض: مكتبة الملك عبد الوهاب
- البكري، أبو عبيد بن عبد البر، (ت ٤٨٧هـ) جغرافية المسلمين وأوروبا من كتب المسالك والممالك (تحقيق عبد الرحمن عبي الحفيظ)، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٨
- — (١٩٧٧) سفرة جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، ط ١، (تحقيق عبد الله صميم)، ذات السلاسل
- بلاثوس، آيس (١٩٧٩) ابن عربي: حياته ومذهبه، ترجمه عن الإسبانية، عبد الرحمن بدوي، الكويت، بيروت، وكالة المطبوعات، دار القلم
- البيهقي، خالد بن عيسى، (ت ٧٦٥هـ) تاج المشرق في تحفة علماء المشرق، ٤ ج (تحقيق المجلس الأعلى)، مطبعة مصالحة، المهدية، المغرب، د ت، بدون ذكر السنة
- بنيامين الطيلي، ابن يونس الباري الأندلسي، (ت ٥٦٩هـ) رحلة بنيامين الطيلي، ترجمة عروا حاد، بعد د، ١٩١٥
- — (٢٠٠٢) رحلة بنيامين الطيلي، ترجمة عز حاد، دراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط ١، الجمع الثقافي، أبو هلي
- البهسي، عميد (١٩٩٩) المعاصرة العربية، الربط المجلس القومي للثقافة العربية
- برنثيس، إيزابيل القادري (٢٠٠٤) 'محطات في تنوع التسامح بين الأديان بالندس' مطبعة دراسات انطونية، العدد (٣١)، ص ٧٣ ٩٢
- بوروية، رشيد (١٩٨٢) ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيت، الخرائر ديوان انطونيات الجامعة
- البزوي، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، (ت ١٠٤٨هـ) الآثار الفلكية من فلكون الخليفة، ط ليرج، مكتبة لقي، بغداد، ١٩٣٠
- التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد، (ت ٧١٨هـ) رحلة التجاني، قدمها حسن حسبي عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١
- الشحيي القسم من يوسف الشحيي، (ت ٧٣٠هـ) مستغلة الحركه والانغمز (تحقيق عبد الحميد منصور)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٥

- الشبكي، أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد آيت صوف يابا، (ت ١٠٣٦هـ) قبل الانتهاء بتقرير التبريد، ط ١، د ١، ١٨٩٩
- ابن حبر، أبو حبيب محمد بن أحمد الكاشي الأندلسي، (ت ٦١٤هـ) وحله من جيب السمكة لشجرة بالاضحار عن فماعت الشطر، دار صادر، بيروت، ١٩٥٩
- حرار، صلاح (٢٠١٤) عمان فوصل، دراسات في التصاع الحضاري والثقافي في الأسنلس، ١٥، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، دار الفارسي للنشر والتوزيع
- — (١٩٧٩) أبحاث بين فلسطين والأندلس، مجلة الفيصل، السنة الثالثة، العدد (٢٩)، ص ١١١-١١٥
- — (١٩٩٧) الفصح في رحلات الأندلسيين، بدوات الفصح، ٥٠٠ عام من الفصح
- تهريب، المدو، الثانية، جامعة آل البيت، عمان، بحث لم ينشر بعد
- أبردي، عباس (١٩٧٧) الرحلات كمصدر لتاريخ مجله الفيصل، السنة الأولى، العدد (٦)، ص ٥٨-٦٢
- الخرباني، علي (١٩٧٧) جنى دهره الأس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط
- ابن الحاج المرناطي، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله السيري، (ت ٨٧٧هـ) هيم السبع والثامنة فلاح الأناب في معركة السعيدة في فلسطينية والرب دراسة محمد بن شروق، الرباط، ١٩٨٤
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل، محمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ) فدر الكاشية في لعيان الملة الثامنة، ط ١، ٤، ضبط وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب الحبية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧
- الحجي، عبد الرحمن عبي (١٩٩٤) التريفة الأندلسية من الفصح الإسلامي حتى سقوطه عروانية (٩٢٧هـ-٩٩٧هـ)، ط ١، دمشق دار العلم
- ابن حرم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت ٤٥٦هـ) طوق الحمامة في الألفة والألف (عقبس حسن كامل الصبري، مكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٩، وتحقق ماروق سعد، دار مكتبة الحبة، بيروت، ١٩٨٠
- حسن، ركي محمد، (١٩٤٤) فوحالة السمنون في المصور الأوسط، القاهرة دار المعارف
- حسن، محمد عبد النبي (١٩٥٥) التزجيم والسير، القاهرة دار المعارف
- — (١٩٦٩) ابن سعيد المغربي، المؤرخ، أرحالة، الأديب، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية
- حسن، حسني محمود (١٩٧٦) ادب الرحلة عند العرب، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب



- حذاد، جمال (١٩٦٩) 'تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس' تأليف حسين مؤسي، مجلة النجدة، العدد (١١٥) ص ١٦-٢٧
- حوقل، كمال (١٩٨١)، بطاريات وقيم الجمال العماري، لإسكندرية دار المعارف
- حيد، عبد الرحمن (١٩٦٩) اعلام الجغرافيين العرب ومستطقات من تاريخهم، دمشق
- الحمدي، أبو عبد الله محمد بن فخر، (ت ٢٨٨هـ) حيد للقبض في تاريخ علماء الأندلس، ط ٢، ج ٢، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٨٩.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحميد، (ت ٩٠٠هـ) الروض النضار في حرم الألفاظ، (تحقيق إحسان عباس)، دار القلم للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٧٥
- ——— (١٩٣٧) صفحة جريدة الأندلس، منطبعة من الروض النضار، ط ٢، (تحقيق إبراهيم بروفنتال)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة
- الحزفي، أحمد (١٩٧٢) لب ابن حزمون' مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ج ٣٠ ص ٣١-٥٥
- ابن حنبل، إسماعيل بن محمد بن عبد الله النخعي، (ت ٢٤٩هـ) مطبخ الأندلس ومصرح الأندلس في ملج نيل الأندلس، ط ١، (تحقيق محمد علي شوابكة)، ط ١، دار عمى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣
- حبشك، شاهر (١٩٧١) ابن بطوطه ورحلته الجب الأشراف مطبعة لآداب
- ابن الخطيب، إسماعيل الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد، (ت ٧٧٦هـ) الإحاطة في أخبار غرناطة ج ٤، (تحقيق محمد عبد الله حبان)، دار العرب، مصر، ١٩٥٥، مكتبة الخالفي، القاهرة، ١٩٧٤
- ——— (١٩٥١) تاريخ إسبانيا الإسلامية، أعمال الأعلام في من يبيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، ط ٢، (تحقيق إبراهيم بروفنتال)، دار المكتشفة بيروت
- ——— (٢٠٠٣) حمارة الشيخ في رحمة الشتاء والسميف، ط ١، (تحقيق أحمد عتار المادي)، دار السويد للشر والتوزيع، أبو ظبي، دار العارم للشر والتوزيع، عمان
- ——— (١٩٢٣) هجوى الصيف والجهام والاصي وفكهام، (دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر)، شركة الوطنية للشر والتوزيع، الخرطوم
- ——— (٢٠٠٤) السمعة البغربية في فتوة شمسية، ط ١، (تحقيق محمد رزقهم محمد عزب)، الدار الثقافية للشر، القاهرة



- — (١٩٥٨) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد العرب والاندلس، مجموعة من رسائله، (مشر وتعليق أحمد مختار المبادي)، الإسكندرية
- — (١٩٥٥) معاصره الجورفي في علافة الاعتقاد، آج، نشر ويعيق أحمد مختار المبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الكاتيب العربي، القاهرة
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المختصر في، (ت ٨١٨هـ) تاريخ ابن خلدون، التسمي العبر وديوان المبتغا والتاريخ في أيام العرب والمسلم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط ١، حديدة نسخة، ٧، ج، تليث تركي، مرجع المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩
- — (٢٠١٣) الشريف بابن خلدون ورحلته غرب وشرق، ط ١، علق عليه، محمد بن تلويت الضحي، وسرهما وقدم هاء، بوري الجراح، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، دار العاروس، عمان، الأردن.
- — (١٩٧٨)، مقدمة ابن خلدون، ط ٤، ٢، ج، دار الآبار للنشر والتوزيع، المروة، مكة المكرمة
- ابن علكان، أبو لسان شمس الدين أحمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ) وفيات النعمان وشبهه، ليدنه الترمذ، آج، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢
- أبو الحقر، محمود (١٩٨٠)، أفرجة ثقافية في الأدب العربي، مجلة فكر الأدبية، العدد ٢٤٩، ص ٦-١٣، عمان، الأردن.
- دار صادر (دون ذكر سنة الطبع) ديوان الاعشى، بيروت، لبنان
- دار المشرق (١٩٨٠) نقد في قصة والأعلام، ط ٢٤٤، بيروت
- ابن دحية، أبو الخطاط محمد الدين عمر بن أحمد بن علي، (ت ٦٣٣هـ) المطر في شعور من الغرب، (تحقيق إبراهيم الأبياري، وحامد عبد الجليل، وأحمد مدوي)، راجعه طه حسين، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤.
- الألماني، محمود مصطفى (١٩٤١)، رحلة ابن بطوطة وما تمطوي عليه من ميات وشجر، مجلة الاقتصاد، ج ١، ص ٩٨، ص ٥٣، ٥٥، ١، ص ٩٩، ص ١٣٣، ١٣٥
- أبو دبال، صالح محمد (١٩٨٧)، ألقاب الفكر بين المغرب والاندلس وشبه الجزيرة العربية، مجلة الفرق، السنة الثالثة عشرة، العدد (٢)، ص ١٠٣، ١٢٤
- ديورانت، وب (١٩٥٦) قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ٧٤٨هـ) سير اعلام النبلاء، ٧، ج ٢٣، (تحقيق شعوب الأربؤوط، صالح السمر)، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦
- واعب ميل (١٩٧٨) معالم الؤب العالمي للعاصر، القاهرة دار المعارف
- ابن رشيد السبي، أبو عبد الله محمد بن عمر المهري، (ت ٧٢١هـ) من، العمية بما جمع يعول العمية في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة (تحقيق الحبيب بن الحوجبة)، ج ١، ٢، ٥، الدار التؤسية للشعر، تونس، ١٩٨٢، و١، دار العرب للإسلامي، بيروت، ١٩٨٨
- الرحي، أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى الرحي، لإشيلي، يعرف بابن القحار، (ب ٦٦٦هـ) برنامج شعوب ابن القحار الرحي، (تحقيق يرأهم شعوب)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢
- رومية، وهب (١٩٧٩) فرحة في الفسيدة العاهلية، ط ٢، بيروت مؤسسة الرسالة
- ابن أبي روع لغاسي، علي (١٩٧٢) القسيس العرب بروس القسطلي، (إيفار ملوك العرب وتاريخ مفيدة فاب دار المصور للطبعة والورقة، الرباط
- — (١٩٧٢) الأخيرة السنية في تاريخ الدولة العرمية، دار المصور للطباعة والورقة، الرباط
- الأزركشي، أبو عبد الله محمد بن يرأهم (١٩٦٦) تفرقة الدولتين الوجهية والخصية، ط ٢، (تحقيق محمد ماشور)، المكتبة الميقة، تونس
- الرخسي، حبر الدين (١٩٨٤) القعلام قاموس سراجم لشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستعربين، ج ٨، دار العلم بالملايين، بيروت، لبنان،
- الرودي، أبو عبد الله الحبر بن أحمد بن الحبر، شرح المقاتل سبع سوريا، حلب دار الكتاب العربي
- ريانة، مولا (١٩٦٢) الجغرافية ورحلات عند العرب، بيروت مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللامي
- — (١٩٦٦) دمشق في عصر الأملايك، مكتبة لبنان، بيروت
- ريسوي، لطيف (١٩٩٦) تميميولوجيا ولب الرحلات عالم الفكر، المبد ٢٤، المبد (٣) ص ٢٥١ ٢٧٣
- سام، السيد عبد العزيز (١٩٨١) التفرقة والتؤرحون العرب، بيروت دار النهضة العربية
- — (١٩٨٦) المساجد والمصور بالاندلسي، الإسكندرية مؤسسة شيا الحرمة



- السامرائي، إبراهيم (١١٠٩) هـ السيرة الذاتية عرقه العرب قبل غيرهم، مجلة المصيل، العدد (١٤٢) ص ٣٣-٣٥
- السكي، تاج الدين، أبو نصر عبد الوهاب بن علي، (ت ٨٧١هـ) طبقات الشافعية الكبرى، ج ٩، إدارة محمد عبد الطيف الحطيف، مطبعة الحسينية المصرية، د ١٩٠٦
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت ٩٠٢هـ) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ١٢، مكتبة الأقدمين بالقاهرة، ١٣٥٥. ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون ذكر سنة الطبع
- سعد الله، أبو الفاسم (١٩٩٠) رحلة أبي عيسى عيسى البيهقي من بعلبك إلى النصارى، مجلة العرب، الأعداد (٩، ١٠)، ص ٦٢٢-٦٢٧
- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، (ت ٦٨٥هـ) الغرب في حلق العرب، القسم الخامس بالمتنفس، ط ٣، ج ٢، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٥٣ ١٩٥٥
- الغرب في حلق العرب، القسم الخامس بمصر، ج ١، تحقيق زكي محمد حسن وشوقي ضيف، وسيدة إسماعيل، القاهرة، ١٩٥٣
- السلاوي، شهاب الدين أحمد بن خالد الباصري، (ت ١٣١٥هـ) التفتيح لأخبار دول الغرب القصص، ج ٨، شرف على النشر محمد حجي، وزير أرم بن طالب، وأحمد أنوف، مشورات وزارة الثقافة والاتصال، الدار البيضاء، ٢٠٠١
- سليم، ساكر مصطفى (١٩٨١) هموس القسريولوجيا، ط ١، جامعة الكويت
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الشافعي، (ت ٩١١هـ) بقية الوعاة في طبقات الفحول والعهدة، ط ٢، ج ٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٩
- الشاوي، عبد القادر (٢٠٠٠) الكتابة والوجود، السيرة الذاتية في الغرب، بيروت، إفريقيا لشرق
- ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رفيع، (ت ٦٣٦هـ) الوجود السلطاني والحسن يوسف، تحقيق محمد درويش، شركة طبع الكتب العرب، مصر، ١٩٧٩
- شرف عبد العزيز (١٩٩٢) السيرة الذاتية، بيروت، مكتبة لبنان
- شعبان، أنعام عبد الله (١٩٩٠) السيرة الذاتية في الطب العربي الحديث منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى بداية الحرب العالمية الثانية، رسائل ماجستير غير منشورة، جامعة المستنصرية، العراق
- الشكبة، مصطفى (١٩٧٠) الطب الإسلامي موسوعته وهويته، بيروت، دار النهضة العربية
- شلق، علي (١٩٧٤) الفن العربي في مادته وتطوره المصري النهضة والحديث، ط ٢، بيروت، دار القسم

- شهير، عبد الحريز (١٩٩٥) التعمش بين الديان في الأندلس من خلال مصوم شعيرة أندلسية مجلة دراسات أندلسية، العدد (١٤) ص ٢٨-٤٦
- شبح، حمدة (١٩٩٤) يفس بطاهر القيسية في رحلة عبد الله بن الصديق الأندلسي، مجله دراسات أندلسية، العدد (١٢) ص ٣٦-٤٤
- الصادقي، حسن (١٩٨٩) الوجود القرمي في الشرق من خلال كتب الزاجم للشرقية مجلة شغل، السنة ١٥، العدد (٣٨) ص ٢٩٢-٣١٦
- الصائلي، عباس مصطفى (١٩٧٤) السيد والطرده في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، بيروت، المؤسسة العلمية للدراسات والبحوث.
- صحراوي، عبد السلام (١٩٨٧) السيد الرحالي، الأديب فوحالده، رسالة ماجستير غير مشورة، جامعة دمشق، دمشق.
- الصمدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (ت ٧٦٤هـ) الوافي بالوفاء ط ١، ٢٩ ج. (تحقيق أحمد الأيوبي)، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠
- الصكر، حاتم (١٩٩٤). كتبة فنان، عمان دار الشروق
- الصهاحي، عبد الله بن بلال بن ياقين، (ت ٤٨٢هـ) مذكرات الأمير عبد الله ابن ملوك ريفي بمراسله، (تحقيق ومشر) لبيبي بوعسال، دار الصرف، القاهرة ١٩٥٥
- الصافي، محمد محمود (١٩٨٥). رحلة ابن بطوطة، موسوعة، موسى، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع
- الصبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن صيرة، (ت ٥٩٩هـ) بمعية القمص في تنوع رجال أهل الأندلس ط ١، ٢ ج. (تحقيق إسماعيل الأبياري)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩
- صعب، شوقي (١٩٥٦) الترجمة الشخصية، المعرفة دار المعارف
- — (١٩٦٥) هن ومعرفة في هنو العربي، ط ٣، القاهرة دار المعارف
- صعب، شوقي. ولغة من أدباء الأقطار لربية (١٩٥٦) الرحلات القاهرة دار المعارف
- طعان، صهي (١٩٩٤) زمن الشعر، مجلة المعرفة، السنة ٣٣، العدد (٣٧) ص ١٢٧-١٤٧
- الهادي، أحمد مختار (١٩٧٩) الإسلام في تونس الأندلس، مجلة عالم الفكر، ص ١، العدد (٢٠) ص ٥٩- ٦١٠
- — (١٩٧١) التاريخ السياسي والأندلسي، بيروت دار النهضة العربية





- — (١٩٨٠) من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية: مجلة عالم الفكر، مج ١١، العدد (١) ص ١٤٦-١٥٦.
- عباس، إحسان (١٩٨٥) تاريخ الأدب الأنثوسي: عصر سيادة قرطبة، ط ٧، بيروت: دار الثقافة
- — (١٩٩٢) تاريخ الأدب الأنثوسي: عصر الطوائف والبربرية، ط ١، بيروت: دار الثقافة
- — (١٩٩٨) رحلة أبي بكر بن العربي، كما صورها هارون القاويل، مجله التحقيقات، الجامعة الأمريكية، بيروت، السنة ٢١، العدد (١) ص ٥٩-٩٥
- — (١٩٩٦). ظل الشرق، بيروت: دار بيروت
- عبد اللطيف، يحيى إبراهيم (١٩٧٥) الرحلة الثانية في الأدب العربي الحديث، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية
- العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد لعبدري الحبيبي، (ت ٧٠٠هـ) الرحلة المغربية، (تحقيق محمد لعاسي)، وزارة الدولة لشؤون الثقافة والتعليم الأصلي، الرباط، ١٩٦٨
- عبد الحدي، عبد الحليل (١٩٨٠). الحركة الفكرية في ظل السجدة الفسفي في القرنين الهجري والمملوكي، ط ١، عمان: مكتبة الأنثوسي
- عبد التور، جبر (١٩٧٩) المعجم الفسفي، لبنان، بيروت: دار الملاين
- عبد الوهاب، حسن حسي (١٩٦٦) معروف التونسيات، ط ٢، مطبعة تونس: مكتبة المار
- العبدري، محمد بن عمر بن أبي (ت ٤٧٨هـ) (١٩٦٥) ترصيع الأحبار، وتنويع الآثار والبستان في معرفت الصنف والمالك في جميع الممالك، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (ت ٥٤٣هـ) أحكام القرآن، ٤ ج، (تحقيق علي محمد الجاوي)، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٧
- — هارون القاويل، ط ٢، (تحقيق محمد السليمي)، دار العرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠
- ابن عربي محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله (ت ٥٦١هـ) كنه الأسرار في مقام الأسرار، وكتاب الإسفار عن نتائج الإسفار، نفس رسائل ابن عربي، ٢ ج، مطبعة دائرة المعارف، دمشق، ١٩٤٨.
- — الفتوحات لكيفية، ٤ ج، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، دار ذكر سنة الطبع
- ابن حناكر. أبو القاسم عبي بن الحسن بن حناكر، (ت ٥٧١هـ) ولاية دمشق في العهد المملوكي، ط ٣، (تحقيق صلاح الدين الخليل)، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٦
- إسماعيل، كاسم جميل (١٩٩٢) بيد القضي في كتب رحلات عبد العرب والمسلمين، عمان: المكتبة الوطنية



- أبو صيدة الجاني، أحمد بن أحمد (ت ٨٦٥هـ) رسالة العرب إلى الطبيب ط ١، حررها وعسى عليها أبو القاسم سعد الله دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣
- العمري، محمد الدين الحسيني، ت ٩٢٧هـ) النص الجليل بشرائط النفس والجليل ط ١، ج ٢، (تحقيق محمد عودة لكمانية) إشراف محمود علي عطالله، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨
- العماد الأصمغاني، محمد بن صفي الدين، (ت ٥٩٧هـ) الصنع العتيق في الصنع العتيق، (تحقيق محمد محمود صبح)، دار القومية للطباعة والنشر
- ابن العماد الحنبلي، أبو صلاح عبد الحفي، (ت ١٠٨٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٨، القاهرة، ١٩٣١.
- عان، محمد عبد الله (١٩٨٨) دولة الإسلام في الهند، ط ٣، القاهرة: مكتبة الخديجي
- العبد بنى (١٩٩٠) تصنيف العمود الرومي، ط ١، بيروت: دار الفارابي
- — (١٩٩٧) قصود الثلاثة الرومية، مجله فصول، مج ١٥، العدد ٤١، ص ٢٠ ٢٢
- الحرطلي، أبو حامد محمد اب ٥٦٥هـ) (٣ ٢٠) رحلة تصف الألبان ونسبه الإصمغاني، ط ١، حررها، قسم وهب، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ودار الفارابي للنشر، عمان
- (١٩٩١) العرب عن بعض عجائب العرب، (تحقيق إيمرود بيجارانو)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد.
- عربي، جورج. (بدون ذكر من الطبع) لب الرحلة تاريخه وعلامته، بيروت، دار الثقافة
- العراقي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥١٥هـ) تهذيب أخبار علوم الدين، (تحقيق عبد السلام الفراس)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٨
- ابن الفراهيدي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف، (ت ٤٠٣هـ) خريطة علماء المسلمين، ط ١، (تحقيق روحية عبد الرحمن السويدي)، دار الكتب العلمية
- المصنوعي، أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأردي القشتالي (١٩٧٤) نسخة العرب ببلاد العرب لم له من الأحبار في كرامات الشيماء مرون، (تحقيق فرانس ودي لاجرانغا)، سنوروت، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد
- فهم، حسين (١٩٨٧) آثار الشيعي في أدب الرحلات مجله المانوراث الشعبية، السنة الثالثة، العدد (٥) ص ٧١-٨٣
- — (١٩٩٧). الرحلة والرحلات ط ١، دبي: دائرة الثقافة والمعلومات
- هوري، حسين (١٩١٢) حديث السندباد القديم، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة



- تأسس سيرا (١٩٨٥) بيتا هرويات ط١، بيروت- دار التنوير
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت ٢٧٦هـ) الشعر والشعراء، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢
- ابن القفطاز، أبو الحسن علي، (ت ٦٢٨هـ) نظم الحيمان، (تحقيق محمود علي مكبي)، الركن الجامعي لبحث علمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، بدون ذكر سنة الطبع
- انصباغي، أبو حسن علي، (ت ٨٩١هـ) رحله القصص، (تحقق محمد أبو الأصباح)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨
- القسوي، سهر ( ١٩٦٠) فن كتابة السيرة لمؤلفه، الطبعة العربية، العدد (٧) ص ٥٤- ٥٨
- صليل، فؤاد (٢٠١٢) أدب الرحلة في التراث العربي، ط٢، القاهرة مكتبة الدار العربية للكتاب
- كاتيا بير (١٩٩٩) كتب القسلي، ترجمة عبد الواحد لوزي، في لجوسي، سالي الخصصاء
- الخصصاء، العربية الإسلامية في الأندلس، ط٢، ج٢، ح١ ص ٤٦٦-٤٧١ بيروت مركز دراسات الوحدة العربية
- ابن الكني، أبو عبد الله محمد، (ت ٤٢هـ) النشيطات من شعر علي الأندلس، (تحقيق إحصان عيسى)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦.
- الكتاني، عبد الحلي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأشبات ومعجم اللماجم والنشيطات، ط٢، ج٢، احتفاء إحصان عيسى، دار العرب الإسلامي، ١٩٨٢
- الكني، محمد بن شاعر بن أحمد بن عبد الرحمن، (ت ٧٦١هـ) فوات الوفيات، ج٢، (حققه، صبطه وعلق عليه محمد عي الذي عبد الحيد)، مكتبة السعادة، مصر، ١٩٥١، (و تحقيق الشيخ علي محمد معروض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود)، دار الكتب العلمية، بيروت، ب٢٢
- كرتشكوفسكي، غسانطوس يوليافوفس (١٩٨٧) فاهرة أدب العصري العربي، قلعه عس الروسية، صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢، بيروت- دار العرب الإسلامي
- الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد المعز الإشبلي الأندلسي من أعلام القرن السادس احكام مسعة الكلام (تحقيق محمد وشوان لداية)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦
- لوجوي، جليل (١٩٩٤) قصة الحقيقة، ليلتيق والتاريخ، تحقيق، ترجمة عمر حلي، بيروت الركن الثقافي العربي
- (أبوز الأرقبي)، الحسن بن محمد الوران، (١٩٨٣) وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، محمد حمدي، ومحمد الأحصير، ط٢، ج٢، دار العرب الإسلامي، بيروت، والشركة المغربية لنشرين لشعدين- الرباط

- ابن ماجية، أبو عبد الله بن يزيد الأندلسي، (ت ٢٧٣هـ) سعي في حاجة، حققه بشار عواد معروف، دار الخليل، بيروت، ١٩٩٨
- مان الله، علي محسن عيسى (١٩٧٨) أدب الرحلات عند العرب في التصوف، شأنه وظهوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري، بغداد: مطبعة الإرشاد
- البحوث شكرى (١٩٩٢) سيرة العائب، سيرة النبي: السيرة الذاتية في كتاب التهم بطله حسين، تونس دار الجلوب.
- محمد محمود سالم (١٩٨٢) تلخيص السيرة في نهاية العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير مشورة، جامعة دمشق، دمشق.
- المراكشي، عبد الوهاب محي الدين بن علي التميمي- بن محمد، (ت ٦٤٧هـ) شعوب في التلخيص الأخير، القريب، ط ٣، (محقق محمد بن سعيد الغرياني)، القاهرة، ١٩٤٩
- مرناض، عبد الملك (١٩٨٢) الجدل الثقافي بين العرب والمشرق، ط ١، دار احداث
- المروقي- سمير، شاذكر جبل (١٩٨٦) مدخل إلى نظرية القصص، بغداد، العراق دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق حرة
- السدي، عبد السلام (١٩٨٢) النقد والحفظ، بيروت دار الطليعة
- السعدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (ت ٣١٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢، ٩، مع الترجمة لمرسية باعشاء الأستاديين باريه دميان وباهر دكورتل، مؤسسه مطبوعاتي إسماعيليان، قرآن ناصر خسرو - ياسر مجيدي، طهران، إيران، ١٩٧٠.
- السعدي، حمادي (١٩٩٩) أوليقي والخطوطي والفرازي في نخبة نبي حامد القرماني، مجلة الحياة الثقافية، العدد (٥٤) إدارة الآداب، وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية التونسية
- مسلم بن الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، (ت ٢٦٦هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧ ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ————— الجامع الصحيح للمسلم صحيح مسلم، ٤ مج، دار المعارف، بيروت دون ذكر سنة الطبع
- مصطفى- أحمد أمين (١٩٩٢) الحياة في القرن الثامن الهجري كما تصورها رحلة بين بطون، القاهرة مطبعة السعادة
- مطوب، أحمد (١٩٩٩) الملامح الاقتصادية في رحلة بن بطون، بغداد دار الشؤون الثقافية
- معروف، ناسي (١٩٧٣) علماء الحضارات وعلوم المشرق الإسلامي، ط ١، بغداد، مطبعة الإرشاد
- مقداد، جمال (١٩٩٦) الإسراء، وتلمعاج وسجنائها في الفكر العربي، رسالة دكتوراه غير مشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن



- النجدي، أيمن (١٩٦٣) القرون الذهبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، بيروت: دار كتاب العربي
- النجدي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (٢٨٠هـ) احسن التلخيص في معرفة الأقاليم، (تحقيق غازي طليمات)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠
- القرني، شهاب الدين أحمد بن محمد التلعسبي، (٤١٠هـ) زاهر الرياض في أخبار عياص، ١٩٧٨
- سج، صفوان إحياء التراث الإسلامي، الرياض، ١٩٧٨
- مجمع المطبوع من معجم التلخيص المطبوع، ط١، ج٨، (تحقيق إحسان عباس) دار صادر، بيروت، ١٩٦٨
- القريري، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، (٨٤٥هـ) لنوعه ولاعتبار مدرك الحفظ والآثار يقتضيه ذلك بأخبار إقليم مصر وشبهه وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبأهلها، ج٣. مطبعة النيل، دار التحرير، القاهرة، مصر، ١٣٢٤هـ
- مكتبة ملك عبد العزيز العامة (١٩٩٦) السجل العلمي لعدة القرون من الطباعة والطباعة ط١، القسم الثاني الموزيكوي، الكتابات الإشرافية لمصرية والرحلات، الرياض
- الكسبي، محمد بن عثمان، (تكملة في فلك السيرة) حقه وعلم عليه، محمد العباسي، مسووبات المركز العلمي للبحث العلمي، الرياض، ١٩٦٥.
- مكتبة الطاهر أحمد (١٩٩٣) دراسة من بين عرم وكتابه طوق الحياة ط١. القاهرة: دار المعارف
- مكتبة محمود علي (سجل درسه انطع) مفرد العربية، القاهرة: دار الكتاب العربي
- النجدي، صلاح الدين (١٩٦٣) الشرق في نظم نظرية والتفسير في القرون الوسطى، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (٣١١هـ) لسان العرب، ١٥ ج، دار صادر، بيروت
- النجدي، محمد (١٩٧٧) التيارات الفكرية في العرب الحديث، فاس: العرب مطبعة محمد الخامس الثقافية والجمعية
- مهران، رشيد، (١٩٧٩) ملك حسين بن حمزة طهية ط١، الإسكندرية: لجنة المصرية العامة
- (مؤلف مراكشي مجهول من القرن السادس الهجري) الاستيعاب في عجائب التفسير، وصف مكة والسياسة ومصر وبلاط بقرب، تعليق سعد دعلول عبد الحليم، دار الشؤون الثقافية العامة، آباء عربية، بغداد، العراق، ١٩٨٥
- (مؤلف من القرن الثاني الهجري) الحقل التوسيع (تحقيق سهيل ركار، وعبد القادر زمامة)، دار الإرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩

- مؤنس، حسين. (١٩٦٧). تاريخ الجغرافية والجغرافيين في القدس، ط١، مكتبة: معهد الدراسات الإسلامية.
- — (١٩٥٩). فجر الاندلس: دراسة في تاريخ الشمس من الفتح الإسلامي إلى سقوط الأموية، ط١، القاهرة: الشركة العربية.
- — (بدون ذكر سنة الطبع). معالم تاريخ الطب في الغرب والاندلس، القاهرة: دار ومطابع المستقبل.
- موالى، عثمان. (١٩٧٣). نون من لب الرحلات، الإسكندرية.
- موقى، ناصر عبد الرزاق. (١٩٩٥). فريضة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط١، جامعة القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية.
- مورينو، ماثيو جوميث. (١٩٠٠). فن الإسلام ترجمة لعلي عبد قديم، القاهرة: الدار المصرية.
- موير، إدوين. (دون ذكر سنة الطبع). منهج الرواية، ترجمة إبراهيم الصبري، ومراجعة عبد القادر القبط: دار الجبل والدار المصرية للتأليف.
- الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد النيسابوري، (ت٥١٨هـ). مجمع الأمثال، ج٢، ضبط وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.
- الشافعية النيباني، زياد بن معاوية بن شهاب. نبوة الشافعية، جمعه وشرحه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٦.
- نصار، حسين. (١٩٩١). أدب فريضة، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونغمان: مكتبة لبنان.
- نواب، موهب محمد يوسف. (١٩٩٦). الرحلات الفريضة والفريضة، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- نور الدين، صدوق. (٢٠٠٠). سير الفكريين الشافعية: زكي نجيب، لويس عوض، إحسان عباس، محمد عابد العائدي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- النوروي، محي الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف. (ت٦٧٦هـ). تهذيب السمع والفتى، ج٢، إدارة الطباعة النورية، القاهرة، ١٩٠٠.
- النوروي، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب. (٧٣٣هـ). نهاية العرب في ضلوع الغرب، (تحقيق: حسين نصار)، يصدرها المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣.
- هوتنك، زيفريد. (٢٠٠٢). شمس العرب تطل على الغرب، ط١٠، نقله عن الألمانية فاروق يونس، وكمال دسوقي، راجعه، مارون عيسى الخوري، بيروت: دار صادر، ودار الأفاق الجديدة.
- وجه، مجدي، لهنس. كامل. (١٩٨١). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، لبنان.



- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت. ٦٢٦هـ). معجم البلدان، ٥ ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٩.
- بقلطين، سعيد. (١٩٨٨). "صبيح الخطاب الروائي وبعثتها النصية". مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، المجلد (٤٨-٤٩): ص ٣٧-٤٥.

#### ١- باللغة الإنجليزية:

- Ianrich, Aronettion, (1991), *Basic Structuralism and signs of Alienation in the Kibla of Ibn Jubayr*, *Journal of Arabic Literature*, NO. xiii, 21-34.
- International Copyright Union (1974), *The New Encyclopedia Britannica*, USA, Vol. II.
- Nicholson, R. A. (1997). *A Literary History of the Arabs*, India: S. Sajed.
- Watt, W.m. (1967). *A History of Islamic Spain*, Islamic Surveys, Edinburgh: Edinburgh University.



## ANDALUSIAN AND MORROCAN LITERATURE OF TRAVELS UNTIL THE END OF THE NINTH CENTURY OF HIJRA

This study follows up the Andalusian and Morrocan Travels until the end of the Ninth century of Hijra. It follows the cultural and episemic contexts of these travels. It also shows the travels role in the cultural interaction, their relations with the other literary forms and decide their artistic features which strengthen them.

This study includes an introduction and four chapters:

The Introduction included the definition of the travel, its establishment, motives and importance. Then it presented the most famous travelers and their travels and the role these travels play in the Arabic culture.

The first chapter presented the cultural, epistemic, religious and social contexts included in the travels. It showed the picture of women and men in different societies that travelers visited.

The second chapter discussed the travels and their cultural interaction. It showed the factors of that interaction and forms of coordination and exchange among different races and denominations.

The third chapter presented the relationship between the travels and the forms of writing a C.V, diaries, memoris and confessions.

The fourth chapter was concerned with studying the artistic structure, the methodes that travelers used to describe their views and express their feelings and studying the narrative structure of these travels.

Some of the most important results of this study were:

- The main purpose of Andalusian and Morrocan travelers' travel was for, pilgrimage, visiting holistic places and asking for knowledge. Then they became famous because of their knowledge and travels, so they became qualified for holding religious and scientific positions when they came back. They were given the chance to work in teaching, in the judiciary or in writing for some Morrocan and Andalusian princes.
- The travels observed the variety of civilized land marks in different aspects of life in the countries that the travelers went to. The travels reflected clear picture of nations' cases i.e. Their food, colthes, physiological and psychological features, customs and traditions, imports, exports and architectonic arts.

In that way the travels formed a comprehensive maps: Geographic, plant, animal and human.

What travelers reported of certain news, views or descriptions may pave the way for establishing sciences which search in the social studies.

- Some travels formed a literary art like embassy, travels, diaries, memoris, of C.V. These forms had the same essence of the travels which was describing travelling from one place to another.
- The views that travelers saw, and what they reported such as news and stories.
- To Investigate belonging to oneself's culture, understand the other culture and to become opened to them.

The role of travels in the cultural interaction exchanging and coordinating among all cultures and human elements in the countries the travelers visited. These travels showed the extent of travelers' interaction with others in scientific meeting, debated and literary expositions.



